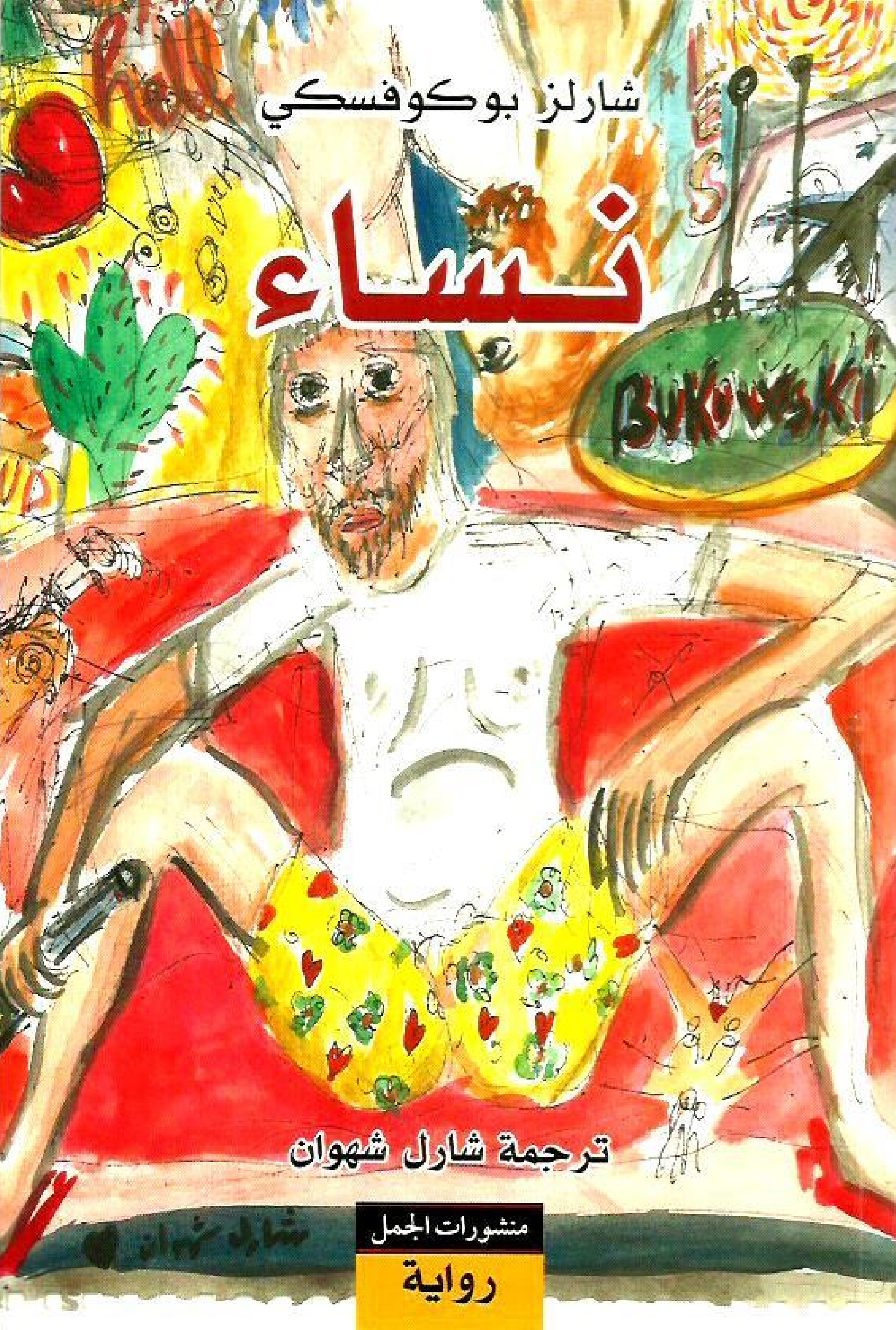


شارلز بوكوفسكي
نساء
BUKOWSKI
ترجمة شارل شهوان
منشورات الجمل
رواية

شارلز بوكوفسكي: **نساء**

شارلز بوكوفسكي

نساء

ترجمة

شارل شهوان

منشورات الجمل

شارلز بوكوفسكي، نساء، ترجمة: شارل شهوان، الطبعة الأولى

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Charles Bukowski: Women

Postfach 1127 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

- ١ -

كان عمري خمسين سنة وما ضاجعت امرأة من أربعة أعوام. لم تكن لديّ نسوة صديقات. كنت أرمقهن فيما أعبر إزاءهن في الشوارع، أو أنّى أبصرتهن، غير أني كنت أنظرهن من دون توق وبإحساس مفعم بالهباء. كنت أستمني بانتظام، بيد أن خاطر إقامة علاقة مع امرأة، حتى بالمفهوم اللاجنسي، كان أنأى من خيلائي لدي إبنة في السادسة من العمر هي ثمرة علاقة غير شرعية، تعيش مع أمّها وأدفع نفقة إعالتها كنت متزوجاً قبلاً منذ سنوات في سن الخامس والثلاثين. دام الزواج سنتين ونصف السنة، زوجتي طلّقتني، وقعت في الغرام مرة واحدة لا غير، ماتت نتيجة إدمان كحولي حاد، قضت في عمر الثامنة والأربعين حين كنت أنا في الثامنة والثلاثين. كانت زوجتي تصغرني بإثنتي عشرة سنة. أحسب أنها هي الآن أيضاً ميتة، رغم أني لست متأكداً، كانت بعدما تطلّقنا، تكتب لي رسالة طويلة كل عيد ميلاد طوال ست سنوات، ما أجبتها إطلاقاً.

لست أذكر بالتحديد متى رأيت ليديا فانس للمرّة الأولى، كان ذلك مذ ما يقارب ستة أعوام، وكنت تركت للتو وظيفة مارستها إثنتي عشرة سنة كساعٍ للبريد، وأحاول أن أصبح كاتباً، كنت مذعوراً واحتسيت الكحول أكثر من أي وقت مضى، كنت أحاول كتابة روايتي الأولى. فيما أكتب كل ليلة، كنت أعبُّ نصفيّة ويسكي

وصندوقي بيرة سعة ست قنانٍ، كنت أدخّن السيجار الرخيص وأطبع على الآلة الكاتبة، وأشرب مستمعاً إلى الموسيقى الكلاسيكية عبر الراديو حتى بزوغ الفجر. حددت لي هدفاً بأن أنجز عشر صفحات كل ليلة، غير أني ما كنت أدرك البتة حتى اليوم التالي كم من الصفحات كنت خططت. كنت أنهض في الصباح، أتقيأ ثم أخطو إلى الغرفة الأمامية وألقي نظرة إلى الأريكة لأرى كم هنالك من الصفحات فوقها كنت دوماً أتجاوز صفحاتي العشر. أحياناً كنت أجد هناك ١٧، ١٨، **٢٣** أو **٢٥** صفحة. وبالطبع كان يتوجب تنقيح منجز كل ليلة أو حتى رميه. استغرقتني كتابة روايتي الأولى إحدى وعشرين ليلة.

مالكا العمارة حيث قطنت إنذاك، وكانا يسكنان الشقة الخلفية، خالا أني ممسوس، كل صباح آن أستيقظ كنت أجد كيساً ورقياً بنياً كبيراً أمام مدخل الشقة. تنوّعت المحتويات، غير أن الأكياس احتوت غالباً البندورة والفجل و البرتقال وبصلاً أخضر وعلب حساء وبصلاً أحمر. كنت نديمهما في احتساء البيرة بين ليلة وأخرى حتى الرابعة أو الخامسة فجراً كان يغمى على العجوز عموماً، وكنا أنا والعجوز زوجته نتشابك الأيدي وأقبلها بين الفينة والأخرى، ولأهبها دوماً قبيل المغادرة قبلة من العيار الثقيل. كانت جعدة بشكل فظيع بيد أنه لم يكن بوسعها أي شيء حيال الأمر كانت كاثوليكية وتبدو ظريفة آن تعتمر قبعتها الزهرية وتتوجه إلى الكنيسة صباح يوم الأحد.

أعتقد أني التقيت ليديا فانس إبان قراءتي الشعرية الأولى، جرى ذلك في مكتبة عند جادة كينمور «مكتبة دراوبريدج». مرة أخرى كنت مصاباً بالذعر، خارقاً ومع ذلك مذعوراً حين دخلت لم يكن هناك أي مقعد شاغر بيتر الذي يدير المكتبة ويساكن فتاة سوداء، ألغيت

أمامه كدسة من المال. «اللعنة» بادرني قائلاً «لو كان بوسعي أن أحشدهم هنا دوماً على هذا المنوال لاستطعت جمع ما يكفي من المال للقيام برحلة أخرى إلى الهند!». وبحث وبدأوا يصفّقون. في ما يتعلق بمسألة القراءات الشعرية وحسب، كنت بصدد تحقيق نجاح باهر

قرأت طوال نصف ساعة ثم دعوتُ إلى استراحة. كنت ما زلت صاحياً غير ثمل واستطعت أن أشعر بها العيون المحدّقة فيّ من العتمة. اقترب بعض الأشخاص وتحدثوا إليّ. ثم خلل هدأة وجيزة أقبلت ليديا فانس. كنت قاعداً إلى طاولة أحتسي البيرة. وضعت يديها فوق حافة الطاولة، وانحنت وحدّقت فيّ. كان شعرها طويلاً بنيّاً، بالغ الطول، وأنفها بارزاً، وإحدى عينيها لم تكن تماماً شبيهة بالأخرى، غير أنها كانت تنفح حيوية، كان حضورها طاغياً أحسست بها الذبذبات العابرة ما بيننا بعض الذبذبات كان مشوّشاً وسيئاً، بيد أنها كانت موجودة. رمقتني ورمقتها في المقابل، كانت ليديا فانس ترتدي سترة رعاة بقر جلدية ذات هدّاب يلفّ العنق، لم يكن ثدياها سيئين على الإطلاق. بادرتها بالقول «أود انتزاع هذا الهدّاب من على سترتك، يمكننا الابتداء من هناك!». انصرفت ليديا لم أفلح، لطالما أخفقت في التودد إلى السيدات. غير أنها امتلكت قواماً خارقاً تفرّجت على تلك المؤخرة فيما سارت مبتعدة. وهزهزتها مَقْعَدةُ بنطالها الجينز بروعة ورِنْتُها فيما ابتعدت.

أنهيت الجزء الثاني من القراءة ونسيت بشأت ليديا، تماماً مثلما أنسى أمر النسوة اللواتي أصادفهن على أرصفة الشوارع. أخذت نقودي، وقّعتُ على بعض المناديل، بعض القطع الورقية ثم غادرت، وسقتُ سيارتي عائداً إلى شقتي

كنت لا أزال أتابع كل ليلة كتابة روايتي الأولى، ما كنت أشرع أبداً بالكتابة قبل السادسة و١٨ دقيقة مساء. كان ذلك هو توقيت تسجيل حضوري إلى دوام العمل في إدارة بريد «ترمينال آنيكس». كانت الساعة عند تمام السادسة حين وصلا، بيتر وليديا فانس. فتحت الباب، بادرني بيتر «أنظر يا هنري، أنظر ماذا جلبت لك».

قفزت ليديا واعتلت المنضدة. كان جينزها الأزرق أضيق من أيّما وقت مضى. راحت تلّوح بقوّة بشعرها البني الطويل من نحو إلى نحو، كانت مجنونة، كانت خارقة. للمرة الأولى أخذت بعين الاعتبار فعلياً إحتمال مضاجعتها بدأت تلقي الشِعْر شِعْرُها الخاص. كانت بغاية الرداءة. حاول بيتر إيقافها «لا! لا! لا! لا شِعر مقفّى في منزل هنري شيناسكي!».

«دعها على رسلها يا بيتر!».

وددت التفرّج على وركيها كانت تفشخ طالعة نازلة تلك المنضدة العتيقة. ثم رقصت، لوحّت بذراعيها كان الشِعْرُ فظيعاً، الجسد والجنون ما كانا كذلك البتة.

قفزت ليديا إلى الأرضية.

«هل أُعجبكَ يا هنري؟».

«ماذا؟».

«الشِعْر».

«لا أظن».

انتصبت ليديا هناك حاملة صفحات الشِعْر في يدها، أمسكها بيتر «هيّا نتضاجع!» بادرها «هيّا فلنمارس الجنس».

دفعته بعيداً عنها.

«حسناً» قال بيتر «إذاً» أنا مغادر!».

«غادرْ إذاً، لديّ سيارتي» ردت ليديا «في مقدوري العودة إلى منزلي».

أسرع بيتر باتجاه الباب. توقف واستدار قائلاً: «حسناً يا شيناسكي! لا تنسى ما جلبتُ لكَ!».

أغلق الباب بعنف ومضى، جلست ليديا على الأريكة إزاء الباب، جلست على مقربة قدم واحدة منها تأملتها، بدت بديعة، كنت خائفاً، مددت يدي ولامست شعرها الطويل، كان شعرها ساحراً أبعدتُ يدي. «هل كلّ هذا الشَعْر حقيقة شَعْركِ؟» سألتها كنت أدرك أنه كذلك. «أجل» قالت: «إنه شَعْري». وضعت يدي تحت ذقنها وبارتباك حاولت أن أدير وجهها نحو وجهي. لم أكن جريئاً في مثل هذه الأوضاع. قبّلتها قبلة خفيفة.

هبّت ليديا واقفة «عليَّ أن أغادر. إني أدفع أجرة حاضنة أطفال»

«إسمعي» قلت: «إبقي. سأدفع أنا إبقي وحسب بعض الوقت»

«لا، لا أستطيع» ردّت «يتوجب عليّ الذهاب».

مشت نحو الباب. تبعتها فتحتْ الباب ثم استدارتْ، مددت ذراعيّ نحوها مرّة أخيرة. رفعتْ رأسها ومنحتني قبلة ضئيلة جداً ثم انسحبتْ واضعة بيني يديّ بعض الأوراق المطبوعة على الآلة الكاتبة. أُغلقَ الباب. قعدت على الأريكة، والأوراق بين يديّ، وأنصتُّ إلى انطلاق سيّارتها

كانت القصائد مثبّتة معاً برزّة سلكية، منسوخة ومعنونة «هي ي ي ي ي» قرأت بعضها. كانت ملفتة، مليئة بالدعابة والجنس إنما

مكتوبة برداءة. كانت بقلم ليديا وأخواتها الثلاث. جميعهن مرحات ومقدامات ومثيرات في آنٍ معاً رميت الأوراق وفتحت نصفية ويسكي. في الخارج كانت حلّت الظلمة. والراديو كان يبث غالباً موسيقى موزار وبراهمز وبيتهوفن.

* * *

ـ ٢ ـ

بعد يوم أو أكثر وصلتني بالبريد رسالة من ليديا، كانت قصيدة طويلة وتبدأ:

أخرج أيّها الغول العجوز

أخرج من جحرك المظلم، أيّها الغول العجوز

أخرج إلى نور الشمس معنا و

دعنا نغرز زهور المرغريتا في شَعْرِك.

وتابعت القصيدة تخبرني كم أنه يكون طيباً الشعور بالرقص في الحقول رفقة مخلوقات صغار الظباء الإناث التي ستجلب لي الحبور والمعرفة الحقّة. وضعت الرسالة في جارور خزانة الأواني المطبخية.

صباح اليوم التالي أيقظني طرق على ألواح باب المدخل الزجاجية. كان الوقت العاشرة والنصف صباحاً

«أغربْ من هنا».

«أنا ليديا».

«حسناً مهلكِ دقيقة».

ارتديت قميصاً وبنطالاً ما وفتحت الباب. ثم ركضت نحو الحمّام وتقيّأت، حاولت أن أنظّف أسناني بالفرشاة، فما كان سوى أن تقيّأت مجدداً. حلاوة معجون الأسنان قلبت معدتي. خرجت.

«أنتَ مريض» بدأت ليديا «هل تريدني أن أغادر؟».

«آه، لا، أنا بخير. أنا أصحو دائماً على هذه الحال»

بدت ليديا فاتنة. إنسلّ الضوء عبر الستارات وأنارها كان تحمل في يدها برتقالة وراحت تنطنطها في الهواء، دوّمتْ البرتقالةُ في الصباح المشمس.

«لا أستطيع أن أمكث» قالت «غير أني أود أن أسألك أمراً».

«بالتأكيد».

«أنا نحّاتة. أرغب في إنجاز منحوتة لرأسك».

«موافق»

«سوف يتوجب أن تقدمَ إلى بيتي. لا أملك محترفاً سيتوجب أن نقوم بذلك في منزلي. لن يزعجك الأمر، أليس كذلك؟»

«كلّا».

دوّنتُ عنوانَها، ومعلومات حول كيفية الوصول إلى هناك.

«حاول أن تحضر قرابة الساعة الحادية عشرة صباحاً يعود الأولاد إلى المنزل من المدرسة وسط ما بعد الظهيرة، وسيصرف ذلك انتباهي».

أكدّتُ قائلاً «سأكون هناك تمام الحادية عشرة».

قعدتُ قبالة ليديا في ركن الفطور، وبيننا كومة ضخمة من الطين. وشرعتْ تطرح أسئلة.

«هل ما زال والداك على قيد الحياة؟».

«كلّا».

«هل تحب لوس أنجلوس؟».

«إنها مدينتي المفضّلة».

«لماذا تكتب عن النسوة بالطريقة التي تفعل؟»

«ماذا قصدين؟».

«أنت تعرف»

«لا لست أعرف».

«حسناً أعتقد أنه من المخزي أن رجلاً يكتب مثلك ببراعة لا يفقه بالمقابل أي شيء في ما يتعلق بالنساء».

لم أجبْ.

«اللعنة! ما الذي فعلته ليزا بالـ ؟» وبدأت تفتش الحجرة. «آه من الفتيات الصغيرات اللواتي تسرقن أدوات أمهاتهن!».

عثرت ليديا على واحدة أخرى «سوف أجعل هذه تفي بالغرض. لا تحرّك ساكناً الآن، إسترخِ لكن إبقَ ثابتاً».

كنت مواجهاً لها راحت تشكّلُ بكومة الطين مستخدمة أداة خشبية تتوّج رأسها حلقة من السلك المعدني، راحت تلوّح الأداة باتجاهي من فوق كومة الطين. كنت أرقبها عيناها كانتا تحّدقان فيّ. كانتا كبيرتين بلون بنيّ غامق. حتى عينها الطائشة، تلك التي لم تشبه تماماً الأخرى بدت جميلة. بادلتها النظرات. تابعت ليديا العمل. مضى الوقت. كنت في حال من النشوة. ثم بادرتني مقترحة «ماذا لو نرتاح قليلاً؟ أو ترغب في قنينة بيرة؟»

«جيّد. أجل».

حين نهضت لتتوجه إلى البرّاد لحقت بها أخرجتْ القنينة وأغلقتْ الباب. ما أن استدارت أمسكت بها من خصرها وجذبتها إليّ. ألصقت فمي وجسمي بفمها وجسمها أمسكتْ قنينة البيرة بيد واحدة بعيداً بمسافة ذراعها، قبّلتها من جديد، دفعتني ليديا بعيداً عنها

«حسناً» انبرت قائلة «يكفي. ثمة عمل علينا إنجازه».

عدنا وجلسنا مجدداً، وشربت بيرتي فيما دخّنت ليديا سيجارة وما بيننا الطين. رن بعدئذٍ جرس الباب. نهضت ليديا انتصبت هناك امرأة بدينة ذات عينين مسعورتين مستجديتين.

«أقدّم لك أختي غليندولين»

«مرحباً»

سحبت غليندولين كرسياً وشرعت تتكلم. كانت قادرة فعلياً على التحدّث، لو أنها كانت أبو الهول بالذات لاستطاعت أن تتكلّم، لو كانت صخرة لقُدِّرَ لها أن تتكلّم. تساءلت في نفسي متى يمكن أن تتعب وتغادر. حتى بعد أن توقفتُ عن الإنصات شعرتُ كما لو أنني أقصف بكرات «بينغ بونغ» ضئيلة. افتقدتْ غليندولين أي مفهوم للوقت، ومطلق خاطر بأنه يمكن أنها تتطفّل. تابعت تثرثر وتثرثر من غير توقف.

«إسمعي» انبريت قائلاً في النهاية «متى ستغادرين؟».

بدأتْ عندئذٍ مسرحية الأختين. شرعتا تتلاسنان، كانتا واقفتين وراحت كل منها تلوّح ذراعيها في وجه الأخرى. ارتفعت درجات الطبقات الصوتية. هددّت كلّ منهما الأخرى بالأذيّة الجسدية. في نهاية الأمر، قرابة نهاية العالم، قامت غليندولين فجأة بإنفتالة خارقة

لجذعها ووثبت باهتياج إلى خارج الباب صافقة بعنف الباب المنخليّ وتوارت، غير أنه كان في الوسع سماعها ملتهبة سخطاً ونائحة وهي متوجهة إلى شقتها في القسم الخلفي من العمارة.

سرنا ليديا وأنا عائدين إلى ركن الفطور وقعدنا. تناولتْ أداة النحت وحدقت عيناها في عينيّ.

* * *

- ٣ -

ذات صبيحة بعد بضعة أيام ولجتُ فناء ليديا فيما كانت تدخل عائدة من الزقاق. كانت توجهت لزيارة صديقتها تينا التي تقطن وحدة سكنية عند ناصية الشارع، بدت مثيرة ذلك الصباح، تشبه إلى حد بعيد يوم زيارتها الأولى مع البرتقالة.

«واو» هتفت «إنك ترتدي قميصاً جديداً».

كان ذلك صحيحاً ابتعت القميص لأني كنت أفكر بليديا، وأتوق إلى رؤيتها أدركتُ أنها أدركتْ ذلك، وكانت تهزأ منيّ، غير أني لم آبه.

فتحت ليديا الباب بالمفتاح وولجنا إلى الداخل، كان الطين جاثماً في وسط طاولة ركن الفطور، مغطى بقماشة رطبة. نزعت القماشة وسألتني «ما رأيك؟».

لم ترحمني ليديا إطلاقاً كلّها كانت هناك، الندوب، أنف السكّير، الفم الأشبه بفم القرد، العينان الضيّقتان كشقّين طويلين، وفوق كل ذلك إبتسامة الحبور تلك العريضة البلهاء لرجل سعيد، سخيف محظوظ ويتساءل لماذا كانت في الثلاثين وتجاوزت أنا الخمسين من عمري، من ذا الذي يأبه.

«بلى» أجبت «هذا أنا بالكمال والتمام. أعجبتني. غير أنها تبدو منجزة تقريباً سوف أصاب بالإحباط حين ستنتهي. لقد أمضينا صباحات وما بعد ظهيرات رائعة».

«أوهل أعاق ذلك كتابتك؟».

«أبداً، إني لا أكتب أبداً إلا بعد حلول الظلام. أعجز كلّياً عن الكتابة في النهار».

تناولت ليديا أداة النحت ورمقتني. «لا تقلق، لدي الكثير من العمل بعد لأنجزها أرغب في أن تكون هذه مثالية».

خلل أول استراحة، أحضَرتْ نصفية ويسكي من البرّاد.

لفظتُ «آه»

«كم ترغب؟» سألتني حاملة كوباً زجاجياً طويلاً

«النصف بالنصف».

حضّرتْ الشراب فازدرته جرعة واحدة.

انبرت قائلة «لقد سمعت عنك أخباراً».

«مثل ماذا؟».

«حول كيف أنك تطرد أشخاصاً من أمام مدخل منزلك. وأنك تضرب نساءك».

«أضرب نسائي؟».

«أجل. أحدهم أخبرني هذا»

ضممت بذراعيّ ليديا وتبادلنا قبلة هي الأطول مذ التقينا ثبّتها إزاء حافة المجلى ورحت أحك قضيبي بجسدها دفعتني عنها بيد أني قبضت عليها مجدداً في وسط المطبخ.

مدت ليديا يدها ممسكة يدي، ودفعتها نزولاً إلى مقدّم جينزها وإلى جوف سروالها التحتي. لمس أحد رؤوس أصابعي بلبل

فَرجِها، كانت رطبة. فيما تابعت تقبيلها، رحت أغرز أصبعي عميقاً داخل فَرجِها بعدئذ انتشلتُ يدي، انفصلتُ عنها، أحضرتُ قنينة الويسكي وصببت لي كأساً أخرى، قعدت من جديد إلى طاولة ركن الفطور، وتوجهتْ ليديا إلى الناحية الأخرى، جلستْ وحدّقت فيّ، ثم بدأت تعمل على الطين من جديد. تجرعتُ كأسي الويسكي على مهل.

«إسمعي» بادرتها «إني أعرفُ مأساتك».

«ماذا؟».

«أعرف مأساتك».

«ماذا تقصد؟».

«إسمعي» قلت «أنسي المسألة».

«أريد أن أعرف».

«لا أريد أن أؤذي مشاعرك».

«اللعنة، أريد أن أعرف ما الذي تتحدث عنه».

«حسناً، إن سقيتني كأساً أخرى سأخبرك».

«اتفقنا» تناولت ليديا كأسي الفارغة وسكبت لي نصف ويسكي، ونصف ماء. فازدرتها مجدداً جرعة واحدة.

سألتني «ماذا إذاً؟».

«اللعنة، أنت تعرفين جيداً»

«أعرف ماذا؟».

«أنك تملكين فَرْجاً كبيراً».

«ماذا تقول؟».

«ليس هذا بالأمر الاستثنائي، فلقد ولدتِ طفلين».

جلست ليديا بسكون تعمل في الطين. ثم وضعتْ أداتها سارتْ إلى ركن المطبخ قرب البوابة الخلفية. راقبتها وهي تنحني وتنزع حذاءها العالي. بعدها خلعت جينزها وسروالها التحتي وانبرى هناك فَرْجها محملقاً بي.

«حسناً يا إبن الزانية» هتفتْ «سوف أثبت لك أنك مخطىء»

خلعتُ حذائي وبنطالي وسروالي التحتي القصير خررّت على ركبتي فوق الأرضية المشمّعة ثم اعتليتها بدِعَة متمدداً فوقها شرعتُ أقبلّها انتصبت سريعاً وأحسستني ألجها

وبدأت أخرق. مرة اثنتان ثلاث.

اندلعَ طرقٌ على البوابة الأمامية، كان طرقاً طفلياً، قبضات ضئيلة مسعورة ملحاح. خلعتني ليديا بسرعة عنها «إنّها ليزا! هي لم تذهب إلى المدرسة اليوم! كانت توجهت إلى عند..» هبّت ليديا واقفة، وراحت ترتدي ملابسها

«إرتدِ ملابسك» عاجلتني بالقول.

ارتديت ملابسي بأسرع ما أوتيت. توجهت ليديا نحو البوّابة، وانبرت هناك إبنتها بسنواتها الخمس زاعقة «أمّاه، أمّاه! لقد جرحتُ أصبعي!».

جلتُ هائماً في الغرفة الأمامية. كانت ليديا وضعت ليزا في حضنها «أوه دعي مامي ترى، أوه دعي المامي تبوس إصبعك. ماما سوف تبلسمه لك!».

«مامي، إنه يؤلمني».

تفحّصتُ الجرحَ. كان تقريباً غير مرئي.

«إسمعي» خاطبتُ ليديا أخيراً «نلتقي غداً»

«أنا آسفة» ردّت قائلة.

«أعرف»

رفعت ليزا أبصارها ناظرة إليّ. كانت الدموع تترقرق وتترقرق.

ردّدتْ ليديا «ليزا لن تسمح أبداً بحدوث أي مكروه للماما»

فتحتُ البوّابة، أغلقتُ البوّابة وسرتُ نحو سيارتي المركوري كوميت طراز ١٩٦٢

* * *

- ٤ -

كنت في تلك الآونة أشرف على تحرير مجلة صغيرة بعنوان «المجاز غير المكبوح». كان لديّ محرّران مساعدان، وكان يساورنا أننا كنا ننشر أفضل شعراء زمننا، هذا بالإضافة بعض ممن هم أقل شأناً أحد المحرّرين وطوله مترا و٩٥ سنتمتراً، كان دوسويّ الذكاء ومطروداً من المدرسة الثانوية. يدعى كينيث مولوك (أسود) وكانت تعيله أحياناً أمّه وأحياناً أخته. المحرّر الآخر كان يدعى سامي ليفنسون (يهودي) عمره ٢٧ ويعيش مع والديه، وكانا يعيلانه.

كانت الصفحات قد طبعت، وتوجب علينا الآن أن نتفحّص ترتيب الملازم وشبكها بالأغلفة وجمعها

«ما يتوجب أن تفعله» قال سامي «هو إقامة حفل تجميع. تقدّم فيه المشروب وبعض التفاهات، ودعهم يقومون بالعمل»

أجبته «إني أكره الحفلات».

بادر سامي «سأهتمّ بالدعوات».

«حسناً» أجبته ودعوتُ ليدي»

ليلة الحفلة وصل سامي محضراً معه الصفحات التي كان أنجز جمعها كان من الصنف العصبيّ، ومصاباً بعرّة في الرأس، وما كان قادراً على الصبر لانتظار رؤية قصائده مطبوعة. كان قد قام بشبك كل ملازم مجلة «المجاز غير المكبوح» بمفرده، ثم ثبّتها

بالأغلفة. لم نستطع العثور على كينيث مولوك، كان لربما في السجن أو معتقلاً

وصل المدعوون، كنت أعرف البعض القليل منهم. توجهت إلى عند صاحبة الشقة في الفناء الخلفيّ. أقبلتْ إلى الباب.

«إني أقيم حفلاً كبيراً يا سيّدة أوكيفي، أرغب في حضورك أنتِ وزوجك. الجعة وفيرة، وأيضاً بسكويت العقدية والتشيبس»

«آه، يا إلهي، لا!».

«ما الخطب؟».

«لقد رأيت الأشخاص الذين دخلوا إلى عندك! تلك اللّحى، وكل ذلك الشَعْر، وتلك الملابس الرثة! أساور وخرز. أنهم يبدون أشبه بعصبة من الشيوعيين! كيف تستطيع أن تتحمّل أشخاصاً من هذا الصنف؟».

«أنا مثلك لا أستطيع تحمّلُ أولئك الأشخاص يا سيّدة أوكيفي. مجرّد ما في الأمر أننا نحتسي البيرة ونتحادث. ولا ضرر في ذلك».

«خذ حذركَ، أن هذا النوع لا يتوانى عن سرقة أنابيب السمكرّية».

أغلقتْ البوّابة.

وصلت ليديا في وقت متأخر. دخلت من الباب أشبه بممثلّة، أوّل ما لاحظته هو قبّعتها الكاوبوي الكبيرة، والريشة الأرجوانية المشبوكة إلى الجانب، لم تكلّمني، بل جلستْ فوراً إلى جانب موظّف مكتبة شاب وانغمست في حوار حماسيّ معه. شرعت أشرب بإسراف وفقد حديثي بعض ديناميته والدعابة. بائع المكتبة كان شاباً

من النوع المقبول ويسعى لأن يصبح كاتباً، يدعى راندي إيڤانز، بيد أنه كان مأخوذاً إلى حد بعيد بكافكا ما يمنعه من بلوغ أي نوع من الوضوح الأدبي، كنا نشرنا له في «المجاز غير المكبوح» لتحاشي جرح مشاعره، وأيضاً للتمكن من توزيع المجلّة عبر مكتبته.

احتسيت البيرة وجلتُ في الأرجاء. خرجتُ إلى الرواق الخلفيّ، جلست على الشرفة في الزقاق وراقبتُ هرّاً ضخماً أسود يحاول دخول وعاء للنفايات. سرتُ متوجهاً نحوه، وثب من على المستوعب ما أن دنوت. وقف على مبعدة متر واحد بعيداً منيّ يراقبني. رفعتُ الغطاء من على مستوعب النفايات، انبعثت النتانة كريهة بشكل رهيب. تقيأتُ داخل المستوعب. ألقيتُ الغطاء على الرصيف. قفز الهرّ ووقف جامعاً قوائمه الأربعة فوق حافة المستوعب. تردد ثم متوهجاً تحت قمر بدر ووثب إلى جوفه.

كانت ليديا ما تزال تتحدث إلى راندي، ولاحظت من تحت الطاولة، أن إحدى قدميها كانت تلامس إحدى قدميّ راندي. فتحت قنينة بيرة أخر.

كان سامي يُضحك الجمعُ، كنت أبرع منه بعض الشيء في القيام بذلك متى رغبت في إضحاك الحشد، غير أني لم أكن على ما يرام تلك الليلة. كان هناك إمرأتان و١٥ أو ١٦ رجلاً، ليديا وأبريل. كانت أبريل تلتزم حميّة حادة وبدينة. كانت متمددة على الأرضية، بعيد ساعة أو ما يقارب نَهضتُ وغادرتْ بمعية كارل وهو مدمن مخدر «سبيد» تالف كلياً وبقي في النتيجة ١٥ أو ١٦ رجلاً وليديا، وجدت قنينة ويسكي في المطبخ، أخرجتها إلى الرواق الخلفيّ ورحت أتجرع منها بين الفينة والأخرى.

بدأ الرجال يغادرون شيئاً فشيئاً فيما تقدّم الليل، حتى راندي

غادر. في النهاية لم يبقَ هناك سوى سامي وليديا وأنا، كانت ليديا تتحدث إلى سامي. أخبر سامي قصصاً مضحكة. استطعت أن أضحك. ثم قال إنه يتوجب عليه المغادرة.

بادرته ليديا «رجاء لا تذهب يا سامي».

انبريت قائلاً: «دعي الفتى يغادر».

ردّ سامي «أجل، ينبغي أن أذهب»

بعدما غادر سامي أعقبت ليديا «ما كان من الضروري أن تدفعه إلى الرحيل. إن سامي شخص ظريف، أنه حقيقة مسلٍ، لقد جرحت مشاعره».

«لكني أودّ أن أتحدث إليكِ على انفراد يا ليديا».

«إني أستمتع برفقة أصدقائك. لا يتسنى لي لقاء كل أنواع الناس كما هي الحال معك. إني أحب الناس!»

«أنا لا أحبّهم».

«أعرف أنك لا تحبّهم، غير أني أنا أحبّهم. الناس يأتون لرؤيتك. ربما لو لم يأتوا لرؤيتك لكنت ستحبّهم أكثر».

«لا، كلّما رأيتهم أقلّ، أحببتهم أكثر فأكثر».

«لقد جرحتُ مشاعر سامي».

«أوه اللعنة، لقد توجه إلى البيت إلى عند أمّه».

«إنت غيور. أنت متقلقل. تحسب أني أود مضاجعة كل رجل أتحدث إليه».

«لا، لست كذلك. إسمعي، ما رأيك باحتساء كأس صغيرة؟».

نهضْتُ وحضّرتُ لها كأساً أشعلت ليديا سيجارة طويلة، واحتست جرعة من شرابها «إنك بلا ريب تبدين جميلة في تلك القبعّة». وتابعت «الريشة الأرجوانية مميزة بالفعل».

«إنها قبعة أبي».

«أولنْ يفتقدها؟»

«لقد مات».

جذبت ليديا نحوي من على الأريكة ووهبتها قبلة مديدة. أخبرتني عن والدها كان توفي وترك وراءه أربع شقيقات وحفنة قليلة من المال. مكنهنْ ذلك من أن يكن مستقلّات، ومكّن ليديا من تطليق زوجها أخبرتني أيضاً أنها تعرضت إلى ما يشبه الانهيار العصبيّ، وقضت ردحاً من الزمن في مصحّة عقلية. قبّلتها مجدداً «إسمعي» قلت «تعالي نتمدد على السرير، أني متعب».

فوجئتُ بها وقد تبعتني إلى داخل غرفة النوم. تمددت فوق الفراش وشعرت بليديا تجلس. أغمضتُ عينيَّ وحزرت أنها كانت تخلع حذاءها الطويل سمعت إحدى الفردتين وهي ترتطم بالأرض، ثم الأخرى. رحتُ أخلع ملابسي فوق الفراش، تطاولتُ وأطفأتُ لمبة السقف. تابعتُ خلعَ ملابسي. وتبادلنا مجدداً بعض القبلات.

«متى كانت آخر مرة ضاجعتَ امرأة؟».

«مذ أربعة أعوام».

«أتقول أربعة أعوام؟»

«أجل».

«أعتقد أنك تستحق بعض الحب» قالت «لقد راودني حلم

بشأنك. فتحتُ صدركَ مثل خزانة، كان له أبواب، وحينما فتحت الأبواب أبصرت كل صنوف الأشياء الناعمة في جوفك: دببة قطنية، حيوانات صغيرة مكسوّة بالزغب، كل هذه الأشياء الناعمة الجديرة بالمعانقة. ثم راودني حلم حول ذلك الرجل الآخر. توجّهَ نحوي، وناولني بعض الأوراق. كان كاتباً أخذتُ الأوراق ونظرتُ إليها وكانت الأوراق مصابة بالسرطان. كانت كتاباته مصابة بالسرطان. إنني أهتدي بأحلامي. إنك تستحقّ بعض الحب».

تبادلنا ثانية القبل.

«إسمع» إنبرت «بعد أن تقحم ذلك الشيء في جوفي، إسحبه تواً قبل أن تبلغ الذروة. إتفقنا»

«فهمت»

اعتليتها كان الأمر جميلاً كان ثمة أمر ما يحدث، شيء حقيقي ومع فتاة تصغرني بعشرين سنة وكانت للحق فوق كل ذلك جميلة. أنجزت عشر خرقات بالكاد وبلغت الذروة في جوفها

وثبتْ منتفضة.

«يا إبن العاهرة! لقد قذفت في داخلي!».

«ليديا مذ زمن طويل لم. كان الشعوز رائعاً لم أستطع كبح نفسي لقد فوجئتُ بالأمر! بحق اليسوع! لم أستطع تمالك نفسي».

ركضتْ إلى داخل الحمّام وفتحتْ المياه داخل حوض الاستحمام. وقفتْ قبالة المرآة مسرّحة بالمشط شعرها البنيّ الطويل كانت بحق فاتنة.

«يا إبن . العاهرة! يا ربّي. يا لخدعة طلّاب المدارس هذه

البلهاء. هذا سخف طلاب الثانويّة، وما كان من الممكن أن تحصل على توقيت أسوأ، جيد، إذاً، نحن مقاصصان الآن! إننا مقاصصان الآن!»

توجهت إليها في الحمّام. «ليديا، أحبّك».

«أغرب عنّي أيّها الملعون».

طردتني إلى الخارج. أقفلتْ الباب. ووقفتُ خارجاً في الرواق منصتاً إلى اندياح مياه حوض الاستحمام.

* * *

ـ ٥ ـ

لم أشاهد ليديا طوال يومين، غير أني استطعت مهاتفتها ست أو سبع مرّات خلل تلك الفترة. ثم حلّت نهاية الأسبوع. كان زوجها جيرالد يُخرِجْ الولدين أبان عطلة نهاية الأسبوع.

سقتُ السيّارة باتجاه عمارتها حوالي الساعة الحادية عشرة في صباح ذلك السبت، وقرعت الباب، كانت مرتدية بنطال جينز ضيقاً، وبوتيناً وبلوزة برتقالية. بدا لون عينيها البنيّ أعمق من أي وقت آخر تحت ضوء الشمس فيما فتحت لي الباب. لاحظت إلتماعة حمراء طبيعية في لون شعرها الداكن. بدا مذهلاً سمحت لي بتقبيلها. ثم اقفلتْ البابَ خلفنا، ودلفنا إلى سيّارتي. كنا قررنا التوجه إلى الشاطىء، ليس للسباحة، كنا في أواسط الشتاء، بل لمجرد أن نقوم بشيء ما

قدنا إلى هناك. غمرتني الغبطة لكونها ليديا بمعيتي في السيّارة. «لقد كانت فعلاً حفلة محترمة» انبرت قائلة «أوهل تسميّها حفلة تجميع؟ كانت تلك حفلة جماع، هذا ما كانته في الواقع. حفلة جماع جنسي!».

سقت السيارة بيد واحدة، واستقرّت الأخرى فوق باطن فخذها، ما استطعت كبح نفسي لم يبدُ أن ليديا لاحظت ذلك. فيما تابعت القيادة انزلقت يدي عميقاً بين فخذيها تابعتْ تتحدث ثم بادرتني بالقول «إرفع يدك، هذا فَرْجي!».

«أعتذر» أجبتها.

لم ينبس أي منّا بحرف حتى أدركنا موقف السيّارات عند شاطىء فينيسيا «أترغبين بسندويش وقنينة كولا أو أي شيء آخر؟» سألتها، فأجابت «لا مانع».

دخلنا دكاناً يهودياً صغيراً للأطعمة الجاهزة لابتياع حاجاتنا، وحملناها إلى هضبة معشوشبة مطلّة على البحر أحضرنا سندويشات ومخلّلات ورقاقات بطاطس ومشروبات غير مسكِّرة. بدا الشاطىء مقفراً تقريباً، وكان مذاق الطعام شهياً توقفت ليديا عن الكلام. أذهلتني سرعة إلتهامها الطعام. كانت تنقضُّ على سندويشها بوحشية، وتبتلع جرعات كبيرة من الكولا أكلت نصف خيارة مخلّلة بقضمة واحدة، وغرفت ملىء يدها من رقاقات التشيبس. أنا بعكسها ألتهم الطعام ببطء شديد.

الشهوة، قلت في نفسي، إنها إمرأة شهوانية.

سألتها «ما رأيك بالسندويش؟».

«ممتاز. كنت جائعة».

«إنهم يعدّون سندويشات شهيّة. أو تريدين شيئاً آخر؟».

«أجل. أرغب في مصبّع شوكولا».

«أي صنف تودّين؟».

«آه، مطلق صنف. شيء ما طيّب المذاق».

تناولتُ قضمة من سندويشي وجرعة عبوة من الكولا، ثم وضعتهما أرضاً، وسرت متوجهاً إلى الدكان. ابتعت مصبّعين من الشوكولا لكي يتسنى لها الاختيار. فيما مشيت عائداً ألفيت رجلاً طويلاً أسود يتوجه نحو الهضبة المعشوشبة. كان نهاراً بارداً غير أنه كان خلع قميصه، وكان يمتلك جسماً محشوّاً بالعضلات. بدا أنه

في مطلع عشرينياته. مشى ببطء شديد منتصب القامة. كان يملك عنقاً نحيلاً طويلاً وتدلى من أذنه اليسرى قرطاً ذهبياً مرّ من أمام ليديا عبر الرمل متوجهاً إلى جهة المحيط من الهضبة المعشوشبة.

صعدت وقعدت إلى جانب ليديا

«هل رأيتَ ذلك الشاب؟» سألتني.

«أجل».

«يا يسوع. هآنذا برفقتك، وتكبرني بعشرين سنة. وفي وسعي الحصول على شاب مثله. يا للجحيم ما خطبي أنا؟»

«إسمعي، هاكِ مصبّعان من الشوكولاتة، خذي واحداً».

أخذتْ واحداً، انتزعتْ غلافه، تناولت قضمة منه وراحت تنظر إلى الشاب الأسود فيما كان يسير مبتعداً إزاء الشاطىء.

«لقد سئمت من الشاطىء» قالت «هيّا بنا نعود إلى مسكني».

بقينا منفصلين طوال أسبوع. ثم في إحدى ما بعد الظهيرات زرت ليديا في مسكنها، وكنا فوق سريرها نتبادل القبلات تراجعتْ ليديا مبتعدة عني.

«أنت لا تفقه مطلق شيء عن النساء، أليس كذلك؟».

«ماذا تقصدين؟».

«أعني، أستطيع أن أحذر من خلال قراءة قصائدك وقصصك، أنك جاهل كلياً في ما يتعلق بالنساء»

«نوّريني».

«حسناً، أقصد أنه كي يستطيع رجل إثارة اهتمامي يتوجب عليه أن يمصّ فرَجي، أو هل سبق وأن مصصتَ فرجاً؟».

«كلّا».

«لقد تجاوزت الخمسين من العمر، ولم يسبق لك أبداً أن مصصت فَرْجاً؟».

«كلا».

«لقد فات الأوان».

«لماذا؟».

«ليس بوسعَك تلقين كلب عجوز حيلاً جديدة».

«تستطيعين بالتأكيد».

«لا، لقد فات الأوان بالنسبة إليك».

«لطالما كنت بطيء الانطلاقة»

نهضت ليديا ودخلت إلى الحجرة الأخرى. عادت محضرة قلماً وورقة، «تعال أنظر سأريك شيئاً» وشرعت ترسم على الورقة «أنظرْ هذا فَرْجٌ، وهنا شيء لربما تجهل وجوده، البَظْر، هنا مركز الشعور. البظر يختبىء، أتسمع، يظهر بين الفينة والأخرى. إنه زهريّ اللون وحسّاس جداً أحياناً يتوارى مختبئاً منك وعليك أن تعثر عليه، يتوجب عليكِ وحسب أن تمسّه برأس لسانك.

«ممتاز» أجبت «لقد فهمت»

«لا أظن أنك قادر على القيام بذلك. على قول المثل، لا نستطيع تلقين كلب عجوز حيلاً جديدة»

«دعينا نخلع ملابسنا ونستلقي»

تعرّينا وتمددنا بدأت بتقبيلها هبطت من الشفاه إلى العنق، ثم

نزلت إلى الثديين، ثم صرت تحت عند سرّة البطن وانحدرت نزولاً

«لا، لا تستطيع» هتفت قائلة «الدماء والبول تخرج من هنا، فكّر بالأمر، دماء وبول.

نزلت إلى هناك وشرعت ألحس، كانت قد رسمت لي صورة دقيقة. كان كل شيء حيث من المفترض أن يكون. سمعت تسارع أنفاسها، ثم أنينها الفيتني مثاراً، انتصب عضوي. انبثق البظر غير أنه لم يكن تماماً زهريّ اللون، كان زهريّه قرمزياً دغدغت البظر انبثقت العصارات وامتزجت بشعرات الفرج. تعالى أنين ليديا أكثر فأكثر فجأة سمعت انفتاح بوابة المدخل ثم انغلاقها سمعت وقع خطوات. تطلعت إلى الأعلى. كان ثمة فتى أسود في حوالي الخامسة من العمر يقف قرب السرير

سألته «اللعنة، ما الذي تريده؟».

سألني «هل لديك قنانٍ فارغة؟».

أجبته «لا ليس لديّ قناني فارغة».

سار إلى خارج حجرة النوم نحو باب المدخل، ثم إلى خارج الباب وغادر.

«يا إلهي» هتفت ليديا «حسبت أن باب المدخل كان مقفلاً، كان هذا إبن بوني الصغير».

نهضت ليديا وأقفلت بالمفتاح الباب الأمامي. ثم أقفلت عائدة واستلقت من جديد. كان الوقت قرابة الرابعة ما بعد ظهر نهار السبت.

غطستُ مجدداً.

- ٦ -

تهوى ليديا حفلات السَمَر وكان هاري يهوى إقامة الحفلات. لذا كنّا في الطريق متوجهين إلى عند هاري أسكوت، كان هاري رئيس تحرير مجلة «إفحام» وهي مجلة متواضعة. كانت زوجته ترتدي فساتين طويلة شفّافة تكشف سراويلها الداخلية للرجال، وتجول في الأرجاء حافية القدمين.

«أول ما أعجبني بشأنك» بدأت ليديا «إنك لا تملك جهاز تلفاز في منزلك. زوجي الأسبق كان يشاهد التلفاز كل ليلة بما في ذلك عطلة نهاية الأسبوع. كان حتى يتوجب علينا تنظيم تواقيت مضاجعاتنا، لتتناسب مع جدول برامج التلفزيون»

«هممم.

«أمر آخر أعجبني بخصوص منزلك وهو إتساخه، قناني بيرة تكسو معظم الأرضية. الكثير من القمامة في كل مكان. صحون قذرة، وحلقة خراء داخل مرحاضك، وكذلك الخثارة في البانيو وكل شفرات الحلاقة تلك الصدئة الملقاة حول مغسلة الحمّام. كنت متأكدة من أنك سوف تمصّ فَرْجي»

«إنك تحكمين على الرجل إنطلاقاً من محيطه، أليس كذلك؟».

«صح. حين أقابل رجلاً يكون مسكنه مرتباً، أدرك أن ثمة خطباً ما به. وإن كان شديد الترتيب يكون شاذاً»

وصلنا وخرجنا من السيّارة. كانت الشقة في الأعلى والموسيقى صاخبة، قرعت الجرس. أطلّ هاري أسكوت مستجيباً إلى الباب، كانت ابتسامته لطيفة وسخيّة. بادرنا «تفضلا».

كان الجمع المثقف هناك في الداخل، كانوا يحتسون البيرة والنبيذ، يتحدثون ويتجمعون عناقيد. كانت ليديا مثارة. ألقيت نظرة في الأرجاء وقعدت. كانوا على وشك تقديم طعام العشاء. هاري كان صياد أسماك بارع، كان كصيّاد أفضل مما هو عليه ككاتب، وصيّاد أسماك أفضل بكثير مما هو كناشر. كانت عائلة أسكوت تعيش من الأسماك بانتظار أن تبدأ مواهب هاري الكتابية بتحصيل بعض المال.

ديانا زوجته، أطلّتْ محضرة أطباقَ السمكِ وراحتْ توزعها على المدعويّن، جلست ليديا إلى جانبي.

«أنظر» قالت «هكذا تؤكل الأسماك، أنا فتاة ريفيّة، راقبني».

فَتَحتْ السمكة وقامت بأمر ما بسكيّنها معالجة عمودها الفقري وإذ بها السمكة أصبحت فلقتين متقنتين.

«آه لقد أعجبني هذا فعلياً» قالت ديانا «من أين قلتِ أنك تأتين؟»

«من يوتاه. مولزهيد من أعمال يوتاه. عدد سكّانها مائة ألف نسمة. نشأت في مزرعة للماشية. كان أبي سكّيراً لقد توفي الآن. ربما لهذا السبب أنا برفقته..» وهزّت إبهاماً باتجاهي.

أكلنا

بعدما التُهم السمك، رفعت ديانا الحسك بعيداً ثم كان هناك قالب كاتو بالشوكولا، ونبيذ قويّ (رخيص) أحمر.

«آه إنه طيب الطعم هذا الكاتو» هتفت ليديا «هل يمكن أن أحصل على قطعة أخرى؟».

«بالتأكيد يا حبّي» ردّت ديانا

«سيّد شيناسكي» هتفت فتاة ذات شعر غامق من الجانب الآخر من الغرفة «لقد قرأت ترجمات لكتبك في ألمانيا أنت شهير جداً في ألمانيا».

«هذا لطيف» قلت «ليتهم يرسلون لي بعض عائدات الجُعالة.

«إسمع» قاطعت ليديا «دعونا بعيداً عن التفاهات الأدبية. تعالوا نفعل شيئاً!» هبّت واقفة وراحت تموّج أوراكها «هيا بنا نرقص!».

ارتدى هاري أسكوت ابتسامته اللطيفة والعريضة، وسار متقدماً وأشغل الستيريو شغّلهُ رافعاً الصوت إلى أعلى طاقته.

رقصت ليديا في أرجاء الحجرة، وانضمّ إليها شاب صغير أشقر بخصلات شعر مغرّاة على جبينه. راحا يرقصان معاً. نهض آخرون ورقصوا قعدت وحسب هناك.

كان راندي إيفانز يجلس إلى جانبي. لاحظت أنه كان أيضاً يراقب ليديا، بدأ يتكلّم. راح يتحدّث ويتحدّث. لحسن الحظ لم يكن بوسعي سماعه. كان زعيق الستيريو صاخباً جداً

رحت أرقب ليديا وهي ترقص مع الفتى ذي الخصلات. كانت ليديا بارعة بالهزّ. كانت حركاتها أشبه بالحركات الجنسية. تأملت الفتيات الأخريات ولم يبد عليهن أنهن يرقصن على غرارها، بيد راودني أن انطباعي سببه وحسب أني أعرف ليديا ولا أعرفهن.

لم يتوقف راندي عن التحدث على الرغم من أني لم أكن أجاوبه. انتهت الرقصة وأقفلت ليديا عائدة، وقعدت إلى جانبي.

«أوووه، إني منهكة! أظن أني أفتقد لياقتي البدنية».

وُضِعتْ أسطوانة أخرى في التشغيل، ونهضت ليديا لتنضمّ إلى الفتى ذي الخصلات الذهبية. ثابرتُ أنا على احتساء البيرة والنبيذ.

كان ثمة العديد من الأسطوانات، وتابعت ليديا والشاب يرقصان ويرقصان من دون كلل في وسط الباحة، فيما ماج الآخرون حولهما، وكلّ رقصة أشد حميمية من الأخيرة.

ثابرتُ على احتساء البيرة والنبيذ.

كانت تدور حالياً رقصة صاخبة جامحة. الشاب ذو الخصلات الذهبية رفع يديه الإثنتين فوق رأسه، وعصرت ليديا جسمها به. كان المشهد مثيراً شهوانياً تشابكت أيديهما عالياً فوق رأسيهما والتصق جسداهما معاً جسد لصق الجسد. كان يرفس بِرِجله إلى الخلف بين الحين والحين، وقلّدته ليديا حدّق كلاهما في عينيّ الآخر توجب عليّ الإقرار أنهما كانا بارعين. تابعتْ الأسطوانة تدور وتدور. في نهاية الأمر توقفتْ.

عادت ليديا وجلست بجانبي وقالت: «أنا فعلياً منهكة».

«إسمعي» بادرتها «أظن أني عببت الكثير من الشراب. ربما يجدر بنا أن نخرج من هنا»

«لقد راقبتكَ وأنت تصب الشراب».

«هيّا بنا نرحل. ستكون هناك حفلات أخرى»

نهضنا لنغادر. قالت ليديا شيئاً ما لهاري وديانا وحين رجعت سرنا باتجاه المدخل. آن فتحتُهْ أقبل نحوي الفتى ذو الخصلات الذهبية، «هاي يا رجل، ما رأيك بي وبفتاتك؟».

«لا بأس بِكَ».

حين وصلنا إلى الخارج شرعتُ أتقيأ، واستفرغت كل البيرة والنبيذ. كانت تتدفق وتطرطش في الأجمّة إزاء الرصيف. تدفقٌ تحت ضوء القمر في النهاية استقمت ومسحتُ فمي بيدي.

«ذاك الشاب أثار قلقكَ أليس كذلك؟» سألتني ليديا

«أجل».

«لماذا؟».

«بدا الأمر تقريباً وكأنه مضاجعة، وربما أفضل».

«لم أقصد سوءاً، كان مجرد رقص لا أكثر».

«افترضي أني ضممت إمرأةً في الشارع بتلك الطريقة؟ أو هل أنها الموسيقى تجعل الأمر مقبولاً؟».

«ألا تفهم، كلما انتهيت من الرقص. كنت أعود وأقعد إلى جانبك أنتَ».

«حسناً، حسناً» قلت: «انتظري دقيقة»

تقيّأتُ دفقاً آخر فوق أجمّة أحدهم المحتضرة. ثم انحدرنا من أعلى التلّة مغادرين منطقة إيكو بارك باتجاه بولفار هوليوود.

دخلنا السيّارة. انطلقت وقدنا باتجاه الغرب عبر هوليوود نحو فيرمونت.

سألتني ليديا «هل تعرف ماذا نسمّي أشخاصاً مثلك؟».

«لا»

«إننا نسميهم» قالت «مفسدي الحفلات».

- ٧ -

كنا نهبط فوق كنساس سيتي، أعلن قائد الطائرة أن الحرارة كانت خمس درجات تحت الصفر، وكنتُ حضرتي مرتدياً ملابس كاليفورنيا الرقيقة، مجرد سترة رياضية وقميص وبنطال خفيف وجوارب صيفية من دون أن ننسى الثقوب في حذائي. فيما هبطنا وتدرّجت الطائرة باتجاه سلّم الهبوط، راح الجميع يحاول العثور على المعاطف والقفازات والقبّعات واللفاعات. تركتهم كلهم يخرجون ثم نزلت درجات السلّم النقّال.

هناك ألفيت فرانشي متكئاً إلى بناء في انتظاري. كان فرانشي يعلّم الفن المسرحيّ ويهوى جمع الكتب، في الأغلب كتبي. «أهلاً وسهلاً بك في كنساس القميئة يا شيناسكي!»، تفوّه بهذا وناولني قنينة تيكيلا ازدردت جرعة وافرة ولحقت به إلى داخل موقف السيّارات. لم أجلب أية أمتعة، مجرد حقيبة أوراق بورتفوليو محشوّة بالقصائد. كان الدفء في السيّارة بديعاً، وتداولنا القنينة.

كانت الطرقات مكسوّة كلياً بالجليد.

«لا يستطيع أي كان القيادة فوق هذا النوع اللعين من الجليد» بدأ فرانشي وتابع «يتوجب أن تعرف جيداً ماذا تفعل».

فتحت حقيبة البورتفوليو وشرعت أتلو لفرانشي قصيدة حب كانت ليديا قد أعطتني إيّاها في المطار:

قضيبك القرمزي متقوّس مثل.

«حين أعصر بثوركَ، دفقات من القيح الأشبه بالمنيّ.

«آه اللعنة!» صاح فرانشي، ودوّمت السيّارة لولبياً، وجهد فرانشي معالجاً عجلة القيادة.

«يا فرانشي» قلت له رافعاً قنينة التيكيلا متجرعاً بشراهة «يبدو إننا لن نفلح بالوصول»

انجرفنا مدوّمين خارج الطريق إلى داخل خندق بعمق متر يقسم خطيّ الأوتوستراد. ناولت فرانشي القنينة.

ترجلنا من السيّارة، وتسلقنا الخندق وخرجنا، رحنا نستوقف بإبهامينا السيّارات العابرة متشاركين ما تبقى من القنينة. أخيراً توقفت سيّارة. شاب في أواسط عشرينياته، سكران كان وراء عجلة المقود.

«إلى أين أنتما متوجّهان أيها الرفيقان؟»

رد فرانشي «إلى حفل قراءة شعرية».

«أتقول قراءة شعرية؟».

«أجل في الجامعة»

«حسناً، إركبا».

كان يعمل بائع كحول. وناء المقعد الخلفي من سيّارته بكدسات من صناديق البيرة.

«خذا قنينتي بيرة» بادرنا قائلاً «وناولاني واحدة أيضاً».

أوصلنا إلى هناك. توجهنا بالسيّارة مباشرة إلى داخل وسط حرم

الجامعة وركنّا السيّارة فوق المرجة المعشوشبة أمام مبنى الاجتماعات. كنا قد تأخرنا ربع ساعة لا غير. ترجّلتُ وتقيأتُ، ثم دخلنا معاً كنّا توقفنا لابتياع نصفية فودكا من أجل أن أتحضّر نفسياً للقراءة.

قرأت قرابة عشرين دقيقة ثم وضعت القصائد جانباً «إن هذا الهراء يضجرني» قلت لهم: «دعونا نتبادل الحديث»

انتهى بي الأمر زاعقاً أشياء بوجه الحضور، وكانوا يصرخون بوجهي في المقابل، كان جمهوراً لا بأس به. كانوا يقيمون هذه الحفلات مجاناً بعد قرابة نصف ساعة أخرجني بعض الأساتذة من هناك. «لقد تدبرنا لك غرفة يا شيناسكي» قال لي أحدهم «في مهجع الإناث».

«أتقول في مهجع الإناث؟»

«بالضبط، إنها غرفة لطيفة»

«كان ذلك صحيحاً في الأعلى، في الطبقة الثالثة، أحد الأساتذة كان أحضر نصفية ويسكي، وواحد آخر ناولني شيكاً مصرفياً بدل أتعاب القراءة إضافة إلى تكاليف السفر وجلسنا معاً نشرب الويسكي ونتحادث. أغمي عليّ. حين استعدت رشدي كان الجميع غادر وتبقت نصف ربعية من الويسكي. قبعت هناك محتسياً الشراب مفكراً، هاي أنت شيناسكي، شيناسكي الأسطورة. لقد أصبحت أيقونة. أنت موجود الآن في مهجع الإناث. ثمة مئات من النسوة في هذا المكان، مئات منهن.

كل ما كسا بدني كان مجرد سروال قصير وجوارب. خرجت سائراً عبر الرواق وصولاً إلى أقرب باب، قرعت.

«هاي، أنا هنري شيناسكي، الكاتب الخالد! إفتحن! أريد أن أريكن شيئاً».

سمعت قهقهة الفتيات.

«حسناً الآن» قلت: «كم عددكن في الداخل؟ ٢؟ ٣؟ لا يهم. إني قادر على النيل من ثلاث! لا مشكلة! أتسمعن؟ إفتحن الباب! بحوزتي هذا الشيء القرمزي «الهائل»! إسمعن، سوف أطرق الباب به!»

رفعت قبضتي وطرقت على الباب. تابعن يقهقهن.

«إذا، سوف لن تسمحن لشيناسكي بالدخول، ها! حسناً، اللعنة عليكن!»

حاولت عند الباب التالي «هاي، أيتها الفتيات! هنا أفضل شاعر منذ ١٨ قرناً! إفتحن الباب! سوف أريكن شيئاً! حلوى لشفاه مهابلكن!».

حاولت عند الباب التالي.

جرّبت كل الأبواب في تلك الطبقة ثم نزلت الأدراج وطرقت كل البوابات في الطبقة الثانية وثم كل الأبواب في الأولى. كنت أحمل معي ربعية الويسكي وتملّكني التعب. بدا وكأنما مرت ساعات مذ غادرت حجرتي. جرعت الويسكي فيما أقفلت عائداً حظ سيء.

كنت نسيت أين تقع غرفتي، في أي طبقة. كل ما رغبته في النهاية كان الرجوع إلى حجرتي جربّت كل البوابات مجدداً، هذه المرة بصمت واعياً جيداً واقع ارتدائي لا شيء، سوى الكلسون القصير والجوارب. لا حظّ. «إن أعظم الرجال هم الأشد وحدة».

عدت إلى الطبقة الثالثة، فتلتُ المقبض وفُتِحَ الباب. ها هي حقيبة قصائدي. كؤوس الشراب الفارغة، منافض مليئة. بأعقاب السجائر بنطالي، قميصي، حذائي، معطفي. كان مشهداً بديعاً أغلقت الباب، جلست على السرير وأجهزت على قنينة الويسكي التي كنت أحملها معي.

استفقت. كان ضوء النهار. كان مكاناً غريباً نظيفاً يحتوي سريرين، ستائر، تلفزيوناً وحوض استحمام. بدا أنه غرفة موتيل. نهضت وفتحت الباب. كان هناك ثلج وجليد في الخارج. أغلقت الباب وجلت بأنظاري. لم يكن هناك أي تفسير لم تكن لدي أدنى فكرة أين كنت، كان تأثير إسرافي في الشراب بغيضاً جداً ومحبطاً تناولت الهاتف وطلبت مخابرة بعيدة المدى إلى ليديا في لوس أنجلوس.

«بايبي، لست أدري أين أنا موجود!».

«حسبتُ أنك توجهت إلى كنساس سيتي».

«بالفعل. غير أني حالياً أجهل أين أنا، هل تفهمين؟ فتحت الباب وتطلعت ولم يكن هناك أي شيء سوى طرقات متجلّدة، جليد وثلج!».

«أين كنت تقيم؟».

«آخر ما أذكر أنه كان في غرفة في مهجع الإناث».

«حسناً، يحتمل أنك تصرفت بحماقة ونقلوك إلى موتيل. لا تقلق. سوف يقدم أحد ما ليهتم بك».

«يا للمسيح، ألا تتعاطفين البتة مع حالي؟».

«لقد جعلت من نفسك أضحوكة، عموماً إنك غالباً ما تتصرف بحمق».

«ما تقصدين بقولك «عموماً غالباً»؟

«أنت مجرد سكّير رديء» ردّت ليديا «خذ دشاً ساخناً».

أقفلت السمّاعة.

توجهتُ إلى السرير وتمددت. كانت غرفة موتيل لطيفة إنما غير مميّزة. فيلهلكني الله إن أنا أخذت دشاً خطر لي أن أدير التلفاز.

في نهاية الأمر غفوت.

تناهى إلى مسامعي طرق على الباب. انبرى هناك طالبان مشرقان من الكليّة، جاهزان لاصطحابي إلى المطار قعدت إلى حافة السرير منتعلاً حذائي. «هل لدينا متسع من الوقت لاحتساء كأس أو كأسين في بار المطار قبل الإقلاع؟» سألتهما

«بالتأكيد يا سيد شيناسكي» رد أحدهما «لك مطلق ما تشاء».

«جيد» انبريت «إذا، اللعنة فلنخرج من هنا».

* * *

- ٨ -

عدت، مارست الحب مع ليديا عدة مرات، تشاجرت معها، وغادرتُ مطار لوس أنجلوس الدولي متأخراً ذات صباح لاحياء قراءة شعرية في أركنساس، كان حظيّ كبيراً إذ كان صف المقاعد حولي فارغاً قبطان الرحلة عرّف عن نفسه إن أنا سمعت طيباً، «بالكابتن خمراوي» حين أقبلت مضيفة الطائرة طلبت كأساً من الشراب.

كنت متأكداً من تعرّفي إلى إحدى المضيفات. هي تقطن في لونغ بيتش، وكانت قرأت عدداً من كتبي، وبعثت لي رسالة تحتوي صورتها ورقم هاتفها عرفتها من الصورة الفوتوغرافية. لم يتسن لي أن أقابلها، غير أني اتصلت برقمها عدة مرات وفي ليلة ثمالة تبادلنا الزعيق عبر الهاتف.

وقفت هناك في الأمام محاولة عدم ملاحظتي فيما كنت أحدّق بمؤخرتها بساقيها وثدييها

تناولنا الغداء، شاهدنا «مباراة الأسبوع». نبيذ ما بعد الغداء كوى حلقي، وطلبت كأسي مشروب «بلودي ماري»

حين وصلنا إلى أركنساس انتقلت إلى طائرة صغيرة ذات محركين. عندما دارت المراوح بدأ الجناحان بالاهتزاز والارتجاج بدا وكأنما يُحتمل أن يسقطا أقلعنا وسألتُ المضيفة إن كان أحد ما يرغب في تناول كأس من الشراب. عندذاك كنا جميعاً بحاجة

لواحدة. راحت بائعة كؤوس الكحول تترنح وتتهادى طلوعاً ونزولاً في الممشى. ثم هتفت بصوت مرتفع «إنهوا كؤوسكم نحن على وشك الهبوط!». احتسينا الكؤوس وحططنا بعد خمس عشرة دقيقة طرنا من جديد. سألت المضيفة إن كان أحد ما يرغب في كأس من شراب. آنذاك كنا جميعاً بحاجة لواحدة. ثم أعلنت زاعقة «أنهوا كؤوسكم! سوف نحط!»

البروفسور بيتر جايمس وزوجته سلمى كانا هناك لملاقاتي. بدت سلمى أشبه بممثلة سينمائية ناشئة، إنما أعلى منزلة بكثير

بادرني بيت «تبدو بحال ممتازة».

«إن زوجتك تبدو متألقة»

«لديك ساعتان قبل موعد القراءة الشعرية»

توجه بنا بيتر بالسيّارة إلى منزلهما كان منزلاً ذا طبقتين وتقع فيه حجرة الضيوف في الطبقة السفلى. استعرضا لي غرفتي في الأسفل. سألني بيت «أوتريد تناول الطعام؟» «كلا، أشعر وكأني سوف أتقيأ» صعدنا إلى الأعلى.

في الكواليس تماماً قبل بدء القراءة ملأ بيت إبريقاً بالفودكا وعصير البرتقال. «ثمة امرأة عجوز تدير القراءات، سوف تتغوط في سروالها إن عرفت أنك تحتسي الكحول. إنها فتاة لطيفة متقدمة في السن، بيد أنها لا تزال تعتقد أن الشعر لا يزال يتحدث عن غروب الشمس وطيران الحمام»

دخلت الصالة وقرأت. الصالة ممتلئة بالكامل. نجم حظّي ما إنفك متوهجاً لم يكن شبيهاً بأي جمهور آخر، ما كانوا يفقهون كيف يتلقون بعض القصائد الجيدة، وخلال قصائد أخرى كانوا يضحكون في التوقيت الخطأ تابعتُ أقرأ وأسكب من الإبريق.

«ما هذا الذي تشربه؟».

«هذا» أجبت «إنه عصير برتقال ممزوج بالحياة»

«هل لديك محبوبة؟».

«أنا بتول».

«لماذا تسعى لأن تكون كاتباً؟».

«السؤال التالي، رجاء».

تلوت بعض المزيد. أخبرتهم أني طرت إلى هنا مع الكابتن خمراوي وإني كنت تابعت «مباراة الأسبوع». أخبرتهم أنه حين كانت حالتي الروحية بأحسن حال إلتهمت صحناً كاملاً ثم غسلته على التو. قرأت بعض القصائد الأخرى، تلوت قصائد حتى فرغ الإبريق. ثم أعلنت لهم أن القراءة انتهت. خططت ببعض التواقيع ثم توجهنا إلى حفلٍ في منزل بيت.

قمت بأداء رقصتي الهندية ورقصة هز البطن ورقصة المؤخرة المخلوعة المرفوعة. من الصعب أن تشرب حين ترقص. ومن الشاق أن ترقص وأن تشرب. كان بيت يدرك تماماً ماذا يفعل. كان رصّف أرائك وكراسي ليفصل ما بين الراقصين والشاربين. كان باستطاعة كل من الفريقين أن يفعل ما يشاء من غير إزعاج الآخر.

تقدّم بيت إليّ. تطلّع في أرجاء الغرفة إلى النساء وسألني، «أي منهن ترغب؟»

«هل الأمر بهذه السهولة».

«إنها وحسب الضيافة الجنوبية».

كان هناك واحدة كنت لاحظتها، أكبر سناً من الأخريات وناتئة الأسنان. غير أن أسنانها كانت ناتئة بإتقان دافعة الشفتين إلى الخارج مثل زهرة شهوانية متفتحة. رغبت في أن يلتصق فمي بذاك الفم. كانت ترتدي تنورة قصيرة وجواربها النسوية تكشف عن ساقين جذابتين تابعتا تتقاطعان وتتفرجان فيما تضحك وتشرب وتشد تنورتها التي بالكاد كانت تصمد تحت. جلست قربها «أنا » شرعت أقول.

«أعرف من أنت. لقد كنت حاضرة في قراءتك».

«أشكرك. يسعدني أن أمصّ فَرجَكِ. لقد صرت ماهراً في هذا ستجنّين من الابتهاج»

«ما رأيك بآلن غينسبرغ؟»

«إسمعي، لا تبدلي الموضوع. أرغب في فمك، في ساقيك في مؤخرتك».

قالت «حسناً»

«إلى اللقاء عاجلاً سأكون في غرفة النوم في الأسفل».

نهضت، تركتها واحتسيتُ كأساً أخرى. توجه نحوي فتى شاب طوله على الأقل متر وتسعون سنتمراً

«إسمع يا شيناسكي لست أصدق كل هذا الهراء حول أنك تعيش في ضاحية منحطّة، وأنك تعرف كل مروّجي المخدرات والقوّادين والعاهرات والمدمنين وسماسرة سباقات الخيل والملاكمين والسكارى..».

«هذا إلى حد ما صحيح».

«هراء» رد واندفع مغادراً ناقد أدبي.

بعده اقتربت شقراء في التاسعة عشر من عمرها تقريباً تضع نظارات من غير إطار وتبتسم. إبتسامتها لم تغادر قط. «أريد أن أضاجعك» بادرتني «أنه وجهكَ».

«ماذا بشأن وجهي؟»

«إنه رائع. أريد أن أحطّم وجهك بفَرْجي».

«أعتقد إن الأمر سيكون على العكس».

«لا تراهن على هذا».

«أنتِ محقة. الفروج عصيّة على الدمار»

أقفلت عائداً إلى الأريكة وشرعت أداعب ساقيّ صاحبة التنورة القصيرة والشفاه الزهرية النديّة التي كانت تدعى ليليان.

انتهت الحفلة ونزلت إلى الأسفل برفقة ليلي. تعرّينا وجلسنا مستندين إلى الوسادات نحتسي الفودكا وكوكتيل الفودكا كان هناك راديو وكان يصدح. أخبرتني ليلي أنها كانت عملت طوال سنوات لتتيح لزوجها إنهاء دراسته الجامعية وبعدئذٍ حين حاز على شهادة الأستاذية طلّقها

«هذا فظ» قلت.

«هل تزوجتَ يوماً؟».

«أجل».

«ماذا جرى؟».

«قسوة ذهنية» حسب أوراق الطلاق»

«أهذا صحيح؟».

«بالطبع، من كلا الطرفين»

قبلّتُ ليلي. كان الإحساس طيباً كما كنت تخيّلت أنه سيكون. تفتّح الفم الزهوريّ. تعانقنا مصصت أسنانها افترقنا

«أظنك» انبرت قائلة، محدّقة فيّ بعينين واسعتين وجميلتين «أحد أفضل كاتبين أو ثلاثة في هذه الحقبة».

أطفأتُ لمبة السرير سريعاً قبَّلتها قليلاً بعد، داعبت ثدييها وجسمها ثم نزلت إلى تحت. كنت ثملاً لكن أخال أني كنت جيداً لكن بعد ذلك لم يكن بإمكاني مضاجعتها بشكل طبيعيّ. نكحت ونكحت ونكحت. كنت منتصباً غير أني لم أستطع بلوغ النشوة. في الختام انقلبت عنها وغرقت في النوم.

عند الصباح كانت ليلي ممدّدة على ظهرها، تغط في نومها توجهت إلى الحمّام، بوّلت، نظفت أسناني بالفرشاة وغسلت وجهي. ثم عدت مبطئاً إلى الفراش. قلبتها نحوي وشرعت أداعبُ فَرجَها أكون دوماً بمنتهى الشهيّة حين أصحو مع الخُمار، ليست شهيّة على الطعام إنما شهية على النكاح النكاح، كان أفضل علاج للتخلص من الآثار البغيضة للإسراف في الثمالة. إنه يدفع كل الأعضاء إلى النبض من جديد. كانت أنفاسها كريهة جداً إلى درجة أني أعرضت عن فمها الزهوري. ركبتها زفرت أنيناً واهناً بالنسبة إليّ كان الأمر ممتازاً لا أعتقد أني قمت بأكثر من عشرين ضغطة قبل أن أبلغ الذروة.

بعد وقت قليل سمعتها تنهض وتمشي نحو الحمّام. ليليان. آن عادت كنت أدرت لها ظهري وغارقاً تقريباً في النوم، بعد ١٥ دقيقة نهضتْ من الفراش وشرعت بارتداء ثيابها

«ما الخطب؟» سألتها

«يتوجب أن أخرجَ من هنا علـيّ أن أوصلَ أولادي إلى المدرسة».

أغلقت ليليان الباب وتسلقت الأدراج راكضة.

نهضت، توجهت إلى الحمّام، وحدقت لوهلة في وجهي في المرآة.

في الساعة العاشرة صباحاً صعدت إلى الطبقة العليا لتناول الفطور. وجدت بيت وسلمى. بدت سلمى رائعة. ما السبيل ليحظى المرء على واحدة مثل سلمى؟ كلاب هذا العالم يستحيل أن تحظى بامرأة كسلمى. الكلاب ينتهي بها الأمر مع الكلبات. قدمت لنا سلمى طعام الفطور. كانت فاتنة وحظي بها رجل هو أستاذ في الكلية. لم يكن ذلك عادلاً إلى حد ما بتفسير ما مثقفون بارعون معسولو اللسان. الثقافة كانت الإله الجديد، والرجال المثقفون أسياد المستعمرة الجديدة.

«لقد كان فطوراً رائعاً بحق» بادرتها بالقول «شكراً جزيلاً»

«كيف كانت ليلي؟» سأل بيت.

«ليلي كانت ممتازة».

يتوجب عليك أن تقرأ مجدداً هذه الليلة كما تعلم. ستكون كليّة أصغر، وأشدِ تقليدية.

«حسناً، سأكون شديد الحرص»

«ماذا سوف تقرأ؟».

«قصائد قديمة ربما».

أنهينا قهوتنا وسرنا إلى الغرفة الأمامية وجلسنا. رنّ الهاتف أجاب بيت، تحدث ثم استدار نحوي. «ثمة أحدهم من صحيفة يرغب في إجراء حوار معك. ماذا تودني أن أجيبه؟».

«قل له إني موافق».

نقل بيت جوابي، ثم تقدّم وتناول كتابي الأخير وقلماً «خطر لي أنه لربما لديك الرغبة في كتابة شي ما هنا لليلي».

فتحت الكتاب عند صفحة العنوان «عزيزتي ليلي» كتبت «سوف تبقين دوماً جزءاً من حياتي».

* * *

- ٩ -

كنا أنا وليديا نتشاجر بلا توقف. كانت إمرأة لعوباً بامتياز وأثار هذا سخطي. آن نخرج لتناول الطعام أكون متأكداً على الدوم من أنها سترمق رجلاً ما في الصالة. عندما كان يحضر أصدقائي الذكور لزيارتي وتكون ليديا حاضرة، أتمكن من ملاحظة كيف يتحول حديثها حميماً وجنسياً كانت تجلس منحشرة بأصدقائي متموضعة أقرب ما في المستطاع منهم. كان تعلّقي بالسِكْر أكثر ما يثير غضب ليديا كانت تعشق الجنس ووقف سِكْري حائلاً في طريق جِماعنا «إما تكون شديد الثمالة لتمارسه في الليل أو شديد السقم غير قادر على ممارسته صباحاً» كانت تردّد. كانت ليديا لتستعر غضباً إن احتسيت مجرد قنينة واحدة من الجعة أمامها كنا ننفصل مرة واحدة على الأقل في الأسبوع الواحد - «وإلى الأبد» - بيد أننا كنا بطريقة ما ننجح دوماً في التصالح. كانت انتهت من إنجاز منحوتة رأسي ووهبتني إياها حين كنا ننفصل كنت أضع الرأس في السيارة إلى جانبي على المقعد الأمامي، وأسوق به إياباً إلى منزلها وأتركه خارج بابها في الرواق. أتوجه بعدها إلى حجيرة هاتف أتصل بها قائلاً «إن رأسَك الملعون موجود أمام الباب!» ذلك الرأس ما كان يتوقف ترحاله وإياباً

تمام انفصالنا مجدداً وقد أعدت إرسال الرأس، عدت إلى السِكْر وصرت رجلاً حراً من جديد. كان لدي صديق شاب يدعى بوبي

وهو في الواقع فتى غير شرّير يعمل في مكتبة تبيع مطبوعات بورنوغرافية، وهو إلى جانب هذا مصوّر فوتوغرافي. كان يقطن على مبعدة مبنيين. كان بوبي يعاني من متاعب مع نفسه ومع زوجته ڤاليري. اتصل بي ذات عشيّة وأعلمني أنه سيحضر ڤاليري إلى منزلي لتمضي الليل بمعيتي. بدا الأمر طيباً كانت ڤاليري في الثاني والعشرين من عمرها، فاتنة بكل ما في الكلمة من معنى، لها شعر طويل أشقر وعينان زرقاوان مجنونتان، وجسد جميل. مثل ليديا كانت أمضت أيضاً بعض الوقت في مصحة عقلية. بعد فترة من الوقت سمعت توقف سيارتهما على المرجة أمام فنائي خرجت ڤاليري من السيارة. تذكرت أن بوبي كان أخبرني أنه حين قدّم ڤاليري لأهله في المرة الأولى بادروا بالتعليق على فستانها بأنه أعجبهم كثيراً، فانبرت قائلة «طيّب حسناً ماذا بشأن البقيّة؟» ورفعت فستانها إلى ما فوق وركيها، ولم تكن ترتدي أي سروال تحتي.

قرعت ڤاليري الباب. سمعت بوبي ينطلق مغادراً في السيارة. أدخلتها بدت فاتنة. صببت كأسين من الويسكي مع الماء.

لم ينبس أحد منا بحرف. احتسينا الكأسين وسكبت اثنتين أخريين. بعد ذلك اقترحت «هيا بنا نتوجه إلى حانة» ركبنا في سيارتي. «الغلو ماشين» كانت تقع تماماً عند ركن الشارع. كانوا في بداية الأسبوع قد رفضوا استقبالي، غير أن أحداً لم يعترض حين دخلنا معاً انتقينا طاولة وطلبنا شراباً كنا ما زلنا لم نتبادل أي كلام. قمت وحسب بالتحديق بتلك العينين المجنونتين الزرقاوين. كنا جالسين جنباً إلى جنب وقبّلتها كان ثغرها منعشاً ومباحاً قبّلتها من جديد والتصقت أرجلنا متلاحمة. امتلك بوبي زوجة فاتنة. كان محض جنون قيام بوبي بتمريرها إلى غيره.

قررنا أن نتعشى. طلب كل منا قطعة من لحم الستايك ورحنا نشرب ونتبادل القبل فيما انتظرنا بادرتنا النادلة «أواه أنتما عاشقان!» وانفجرنا ضاحكين. حين وصل طبقا الستيك قالت ڤاليري «لا أريد أن آكل طعامي» فقلت مردفاً «لا أريد أن آكل طبقي أنا أيضاً».

تابعنا نشرب طوال ساعة أخرى ثم قررنا أن نعود إلى منزلي. فيما تسلقت بالسيارة المرجة الأمامية أبصرت امرأة في طريق منزلي الخاصة. لقد كانت ليديا كانت تحمل في يدها مغلّفاً خرجت من السيارة مع ڤاليري والتفتت إلينا ليديا «من تكون هذه؟» سألت ڤاليري. «إنها المرأة التي أحب» قلت لها

«من هذه العاهرة؟» زعقت ليديا

استدارت ڤاليري وركضت نزولاً في الطريق الجانبي. كان بوسعي سماع طرقات كعبيها العاليين على الرصيف.

صحتُ بليديا «هيا إلى الداخل». تبعتني إلى الداخل.

«أتيت إلى هنا لأعطيك هذه الرسالة ويبدو وكأني قدمت في الوقت المناسب. من كانت تلك؟»

«إنها زوجة بوبي. نحن مجرد صديقين».

«كنت ستنيكها أليس كذلك؟»

«بربّك، لقد قلت لها أني أحبك أنتِ»

«كنت ستضاجعها، أليس كذلك؟».

«بربّك، حبيبتي.

فجأة انطلقت دافعة إياي بعنف. كنت واقفاً أمام طاولة الإسكملة

الموضوعة أمام الأريكة. سقطت على ظهري فوق الإسكملة وبين الفسحة ما بين الإسكملة والأريكة. سمعت دويّ انغلاق الباب. وفيما كنت أنهض سمعت اندلاع محرك سيارة ليديا ثم انطلقت مغادرة.

يا لحظيّ العاهر، راودني، للحظة أحظى بامرأتين وفجأة أمسي خالي الوفاض.

* * *

- ١٠ -

فوجئت في اليوم التالي حين طرقت آبريل بابي. كانت آبريل هي تلك الفتاة التي تتناول أدوية مضادة للاكتئاب وكانت موجودة في حفلة آل أسكوت، وغادرت بمعيّة مهووس مخدر السيد. كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً دخلت آبريل وجلست.

«لطالما أعجبتني مؤلفاتك»

أثيتها بقنينة بيرة وأحضرتُ لي واحدة.

بدأتْ «أن الله صنّارة في السماء».

«ممتاز»

كانت آبريل تميل إلى السُمنة لكنها ليست شديدة البدانة. كانت أوراكها منتفخة ومؤخرتها ضخمة وانسدل شعرها مستقيماً مسترسلاً كان ثمة انطباع ما يتعلّق بضخامتها، لعلّه الفظاظة، كما لو أنه بوسعها قهر قرد. ضعف عقلها وجدته جذاباً لأنها ما كانت تتحاذق. طلبت ساقيها كاشفة لي قطعاً ضخمة من اللحم الأبيض.

«زرعت بذور طماطم في الدور التحتاني من المنزل حيث أسكن»

أجبت «سوف آخذ بعضها حين تنضج».

«لم أحصل أبداً على رخصة قيادة سوق «أردفت آبريل» أمي تقطن في نيوجرسي»

«أمي ماتت» قلت. توجهت نحوها وقعدت لصقها على الأريكة. عانقتها وقبّلتها فيما كنت أقبّلها راحت تحدق مباشرة في عيني. أفلتّها «هيا بنا نتضاجع» قلت.

«إني مصابة بعدوى» قالت آبريل

«ماذا؟»

«نوع من الفطر لا شيء خطيراً».

«هل يمكن أن أصاب بالعدوى؟».

«إنه نوع من الإفراز الحليبي»

«هل من الممكن أن أصاب بالعدوى»

«لا أظن ذلك».

«فلنمارس الجنس»

«لست أدري إن كنت راغبة في الجنس»

«سيكون ذلك رائعاً، هيا بنا إلى غرفة النوم»

ولجت آبريل غرفة النوم وبدأت تخلع ثيابها تعريّت أنا أيضاً اندسينا تحت الأغطية. بدأتُ بمداعبة فَرْجها وتقبيلها ركبتها كان الشعور بغاية الغرابة كما لو أن فَرْجها كان بالعرض. كنت متأكداً أني ألجها أحسست فعلاً أني في جوفها، غير أني كنت أنزلق إلى الجنب، إلى الجانب الأيسر تابعت أكدح كان الأمر مهيّجاً. أنجزت مرامي وانقلبت عنها

لاحقاً أوصلتها بسيارتي إلى شقّتها وصعدنا تبادلنا الحديث لفترة طويلة، وغادرت إنما بعد أن سجّلت رقم شقتها وعنوانها فيما سرت عبر الرواق تعرفت إلى صندوق البريد الخاص بالشقة. كنت وضعت الرسائل مرات عدة هناك، حين كنت ساعياً للبريد. خرجت متوجهاً إلى سيارتي وانطلقت بها مغادراً

* * *

- ١١ -

كان لدى ليديا ولدان، تونتو وهو صبي في الثامنة من عمره، وليزا وهي الفتاة الصغيرة، التي في الخامسة من عمرها، والتي كانت قاطعت مضاجعتنا الأولى. كنا جميعاً حول المائدة في المساء نتناول العشاء. كان الأمور تسير بشكل جيد بيني وليديا وكنت أمكث للعشاء تقريباً كل ليلة، ثم أنام مع ليديا وأغادر قرابة الساعة الحادية عشرة قبل ظهر اليوم التالي لأعود إلى شقّتي لأستطلع بريدي وأكتب. كان الولدان ينامان في الحجرة الملاصقة على فراش مائي. كان منزلاً قديماً صغيراً استأجرته ليديا من مصارع ياباني متقاعد تحوّل الآن إلى المتاجرة بالعقارات. كان مولعاً جداً بليديا لا بأس بذلك. لقد كان منزلاً قديماً وجميلاً

«يا تونتو» بدأتُ فيما كنا نتناول الطعام «أتعرف أنه حين تصرخ أمك في الليل لا يعني إني أضربها وأنت تدرك من هو الذي يكون «فعلياً في ورطة».

«أجل، أعرف».

«إذاً لماذا لا تقدم لنجدتي؟».

«هاها، إني أعرفها تمام المعرفة».

«إسمع يا هانك» انبرت ليديا «لا تحرّض أولادي ضدّي».

«إنه أقبح رجل في «العالم» قالت ليزا

أحببت ليزا سوف تصبح قنبلة إغراء في يوم من الأيام.

قنبلة إثارة ذات شخصية قوية.

بعد العشاء توجهت أنا وليديا إلى غرفة النوم وتمددنا كانت ليديا تهوى معالجة حبوب الوجه السوداء والبثور. وكانت بشرة وجهي سيئة. دفعتْ المصباح الكهربائي نزولاً إزاء وجهي وبدأتْ. أعجبني الأمر. استشعرت وخزاً خفيفاً وأحياناً كنت أحظى بأنتصاب. حميم جداً ومراراً بين الكبسات كانت ليديا تهبني قبلة. كانت دوماً تبدأ بمعالجة وجهي ثم تنتقل إلى ظهري وصدري.

«هل تحبني؟».

«أجل».

«أواه، انظر إلى هذه؟»

كانت حبة سوداء ذات ذيل طويل أصفر

«لا بأس بها» قلت.

كانت ممددة فوقي. توقفت عن الكبس وحدّقت فيّ. «سأقبرك أيها المنيك البدين»

ضحكتُ ثم قبّلتني ليديا

«سوف أعيدكِ إلى المصحة العقلية» قلت لها

«استدر، دعني أتفحص ظهرك».

انقلبت على بطني راحت تقرص في مؤخر رقبتي «أواه، ثمة واحدة رائعة! لقد انبجست! لقد أصابتني في عيني!»

«يتوجب أن تضعي نظارتين واقيتين»

«تعال نصنع هنري صغيراً!»، «تخيّلْ الأمر، هنري شيناسكي صغير».

«دعينا ننتظر قليلاً».

«أريد طفلاً «الآن»!».

«فلننتظر».

«كل ما نفعله هو النوم والأكل والتمدد وممارسة الحب. نحن أشبه بالبزّاقات العريانة. أسمي هذا الحب البزّاقي»

«يعجبني هذا».

«كنت في ما مضى تكتب هنا تملأ وقتك. كنت تحضر حبراً وتنجز رسوماتك. الآن تذهب إلى منزلك وتقوم بكل الأشياء المهمّة هناك. كل ما تفعل هنا هو الأكل والنوم ثم تغادر باكراً في الصباح. هذا مملّ».

«لكنه يعجبني».

«أنت عجوز كل ما تريد هو الجلوس وانتقاد كل شيء والجميع. لا رغبة لديك في القيام بأي شيء. ألا شيء يرضيك!»

انقلبت إلى خارج السرير ووقفت. وشرعت ألبس قميصي.

سألتني، «ماذا تفعل؟»

«أنا مغادر».

«عدنا من جديد! لحظتما لا تسير الأمور حسبما تشاء، تقفز وتفرُّ راكضاً من الباب. ليست لديك أبداً أي رغبة في مناقشة أي أمر تتوجه إلى البيت وتثمل وفي اليوم التالي تسقم بشدّة فتخال أنك على وشكِ الموت، «حينها» تتصل بي!»

«سأغادر هذا المكان اللعين!»

«ولكن ما السبب؟».

«لا أريد أن أبقى حيث لا رغبة بوجودي. لا أريد أن أبقى حيث لا أحد يحبني».

انتظرت ليديا ثم أجابت «حسناً، تعال، استلقِ هنا سوف نطفىء الضوء ونجلس ساكنين وحسب».

انتظرتُ. ثم قلت «حسناً، موافق».

تعرّيت كلياً واندسيت تحت البطانية والملاءة. ألصقت جنبي بجنب ليديا كنا كلانا مستلقيين على الظهر. تناهت إلى مسمعي أصوات صرّارات الليل. لقد كان حيّاً لطيفاً مرت بضع دقائق. بعدها انبرت ليديا قائلة «سوف أصبح عظيمة».

لم أجب. مرت بضع دقائق أخرى. بعدئذٍ قفزت ليديا إلى خارج السرير دفعت يديها عالياً في الهواء باتجاه السقف وهتفت بصوت مرتفع «سوف أصير شهيرة! سأصبح حقيقة شهيرة! لا أحد يدرك إلى أي حد ستصل شهرتي!».

«جيد» قلت.

ثم تابعت بصوت أقل ارتفاعاً «أنت لا تفهم. سوف أصبح شهيرة. لدي طاقة تفوق ما لديك!».

«طاقة» أجبت «هذا لا يعني شيئاً يتوجب أن تحققي شيئاً ثمة تقريباً لدى كل طفل في المهد طاقة تفوق ما لديّ».

«غير أني سوف «أنجح»! سوف أصبح فعلاً شهيرة!».

«حسناً قلت «ولكن في غضون ذلك عودي إلى الفراش»

عادت ليديا إلى الفراش. غير أننا لم نتبادل القبل، ولم نكن

سنمارس الجنس. شعرت بالتعب. رحت أنصت لصرير الجداجد. أجهل كم مضى من الوقت. كنت تقريباً نائماً، إنما ليس تماماً، حين جلست ليديا على حين غرة في الفراش. وصرخت، كانت صرخة فظيعة.

«ما الخطب؟» سألتها

«أصمتْ».

انتظرتُ. جلست ليديا هناك من دون حراك طوال ما بدا حوالي عشر دقائق. ثم ارتمت إلى الخلف على وسادتها

«لقد أبصرت الله» قالت «لقد أبصرت للتو الله»

«إسمعي أيتها العاهرة، سوف تدفعينني إلى الجنون!».

نضهت وبدأت بارتداء ملابسي. كنت غاضباً أخفقت في العثور على سروالي التحتي. إلى الجحيم. تركته حيثما كان. ارتديت كلّ ملابسي وكنت قاعداً على الكرسيّ أنتعل حذائي في قدمين عاريتين.

«ماذا تفعل؟» سألتني ليديا

لم أكن قادراً على الإجابة. توجهت إلى الباب الرئيسي، كان معطفي مطروحاً فوق كرسيّ فتناولته وارتديته. ركضت ليديا نحو الباب الرئيسي. كانت ارتدت مبذلها الأزرق وسروالاً تحتياً كانت حافية القدمين. كان رسغا قدمي ليديا غليظين وترتدي عادة جزمة لإخفائهما

«لن تذهب إلى أي مكان!» زعقت بي.

«اللعنة» أجبت «أنا خارج من هنا»

انقضّتْ فجأة عليّ. تهاجمني عادة فيما أكون سكران، إنما الآن كنت صاحياً انزحت من طريقها فسقطت على الأرض، منقلبة على

ظهرها خطوت من فوقها في طريقي إلى الباب الرئيسي. انفجر غضبها عارماً فراحت تزمجر مجفلة شفتيها بدت أشبه بنَمرة. تطلعت إليها، وشعرت بأمان لكونها مطروحة على الأرض. أصدرتْ زمجرة وبينما شرعتُ بالمغادرة تطاولت وغرزت أظافرها في كُمّ معطفي، شدّت وانتزعت الكمّ من ذراعي. انمزق من المعطف عند الكتف.

«يا يسوع المسيح» قلت «انظري ماذا فعلت بمعطفي الجديد! لقد ابتعته للتو!».

فتحت الباب واندفعت إلى الخارج بكمّ عارية.

ما أن فتحت باب السيارة حتى سمعت وقع قدمها العاريتين على الإسفلت من خلفي. قفزت إلى الداخل وأقفلت الباب وأدرت المحرك.

«سوف أقتل هذه السيارة» راحت تزعق «سأقتل هذه السيارة».

راحت قبضتاها تطرقان غطاء السيارة والسقف وعلى الزجاج الأمامي. انطلقت بالسيارة إلى الأمام ببطء شديد متجنباً إذيتها كانت سيارتي «المركوري كوميت» طراز **١٩٦٢** قد انهارت كلياً وابتعت حديثاً فولسڤاكن طراز **١٩٦٧**

أبقيتها ملمّعة ومشمّعة. حتى أني احتفظت بمنفضة ريش في علبة القفّازات. فيما انطلقت مغادراً تابعت ليديا ضرب السيارة بقبضتيها عندما صرت بعيداً عنها دفعت المبدّل إلى السرعة الثانية حدقت في مرآة الرؤية الخلفية فشاهدتها واقفة وحيدة تحت ضوء القمر، مُسمَّرة في مبذلها الأزرق وسروالها التحتي. أحسست بألم حاد مفاجىء وقرقرة في معدتي أحسستني مريضاً، عقيماً وحزيناً كنت مغرماً بها.

- ١٢ -

عدت إلى منزلي وشرعت أشرب. أشغلت الراديو وعثرت على موسيقى كلاسيكية. أخرجت مصباحي «الكولمان» من الخزانة. أطفأت الأنوار وقعدت ألعب بقنديلي الكولمان. كان هناك العديد من الألاعيب التي بمقدورك تحقيقها بالمصباح الكولمان. مثل إطفائه ثم إشعاله مجدداً ومشاهدة حرارة الفتيل تشعله مجدداً كنت أهوى علاوة على ذلك ضخه ومفاقمة الضغط فيه. وأبتهج بعدئذٍ بمجرد النظر إليه. كنت أشرب وأتفرجّ على القنديل وأستمع إلى الموسيقى وأدخن سيجاراً

رنّ الهاتف. كانت ليديا «ما الذي تفعله؟» سألتني.

«أقعد بسلام»

«أتجلس بهدوء، تشرب وتستمع إلى موسيقى سيمفونية وتلعب بقنديل الكولمان اللعين!»

«أجل»

«هل ستعود إلى هنا؟»

«كلّا»

«حسناً، إشربْ! إسكرْ وأسقمْ! أنت تعرف إن هذا الأمر كاد أن يقتلك مرة. هل تتذكر المستشفى؟»ـ.

«لن أنساه أبداً».

«حسناً، إشرب، «إشرب! واقتل نفسك! سترى إن كنت سآبه!».

أقفلت ليديا السماعة وقمت بالمثل. شعور ما أنبأني بأنها لم تكن تحفل بشأن موتي المحتمل، بقدر ما حفلتْ بشأن مضاجعتها التالية. بيد أني كنت بحاجة لعطلة. بحاجة لاستراحة. كانت ليديا تهوى ممارسة الحب خمس مرات على الأقل في الأسبوع الواحد. كنت أفضل ثلاث مرات.

وقفت وتوجهت إلى ركن الفطور في المطبخ حيث ركنت آلتي الكاتبة على الطاولة. أضأت اللمبة، قعدت وطبعت لليديا رسالة من أربع صفحات. ثم دخلت الحمّام، جئت بشفرة الحلاقة، وجرحت إصبع يدي اليمنى الأوسط. سال الدم. وقعت إسمي على الرسالة بالدم.

نزلت إلى علبة البريد عند ناصية الشارع وألقيت رسالتي فيها

رن الهاتف عدة مرات. كانت ليديا كانت تزعق.

«أنا خارجة «لأرقص!» لن أقبع وحيدة فيما أنت تسكر!».

أجبتها «تتصرفين كما لو أن السكر هو أشبه بخروجي مع إمرأة أخرى».

«بل أسوأ من ذلك!».

أقفلتْ السمّاعة.

لم أتوقف عن احتساء الشراب. لم تساورني أي رغبة بالنوم، سرعان ما حل منتصف الليل، ثم الساعة الواحدة، الثانية.

ولم يتوقف القنديل الكولمان عن الاشتعال.

عند الساعة الثالثة والنصف صباحاً رن الهاتف. من جديد ليديا «أما زلت تشرب؟».

«طبعاً!».

«يا ابن العاهرة المعفن!».

«في الواقع اتصلتِ، كنت أنزع السيلوفان من على قنينة ويسكي «الكاتي سارك» أنها رائعة ينبغي أن تريها!».

خبطتْ السمّاعة مقفلة. سكبتُ شراباً آخر. تناهت موسيقى جميلة من الراديو. تمددت إلى الخلف براحة. أحسستني بأحسن حال.

فُتحَ الباب فجأة واندفعت ليديا داخل الحجرة. انتصبتْ هناك لاهثة. كانت القنينة فوق طاولة الإسكملة. رأتها والتقطتها قفزتُ وأمسكتُ بها حين أكون ثملاً وتكون ليديا مخبولة نصبح تقريباً ندّين متكافئين. رفعتْ القنينة عالياً بعيداً عنّي، وسَعَتْ إلى الخروج بها من الباب. تمسكت بذراعها التي أمسكت القنينة، وحاولتُ انتزاعها منها.

وزعقتُ عالياً «أيتها القاهرة! لا يحقّ لكِ! أعطني هذه القنينة اللعينة!».

وإذ بنا بعدها نتصارع في الخارج فوق شرفة المدخل، تعثرنا على الدرجات وسقطنا على الرصيف. اندفعت القنينة وتحطمت على الإسفلت. نهضت ليديا ولاذت بالفرار راكضة. سمعت انطلاق سيارتها بقيت هناك متمدداً محدقاً في القنينة المهشّمة. كانت على مبعدة ثلاثين سنتمراً غادرتّ سيارة ليديا. كان القمر لا يزال عالياً في سماء الليل. في قعر ما كان تبقى من القنينة أبصرت جرعة من الويسكي. متمدداً هناك على الرصيف مددت ذراعي ورفعت قعر القنينة إلى فمي. كادت شظيّة طويلة من الزجاج تثقب إحدى عيني فيما شربت ما كان تبقى. بعدها نهضتُ وعدتُ إلى الداخل. كان

شعوري بالعطش فظيعاً. جلتُ في الأرجاء ألملمُ قناني البيرة وأشرب القطرات المتبقية في كل واحدة منها. ومرة تجرعت ملء فمي رماد سجائر إذ غالباً ما كنت أستخدم قناني البيرة منافض لها كانت الساعة الرابعة و١٤ دقيقة صباحاً جلست محدقاً في ساعة الحائط. خالجني أني أعمل من جديد في مركز البريد. كان الوقت معدم الحركة فيما كان الوجود نبضاً لا يمكن تحمّله. انتظرت، وانتظرت، وانتظرت. في النهاية حلّت الساعة السادسة صباحاً سرت نحو ناصية الشارع إلى محل بيع الكحول. كان الموظّف يفتح المتجر سمحَ لي بالدخول. ابتعت قنينة أخرى من «الكاتي سارك». أقفلت عائداً إلى المنزل. أقفلت الباب واتصلت بليديا

«لدي هنا قنينة «كاتي سارك» وأقوم بنزع السيلوفان عنها سوف أحتسي كأساً من الويسكي. ومتجر الكحول سيبقى الآن مشرعاً على مدى عشرين ساعة».

أغلقتُ السمّاعة. احتسيت كأساً واحدة ثم توجهت إلى داخل غرفة النوم. تمددت على الفراش وغرقت في النوم من غير أن أخلع ملابسي.

* * *

- ١٣ -

بعيد أسبوع كنت أقود منحدراً بولڤار هوليوود بمعيّة ليديا وكانت مجلة أسبوعية فنيّة تصدر في كاليفورنيا أبان تلك الحقبة، طلبت مني أن أكتب مقالة حول حياة الكاتب في لوس أنجلوس. كنت قد أنجزت كتابتها وأقود متوجهاً إلى مكاتب التحرير لتسليمها أوقفنا السيارة في موقف «موسلي سكواير» «موسلي سكواير» كان عبارة عن مجموعة من «البناغل»، البيوت الفخمة ذات الطبقة الواحدة تستخدم كمكاتب لشركات الأسطوانات، والوكلاء، والمتعهدين وما يشابه. وكانت الإيجارات باهظة جداً

دخلنا إلى أحد البناغل. قابلتنا في غرفة الاستقبال حسناء فاتنة، مثقفة وبارعة المظهر

«أنا هو شيناسكي» بادرتها «وها هي مقالتي»

رميتها على طاولة المكتب.

«آه! سيّد شيناسكي! لطالما أعجبت كثيراً بمؤلفاتك!».

«هل لديكِ ما يمكن أن نحتسيه هنا؟».

«لحظة من فضلك.

تسلقتْ درجات مكسوة بالسجاد وهبطتْ حاملة معها قنينة نبيذ أحمر من الصنف الفاخر فتحتها وأخرجتْ بعض الكؤوس من مشرب مستتر. ياه كم أود مضاجعتها، جال هذا في بالي. لكن هذا كان مستحيلاً، إلا أن أحداً ما كان يضاجعها بانتظام.

جلسنا ورحنا نحتسي نبيذنا

«سوف نطلعك قريباً جداً على رأينا في المقالة. أنا متأكدة من أننا سنأخذها   غير أنك لا تشبّه البتة الصورة التي تخيلتها عنك..».

«ماذا تقصدين؟».

«إن صوتك ناعم جداً. تبدو لطيفاً جداً».

ضحكت ليديا   أنهينا نبيذنا وغادرنا   فيما كنا سائرين نحو السيارة سمعت صوتاً منادياً «يا هانك!».

استدرت متطلعاً وإذا بي أرى دي دي برونسون جالسة داخل سيارة مرسيدس فخمة. توجهتُ نحوها

«كيف أوضاعك يا دي دي؟».

«ممتازة. لقد تركت وظيفتي في شركة «كابيتول ريكوردز» أقوم حالياً بإدارة ذلك المكان هناك» ودلّتني إلى شركة تسجيل أسطوانات أخرى شهيرة جداً ويقع مركزها الرئيسي في لندن.

كانت دي دي تزورني في المنزل باستمرار رفقة خليلها حين كنت وإياه نكتب أعمدة في مجلة «أندرغراوند» في لوس أنجلوس.

«يا لليسوع، إنك تبلين حسناً» قلت لها

«أجل، باستثناء..».

«باستثناء ماذا؟».

«باستثناء أني بحاجة لرجل. رجل صالح».

«إذًا، أعطني رقم هاتفك وسأرى إن كنت أستطيع أن أعثر لك على واحد».

«حسناً».

خطّت دي دي رقم هاتفها على قصاصة ورقية ووضعتُها في محفظة جيبي. عدنا أنا وليديا إلى سيارتي الفولز القديمة وركبنا «سوف تتصل بها» سألتني ليديا، «أعرف أنك ستستخدم ذلك الرقم!».

أدرت السيارة وعدت إلى جادة «هوليوود بولڤار».

«سوف تستخدم هذا الرقم» بدأت مجدداً «لدي شعور أكيد بأنَك سوف تستعمل هذا الرقم!».

«أوقفي هذا الهراء!» أجبت.

ولاحت في الأفق ليلة سيئة أخرى.

* * *

- ١٤ -

تشاجرنا من جديد. في وقت لاحق كنت عدت إلى منزلي، غير أنه لم تكن لدي رغبة في المكوث هناك والشرب وحيداً كان يقام سباق خيل ليليّ. حملتُ قنينة ويسكي وتوجهت إلى مضمار السباق. وصلت مبكراً وانتقيت كل الأحصنة التي سأراهن عليها حين انتهى السباق الأول فوجئت بأني كنت أجهزت على نصف القنينة. كنت أمزج الويسكي والقهوة الساخنة وسهّل هذا احتساءها

كسبت ثلاثة من السباقات الأربعة الأولى. لاحقاً ربحت «كوبليه» وأصبحت حاصداً تقريباً مئتي دولار مع انتهاء السباق الخامس. توجهت إلى البار واستطلعت لوح بيان الجوائز تلك الليلة قدموا لي ما اعتبرته «لائحة بيان ممتازة». كانت ليديا لتجن لو قدّر لها أن تراني أحصد كل هذه النقود. كانت تكرهني عندما أكسب في المضمار، خصوصاً حين كانت هي تخسر

تابعتُ الشرب والكسبَ مع انتهاء السباق التاسع كنت قد جمعت ٩٥٠ دولاراً، ومتعتها من السكرْ دسست محفظة نقودي في أحد جيوبي الداخلية وسرت الهويْنى إلى سيارتي.

«إسمعي» خاطبتها «إسمعي أيتها العاهرة، لقد ذهبت إلى مضمار سباق الخيل هذه الليلة وكسبت ٩٥٠ دولاراً! أنا رابح! سأكون على الدوام رابحاً! أنت لا تستحقينني، أيتها العاهرة! كنت تتلاعبين بي! حسناً، انتهى الأمر! انقضى بالنسبة إليّ! إنه الختام! لا حاجة لي

بكِ ولا لأحابيلك اللعينة! أتفهمينني؟ هل وصلتك الرسالة؟ أم أن دماغك أغلظ من رسغيك؟».

«يا هانك.

«من؟».

«أنا لست ليديا   أنا بوني. إني أرعى أولاد ليديا، لقد خرجت هذه الليلة».

أقفلتُ السمّاعة واقفلت عائداً إلى السيارة.

* * *

- ١٥ -

اتصلت بي ليديا في الصباح. «كلما ستفرط في الشراب» بدأت «سوف أخرج إلى الرقص. لقد ذهبت إلى ملهى «ريد أمبريلا» ليلة البارحة ودعوت رجالاً لمراقصتي معي. يحقُّ للمرأة أن تفعلَ هذا».

«أنت عاهرة حقيقية».

«صحيح؟ جيد، إن كان هناك من هو أسوأ من العاهرة فهو المضجر».

«إن كان ثمة من هو أسوأ من المضجر، فهي العاهرة المضجرة»

«إن كنت لا ترغب في فَرْجي» قالت «فسأهبه إلى شخص آخر».

«هذا حقكِ».

«عندما انتهيت من الرقص، ذهبت لرؤية مارفن. أردت أن أحصل على عنوان صديقته والتوجه لزيارتها فرانسين. كنت أنت قد زرت فتاته فرانسين ذات ليلة».

«إسمعي، أنا لم أضاجعها أبداً، مجرد الأمر أني كنت شديد الثمالة غير قادر على القيادة إلى البيت بعد انتهاء الحفلة. إننا حتى لم نتبادل القبل. سمحت لي بالنوم على أريكتها وعدت إلى منزلي عند الصباح».

«بأية حال، بعدما وصلت إلى عند مارفن، قررت أن لا أطلب منه عنوان فرانسين».

كان أهل مارڤن من الأثرياء، وأمتلك منزلاً قرب شاطىء البحر، مارڤن كان يكتب الشعر، وكان شِعْرُه أفضل من معظم ما كان يُكتَبْ. كنت أحب مارڤن.

«حسناً، أتمنى أن تكوني قد قضيت وقتاً ممتعاً» قلت وأقفلت السمّاعة.

ما أن أقفلت السمّاعة حتى رنّ الهاتف مجدداً كان المتصل مارڤن «هاي، احزرْ من زارني في وقت متأخر جداً ليلة البارحة؟ ليديا. طرقت على النافذة وأدخلتها لقد أثارتني وجعلتني أنتصب.

«لا بأس، يا مارڤن، أتفهَّمْ هذا، لست ألومكَ».

«أولست مستاءً؟».

«ليس منك».

«جيّد إذاً. .».

حملت الرأس المنحوت وأقحمته في سيارتي. قدت متوجهاً إلى منزل ليديا ووضعت الرأس عند عتبة بابها. لم أقرع الجرس. كنت على وشك المغادرة حين خرجت ليديا

«لِمَ أنت أحمق هكذا؟» سألتني.

استدرت «أنت لست انتقائية. الرجال بالنسبة إليك متشابهون، لقد ضقت ذرعاً بهرائك».

«أنا أيضاً ضاق ذرعي بهرائك أنت!» زعقت بي مقفلة الباب بعنف.

سرتُ متوجهاً إلى سيارتي، دخلتها وأدرتُ المحك. ثبَّتُ ناقل

الحركة على السرعة الأولى. لم تحرك ساكناً. حاولت على السرعة الثانية، لا شيء. عدت بعدها إلى الأولى. تحققتُ لأتأكد من حلّي المكبح اليدوي. لم تكن السيارة تتحرك. حاولت الناقل الارتدادي. تحركت السيارة إلى الوراء. فرملت وحاولت تعشيق السرعة الأولى مجدداً لم تكن السيارة تتحرك. كنت ما زلت غاضباً من ليديا خطر لي، حسناً سوف أسوق هذه الخردة المشؤومة إلى البيت إرتجاعياً ثم فكرت في شرطة السير الذين سيوقفونني ويسألونني مستفسرين حول الحماقة التي أقوم بها في الحقيقة أيها الضابطان لقد تشاجرت مع صديقتي، وهذه هي السبيل الوحيدة لأستطيع العودة إلى منزلي.

فجأة لم أعد غاضباً من ليديا خرجت وتوجهت نحو بابها كانت قد نقلتْ رأسي إلى الداخل. طرقتُ الباب.

فتحت ليديا «بربّكِ» سألتها «أوهل يتفق أنك ساحرة؟»

«كلا، أنا عاهرة، أولا تتذكر؟».

«إيصالي إلى المنزل. إن سيارتي لا تسير إلا إرتجاعياً هذه الخردة القذرة مصابة بتعويذة سحرية».

«أنتَ تمزح بالتأكيد»

«تعالي، سأريكِ»

تبعتني ليديا إلى السيارة. «كانت ناقلات المبدّل تعمل بشكل جيد. ثم فجأة أجدها لا تتحرك سوى إرتجاعياً كنت قررت أن أقودها إلى المنزل بتلك الطريقة»

ركبت فيها «أنظري الآن، سأريكِ».

أدرت المحرك ووضعت الناقل على الأولى ورفعت قدمي عن

دوّاسة «الدبرياج»، وثبتْ السيارة إلى الأمام، وضعت السرعة الثانية، عشّقت الثانية وانطلقت السيارة بسرعة أكبر ثم حولّتُ إلى السرعة الثالثة. سارت متقدمة بكياسة. قمت بانعطافة كاملة وركنتها إلى الجانب الآخر من الشارع، تقدمتْ ليديا نحوي.

«إسمعي» بادرتها «يجب أن تصدقيني. منذ دقيقة لم تكن السيارة لتتحرك سوى إرتجاعياً والآن أنها على ما يرام، أرجوك صدّقيني»

«أصدقك» ردّت «هذا من أفعال الله، أنا أؤمن بهذا النوع من الأمور».

«لا بدّ أن ثمة مغزى ما في هذا»

«بالتأكيد».

خرجت من السيارة وسرنا متوجهين إلى منزلها

«أخلع قميصكَ والحذاءَ» قالت «وتمدد فوق الفراش. بداية أريد أن أعصر بثورك السوداء».

* * *

- ١٦ -

المصارع الياباني الأسبق الذي تحوّل إلى المتاجرة بالعقارات باع منزل ليديا وتوجبَ عليها أن تخليه. كان هناك ليديا وتونتو وليزا والكلب بوغبات. في لوس أنجلوس كان معظم الملّاكين يعلقون اللافتة إيّاها «إيجار للبالغين فقط»، بمعيّة ولدين وكلب كان الأمر صعباً للغاية. كانت الورقة الوحيدة الرابحة هي جمال ليديا وكان المطلوب هو ملّاك ذكر

جلتُ بهم في كل أرجاء المدينة، من غير طائل. بعدئذٍ رُحت أمكث بعيداً عن الأنظار داخل السيارة. ورغم ذلك لم ينجح الأمر فيما كنا تجوب زعقت ليديا عبر نافذة السيارة «أليس هناك من يرغب في هذه المدينة في تأجير منزل لامرأة مع ولدين وكلب».

بالصدفة شَغرتْ شقة في المبنى حيث أقطن. رأيت قاطنيها وهم يرتحلون، فنزلت تواً إلى الأسفل وتحدثت إلى السيدة أوكيفي.

«إسمعي» قلت لها «أن صديقتي بحاجة إلى مكان للسكن. لديها ولدان وكلب لكنهم جميعاً مهذّبون. هل تقبلين أن ينتقلوا للسكن هنا؟».

«لقد سبق أن رأيت تلك المرأة» قالت السيدة أوكيفي «ألم تلاحظ عينيها؟ أنها مجنونة».

«أعرف أنها مجنونة. لكنها عزيزة عليّ. انها تمتلك الكثير من المزايا الحسنة، فعلياً».

«إنها صغيرة جداً بالنسبة لسنِّك! ما الذي ستفعله بامرأة شابة مثلها؟»

ضحكتُ.

اقترب السيد أوكيفي من وراء زوجته. نظرَ إليّ عبر الباب المنخلّي. «أنه مهووس جنسي، هذا كل ما في الأمر، المسألة سهلة إنه مهووس جنسي».

«وماذا في الأمر؟» سألته؟

«حسناً أنا موافقة» أعلنت السيدة أوكيفي، «فلتنتقل إلى هنا

هكذا إذاً استأجرت ليديا شاحنة «يوهول» صغيرة ونقلتها إلى الشقة الجديدة. كانت أغراضها في الإجمال ملابس، وكل الرؤوس التي كانت نحتتها، وغسّالة ضخمة.

«إني أمقتُ السيدة أوكيفي» قالت لي «إن زوجها يبدو مقبولاً، لكني لا أستلطفها هي».

«إنها كاثوليكية من النوع المتزمت، وأنت بحاجة إلى مكان للسكن».

«لا أريدك أن تشرب مع هذين الشخصين. إنهما ينويان تدميرك»

«كل ما أدفعه هو ٨٥ دولار بدل إيجار شهري. إنهما يعاملاني وكأني إبنهما يتوجب عليّ أن أشاركهما احتساء قنينة بيرة بين الوقت والآخر».

«إبنهما، هراء! إنك تعادلهما تقريباً في السن».

مضى حوالي ثلاثة أسابيع. كان الوقت في متقدم الصباح ذات نهار سبت، لم أكن قضيت الليلة السابقة في منزل ليديا. استحممت

واحتسيت قنينة بيرة وارتديت ملابسي. أكره أيام نهاية الأسبوع. يخرج الجميع إلى الشوارع. الجميع يلعبون كرة الطاولة أو يجزّون مرجاتهم أو يلمعّون سياراتهم، أو يتوجهون إلى السوبرماركت أو إلى الشاطىء أو إلى الحديقة العامة. حشود في كل مكان. يوم الإثنين كان يومي المفضّل. الجميع يعودون إلى وظائفهم ويتوارون عن الأنظار. قررت أن أتوجه إلى مضمار سباق الخيل على الرغم من الحشد. هذا يمكن أن يسعف في انقضاء وقتل السبت. أكلت بيضة مسلوقة، احتسيت قنينة بيرة ثانية، وخرجت إلى شرفة المدخل وأقفلت الباب. كانت ليديا في الخارج تلاعب باغبات الكلب.

«مرحباً» بادرتها

«مرحباً» ردّت.

«مرحباً» قلت «أنا ذاهب إلى مضمار السباق»

توجهت ليديا نحوي «إسمع، أنت تعرف ما الذي يسبّبه لك الذهاب إلى سباق الخيل».

كانت تقصد القول أني أمسي دوماً منهكاً عاجزاً عن ممارسة الجنس بعد العودة من سباق الخيل

«لقد كنت ثملاً ليلة البارحة، كنت كريهاً، سبّبت الذعر لليزا واضطررت إلى رميكَ خارجاً».

«أنا متوجّه إلى سباق الخيل».

«طيب، كما تشاء، توجّه إذاً إلى السباقات، لكنك تعرف أنك لن تجدني هنا حين ستعود»

ركبت في سيارتي التي كانت مركونة فوق المرجة الأمامية. فتحت زجاج النوافذ وأدرت المحرك. كانت ليديا واقفة في المجاز.

لوّحت لها بيدي مودعاً قبل أن أنطلق في الشارع. كان نهاراً صيفياً جميلاً قدت نزولاً باتجاه منتزه هوليوود. كنت أملك أسلوباً جديداً كل مقاربة جديدة كانت تقرّبني أكثر وأكثر إلى الثراء. بكل بساطة كان الأمر مجرد مسألة وقت.

خسرت ٤٠ دولاراً وأقفلت عائداً إلى البيت. أوقفت سيارتي على المرجة وخرجت منها فيما كنت أعبر شرفتي الأمامية باتجاه المدخل اقترب السيد أوكيفي مقبلاً من المجاز، «لقد رحلت!».

«ماذا؟».

«صديقتك، لقد تركتْ المنزل!»

حرتُ جواباً

«استأجرتْ شاحنة صغيرة وحمّلتْ فيها أغراضَها لقد كانت غاضبة. أنت تذكر تلك الغسّالة الكبيرة أليس كذلك؟»

«بلى».

«جيد، تلك الماكينة ثقيلة. لم أستطع رفعها رفضت أن يساعدها ذلك الفتى. قامت هي نفسها برفع الماكينة ووضعتها داخل الشاحنة الصغيرة. ثم جلبت الولدين والكلب وانطلقت مغادرة. كان يحق لها بعد أسبوعاً من الإيجار الذي دفعته»

«حسناً يا سيد أوكيفي، شكراً لك».

«هل ستعرّجْ لاحتساء كأس معنا هذه الليلة؟».

«لا أدري».

«حاول أن تأتي».

فتحت بالمفتاح ودخلت. كنت أعرتها مكيّف هواء. كان جاثماً

على كرسي أمام غرفة المختلى. وُضعتْ فوقه رسالة موجزة وسروالاً تحتياً أزرق اللون. كانت الرسالة مكتوبة بعجلة كيفما اتفق.

«يا ابن الزنا، ها هوذا مكيّفك. لقد رحلت. لقد رحلت نهائياً، يا ابن الشرموطة! آن تشعر بالوحشة في مقدورك استخدام هذا السروال التحتي لتستمني فيه. ليديا».

نحوتُ صوب البرّاد وأحضرتُ قنينة بيرة. شربت البيرة ثم توجهت نحو مكيّف الهواء. حملت السروال التحتي ووقفت هناك متسائلاً حول ما إن كان سينجح الأمر بتلك الطريقة. ثم قلت «سحقاً» ورميته على الأرض.

سرت نحو الهاتف واتصلت بدي دي برونسون. كانت موجودة في البيت.

«آلو؟» قالت.

«دي دي» قلت «معك هانك..».

* * *

ـ ١٧ ـ

كانت دي دي تسكن منزلاً في منطقة «هوليوود هيلز» وتتقاسمه مع صديقة، وهي الأخرى مديرة مؤسسة وتدعى بيانكا. كانت بيانكا تشغل الطبقة العليا، ودي دي الطبقة الأرضية. قرعت الجرس. كانت الساعة الثامنة والنصف مساءً حين فتحت دي دي الباب. دي دي كانت في الأربعين من عمرها تقريباً، وشعرها أسود قصير. كانت يهودية وغريبة الأطوار، مختلفة. كانت نيويوركية الهوى، تعرف كل الوسط الثقافي: أفضل الناشرين، أفضل الشعراء، أرفع رسامي الكاريكاتور موهبة، الثوريون الحقيقيون، أيّ كان، الجميع. كانت تدخن الحشيشة طوال الوقت وتتصرف كما لو أنها تعيش في بداية الستينات وحقبة «لوف إن» الهيّبية حينما حظيتْ ببعض الشهرة إذ كانت آنذاك أجمل بما لا يقاس.

غير أن سلسلة طويلة من العلاقات الغرامية الفاشلة أجهزت أخيراً عليها الآن كنت واقفاً عند بابها كان جسد دي دي لا يزال جميلاً على الرغم من كل شيء. كانت صغيرة الحجم إنما متناسقة الجسم، والعديد من الشابات الصغيرات كن ليحسدنها على قوامها

تبعتها إلى الداخل «إذا لقد هجرتك ليديا؟» سألتني دي دي.

«أعتقد أنها ذهبت إلى يوتاه، إن حفل «الرابع من تموز الراقص في «مولهيد» بات وشيكاً، إنها لا تفوّته أبداً».

جلستُ في ركن الفطور فيما راحت دي دي تفتح سدّادة قنينة نبيذ.

«هل تَفتقدُها؟».

«يا إلهي، بلَى. تخالجني رغبة بالبكاء. أشعر وكأن رأسي مقلوب رأساً على عقب. قد لا أستطيع النفاذ من هذا».

«سوف تنجو سوف تنسى ليديا. سوف نعينك على تجاوز الأمر».

«وكأنك تعرفين ما أعانيه؟».

«لقد أصاب هذا معظمنا عدة مرّات»

«تلك العاهرة لم تبالِ بشأني البتة»

«بلى، بالعكس، وهي لا تزال متعلّقة بك».

خطر لي أن البقاء هنا عند دي دي في منزلها الكبير في تلال «هوليوود هيلز» هو أفضل من مكوثي وحيداً هناك في شقتي مكتئباً

«يبدو جلياً وباختصار أني لا أجيد التصرّف مع النساء» قلت.

«لا بأس أبداً بسلوكك مع النساء» ردّت دي دي «وأنت كاتبٌ رائع».

«أفضّلْ أن أجيد التصرفَ مع النساء».

كانت دي دي تشعل سيجارة. انتظرتُ حتى انتهت، ثم انحنيت فوق الطاولة ووهبتها قبلة. «أشعر بالراحة برفقتك، لقد كانت ليديا عدائية باستمرار».

«هذا لا يعني ما تخال أنه يعني».

«غير أنه مع مضي الوقت يصبح متعباً»

«أؤيدك تماماً».

«أوهل وجدتِ خليلاً؟».

«ليس بعد».

«أحبُ هذا المنزل، كيف تنجحين من إبقائه على الدوام مرتباً ونظيفاً؟».

«لدينا خادمة».

«أحقاً؟».

«سوف تعجبك، إنها بدينة وسوداء. تنجز عملها بأسرع ما يكون بعد أن أغادر. ثم تتوجهْ بعدها إلى السرير حيث تتمدد ملتهمة الكعك المحلّى وهي تتفرّج على التلفزيون. أعثر على كسرات الكعك فوق فراشي كل ليلة. سوف أسألها أن تحضّر لك فطوراً بعد أن أغادر غداً صباحاً»

«جيد»

«لا، انتظر إن غداً هو يوم الأحد. أنا لا أعمل في الآحاد، سوف نأكل خارجاً أعرف مكاناً مناسباً سوف يعجبك»

«ممتاز».

«أوتدري؟ أظن أني كنت على الدوم واقعة في غرامك».

«ماذا؟».

«منذ سنوات. أتذكرْ حين كنت آتي لزيارتك، أولاً برفقة بيرني ولاحقاً مع جاك. كنت أتوق إليك. غير أنك لم تكن أبداً تلاحظ. كنت دوماً إمّا ترضع تنكة بيرة أو مهووساً بشيء ما».

«كنت مخبولاً، أو أظنني كنت شبه مخبول. جنون هو العمل في الخدمة البريدية. أسف لكوني لم ألحظكِ».

«في وسعك أن تلاحظني الآن».

صبّت دي دي كأساً أخرى من النبيذ. كان نبيذاً ممتازاً أحببت دي دي. أمر طيّب أن يكون لديك مكان تقصده حين تسوء الأمور. تذكرت كيف أنه في البداية حين كانت الأمور تسوء ولم يكن لدي أي مكان أتوجه إليه. لعل ذلك كان أمراً مفيداً لي. آنذاك. إنما الآن لم أعد مهتماً بما يفيدني. صرت مهتماً بما أشعر وبكيفية التخلص من الإحباط حينما تسوء معي الحال، وأيضاً السبيل إلى الشروع بالشعور بالحبور من جديد.

«لا أريد أن استغلّك يا دي دي» قلت لها «لست على الدوام لطيفاً مع النساء».

«قلت لك إني مغرمة بك».

«لا تفعلي هذا إلّا هذا، لا تحبّيني».

«حسناً قالت: «لن أحبكَ. سوف أوشك! أن أحبك، هل يوافقك هذا؟».

«هذا أفضل من الخيار الآخر».

أنهينا نبيذنا وتوجهنا إلى السرير.

* * *

- ١٨ -

في صباح اليوم التالي اصطحبتني دي دي بسيارتها إلى مطعم «سانسيت ستريب» لتناول الفطور، كانت المرسيدس السوداء تشع تحت ضوء الشمس. مررنا بلوحات إعلانات ونوادٍ ليلية ومطاعم فخمة. استغرقتُ خفيضاً في مقعدي الوثير، أسعل دخان سيجارتي. راودني، في الواقع لقد عرفت أياماً أسوأ التمع في رأسي مشهد أو أكثر. ذات شتاء في أتلانتا وأكاد أصرّ من الصقيع في منتصف الليل، ولا أملك درهماً ولا مكاناً أرقد فيه، فصعدت أدراج كنيسة آملاً الدخول والحصول على بعض الدفء. ألفيت باب الكنيسة موصداً مرة أخرى في «آل باسو»، نائماً فوق مقعد في المنتزه، أيقظني في الصباح أحد الشرطيين ضارباً نعليّ حذائي بهراوته. غير أني لم أتوقف عن التفكير بليديا اللحظات الحلوة في علاقتنا كانت أشبه بجرذ يجول قاضماً جوف معدتي.

ركنتْ دي دي سيارتها أمام مطعم فخم. كان هناك فناء مشمس رُصفتْ فوقه طاولات وكراسٍ حيث قعد أناس يأكلون، يتحدثون ويحتسون القهوة. مررنا برجل أسود ينتعل جزمة وبنطالاً من نوع الجينز ويعلّق حول عنقه سلسلة فضيّة ثقيلة. كانت خوذة درّاجته البخارية ونظّاراته الواقية وقفازاته موضوعة على الطاولة. كان بصحبة فتاة شقراء نحيلة ترتدي عِفريتة نعنعيّة اللون، جلستْ هناك ماصّة إصبعَها كان المكان مكتظاً. بدا الجميع فتياً، معقماً ونضراً. لم يعرنا أحد أي إنتباه. كان الجميع يتبادلون الأحاديث بهدوء.

ولجنا إلى الداخل وقام فتى نحيل شاحب الوجه ضئيل الردفين طي بنطال فضيّ ضيّق مشدود بحزام مرصع عريض، ويرتدي قميصاً ذهبية لمّاعة بمواكبتنا إلى طاولتنا كانت أذناه مثقوبتين علّقَ فيهما قرطين ضئيلين أزرقين. وبدا شارباه الرفيعان المخطوطان وكأنما بالقلم، أرجوانيين.

«يا دي دي» توجه إليها بالقول «ما المشروع؟».

«الفطور يا دوني».

«وشراب لي يا دوني» أردفتُ.

«أعرف ما يلزمه يا دوني. أحضر له كأس «غولدن فلاور» مضاعفة»

طلبنا فطوراً وحذرتني دي دي قائلة: «سوف يستلزم تحضيره وقتاً طويلاً المطبخ هنا يعدّ كل شيء على الطلب».

«لا تنفقي الكثير من المال يا دي دي»

«كل هذا يذهب إلى حساب النفقات».

تناولتْ دفتراً صغيراً أسود «حسناً، دعنا نرى. من ذا الذي أدعوه إلى الفطور؟ إلتون جون؟».

«أليس هو حالياً في إفريقيا

«آه، صحيح. حسناً، ماذا بشأن كات ستيفنز؟».

«من يكون هذا؟».

«ألا تعرف؟».

«كلا».

«حسناً، أنا من اكتشفه، ستكون كات ستيفنز».

أحضر دوني كأس الشراب وراحا يثرثران هو ودي دي. بدا أن معارفهما مشتركة. لم أكن أعرف أياً منهم. يلزم الكثير لإثارة اهتمامي. ما همّيّ. لم أكن أحب نيويورك. ما كنت أحب هوليوود، لم أكن أهوى موسيقى الروك، لم أكن أحب شيئاً، لعليّ كنت خائفاً أصبتها ـ لقد كنت خائفاً كنت أود المكوث وحيداً في حجرتي مسدلاً الستائر هذه الفكرة وهبتني متعة بالغة. كنت شخصاً نزقاً، كنت ممسوساً وكانت ليديا ضاعت مني.

أنهيت شرابي وطلبتْ دي دي كأساً أخرى. تملكني شعور بأني «جيغولو»، أسرّني ذلك، وبلسم أحزاني، ليس ثمة ما هو أشنع من أن تكون مفلّساً وأن تهجرك إمرأتك. لا شراب، ولا وظيفة، لا شيء سوى جدران، وتقبع هناك محملقاً في الجدران مستغرقاً في التفكير هكذا تنتقم منك النساء، غير أن ذلك يؤلمهن ويضعفهن كذلك. أو ربما هكذا أهوى أن أخال الأمر

كان الفطور شهياً بيض مزيّن بأنواع من الفاكهة. أناناس، درّاق، إجاص. بعض البندق المجروش، والتوابل، كان طعام الفطور ممتازاً حين فرغنا من تناول الطعام طلبت لي دي دي كأساً أخرى. لم أنقطع عن التفكير بليديا، غير أن دي دي كانت لطيفة. كان حديثها قاطعاً ومسلياً استطاعت أن تضحكني وكنت بحاجة ماسة لذلك. كان ضحكي قابعاً هناك في داخلي متحيّناً الفرصة للاندلاع «هاهاهاها آه يا إلهي آه يا هاهاهاها» شعرت براحة بالغة حين خرج مني ذلك. كانت دي دي تفقه أشياء عن الحياة. كانت دي دي تعرف أن ما يصيب أحدنا، كان سبق وأصاب معظمنا لم تكن حيواتنا شديدة الاختلاف ـ على الرغم من أننا نحب أن نعتقد ذلك.

الألم أمر غريب. هرّ يقتل عصفوراً، حادث سيارة، حريق. ويصل الألم «بانغ» وههوذا يحل ويقعد عليك. إنه حقيقي وفي عين الناظر إليك تبدو سخيفاً، كما لو أنك صرت فجأة أبلهاً ثمة لا علاج له، إلا إن كنت تعرف أحداً قادراً على فهم ما تحسّه، ويعرف كيف السبيل إلى مساعدتك.

عدنا إلى السيارة «أعرف بالضبط أين يجب أن آخذك لكي أرفع من معنوياتك» بادرتني دي دي. لم أجاوبها كانت تتعهدني كما لو كنت معوّقاً ولقد كنت كذلك.

طلبتُ من دي دي أن تتوقف عند أحد الحانات. واحدة من تلك التي كانت ترتادها كان الساقي يعرفها

«هنا» قالت لي فيما دخلنا «يتردد العديد من كتّاب السيناريو وبعض جماعة مسرح الهواة»

كرهتهم جميعاً على الفور، فيما جلسوا بلا طائل مدعيّن الحذاقة والفوقية. كانوا تفاهة على تفاهة. أسوأ ما يمكن أن يحصل لكاتب هو التعرّف إلى كاتب آخر، والأبشع من ذلك هو التعرف إلى عدد من الكتّاب الآخرين. مثل ذباب فوق كومة خراء واحدة.

«فلندبّر لنا طاولة» قلت. وهكذا وجدتني هناك. كاتب بدخل يبلغ ٦٥ دولاراً في الأسبوع جالساً في غرفة واحدة مع كتّاب آخرين، كتّاب بمعاش ألف دولار أسبوعياً يا ليديا، تبادر إلى خاطري، سوف أرقى إلى هناك. سوف تندمين. يوماً ما، سوف أدخل مطاعم فاخرة وسأصبح شهيراً، سوف يحجزون لي طاولة خاصة بي في الخلف قرب المطبخ.

حصلنا على كأسينا ونظرت دي دي إليّ قائلة «إنك تلحس جيداً، إنك أفضل مصاص فروج عرفته في حياتي».

«ليديا هي من لقنتني ذلك، ثم أضفتُ بعض لمساتي الخاصة».

هبّ شاب فتيّ أسمر من مكانه وتوجه نحو طاولتنا قدمتنا دي دي واحدنا للآخر كان الفتى من نيويورك، ويكتب لمجلة «ڤيلاج فويس» وصحف نيويوركية أخرى. راح هو ودي دي لبرهة يتبادلان بعض الأسماء ثم سألها «ماذا يفعل زوجك؟».

«إني أدير عُصبة» أجبت «من الملاكمين. أربعة فتيان مكسيكيين بارعين. إضافة إلى فتى أسود، راقص حقيقي. كم يبلغ وزنك؟».

«٧٩كلغ. هل كنت أنتَ نفسك ملاكماً؟ يبدو من وجهك أنك تلقيت بعض اللكمات».

«لقد تلقيت فعلاً بعض اللكمات. في الوسع أن نضعك في فئة وزن الـ٦٧كلغ، إني بحاجة إلى ملاكم «أعسر من الوزن الخفيف».

«كيف تعرف أني عسراوي؟».

«إنك تحمل سيجارتك بيدك اليسرى. مرّ بنا على مبنى الجمنازيوم في «ماين ستريت». يوم الإثنين قبل الظهر سوف نباشر تدريباتك. ممنوع السجائر إرمِ هذه السيجارة الشرموطة من يدك!».

«إسمع يا رجل، أنا كاتب، إني أستخدم آلة كاتبة. أولم تقرأ البتة مقالاتي؟».

«كل ما أقرأه هو الصحف اليومية المحليّة ـ أخبار الجرائم، الاغتصابات، نتائج مباريات الملاكمة، عمليات الاحتيال، تحطّم الطائرات، ونصائح آن لاندرز».

«دي دي» قال «لديّ مقابلة مع رود ستيوارت بعد نصف ساعة. يتوجب أن أذهب الآن» وغادر.

طلبت دي دي دورة جديدة في الشراب. «أتعجز عن تتصرف بلطافة مع البشر؟» سألتني.

«إنه الخوف» أجبت.

«ها قد وصلنا» قالت متقدمة بسيارتها داخل مدافن هوليوود.

«جميل» قلت: «رائع، لقد كنت نسيت كلياً مسألة الموت».

جلنا في الأرجاء. معظم القبور كانت فوق مستوى الأرض، كانت أشبه ببيوت صغيرة مع أعمدة ودرجات أمامية. وكان لكل واحدة منها بوابة حديدية مقفلة. ركنت دي دي السيارة وخرجنا

حاولتْ فتح أحد الأبواب. نظرت إلى مؤخرتها وهي تهزهز فيما كانت تسعى لفتح الباب. فكرّت في نيتشه. يا لهذا الزوجي الأنموذجي فحل ألماني وفرس يهودية. وطن الأجداد سوف يكون فخوراً بي.

ركبنا في المرسيدس بنز من جديد، وأوقفت دي دي سيارتها هذه المرة أمام أحد الأقسام الأكبر. كان كل الأموات مقحمين هناك داخل الجدران. صفوف وصفوف لا تنتهي. كانت وُضعتْ أزهارٌ في زهريات صغيرة أمام البعض منها، غير أن غالبية الزهور كانت ذابلة. معظم المشكّات كانت خالية من الزهور. في بعضها كان الزوج والزوجة راقدين جنباً إلى جنب. أحياناً كنا نقع على مشكاة فارغة، بانتظار. في كل الكوّات كان الزوج هو من قضى

أمسكتْ دي دي بيدي وقادتني إلى زاوية المكان. وإذ بي أمامه، هناك في الأسفل عند القعر، رودولف فالنتينو. مات عام ١٩٢٦ لم يعش طويلاً قررت أن أعيش لأبلغ الثمانين. أتخيّل أنني في الثمانين أضاجع فتاة في الثامنة عشرة. إن كانت ثمة طريقة لخداع لعبة الموت، فهي هذه.

حملت دي دي إحدى أواني الأزهار ووضعتها في حقيبتها مجرد سلوك نموذجي. سرقة كل ما هو غير مثبّت بالأرض. كل ما هنالك كان ملك الجميع. ولجنا إلى الداخل وقالت لي دي دي «أريد أن أجلس على مقعد تايرون باور. أنه الممثل المفضل لدي، كنت مغرمة به»

ذهبنا وجلسنا على مقعد تايرون باور إلى جانب مقبرته. ثم نهضنا وتوجهنا نحو مقبرة السير دوغلاس فيربانكس. كانت مقبرته جميلة. كان أقام بركة عاكسة للضوء أمام قبره. وكانت البركة مليئة بزنابق النيلوفر وأفراخ الضفادع. ارتقينا بعض الدرجات وهناك اكتشفنا في خلفية المدفن مكاناً للجلوس، قعدنا أنا ودي دي. لاحظت صدعاً في جدار المقبرة كانت نمال حمراء تدخل وتخرج منه. تابعت أتأمل النمال الحمراء لوهلة، ثم غمرت ذراعي دي دي وقبّلتها، قبلة على الفم طويلة طويلة. سوف نصبح صديقين بكل ما للكلمة من معنى.

توجّب على دي دي أن تتوجه لإحضار إبنها من المطار. كان عائداً من إنكلترا لقضاء عطلته في المنزل. إنه في السابعة عشر من عمره، قالت لي، ووالده كان سابقاً عازفاً على البيانو في الحفلات الموسيقية. غير أنه أدمن مخدر «السبيد» والكوكايين، ولاحقاً أحرق أصابعه في حادث سيارة. ولم يعد باستطاعته العزف على البيانو كانا قد تطلقا منذ وقت غير قصير

كان إبنها يدعى ريني، وأخبرته دي دي عنّي خلال عدة مخابرات تلفونية إلى ما وراء الأطلسي. وصلنا إلى المطار فيما كان ركاب الرحلة يغادرون الطائرة. تعانق دي دي وريني. كان طويلاً ونحيلاً وشاحباً وكانت خصلة من الشعر تحجب إحدى عينيه تصافحنا.

توجهتُ لإحضار حقائب السفر، فيما كان ريني ودي دي يتحادثان. كان يدعوها «ماما». حين عدنا إلى السيارة ركب في المقعد الخلفي وسألها «ماما، هل ابتعتِ لي دراجتي الهوائية؟».

«لقد طلبتها سوف نتسلّمها غداً».

«هل هي درّاجة جيّدة يا ماما؟ أريد واحدة بعشر سرعات وفرامل يدوية وسندات للدوّاسة».

«إنها درّاجة جيدة يا ريني».

رجعنا إلى المنزل. قضيت الليلة هناك. كان ريني يمتلك غرفة خاصة به.

في صباح اليوم التالي جلسنا جميعاً في ركن الفطور ننتظر وصول الخادمة. وفي النهاية نهضت دي دي لتعد لنا طعام الفطور. سألها ريني «ماما، كيف نكسر البيضة؟».

رمقتني دي دي. عرفتُ ماذا كان يدور بخلدي. بقيت صامتاً.

«حسناً يا ريني، تعال سوف أريك».

توجّه ريني نحو فرن الطبخ. تناولت دي دي بيضة.

«كل ما ينبغي أن تفعله هو أن تكسر قشرة البيضة على حافة المِقلاة. وتفرغها داخل المقلاة. بهذه الطريقة..».

«أوه! .».

«الأمر بسيط».

«وكيف تطبخينها؟»

«نقليها. في الزبدة».

«ماما، لا أستطيع أكل هذه البيضة»

«لماذا؟».

«لأن مُخّها مفزور!».

استدارت دي دي ونظرت إليّ. كانت عيناها تقولان «هانك إيّاك أن تتفوه بحرف واحد.

بعد عدة صباحات وجدنا أنفسنا مجدداً جميعاً في ركن الفطور. كنا نأكل بينما راحت الخادمة تعمل في المطبخ. توجهت دي دي إلى ريني بالقول «صرت الآن تمتلك درّاجة، أريدك أن تجلب لنا اليوم آن تشاء ست قناني. حين أعود إلى البيت مساءً يلذّ لي أن أشرب قنينة كوكا أو إثنتين».

«لكن ماما، قناني الكوكاكولا ثقيلة الوزن، ألا تستطيعين إحضارها أنتِ؟».

«يا ريني إني أعمل طوال النهار، وأنا متعبة. أحضر أنت الكوكاكولا».

«لكن يا ماما هناك تلّة، يتوجب عليّ أن أتسلّق بالدراجة إلى أعلى التلّة».

«ليس هناك من تلّة. أي تلّة؟».

«في الواقع لا تستطيعين رؤيتها بالعين المجردّة، لكنها موجودة فعلياً. .».

«ريني عليك أن تجلب هذه القناني، فهمتْ؟».

نهض ريني، سار ودخل غرفته وصفق وراءه الباب بعنف.

أشاحت دي دي أنظارها «إنه يختبرني. يريد أن يعرف إن كنت أحبه».

«سأقوم أنا بإحضار قناني الكوكاكولا».

«لا بأس» قالت دي دي «سأجلبها أنا».

في نهاية الأمر لم يذهب لجلبها أي منا

كنا أنا ودي دي في منزلي بعد عدة أيام لإحضار بريدي وتفحّص المنزل حين رنّ جرس الهاتف. كان المتّصل ليديا

«مرحباً» بدأتْ «أنا في يوتاه».

«لقد قرأت رسالتك» أجبتُ.

«كيف هي أحوالك؟» سألتني.

«كل شيء على ما يرام».

«أن يوتاه منطقة جميلة في الصيف. ينبغي أن تأتي إلى هنا يمكن أن نخرج ونخيّم معاً شقيقاتي جميعهن هنا»

«لا أستطيع أن أترك حالياً».

«لماذا؟».

«في الواقع، أنا برفقة دي دي».

«دي دي؟»

«في الواقع، أجل.

«كنت موقنةً من أنك سوف تستخدم رقم الهاتف ذاك». قالت «ألم أقل لك أنك سوف تستعمل ذلك الرقم!».

دي دي كانت واقفة إلى جانبي. «أرجوك إسألها» قالت «أن تمهلني حتى أيلول».

«إنس أمرها» قالت ليديا «فلتذهب إلى الشيطان. وأنت تعالَ إلى هنا لعندي الآن».

«لا أستطيع أن أتخلّى عن كل شيء بمجرد أنك إتصلتِ بي. هذا بالإضافة» وتابعتُ «سأبقى مع دي دي حتى أيلول».

«أتقول أيلول؟»

«أجل».

صرخت ليديا وكانت صرخة عالية ومديدة. ثم أنهت المكالمة.

مذاك أبقتني دي دي بعيداً عن بيتي. ومرة وفيما كنا في منزلي لإحضار بريدي، لاحظتُ أن شريط التلفون مفكوك. قلت لها «لا تفعلي هذا أبداً مرة أخرى»

كانت دي دي تجول بي في نزهات طويلة على طول الشاطىء. وتأخذني في رحلات إلى الجبال. ذهبنا معاً إلى التسوّق، إلى السينما، إلى حفلات الروك، إلى الكنائس، إلى عند الأصدقاء، إلى حفلات الغداء والعشاء، إلى حفلات العروض السحرية، إلى نزهات الأكل في الهواء الطلق وإلى حفلات السيرك. وكان أصدقاؤها يلتقطون لنا الصور الفوتوغرافية معاً

كانت الرحلة إلى كاتاليتا رهيبة. انتظرتُ دي دي عند رصيف حوض السفن. كنت أعاني صداع الخمار. أحضرت لي دي دي حبة «ألكازيلتزر» وكوباً من الماء. الأمر الوحيد الذي رفع من معنوياتي كان وجود تلك الحسناء الشابة الجالسة في مواجهتنا كان جسمها بديعاً، وساقاها طويلتان رشيقتان. وتلبس تنورة قصيرة جداً «ميني جوب» تحت «الميني جوب» ارتدت جوربين مثبتين بربطتين للجوارب، وبدا سروالها التحتي تحت التنورة القصيرة

زهريّ اللون. حتى أنها كانت تنتعل اسكربينة عالية الكعب.

«أنت تلتهمها بأنظارك، أليس؟» سألتني دي دي.

«أنا عاجز عن كبح نفسي».

«إنها شرموطة».

«بالتأكيد».

نهضت العاهرة وراحت تلعب على ماكينة «الفليبرز» مهزهزة مؤخرتها ساعية إلى إدخال الكرة. ثم عادت وجلست من جديد، وهذه المرة رافعة التنورة إلى أقصى الحدود.

وصلت الطائرة المائية، فارغة، وقفنا بعدئذٍ بعيداً عند رصيف الحوض بإنتظار الركوب. كانت الطائرة المائية حمراء اللون عتيقة تمّ صنعه في ١٩٣٦، لها مروحتان، ويقودها طيار واحد وتحوي ثمانية أو عشرة مقاعد.

خطر لي أنه إن لم أتقيأ في هذه المركبة، أكون قد أفحمت العالم برمته.

الفتاة صاحبة التنورة الميني جوب لم تركب الطائرة.

كيف يحدث أن كل مرة تصادف فيها إمرأة مغرية مثلها، تكون أنت دائماً برفقة إمرأة أخرى؟

ركبنا وربطنا الأحزمة.

«أواه» هتفت دي دي «أنا مثارة للغاية! سوف أتقدم وأجلس إلى جانب الطيّار!».

«لا ضير».

وهكذا أقلعنا وكانت دي دي جالسة في المقدمة إلى جانب الطيّار. كان في استطاعتي رؤيتها تتحادث وإيّاه، كانت تحب الحياة أو إنه كانت تبدو كذلك. مؤخراً لم يعد هذا الأمر يعني لي الكثير، أقصد حماستها وردة فعلها المتفائلة تجاه الحياة، كان يثير سخطي بطريقة ما، غير أنه عموماً ما كان يحفز فيّ أي انفعال. ما يكن حتى يضجرني.

طرنا ثم هبطنا، كان هبوطنا صعباً، تأرجحنا منخفضين عابرين بعض التلال ثم وثبنا فجأة وتدفّق الرذاذ. كان الأمر أشبه بركوب زورق بخاريّ سريع. ثم تدرجنا مع سطح الماء وصولاً إلى رصيف حوض آخر وأقفلت دي دي عائدة لتخبرني عمّا يتعلق بالطائرة المائية والطيّار وحديثهما كان هناك في المقدمة ثقب كبير في أرضية الطائرة، وسألتُ الطيّار، «هل هذه الطائرة مأمونة؟» وأجابها «أكون ملعوناً إن كنت أدري».

كانت دي دي حجزت لنا غرفة في فندق ملاصق تماماً للشاطىء وفي الطبقة العليا منه. لم تحوِ الغرفة برّاداً لذا أحضرتْ حوضاً بلاستيكياً وملأتهُ بالثلج من قناني البيرة خاصتي. احتوت الغرفة تلفازاً بالأسود والأبيض وحماماً مستوى عظيم.

توجهنا في نزهة على الأقدام عند شاطىء البحر. كان السوّاح نوعين، أما صغار جداً أو كبار جداً في السن. كان العجائز منهم يتنزهون أزواجاً، رجلاً وامرأة، منتعلين صنادل، واضعين نظارات قائمة، معتمرين قبعات من القش، لابسين «شورتات» وقمصاناً جامحة الألوان. كانوا بدينين وشاحبين ملأت سيقاتهم العروق الزرق وبدت وجوههم منتفخة وبيضا تحت الشمس. كان كل ما فيهم مرتخياً، طيّات وتجعّدات من الجلد تدلّت من عظم وجناتهم وتحت خدودهم.

الشبّان كانوا نحيلين، وبدوا وكأنهم مصنوعون من المطاط الأملس. الفتيات كن مسطحات الصدور ضئيلات المؤخرات، فيما كانت وجوه الفتيان ناعمة وطرّية وكانوا يبتسمون ويتوردون خجلاً ويضحكون. غير أنهم جميعاً بدوا راضين، تلامذة الثانوية الشباب والعجائز على حد سواء. كانت إحتمالات التسلية شبه معدومة، غير أنهم كانوا يتسكعون تحت الشمس وبدوا مكتفين.

دي دي تهوى ارتياد المتاجر. كانت مولعة بالمحلّات التجارية، تبتاع خرزاً، منافض، دمى كلاب قطيفية، بطاقات بريدية، عقوداً وتماثيل صغيرة، وبدت مبتهجة بكل ما هنالك. «آه، أنظر!» هكذا كانت تخاطب أصحاب المتاجر. بدا أنها معجبة بهم، ووعدت إحدى السيدات بأنها ستبعث لها رسالة حين ستعود إلى قارتها كانتا تملكان صديقاً مشتركاً، وهو عازف آلات إيقاعية في فرقة موسيقى روك.

ابتاعت دي دي قفصاً للعصافير وببغائين متيّمين وأقفلنا عائدين إلى الفندق. فتحتُ قنينة بيرة وأشغلتُ التلفزيون. كانت الخيارات محدودة.

«تعال نخرج في نزهة أخرى» اقترحت دي دي «أن الطقس رائع في الخارج»

«سأجلس هنا وأستريح» أجبت.

«هل يسيئك أن أخرج من دونك؟»

«لا بأس لديّ»

قبّلتني وغادرتْ. أطفأت التلفاز وفتحت قنينة بيرة أخرى. ليس ثمة ما يمكن القيام به في هذه الجزيرة سوى السكر سرت متوجهاً

نحو النافذة، عند الشاطىء في الأسفل كانت دي دي جالسة إلى جانب أحد الشبّان، تتحدث إليه بابتهاج، باسمة ومومئة بيديه. بادلها الشاب الابتسامة. كان مريحاً بالنسبة إليّ أن أكون في منأى عن جلسة كهذه.

كنت سعيداً لكوني غير واقع في الغرام، وبأني كنت غير راضٍ عن العالم. أهوى أن أكون على خلاف مع كل شيء. الناس المغرمون يصبحون غالباً انفعاليين وخطرين، يفقدون حس البصيرة وحس الدعابة والمزاح يصيرون عصبيين، ذهانيين مضجرين، يمسون حتى قتلة.

غابت دي دي قرابة ثلاث أو أربع ساعات. تابعت التلفزيون لبعض الوقت وطبعت على آلتي الكاتبة المحمولة قصيدتين أو ثلاث. كانت قصائد حب. إلى ليديا أخبأتها في حقيبتي. وشربت بعض قناني البيرة.

بعدها طرقت دي دي على الباب ودخلت. «آه، لقد قضيت وقتاً رائعاً! بداية زرت مركباً زجاجي القعر يتسنى لنا رؤية كل الأسماك المتنوعة في البحر، كل ما هنالك! ثم عثرت على مركب آخر يقوم بإيصال ركّابه إلى حيث ترسو مراكبهم. لقد سمح لي ذلك الشاب بالركوب طوال ساعات مقابل دولار واحد! كان ظهره مسفوعاً بالشمس وفركته له بالغسول. كان الحرق رهيباً! نقلنا أشخاصاً إلى مراكبهم. وكان يجب أن ترى أولئك الذين كانوا في تلك المراكب! معظمهم رجال عجائز، رجال عجائز بلهاء برفقة فتيات صغيرات. كانت الفتيات الشابات تنتعلن جزمات عالية وثملات ومخدَّرات، متوترات نائمات. بعض الكهول كانوا بصحبة فتيان صغار، بيد أن معظمهم كان بمعيّة فتيات صغيرات، في بعض

الأحيان ثلاث أو أربع فتيات صغيرات. كانت تنبعث من المراكب نتانة مخدرات وكحول وفسق، كان ذلك بديعاً!».

«لا بأس بهذا. أتمنى لو أني أمتلك موهبتك في التقاء أشخاص مثيرين للاهتمام».

«يمكنك الذهاب غداً. يمكنك أن تبحر طوال النهار بدولار واحد!».

«موافق».

«هل كتبت أي شيء اليوم؟».

«قليلاً».

«هل كان جيداً؟».

«يجب أن ننتظر ١٨ يوماً لنعرف هذا».

توجهت دي دي لإلقاء نظرة على الببغائين المتيمّين، وراحت تحدثهما، لقد كانت إمرأة طيّبة. شعرت بمودة تجاهها. كانت فعلياً مهتمة لشأني، كانت تود أن أكون بحال جيدة، وأن أكتب جيداً، وأرادتني أن أضاجع بشكل جيد، وأن أبدو جيداً، كنت أحس بذلك. وكان ذلك يناسبني. ربما يقدّر لنا أن نسافر يوماً معاً إلى هاواي، اقتربت منها من الخلف وقبلت أذنها اليمنى، عند شحمة الأذن.

«آه، هانك» هتفت.

عودة إلى لوس أنجلوس بعد أن أمضينا أسبوعاً في كاتالينا، كنا جالسين في منزلي ذات مساء، ولم يكن هذا يحصل عادة. كان الوقت متقدماً في الليل، كنا متمددين فوق الفراش عاريين حين رن جرس الهاتف في الغرفة المجاورة.

كان المتصل ليديا.

«هانك؟».

«نعم؟».

«أين كنت؟».

«في كاتالينا».

«برفقتها».

«أجل».

«إسمعني، لقد جنّ جنوني بعد أن أخبرتني بشأنها، وأقمت علاقة مع مثليّ. كانت تجربة فظيعة»

«اشتقت إليكِ يا ليديا».

«أريد أن أعود إلى لوس أنجلوس».

«فكرة جيدة».

«إن عدت، هل تتخلى عنها؟».

«إنها امرأة طيّبة، لكن إذا رجعت سوف أتخلّى عنها».

«أنا راجعة، أحبك أيها العجوز»

«أنا أحبكِ أيضاً».

تابعنا نتحادث ، لا أدري كم من الوقت تحدثنا، حين انتهينا خطوت عائداً إلى غرفة النوم. بدت دي دي نائمة. «يا دي دي؟» هتفت. رفعت إحدى ذراعيها، بدت رخوة جداً، واللحم وكأنه مطاط.

«أوقفي هذا المزاح يا دي دي، أعرف أنك لست نائمة»، لم تحرّك ساكناً. أجلت بصري في أرجاء الحجرة ولاحظت أن قارورة

الحبوب المنوّمة كانت فارغة. لقد كانت مليئة البارحة. كنت جرّبت تلك الحبوب. إن واحدة منها لا غير قادرة على إغراقك في النوم، لقد كان تأثيرها قوياً، على الأصح أشبه بتعرضك لضربة قاضية ودفنك تحت التراب.

«لقد ابتلعتِ الحبوب.

«ما عدت. أكترث. إنك ستعود إليها ما عدت. أهتم.

هرعت إلى المطبخ وأحضرت دستاً، عدت ووضعته على الأرض حذاء السرير، جذبت بعدها رأس دي دي وكتفيها فوق حافته وأدخلت أصابعي في حلقها، تقيأتْ. رفعتها ليتسنى لها أن تتنفس قليلاً ثم كرّرت العملية. أعدتها مراراً وتكراراً، وتابعت دي دي تتقيأ من غير توقف. وفي لحظة ما، وفيما كنت أرفعها قفزت أسنانها فجأة من فمها، وسقطت هناك على الملاءة. أسنانها بالكامل بقسميها الأعلى والأسفل.

«آه. أسناني» هتفت أو حاولت أن تلفظ

«لا تقلقي بشأن أسنانك»

غرزت أصابعي مجدداً في جوف حلقها ثم جذبتها إلى الوراء.

«لا أري. .» تلفظت «أن ترااا أزنانيي.

«أسنانك رائعة يا دي دي. لا بأس بها في الواقع أبداً»

«آواه.

وهبها ذلك انتعاشاً كان كافياً لأن تضع مجدداً أسنانها في فمها «أرجعني إلى البيت» قالت: «أريد أن أعود إلى البيت».

«سوف ألازمك، لن أدعك وحيدة هذه الليلة».

«غير أنك ستتركني في نهاية الأمر أليس كذلك؟».

«هيّا نرتدي ثيابنا» قلت.

ڤالنتينو كان استبقى ليديا ودي دي معاً، ولهذا السبب قضى في ربيع شبابه.

* * *

ـ ٢٠ ـ

عادت ليديا وعثرت على شقة جميلة في حيّ «بور بانك». وبدا واضحاً أن اهتمامها بي فاق ما كان عليه قبل افتراقنا. «لقد كان زوجي يملك قضيباً كبيراً، وكان ذلك كل ما لديه. كان بلا شخصية، ولا إحساس. كل ما امتلك كان أيراً كبيراً، وحسب أن ذلك هو كل المطلوب. يا ربّي كم كان غبياً!! معكَ. تأتيني الأحاسيس بلا توقف مثل الذبذبات. وكأنها تغذية كهربائية إسترجاعية ولا تتوقف البتة» كنا متمددين جنباً إلى جنب على الفراش.

«لم أكن أدرك حتى أنه يمتلك قضيباً كبيراً، لأن قضيبه كان أول قضيب شاهدته في حياتي». كانت تتفحصّني بعناية. «حسبت أنها جميعها كذلك».

«ليديا . . ».

«ما الخطب؟».

«أريد أن أفصح لك بأمر ما».

«ما المسألة؟».

«يجب أن أتوجه لرؤية دي دي».

«أن تذهب إلى عند دي دي؟» لم تصدّق أذنيها.

«لا تكوني سخيفة. ثمة سبب لهذا».

«كنت قلت لي إن الأمر انتهى بينكما».

«فعلاً، مجرد الأمر إني لا أريد أن يكون خذلانها مذلاً أود أن أشرح لها ما حصل، معظم الناس يتعاطون بجفاء بالغ. لا أريد استرجاعها. كل ما هنالك سأحاول أن أفسّر لها ماذا جرى، كي تفهم الأمر..».

«إنك تريد مضاجعتها».

«لا، لا أريد أن أضاجعها بالكاد رغبت في مضاجعها حين كنت برفقتها، إني أرغب وحسب في أن أشرح لها».

«لا يعجبني هذا. يبدو لي. مريباً

«إسمحي لي بالقيام بذلك، أرجوكِ. أرغب فقط في إيضاح الأمور. سأرجع سريعاً».

«حسناً، لكن عجِّل في العودة».

ركبت في سيارتي الفولزفاكن، وانطلقت شاقاً طريقي عبر منطقة «فاونتن» قطعت بعض الكليومترات ثم انعطفت شمالاً في منطقة «برونسون»، وأقلعت مسرعاً إلى حيث الإيجارات باهظة. ركنت السيارة خارجاً ونزلت، تسلّقت الدرج الطويل وقرعت جرس الباب. أطلّت بيانكا عند الباب. أذكر ذات مساء كانت فتحت لي الباب عارية، فأمسكت بها، وكنا نتبادل القبلات حين نزلت دي دي وباغتتنا قائلة «ما الذي يجري هنا، اللعنة».

هذه المرّة لم يكن الأمر كذلك. بادرتني بيانكا بالسؤال «ما غرضك؟».

«أريد أن أقابل دي دي. أرغب في التحدث إليها»

«إنها سقيمة، مريضة فعلياً، لا أعتقد أنه يجدر بك أن تراها، بعد الذي سببته بمعاملتك السيئة لها أنت حقيقة إبن عاهرة من الدرجة الأولى».

«أريد ببساطة أن أحدّثها قليلاً، أن أشرح لها الوضع»

«حسناً، إنها في غرفتها».

عبرت الرواق وصولاً إلى غرفتها كانت دي دي مستلقية على الفراش مرتدية سروالها التحتي لا غير كانت تحجب عينيها بإحدى ذراعيها، وبدا ثدياها مثيرين. كان ثمة قنينة ويسكي فارغة قرب سريرها، ودِستاً على الأرضية. انبعثت من الدست رائحة قيء وكحول كريهة.

«دي دي.

رفعت ذراعها، «ماذا؟ هانك، هل رجعت؟».

«لا، تمهّلي، أريد وحسب أن أتحدث إليكِ.

«آه يا هانك، إني مشتاقة إليك بشكل رهيب. كدتُ تقريباً أجنْ. لقد كان عذابي مروّعاً

«أرغب من أن أهين عليكِ الأمر لهذا السبب أزورك. لعلّي شخص غبّي، بيد أني لا أؤمن بالقسوة المجانيّة.

«لا يمكنك أن تتصوّر كم عانيت.

«بلى، أعرف. أنا أيضاً مررت بهذا»

«هل ترغب في كأس؟» وأشارت إلى القنينة.

التقطتُ القنينة الفارغة وأعدتُها بحزن إلى مكانها

«ثمة كمّ هائلٌ من الجفاء في العالم» قلت لها «لو أن الناس يقبلون وحسب بالتحدث معاً لإيضاح خلافاتهم، قد يسهّل ذلك الأمور».

«إبقى معي يا هانك. لا ترجع إليها، أرجوك. لقد عشت ما يكفي لكي أعرف كيف أكون إمرأة جيّدة. أنت تعرف ذلك. سأكون صالحة لك، ومناسبة».

«إن ليديا تستحوذ عليّ. ولست قادراً على تفسير هذا».

«إنها عابثة، إنها متهوّرة، سوف تهجرك».

«لعل هذا هو بعض ما يجذبني إليها»

«أنتَ بحاجة إلى عاهرة. أنتَ تخشى الحب»

«لعلّكِ محقة»

«قبّلني. أهو كثير أن أطلب منك أن تقبّلني»

«كلّا».

تمددت إلى جانبها، تعانقنا كانت تنبعث من فم دي دي رائحة قيء كريهة. قبلتني، تبادلنا القبلات، وضمتني إليها، تملصّت منها بكل لطافة ممكنة.

«هانك» بدأتْ «إبقَ معي! لا ترجع إليها أنظر إني أملك ساقين مغريتين!»

رفعت دي دي إحدى ساقيها واستعرضتهما لي.

«ورسغاي جميلان أيضاً! أنظر!».

استعرضت لي رسغيها

كنت قاعداً إلى حافة السرير. «أنا غير قادر على البقاء معك يا دي دي..».

استقامت جالسة وراحت تسدّد لي اللكمات. كانت قبضتاها قاسيتين كالحجر. كانت تلكمني بيديها الإثنتين. قعدت هناك فيما راحت تطرق وجهي بضرباتها أصابتني فوق العين، في العين، على الجبين وعلى الخدّين، وتلقيت حتى واحدة، في حلقي، «آه، أيها القذر! قذر، قذر، أكرهك!».

أمسكت معصميها. «حسناً، يا دي دي، هذا يكفي» سقطت على ظهرها فوق السرير فيما نهضتُ وغادرتُ، عابراً الرواق وصولاً إلى خارج الباب.

حين عدت كانت ليديا جالسة على كنبة. بدا وجهها مكفهراً. «لقد غبت لوقت طويل جداً أنظرْ في عينيّ! لقد ضاجعتها، أليس كذلك؟».

«كلا، لم أفعل».

«لقد استغرقك ذلك وقتاً مديداً، أنظر، لقد خدشت لك وجهك!».

«صدقيني، لم يحصل أي شيء».

«إخلع قميصك، أريد أن أتفحص ظهرك!».

«آه، اللعنة يا ليديا».

«إخلع قميصك، وأيضاً قميصك التحتية».

«خلعتهما فدارت حول ظهري متفحصّة».

«ما هذا الخدش على ظهرك؟».

«أي خدش؟».

«ثمة خدش طويل هنا. إنه صنيعة ظفر امرأة».

«إن كان فعلاً موجوداً، يكون أنتِ من سبّبه..».

«حسناً، أعرف وسيلة للتحقق من هذا».

«كيف؟».

«تعال إلى السرير».

«موافق!».

نجحت في الامتحان، إلا أنه بعيد ذلك تساءلت، كيف يستطيع الرجل أن يمتحن إخلاص المرأة؟ بدا لي أن ثمة لا عدالة في الأمر.

* * *

- ٢١ -

كانت تصلني من غير توقف رسائل من سيدة تسكن على مبعدة ميل أو ما يقارب من بيتي. كانت توقعها بأسم نيكول. تقول إنها كانت قرأت عدداً من كتبي وأنها أعجبتها أرسلت لها رداً على إحدى رسائلها، فتلقيت منها بالمقابل دعوة إلى زيارتها ذات بعد ظهيرة من غير أن أخبر ليديا أي شيء، ركبت في الڤلوز وذهبت إليها كانت تملك شقة فوق كوّاء في جادة «سانتا مونيكا بولفار» كانت بوابتها مطلّة على الشارع ورأيت الدرج عبر الزجاج. قرعت الجرس «من هناك؟» هتف صوت نسوي عبر علبة التخاطب الصغيرة. «أنا شيناسكي» أجبت، سمعت اندلاع صوت الطنّان ودفعتُ البوابةَ ودخلتُ.

وقفت نيكول عند أعلى الدرج متفحّصة إياي في الأسفل. كان وجهها ينمّ بأنها مثقفة ويشي إلى حد ما بالمأسوية، وارتدت مبذلاً بيتياً أخضر اللون. بدا قوامها رائعاً راحت تتأملني بعينيها الكبيرتين البنيّتين القاتمتين. أحاط عينيها الكثير من التجاعيد الدقيقة، كانت ربما نتيجة الإفراط في الشرب، أو البكاء.

«هل أنتِ لوحدك؟» سألتها

«أجل» أجابت باشة «تعالَ، إصعد»

صعدت. كانت الشقة فسيحة، غرفتان وقليل جداً من المفروشات، لاحظت وجود خزانة كتب صغيرة ورفّاً يحوي

أسطوانات موسيقى كلاسيكية. جلستُ على الأريكة. جلستْ بالقربِ مني. «لقد انتهيت للتو» بادرتني «من قراءة كتاب «حياة بيكابو»»

رأيت عدة أعداد من صحيفة «نيويوركر» موضوعة على طاولة الأسكملة الصغيرة.

«هل ترغب في كوب من الشاي؟».

«سوف أخرج وأحضر شيئاً لنحتسيه».

«لا ضرورة لهذا، لدّي ما يلزم».

«ماذا؟»

«بعض النبيذ الأحمر الممتاز».

«بكل طيبة خاطر»

وقفت نيكول وتوجهت إلى المطبخ. راقبت حركتها لطالما أغوتني النساء المرتديات فساتين طويلة. كانت تتنقّل برشاقة. وبدا أنها من الصنف الراقي جداً عادت بكأسين وبقنينة النبيذ وملأتهما قدّمتْ لي سيجارة من نوع «بنسون أند هدجز» أشعلت واحدة.

«هل تقرأ الـ«نيويوركر»؟» سألتني «أنهم ينشرون بعض القصص الجيدة»

«لا أوافقك الرأي».

«ما العلّة فيها؟».

«إنها تنضح بالثقافة».

«أنا معجبة بها»

«اللعنة إذاً» قلت.

تابعنا الشرب وتدخين السجائر

«هل تعجبك شقّتي؟».

«بلى، إنها لطيفة».

«إنها تذكّرني ببعض البيوت التي كنت سكنتها في أوروبا. إني أهوى الفراغ والنور»

«هه، هل قلتِ أوروبا؟».

«أجل، اليونان، إيطاليا خصوصاً اليونان».

«وباريس؟».

«آه! بلى، أعجبتني باريس. ولكن لندن لا».

ثم أخبرتني عنها كان أهلها عاشوا طوال حياتهم في نيويورك. كان والدها شيوعياً وأمّها عملت خيّاطة في معمل مُعرِّق(*)، كانت والدتها تشغِّل الماكينة الأساسية، كانت الأبرع، الخيّاطة رقم واحد الأفضل من الجميع. نيكول المحبّبة على القلوب والصلبة، عصامية نمَّت ثقافتها بجهد شخصي. ترعرعت في نيويورك وتعرفت بالصدفة إلى طبيب شهير، تزوّجا، عاشتْ معه عشر سنوات ثم طلّقته. تتلقى حالياً أربعمائة دولار فقط شهرياً نفقة طلاق وكان من الصعب عليها تدبر أمورها كان بدل إيجار شقتها يتجاوز طاقتها الماديّة، غير أنها كانت تحبّها كثيراً ولا تقوى على تركها

«إن كتابتك» قالت لي: «فجّة. أشبه بالمطرقة الساحقة، إلا أنها تتضمن حساً بالدعابة والحنان..».

«بلى» وافقتها

(*) معمل معرِّق: مؤسسة صناعية صغيرة تستخدم العمال بأجور منخفضة وشروط غير صحيّة. (م)

وضعت كأسي ونظرت إليها أمسكت ذقنها بيدي وجذبتها نحوي. ووهبتها قبلة ضئيلة جداً

تابعت نيكول تحكي. أخبرتني عدداً من الحكايات المثيرة للاهتمام، وخطر لي أن استخدم بعضها بنفسي، إمّا كقصص قصيرة أو قصائد. رحت أنظر إلى ثدييها فيما انحنت إلى الأمام لتملأ الكأسين. خطر لي أن ما يحدث هو أشبه بفيلم سينمائي، مثل فيلم دعارة. بدا لي الأمر غريباً خالجني وكأننا كنا أمام كاميرا. أعجبني الأمر. كان أفضل من الوجود في مضمار سباق الخيل، وأفضل من حضور مباريات الملاكمة. تابعنا نشرب. فتحت نيكول قنينة جديدة، وتابعت تحكي. كان الاستماع إليها سهلاً، كان هناك شيء من الحكمة ومن الفكاهة في كل واحدة من حكاياتها لم تكن تدرك أي تأثير كانت تطبعه فيّ. وأثار ذلك قلقي إلى حد ما

خرجنا إلى الشرفة مصطحبين كأسينا ورحنا نتفرّج على ازدحام السير ما بعد الظهيرة.

كانت تحكي عن الكاتبين هاكسلي ولورنس في إيطاليا يا له من هراء. قلت لها أن كنوت هامسون كان أعظم كاتب في العالم. نظرت إليّ مندهشة لكوني قد سمعت به، ثم وافقتني. تبادلنا قبلة على الشرفة، واستطعتُ إشتمام رائحة دخان عوادم السيارات العابرة في الشارع في الأسفل. غمرني جسمها الملتحم قليلاً بي بشعور جميل. كنت أدرك أننا لم نكن سنمارس تواً الجنس. غير أني أيقنت أيضاً أني سوف أعود. وكانت نيكول تدرك أيضاً ذلك.

* * *

- ٢٢ -

آنجيلا شقيقة ليديا قدمتْ إلى المدينة من يوتاه لرؤية منزل ليديا الجديد. كانت ليديا دفعت مبلغاً كعربون لشراء منزل صغير، وكانت الأقساط الشهرية منخفضة جداً كانت شروة ممتازة. الرجل الذي باع المنزل كان مقتنعاً بأن موته وشيك وقام ببيعه بسعر زهيد جداً كان يحتوي في الطبقة العليا غرفة نوم للأطفال، إضافة إلى فناء خلفي شاسع مليء بالأشجار والأجمة ونبتات الخيزران.

كانت أنجيلا كبرى الشقيقات، والأكثر إدراكاً، وصاحبة أجمل قوام بينهن، وأيضاً الأكثر واقعية. كانت تعمل في بيع العقارات، غير أنه إعترضتا مشكلة أين يمكن أن نبيت أنجيلا لم يكن هناك متسع. واقترحت ليديا مارڤن.

«أتقولين مارڤن؟» سألتها

«أجل مارڤن» ردت ليديا

«موافق، هيّا بنا» قلت.

ركبنا جميعاً في شيء ليديا البرتقالي. «الشيء». هكذا كنّا أسمينا سيارتها كانت تبدو أشبه بدبّابة، عتيقة جداً وبشعة. كان الوقت في متأخر العشية، كان سبق وأن اتصلنا هاتفياً بمارڤن، وأعلمنا أنه سيكون موجوداً في المنزل طوال العشية.

انحدرنا باتجاه الشاطىء وعثرنا على منزله الصغير عند شاطىء البحر «آه» هتفت أنجيلا «يا له من منزل جميل».

«إنه أيضاً غنيّ» بادرتها ليديا

«ويكتب شعراً جيداً» أردفت أنا

خرجنا من «الشيء». كان مارڤن يقطن هناك في الداخل مع أحواض الماء المالح الخاصة بأسماكه ومع لوحاته. كان رساماً لا بأس به. بالنسبة لكونه فتى غنياً فقد استطاع الاستمرار ببراعة من غير تلف، لقد نجح في النفاذ. قمت بمسألة التعريف. راحت أنجيلا تجول في أرجاء المكان متفرجة على لوحات مارڤن «آه، جميل جداً» كانت أنجيلا ترسم كذلك، غير أنها لم تكن موهوبة فعلياً

كنت أحضرت معي بعض قناني البيرة، وقنينتي الويسكي الصغيرة التي أخبأتها في جيب معطفي وكنت أرشف منها بين الحين والحين. أخرج مارڤن بعض قناني البيرة الإضافية، وبدأ شيء من المغازلة اللطيفة ما بين مارڤن وأنجيلا بدا واضحاً أن مارڤن كان توّاقاً إلى حد ما، غير أن أنجيلا بدت ميّالة إلى الهزء منه. أعجبها ولكن ليس ما يكفي إلى درجة أن تضاجعه على الفور. رحنا نحتسي الشراب ونتبادل الأحاديث. كان لدى مارڤن طبلات بونغو وبيانو وكميّة صغيرة من حشيشة الكيف. كان يمتلك منزلاً خلّاباً ومريحاً في منزل من هذا الصنف يتسنى لي أن أكتب بشكل أفضل، خطر لي ذلك، ويمكن أن تصبح حظوظي بالفلاح أكبر كان في المستطاع سماع المحيط، ولم يكن هناك جيران كي يتذمروا من ضجيج الآلة الكاتبة.

تابعت أرشف من قنينتي الويسكي. بقينا هناك نحو ساعتين أو ثلاث. ثم غادرنا واتخذت ليديا من الطريق الحرة سبيلاً للعودة.

«يا ليديا» بادرتها بالقول «لقد ضاجعتِ مارڤن، أليس كذلك؟

«ما هذا الذي تتحدث عنه؟».

«تلك المرّة حين توجهت إلى هناك في وقت متأخر من الليل، لوحدكِ».

«اللعنة عليكَ. لا أريد أن أسمع هذا الكلام!».

«إذاً، هذا صحيح، لقد ضاجعتهِ بالفعل!».

«إسمعني جيداً، إن كنت ستستمر في هذا سوف لن أتحمّلَ الأمر!».

«لقد ضاجعتهِ».

بدت أنجيلا مذعورة. انحرفت ليديا بالسيارة بسرعة نحو كتف الأوتوستراد، أوقفت السيارة وفتحت الباب من ناحيتي. «أخرج!» زعقت.

خرجت. وانطلقت السيارة مغادرة. مشيت في موازاة كتف الأوتوستراد. أخرجت قنينتي الويسكي الصغيرة ورشفت منها كنت سرت هناك قرابة خمس دقائق حين توقف «الشيء» بمحاذاتي شرّعتْ لي الباب. «أدخلْ». دخلتُ.

«إياك أن تتلفظ بأي كلمة».

«لقد ضاجعَتِه. أنا متأكدٌ من هذا».

«آه، يا يسوع!».

انحرفت ليديا بالسيارة مجدداً إلى كتف الأوتوستراد وفتحت مجدداً مجدداً «أخرج من هنا!».

خرجت. رحتُ أسير بمحاذاة الكتف. ثم وصلتُ إلى منحدر بعيد عن الأوتوستراد يقود نحو شارع مقفر. انحدرت من هناك

عبوراً بالشارع. كان الظلام حالكاً رحت أحدّق في نوافذ بعض البيوت. يبدو ظاهرياً أني في منطقة للسود. أبصرت بعض الأضواء أمامي عند تقاطع للطرق. كان هناك كشك لبيع سندويشات «الهوت دوغ». توجهت إليه. وقف رجل أسود خلف المنضدة. لم يكن هناك أحد غيري في المكان. طلبت قهوة. «اللعنة على النساء» بادرته قائلاً: «أنهن جميعاً مجنونات، لقد قامت فتاتي برميي على قارعة الأوتوستراد. هل ترغب في رشفة من الويسكي؟»

«بالتأكيد» قال.

ابتلع جرعة كبيرة وأعادها إليّ.

«هل لديك هاتف؟» سألته «سوف أدفع لك بالمقابل».

«هل في مكالمة محلّية؟».

«أجل».

«إنها مجّانية».

أخرج جهاز التلفون من تحت المنضدة وناولني إياه. احتسيت جرعة وناولته القنينة. ازدردَ جرعة.

اتصلت بشركة سيارات الأجرة الصفراء «يلو كاب كومباني» وحددت لهم الموقع. نَمَتْ سيماء وجه صديقي عن لطف وحذاقة. إن الطيبة يمكن أن نجدها أحياناً في وسط الجحيم. جعلنا نمرر القنينة ذهاباً وإياباً فيما انتظرتُ سيارة الأجرة. حين وصَلتْ ركبت على المقعد الخلفي وأعطيت لسوّاقها عنوان نيكول.

* * *

- ٢٣ -

بعد ذلك فقدت رشدي كلياً أظنني استهلكت من الويسكي أكثر مما حسبت. لا أتذكر وصولي إلى عند نيكول. حين استفقت في الصباح كان ظهري يلامس أحداً ما في سرير غريب، نظرت إلى الحائط في مواجهتي فألفيت حرفاً كبيراً مزخرفاً معلقاً هناك. حرف النون الـ«ن» يعود إلى «نيكول» أحسستني عليلاً دخلت إلى الحمّام. استخدمت فرشاة أسنان نيكول، وتقيأت. غسلتُ وجهي، وسرّحتُ شعري، تغوطت وبوّلت، غسلت يدّي وشربت كمية كبيرة من المياه مباشرة من صنبور الحمّام، عدت بعدها إلى السرير نهضت نيكول، تبرّجت وعادت لتتمدد قبالتي، رحنا نتبادل القبلات ويلاطف واحدنا الآخر

أنا بريء على طريقتي يا ليديا، خطر لي هذا أنا وفيّ لك حسب طريقتي الخاصة.

لا جنس فمويّ، لقد كانت معدتي شديدة الاعتلال. وطأت زوجة الطبيب الشهير السابقة. الكثيرة الأسفار المثقفة. كان لديها في مكتبتها الصغيرة مؤلفات الأخوات برونتي كان كلانا معجباً برواية «إن القلب صياد متوحد» لكارسون ماك كولرز. وهبتها ثلاث أو أربع ضغطات استثنائية قاسية فتأوهت. ها هي قد تعرّفت أخيراً مباشرة إلى كاتب بلحمه وشحمه. ليس كاتباً شهيراً جداً بالطبع، غير أني أتدبّر دوماً دفع إيجار بيتي وكان هذا أمراً مدهشاً، في يوم من

الأيام ستجد نفسها في أحد كتبي. كنت أمتطي «عاهرة أدبية». أحسستني أوشك على بلوغ النشوة. غرزت لساني داخل فمها، قبّلتها وانتشيت. انقلبتُ عنها وأحسستني أحمق. ضممتها بين ذراعيّ لوهلة، ثم توجهتْ بعدئذٍ إلى الحمّام. لعلّه كان في وسعها أن تضاجع بشكل أفضل في اليونان، ربما أميركا هي فعلياً مكان خرائي للمضاجعة.

في ما بعد كنت أقوم بزيارة نيكول مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً، في فترة ما بعد الظهيرة، فنحتسي النبيذ ونتحادث ونمارس الحب بين الحين والحين. اكتشفت أنها لا تعنيني بشكل خاص، كان الأمر مجرد تمضية للوقت. تصالحنا أنا وليديا في اليوم التالي. كانت تستجوبني كل يوم لمعرفة إلى أين ذهبت ما بعد الظهيرة. «لقد كنت في السوبرماركت» كنت أردد لها، وكان هذا صحيحاً، كنت أتوجه أولاً إلى السوبرماركت.

«لم أعهدك تمضي وقتاً طويلاً كهذا في السوبرماركت».

ثملت ذات ليلة وذكرت بشكل عابر أمام ليديا إني أعرف واحدة تدعى نيكول. أعطيتها عنوانها موضحاً بأن «لا شيء مهماً يجري بيننا». السبب الذي دفعني إلى اطلاعها على هذا لم يكن واضحاً لديّ، لكن المرء حين يشرب يمسي تفكيره أحياناً مشوشاً

ذات ما بعد ظهيرة، كنت قادماً من محل بيع المشروبات الروحية ووصلت تماماً أمام شقة نيكول كنت أحمل دزينة من قناني البيرة وقنينة ويسكي، كنت وليديا قد تشاجرنا حديثاً مرة أخرى. وقررت أن أقضي الليلة برفقة نيكول. كنت أسير آنذاك في الشارع سكران بعض الشيء، حين سمعت أحدهم يركض مسرعاً ورائي. استدرت متطلعاً، كانت ليديا. «ها» صاحت «ها».

انتزعت من بين يديّ كيس المشروبات الروحية وبدأت تخرج منه قناني البيرة. راحت تسحقها الواحدة تلو الأخرى على الرصيف. كانت تنفجر مدوّية بقوة. جادة «سانتا مونيكا بولڤار» كانت مزدحمة جداً كانت حركة سير ما بعد الظهيرة قد بدأت بالاكتظاظ. رحى هذه المعركة كانت تدور بالضبط أمام باب مدخل منزل نيكول. ثم تناولت ليديا قنينة الويسكي. رفعتها عالياً وزعقت متوجهة إليّ، «ها! كنت ستشرب هذه وكنت سوف «تنيكها» بعدئذٍ!» وحطمّت القنينة على الاسفلت.

كانت بوابة منزل نيكول مفتوحة، فاندفعت ليديا متسلقة الدرج مثل قرد. كانت نيكول واقفة عند أعلى الدرجات. وراحت ليديا تطرق نيكول بجزدانها الضخم. كانت حمّالاته طويلة، فجعلت تؤرجحه موجّهة إليها أعنف ما أوتيت من ضربات. «إنه رَجُلي أنا! إنه رَجُلي أنا! إياكِ أن تقربي رَجُلي!»

بعدئذٍ هبطت ليديا الدرج راكضة مارّة بي، عبرت باب المدخل وأدركت الشارع.

«يا إلهي» قالت نيكول «من كانت هذه؟»

«هذه كانت ليديا، أعطني مكنسة وكيساً ورقياً كبيراً»

نزلت إلى الشارع وبدأت أكنس حطام الزجاج وأضعه في الكيس الورقي البنيّ، لقد تجاوزت بعيداً الحدود تلك العاهرة هذه المرّة، رددت لنفسي. سوف أذهب وأبتاع مجدداً بعض الكحول. سوف أمضي الليلة هذه عند نيكول، وربما ليلتين.

كنت منحنياً ألمُّ قطع الزجاج حين سمعت ضجّة غريبة خلفي. التفت متطلّعاً، فأبصرت ليديا داخل «الشيء». كانت تسلّقت به

الرصيف وتنقضّ مباشرة نحوي بسرعة تقارب الخمسين كلم في الساعة. قفزت متنحياً جانباً فيما عبرت السيارة تماماً بمحاذاتي وأخطأتني بسنتمترات قليلة. اندفعتْ السيارةُ نزولاً حتى آخر البناية، ووثبتْ فوق حاجز الطريق الحجري لتخبط فوق الطريق. تابعتْ بعدها صعوداً في الشارع، ثم انعطفتْ يميناً عند ملتقى الشارعين التالي، وتوارت.

عدت مجدداً إلى تكنيس حطام الزجاج، كنسته كله ورميته في برميل القذارة. ثم مددت يدي داخل كيس الورق الأساسي وعثرت على قنينة بيرة واحدة سليمة. بدت بأحسن حال. وكنت في الواقع بأمسّ الحاجة إليها كنت على وشك فتح الغطاء لحظة اختطفها أحدهم من يدي. كانت ليديا من جديد. راحت تركض صعوداً باتجاه بوّابة نيكول حاملة القنينة وقذفتها نحو الزجاج. هائلة كانت السرعة التي رشقتها بها، إلى درجة أنها مرّتْ مستقيمة عبر الزجاج مثل رصاصة بدينة، من غير أن تحطّم النافذة الزجاجية بأكملها، مخلفة وحسب ثقباً دائرياً فيها

لاذت ليديا بالفرار ورحت أنا أتسلّق الدرجات. كانت نيكول لم تزل منتصبة هناك ولم تتحرك من مكانها «حباً بالله يا شيناسكي، إرحل معها قبل أن تقتل الجميع!».

استدرت وأقفلت عائداً هابطاً الدرجات. كانت ليديا جالسة في سيارتها المركونة عند حافة الطريق، وكان المحرك دائراً فتحت الباب ودخلت. انطلقتْ بالسيارة. لم يتلفظْ أيٌّ منا بكلمة واحدة.

- ٢٤ -

بدأت تفدني رسائل من فتاة تسكن في نيويورك. كانت تدعى ميندي. كانت وقعت مصادفة على كتاب أو كتابين لي، لكن أكثر ما لفتني في رسائلها كان أنها نادراً ما تأتي على ذكر الكتابة، إلا لتقول إنها لم تكن كاتبة، كانت تكتب عن عموم الأمور وعن الرجال وعن الجنس بشكل خاص. كانت ميندي في الخامسة والعشرين من عمرها تكتب باسترسال، كان خطّها متوازناً، منطقياً، إنما ظريفاً كنت أجيب على رسائلها وأسرّ دوماً حين أجد رسالة منها في صندوق بريدي. معظم الناس يجيدون التعبير عن أنفسهم في الرسائل أفضل مما يفعلون في التحادث. ولدى بعض الناس القدرة على كتابة رسائل فنيّة خلّاقة، ولكني حين يحاولون كتابة قصيدة أو قصة قصيرة، أو رواية تجدهم يصيرون مدّعين طنّانين.

بعدئذٍ أرسلت لي ميندي بعض الصور الفوتوغرافية. إن هي الصور أمينة مطابقة للأصل، فلقد كانت فعلياً جميلة. تابعنا نتراسل طوال عدة أسابيع أخرى، ثم أعلمتني بأنها ستُمنحُ قريباً عطلة لمدة أسبوعين.

لِمَ لا تطيرين إلى هنا؟ اقترحت.

موافقة، أجابت.

بدأنا نتبادل الاتصالات الهاتفية. في الختام أعلمتني بموعد وصولها إلى مطار لوس أنجلوس الدولي.

سأكون بانتظارك هناك، قلت لها، ولن يمنعني أي شيء.

- ٢٥ -

حفظت في بالي الموعد، لم يكن هناك أبداً أي صعوبة في افتعال إنفصال عن ليديا كنت بطبيعتي متوحداً، يغبطني مجرد العيش مع امرأة، الأكل معها والنوم بمعيّتها، والسير معها في الشارع. ما كنت أرغب بأي حوارات معها، أو الذهاب إلى مطلق مكان باستثناء مضمار سباق الخيل، ومباريات الملاكمة. لم أكن أفهم التلفزيون، وأعتبر أنه من السخف أن أدفع دراهمي من أجل الدخول إلى صالة سينما والجلوس مع آخرين ومشاركتهم انفعالاتهم المتصنّعة. الحفلات كانت تسقمني، وأكره الرياء والحقارة والمغازلة والسكيرين الهواة، والمضجرين. غير أن الحفلات والرقص والثرثرات، كانت تبعث الطاقة في ليديا فهي تعتبر نفسها قنبلة جنسية غير أن لعبتها كانت إلى حد ما فاقعة أكثر من اللزوم. لذا كانت شجاراتها غالباً ما تنشأ من رغبتي في لا ـ أحد ـ على ـ الإطلاق، مقابل رغبتها في أكبر ـ عدد ـ من ـ الأشخاص ـ وفي ـ أغلب ـ الأحيان.

قبل وصول ميندي بيومين أشعلت فتيل الشجار الأول. كنا متمددين جنباً إلى جنب على السرير

«يا ليديا، كرمى لليسوع، لماذا أنت غبيّة إلى هذا الحد؟ ألم تلاحظي بعد إني شخص إنعزالي؟ متوحّد؟ يتوجب أن أكون هكذا كي أستطيع أن أكتب»

«كيف يمكنك أن تكتشف شيئاً عن الناس إن كنت ترفض أن تلتقيهم».

«أني أعرف منذ زمن بعيد كل شيء عنهم».

«حتى حين نخرج لتناول الطعام في مطعم، أنك تظل مطرقاً، لا تنظر إلى أحد».

«هل تريدين أن أتسبب لنفسي بالغثيان؟».

«أنا أراقب الناس» قالت «أتأملهم».

«يا للهراء!».

«أنت تخشى الناس!».

«إني أكرههم».

«كيف يمكن أن تصبح كاتباً، إن كنت لا تراقب!».

«حسناً، أنا لا أنظر إلى الناس، غير أن كتابتي تؤمن لي إيجار بيتي. وهذا أفضل من رعي الغنم».

«سوف لن تستمر طويلاً سوف لن تفلح أبداً في الوصول إلى الشهرة. أن مقاربتك للأمر برمته مغلوطة».

«لهذا السبب تحديداً سوف أنجح».

«تنجح؟» من ذا بحق الجحيم سمع بك؟ هل أنت شهير مثل مايلر؟ مثل كابوتي؟».

«أنهما لا يجيدان الكتابة».

«إنما «أنت» تجيد ذلك! أنت وحدك شيناسكي هو من يجيد الكتابة!».

«أجل، تماماً، هذه هي قناعتي الذاتية».

«هل أنت شهير؟» إن توجهتَ إلى مدينة نيويورك، هل سيعرفك أحد ما؟».

«إسمعي، أنا لا آبه البتة لهذه المسألة. كل ما أريده هو الاستمرار في الكتابة. لست بحاجة إلى طبل وزمر».

«أعتقد أنك ستسرّ بأي طبل وزمر يمكن أن تصيبه».

«ربما».

«إنك تهوى التظاهر وكأنك صرت شهيراً».

«لطالما تصرّفتُ بهذه الطريقة بالذات، حتى قبل أن أبدأ بالكتابة».

«أنت «الشهير المجهول» الأعظم بين كل من عرفتهم من الرجال».

«مجرد الأمر إني غير طموح».

«على العكس أنت طموح ولكنك كسول. تريد كل شيء من غير مقابل. بأية حال، متى تكتب؟ في أي وقت تقوم بذلك؟ إنك طوال الوقت إما في الفراش أو سكران أو في مضمار سباق الخيل».

«لا أدري. ليس الأمر بذي أهمية».

«ما هو المهم إذاً؟».

«قولي لي أنتِ» أجبت.

«حسناً سأقول لك ما هو المهم!» زعقت ليديا «لم نذهب إلى حفلة منذ دهر لم ألتق أناساً منذ دهر! إني «أحب» الناس! شقيقاتي «تعشقن» الحفلات، مستعدات للقيادة مسافة آلاف الكيلومترات من أجل المشاركة في حفلة! هكذا تربينا في يوتاه! ثمة لا ضرر في هوى الحفلات. أناس يطلقون عنان عواطفهم ومكبوتاتهم ويقضون وقتاً ممتعاً، هذا كل ما في الأمر! ثمة في رأسك فكرة مخبولة، في

اعتقادك أن الاستمتاع بالوقت يفضي إلى المضاجعة! يا يسوع، لا، أن الناس محتشمون! إنك غير مؤهل للاستمتاع ببعض الوقت!».

«لا أحب الناس» قلت.

قفزت ليديا إلى خارج السرير «يا يسوع. إنك تثير اشمئزازي!».

«حسناً إذا سأفسح لك بعض المجال».

أرجحت رجليّ خارج السرير وشرعت انتعل حذائي.

«بعض المجال؟» سألتني ليديا «ما الذي تقصده بقولك «بعض المجال؟».

«ما أعنيه هو أني سأغادر هذا المكان اللعين!».

«موافقة. لكن إسمعني جيداً، إن خطوت خارجاً الآن، فسوف لن تراني أبداً مرة أخرى».

«ممتاز» قلت.

وقفتُ، سرت نحو الباب، فتحته، أغلقته ونزلتُ باتجاه الفولز ڤاكن. أدرت المحرّك وانطلقت مغادراً ها قد أفسحت بعض المجال لميندي.

* * *

- ٢٦ -

جلستُ داخل المطار وانتظرتُ. لا يمكنك أن تكون واثقاً حين يتعلّق الأمر بالصور الفوتوغرافية. لا يقين فيها كنت متواتراً، أحسستني راغباً بالتقيؤ أشعلت سيجارة وأصبتُ بالغثيان. ما الذي يدفعني للقيام بهذه الأمور؟ لم أعد راغباً في رؤيتها وميندي كانت تطير عابرة كل المسافة من نيويورك سيتي. إني أعرف الكثير من النساء. لِمَ أرغب دوماً في المزيد؟ ما الذي كنت أحاول أن أفعله؟ مثيرة العلاقات الجديدة، بيد أنها كانت أيضاً عبارة عن عمل مضنٍ. القبلة الأولى، المضاجعة الأولى تحتوي على شيء من النزاع الدراميّ. يكون الأشخاص مثيرين للاهتمام في البداية. لاحقاً، ببطء ولكن بالتأكيد ستنجلي وحدها كل العيوب والجنون. سوف يتقلص اعتمادهم عليّ شيئاً فشيئاً وسوف تتضاءل مبالاتي بهم أكثر فأكثر

كنت كهلاً وكنت قبيحاً، ولعلّه لهذا كنت أشعر بمتعة بالغة في إيلاجه في الفتيات الشابات. كنت أنا «كينغ كونغ» وكن هنّ لدنات وطرّيات. أو هل كنت أحاول عبر المضاجعة شقّ سبيلي إلى ما بعد الموت؟ عبر معاشرتي الفتيات الصغيرات، هل كنت آمل أن لا أتقدم في العمر، وأن لا أشعر بالعجز؟ باختصار لم أكن أرغب في أن أشيخ بشكل مخزٍ، وددت أن أغادر اللعبة ببساطة، أن أموت قبل أن يدركني الموت بنفسه.

حطتْ طائرة ميندي وتدرّجتْ نحو مبنى المطار. أحسست أني بخطر النساء تعرفنني مسبقاً لأنهن كن قد قرأن كتبي. كنت قد كشفت نفسي. وفي المقابل لم أكن أعرف عنهن أي شيء. كنت مقامراً حقيقياً كان يحتمل أن أتعرض للقتل، أو أن تقطع خصيتيّ. شيناسكي بلا خصيتين. «قصائد المخصيّ الغرامية».

وقفت منتظراً ميندي. خرج المسافرون من البوابة الخارجية.

«آه، أرجو أن لا تكون «هذه»».

أو هذه.

أو خاصة هذه بالذات.

آه، تلك ستكون مناسبة! يا لهاتين الساقين الرائعتين، وتلك المؤخرة، وهاتين العينين.

تقدمت واحدة منهن. تمنيت أن تكون هي. كانت الأجمل بين مجموعة الطراز الأول برمتها لا يعقل أن أكون محظوظاً إلى هذا القدر. اقتربت منّي وابتسمت لي «أنا ميندي».

«يسعدني أن تكوني ميندي»

«يسعدني أن تكون شيناسكي».

«هل عليكِ انتظار حقائبك؟».

«أجل، لقد جلبت ما يكفيني لإقامة طويلة!»

«تعالي ننتظر في المشرَب».

دخلنا وتدبرنا طاولة. طلبت ميندي كأساً من الڤودكا مع شراب «التونيك». طلبت بدوري كأس ڤودكا مع سڤن أب. أوه! كنا متناغمين تقريباً أشعلتُ لها سيجارتها بدت فاتنة. بريئة تقريباً لم

أستطع أن أصدق عينيّ. كانت صغيرة القامة، شقراء ومتناسقة بشكل متكامل. كانت طبيعية أكثر مما هي متصنّعة. لم أجد أية صعوبة في النظر إلى عينيها الزرقاوين على اخضرار. كانت تضع في أذنيها قرطين صغيرين جداً وتنتعل كعبين عاليين. كنت أخبرت ميندي أن الكعاب العالية تهيّجني.

«حقاً» قالت «هل أنت خائف؟».

«ليس كثيراً الآن. إني معجب بك».

«إنك أفضل بكثير مما تبدو في صورك الفوتوغرافية». قالت: «أنا لا أجدك قبيحاً على الإطلاق».

«شكراً».

«آه. لا أقصد القول أنك وسيم، ليس حسب المفهوم الشعبي للجمال. إن وجهك يبدو وجه رجل طيب. ولكن عينيك ـ إنهما فعلاً جميلتان. إنهما وحشيتان، مجنونتان، مثل عيني حيوان يحدّق كامناً في غابة مشتعلة. يا إلهي، شيء من هذا القبيل. لست بارعة في ابتكار العبارات».

«أجدك رائعة الجمال» قلتُ «ولطيفة جداً أشعر بالأمان بقربك، أعتقده أمراً مناسباً أن نكون معاً إنهي كأسك إننا بحاجة إلى كأسين آخرين. أنت تشبهين تماماً رسائلك».

احتسينا الكأسين الثانيتين. وتوجهنا لإحضار الحقائب. كنت فخوراً بكوني برفقة ميندي. كانت تسير بلباقة. الكثير من النساء اللواتي يملكن أجساداً جميلة كن يمشين مترهلات مثل كائنات محمّلة فوق طاقتها كانت ميندي تسيل كالمياه.

كنت أفكر باستمرار بأن ما يحصل لي أجمل من أن يكون حقيقياً إنه بكل بساطة غير معقول.

حين وصلنا إلى منزلي استحمّت ميندي وبدّلت ملابسها وأطلّتْ في فستان أزرق خفيف. كانت غيّرت أيضاً تسريحة شعرها قليلاً جلسنا معاً على الأريكة ممسكين كأسي الفودكا، والفودكا ميكس. «في الحقيقة» بادرتها بالقول «ما زلت خائفاً يتوجب أن أثمل بعض الشيء».

«إن شقتك تطابق تماماً ما توقّعت أن تكون عليه». قالت.

كانت تنظر إليّ مبتسمة. مددت يدي ووضعتها وراء عنقها، جذبتها نحوي، ووهبتها قبلة ناعمة.

رن جرس الهاتف. كانت ليديا

«ماذا تفعل؟».

«أنا برفقة صديق».

«إنها امرأة، أليس كذلك؟».

«يا ليديا، إن علاقتنا قد انتهت» بادرتها «أنت تعرفين ذلك».

«إنها امرأة، أليس كذلك» زعقت سائلة.

«أجل».

«حسناً، ممتاز».

«ممتاز. وداعاً».

«وداعاً» قالت.

هدأت نبرة ليديا فجأة. شعرتُ بتحسن. إن عنفها كان يرعبني كانت تزعم باستمرار بأني كنت أنا الغيور، ولقد كنت غالباً غيوراً، بيد أني كنت بكل بساطة أشمئز وأنسحب حين أراها الأمور تتفاقم

وتنقلب ضدّي. ليديا مختلفة عني كان لديها ردة فعل. أنها بطلة المهلّلات في لعبة العنف.

من خلال نبرة صوتها اتضح لي أنها سلّمت بالأمر. لم تكن ساخطة. حزرتُ من صوتها

«كانت هذه صديقتي السابقة».

«هل انتهى كل شيء؟».

«أجل»

«هل ما زالت مغرمة بك؟».

«أظن ذلك، نعم».

«إذا لم ينتهِ الأمر».

«لقد انتهى»

«لست أدري إن كان ينبغي أن أبقى هنا؟»

«بلى، أرجوكِ إبقي».

«أخشى أنك تنوي وحسب استغلالي. هل هذا صحيح؟ لقد قرأت كل قصائد الحب تلك. إلى ليديا».

«لقد «كنت» مغرماً، ولست أستغلّكِ على الإطلاق».

غمرتني ميندي بجسدها وقبّلتني. كانت قبلة مديدة. انتصب عضوي. كنت قد تجرّعت حديثاً كميّة لا بأس بها من الفيتامين E. كانت لي معتقداتي الجنسية الخاصة بي. كنت مهتاجاً دوام الوقت وأستمني باستمرار. كنت بعد ممارسة الحب مع ليديا وأعود بعدها إلى بيتي أستمني عند الصباح. مجرد التفكير بأن الجنس عبارة عن

أمر محرّم كانت تهيّجني بشكل مجنون. كان الأمر أشبه بحيوان يخضع حيواناً آخر بهماجمته بمدية.

حين أقذف كنت أشعر كما لو أن ذلك كان تحدياً لكل ما يجسّد الاحتشام، ويقطر المنيّ الأبيض فوق جمجمتي وروحي والديّ الميتين. لو أني ولدت امرأة لكنت صرت بالتأكيد مومساً وأكثرهن انحطاطاً كن المفضلات. ولكن النسوة، النساء المحترمات، كن يرعبنني لأنهن في نهاية الأمر يردن الحصول على روحك، وما كان تبقى من روحي كنت متمسكاً به. كنت بشكل أساسي أرغب بشدة المومسات، النسوة الفاجرات، لأنهن كن مهلكات وقاسيات، وما كن يطالبن بأي متطلبات شخصيّة. لم تكن تخسر شيئاً إطلاقاً حين يغادرن. إلا أني في الوقت نفسه كنت أتوق إلى امرأة لطيفة عذبة على الرغم من الثمن القاهر الذي كان يتوجب عليّ دفعه. كنت ضائعاً في كلا الحالين. الرجل القويّ كان ليتخلى عن النوعين. لم أكن قوياً لذا تابعت أتنازع بجهد مع النساء، مع «فكرة» النساء.

أنهينا أنا وميندي القنينة وتوجهنا بعدئذٍ إلى السرير. قبّلتها لبعض الوقت، ثم اعتذرت وانسحبت. كنت أشد ثمالة من أن أستطيع الأداء بفعالية. يا لي من عاشق جبّار! وعدتها بالعديد من التجارب العظيمة في المستقبل القريب. ثم غرقت في النوم فيما التصق جسمها بجسمي.

في الصباح استفقت عليلاً وتأملت ميندي عارية إلى جانبي. حتى في تلك اللحظة بعد كل سكر الليلة الفائتة، ألفيتها معجزة حقيقية. ما التقيت أبداً طوال حياتي فتاتاً بهذا القدر من الجمال، وهي في الوقت نفسه لطيفة جداً وذكيّة. أين هم الرجال عشّاقها؟ أين أخفقوا؟

دخلت الحمّام وحاولت أن أغتسل، سبّب لي معجون الأسنان «لافوريس» الغثيان. حلقت ذقني ومرغته بعدئذٍ بغسول ما بعد الحلاقة. بللت شعري ومشطته. توجهت إلى البرّاد، تناولت قنينة سڤن أب وشربتها بأكملها

عدت إلى السرير كانت ميندي دافئة، وكان جسدها حاراً بدت مستغرقة في النوم. أعجبني ذلك. رحت أمرغ شفتيّ بشفتيها بنعومة. انتصب عضوي. شعرت بثدييها ملتصقين بي. تناولت في فمي واحداً منها وجعلت أمصّه. أحسستها الحلمة تتصلّب وتحركت ميندي قليلاً مهتاجة. مددت يدي نزولاً ورحت أتحسس بطنها وتابعت نحو فرجها وبدأت أفرك لها فَرجها ببطء.

أحسستني وكأني أفتح برعم وردة. كان هذا حقيقياً، كان هذا رائعاً، أشبه بحشرتين في حديقة تقتربان الواحدة من الأخرى على مهل. يجترح الذكر سحره البطيء، وتتفتح الأنثى برويّة. هذا جميل. هذا جميل. بقّتان، تتفتّح ميندي، أنها تترطب. تبدو جميلة. وبدأت ألجها وزلقته فيها ملصقاً فمي بفمها

* * *

- ٢٧ -

شربنا طوال النهار، وتلك الليلة حاولت مجدداً أن أمارس الجنس مع ميندي. غير أني صعقت وارتعبت إذ اكتشفت أن لها فرجاً كبيراً فَرجٌ من المقياس الكبير جداً «إكسترا لارج» لم أكن لاحظت ذلك في الليلة المنصرمة. كان ذلك مأسوياً واعتبره بمثابة خطيئة مميتة في المرأة. جعلت أكافح وأكافح واطئاً إياها وكانت ميندي مستلقية هناك من دون حراك، كما لو أنها كانت تستمتع بذلك. وتمنيّت من السماء أن تكون مستمتعة. بدأ جسمي يتعرّق وآلمني ظهري. أحسستني زائغاً، مريضاً بدا لي وكأن فَرجّها يكبر أكثر فأكثر لم يكن بمقدوري الإحساس بأي شيء. شعرت وكأني أحاول نيك كيس ورقي كبير وفضفاض. كنت بالكاد أحس بجانبي فرجها الداخليين. كان الأمر مكرباً، كان عملاً مضنياً من دون مكافأة. أحسستني ملعوناً لم أود جرح مشاعرها ورغبت يائساً أن أبلغ الذروة بأي ثمن لم يكن ذلك بفعل الثمالة وحسب. إذ أحسست بنبضات قلبي. أحسسته ملىء صدري. أحسسته في حلقي. أحسسته في رأسي. لم يكن باستطاعتي تحمّل ذلك. فانقلبت عنها إلى الجنب لاهثاً

«متأسف، يا ميندي، يا يسوع، أنا متأسف».

«لا بأس يا هانك» قالت.

انقلبت على بطني. انبعثت رائحة عرقي كريهة. نهضت وسكبت

كأسين من الشراب. جلسنا في السرير واحتسينا الكأسين جنباً إلى جنب. عجزت عن إدراك كيف استطعت أن أبلغ النشوة في المرة الأولى. كنا نواجه مشكلة، كل ذلك الجمال، كل تلك اللطافة، كل تلك الطيبة، وكنا رغم ذلك نواجه مشكلة. كنت عاجزاً عن الإفصاح لميندي بالحقيقة. كيف لي أن أقول لها بأن لها فرجاً كبيراً ربما لم يفصح لها أحد بذلك البتة من قبل.

«سيكون الأمر أفضل حين أكون محتسياً قدراً أقل من الكحول» قلت لها

«أرجوك لا تقلق لهذا يا هانك».

«حسناً».

غفونا أو أننا تظاهرنا بالنوم. وفي النهاية غفوت.

* * *

- ٢٨ -

مكثت ميندي قرابة الأسبوع. عرّفتها إلى أصدقائي. وخرجنا معاً إلى عدة أمكنة. بيد أن مشكلتنا لم تحلّ. استحال عليّ بلوغ النشوة وأنا أضاجعها ولم يبد أنها كانت تأبه البتة للأمر عجيب.

حوالي الساعة الحادية عشرة إلا ربع ذات عشية، كانت ميندي تحتسي كأسها خارج الغرفة متصفحّة مجلّة. كنت أنا مستلقياً على السرير مرتدياً وحسب سروالي التحتيّ القصير، ثملاً، أدخن وكأس الشراب إلى جانبي على الكرسي. كنت أحدّق في السقف الأزرق، مغفلاً وساهماً في اللاشيء.

سمعت طرقاً على باب المنزل.

سألتني ميندي «هل تريدني أن أفتح الباب؟».

«بالتأكيد» أجبت «هلميّ إلى هناك».

سمعت ميندي تفتح الباب. وسمعت بعدئذٍ صوت ليديا

«لقد أتيت فقط للتعرف إلى منافستي»

أوه، خامرني أنها لفكرة لطيفة. سوف أنهض وأعد لهما كأسين من الشراب. سوف نشرب كلنا معاً ونتحادث. أنا حريص على فكرة أن تتفهم نسائي إحداهن الأخرى.

في هذه اللحظة بالذات سمعت ليديا تقول «يا لك من زغتورة لطيفة، أوليس؟».

وفجأة سمعت صراخ ميندي. وصرخت ليديا أيضاً، ورحت أسمع بعدها صخب عراك وغمغمة وتطاير أجساد. انقلب الأثاث رأساً على عقب. صرخت ميندي مجدداً ـ كانت صرخة واحدة تعرضتْ للأذية. صرخت ليديا بدورها، كان صرخة نمرة تجهز على ضحيّتها قفزتُ من السرير واقفاً سأقوم بفصلهما الواحدة عن الأخرى. هرعتُ إلى الحجرة الأمامية بكلسوني القصير، كان المشهد جنوناً مطبقاً، كانتا تتماسكان بالشعر، تتبادلان السباب وتتخامشان بالأظافر ركضت نحوهما لأفصل ما بينهما، فتعثرت بحذائي المرميّ فوق السجادّة وسقطتُ سقوطاً مريعاً، لاذت ميندي بالفرار راكضة إلى الخارج عبر الباب واندفعت ليديا مباشرة في أعقابها ركضتا فوق الرصيف باتجاه الشارع، وسمعت صرخة أخرى.

مضت عدة دقائق، نهضتُ وأغلقتُ الباب. كان واضحاً أن ميندي استطاعت أن تلوذ بالفرار، إذ أن ليديا دخلت فجأة المنزل. قعدتْ على كرسيّ قرب باب المدخل ونظرتْ إليّ.

«أنا آسفة، لقد بلتُ في بنطالي».

كان ذلك صحيحاً، إذ رأيت بقعة غامقة اللون عند منفَرَج رجليها، وبدت إحدى ساقي بنطالها منتقعة بالبلل.

«لا بأس، كل شيء على ما يرام».

سكبت لليديا كأساً من الشراب، وقبعتْ هناك حاملة إيّاها بيدها فيما عجزت أنا من جهتي عن رفع كأسي. ولم يتلفظ أي منّا بحرف. بعد مضي وقت قصير سمعنا طرقاً على الباب. نهضت في كلسوني القصير وفتحته. كان كرشي الضخم الأبيض المترهل ناتئاً، فوق ذروة سروالي التحتي القصير. كان ثمة شرطيان يقفان هناك أمام عتبة الباب.

«مرحباً» بادرتهما

«نحن هنا للتحري بشأن شكوى تلقيناها بالإزعاج وإقلاق الراحة العامة».

«إنه مجرد خلاف عائلي صغير» رددتُ.

«لقد حصلنا على بعض التفاصيل» قال الشرطي الأقرب إليّ. «ثمة امرأتان».

«لا شيء استثنائياً، هذا من حواضر البيت» قلت.

«حسناً» قال الشرطيّ الأول «أود أن أطرح عليك سؤالاً واحداً وحسب».

«موافق».

«أي واحدة من المرأتين تريد أن تستبقي؟»

«سأحتفظ بتلك» وأشرت بأصبعي نحو ليديا الجالسة على الكرسي والغارقة في بولها

«حسناً يا سيد، هل أنت متأكد؟».

«كلياً»

ابتعد الشرطيان مغادرين ووجدتني مع ليديا مرة أخرى.

* * *

- ٢٩ -

رن جرس الهاتف في صباح اليوم التالي، كانت ليديا رجعت إلى بيتها كان المتصل بوبي، الفتى الذي يقطن في العمارة المتاخمة ويعمل في مكتبة تبيع المجلات البورنوغرافية. «ميندي موجودة عندي هنا، وهي تريدك أن تأتي وتتحدث إليها»

«حسناً أنا قادم»

توجهت إلى هناك حاملاً معي ثلاث قناني من البيرة. كانت ميندي تنتعل حذاء عالي الكعب وثوباً أسود شفافاً من محلات «فردريكس» كان يشبه فستان الدمية، وكان في المستطاع رؤية سروالها التحتي الصغير الأسود. لم تكن ترتدي أي صدرية للثديين. لم تكن ڤاليري موجودة. قعدتُ، فتحتُ سدادات قناني البيرة ووزعت القناني.

«هل ستعود مجدداً إلى ليديا يا هانك؟» سألتني ميندي.

«أنا متأسف، أجل لقد عدت إليها».

«كان مقرفاً ما جرى. كنت ظننت أن كل شيء قد انتهى بينك وبين ليديا؟».

«أنا أيضاً كنت اعتقدت ذلك. إن هذه الأمور غريبة كلياً»

«إن معظم ملابسي لا تزال موجودة لديك في المنزل. هل في استطاعتي الذهاب لإحضارها؟»

«بالطبع».

«هل أنت متأكد من أنها غادرت؟».

«أجل».

«إنها تتصرف مثل ثور هذه المرأة، إنها تتصرّف مثل بغيّ».

«لا أعتقد أنها كذلك».

نهضت ميندي وتوجهت إلى الحمّام. نظرَ إليّ بوبي قائلاً «لقد ضاجعتها» وتابع «لا تلمْها، لم يكن لديها أي مكان آخر تتوجه إليه».

«لستُ مستاءً منها».

«لقد اصطحبَتْها ڤاليري إلى متاجر «فردريكس» لترفع لها من معنوياتها وجلبتْ لها فستاناً جديداً».

عادت ميندي من الحمّام، كانت بكت هناك في الداخل.

«ميندي» بادرتها «يجب أن أغادر».

«سوف أمر بك لاحقاً لاسترجاع ملابسي».

وقفت وخرجت من الباب. تبعتني إلى الخارج.

«ضمّني إليكَ» قالت.

ضممتها بذراعي. انفجرتْ بالبكاء.

«سوف لن تنساني أبداً أبداً!».

أقفلت عائداً إلى منزلي مستغرقاً في التفكير، متسائلاً ما إن كان بوبي قد ضاجع فعلياً ميندي؟ كان بوبي وڤاليري منغمسين في العديد من الصرعات الحديثة العجيبة. ولم أكن آبه البتة لفقدانهما أي

مشاعر متبادلة بينهما كان ذلك هو أسلوبهما في التعاطي مع أمور الحياة من غير أن يكشفا أي مشاعر تماماً مثلما يقوم أي شخص آخر بالتثاؤب أو سلق البطاطا

* * *

ـ ٣٠ ـ

من أجل أن أطمئنَ من خاطر ليديا، قبلتْ الذهاب إلى مولهيد في يوتاه، كانت شقيقتها تخيّم هناك في الجبال، وكانت الشقيقات في الواقع تملكن القسم الأعظم من مساحات أرض شاسعة، حظين بها بالوراثة من والدهن. غليندولين إحدى الشقيقات كانت قد نصبت خيمة داخل الغابات. كانت تكتب رواية بعنوان «امرأة الجبال الوحشية» وكان من المتوقع أن تصل وشيكاً الأخوات الأخريات بين يوم وآخر كنا أنا وليديا أول الواصلين. كانت خيمتنا قزمية صغيرة. وانحشرنا هناك فيها في الليلة الأولى وانحشر معنا البعوض. كان الأمر رهيباً

في صباح اليوم التالي جلسنا متحلّقين حول نار المخيّم. غليندولين وليديا أعدتا طعام الفطور. كنتُ ابتعت بقالة بقيمة أربعين دولاراً، وكانت تتضمن عدة دزينات من قناني البيرة، ووضعتها لتبرد في جدول جبلي. انتهينا من تناول طعام الفطور. ساعدتُ في جلي الصحون وغسلها، ثم جلبتْ غليندولين روايتها وراحت تقرأ لنا لم تكن في الواقع سيئة، غير أنها كانت تفتقد الاحترافية وبحاجة إلى الكثير من التشذيب. كانت غليندولين تفترض سلفاً بأن القارىء كان مفتوناً بحياتها بقدر ما كانت هي نفسها مأخوذة بها ـ ولقد كان هذا الخطأ قاتلاً والأخطاء الأخرى القاتلة التي اقترفتها كانت أكثر من أن تعد.

توجهت إلى الغدير وعدت بثلاث قنانٍ من البيرة. رفضت الفتاتان، لم ترغبا البتة إحتساء أي قنينة. كانتا مناهضتين للبيرة. رحنا نناقش رواية غليندولين. خطر لي أنه يتوجب الشك في مطلق من يقوم بقراءة روايته بصوت عالٍ للآخرين. إن لم تكن هذه هي قبلة الموت، فلا شيء آخر يعقل أن يكون كذلك.

انتقل الحديث إلى موضوع آخر، وشرعت الفتاتان تثرثران حول مواضيع الرجال والحفلات والرقص والجنس. امتلكت غليندولين صوتاً ثاقباً عالي النبرة، وكانت تضحك بعصبيّة، تضحكُ بدون توقف. كانت في متوسط أربعينياتها وبدينة فعلياً وبمنتهى القذارة. وإلى جانب هذا، مثلي تماماً، كانت بكل بساطة قبيحة.

لا بدّ أن غليندولين كانت قد تحدثت بلا انقطاع طوال أكثر من ساعة في موضوع الجنس ولا شيء غيره. أحسستني دائخاً، فجأة راحت تلّوح بذراعيها فوق رأسها زاعقة «إني امرأة الجبال الوحشية! آه أين هو، آه الرجل، أين هو الرجل الحقيقي الذي يجرؤ على القبول بي؟».

خطر لي أنه بالتأكيد ليس موجوداً هنا

التفتُ إلى ليديا قائلاً: «ماذا لو قمنا بنزهة»

«لا» ردت «أريد أن أقرأ هذا الكتاب، كان عنوانه «حب وانتشاء: دليل ثوريّ إلى الاكتفاء الجنسي»

«عظيم» رددتُ «سوف أتنزه لوحدي».

تسلقت إلى أعلى الينبوع الجبلي وانتشلت قنينة أخرى من البيرة، فتحتها وقعدت هناك أشربها كنت عالقاً هناكَ في الجبال والغابات مع امرأتين مجنونتين. كانتا تبطلان كل المتعة الموجودة في ممارسة

الحب من خلال التحدث عنها طوال الوقت. أنا أيضاً كنت أحب الجنس، غير أنه لم يكن ديانتي. كان ثمة الكثير من الأوجه السخيفة والمأسوية حياله. بدا أن الناس عموماً كانوا يجهلون طريقة مقاربة الموضوع، لذا كانوا يعبثون به. وكان ذلك العبث يدمّرهم.

قررت في نهاية الأمر أن الأمر الأساسي كان العثور على المرأة المناسبة. ولكن كيف؟ كنت أحمل معي دفتر ملاحظات أحمر وقلماً، فخربشت قصيدة تأملية عليه. تسلقت بعدها صعوداً حتى البحيرة. كان المكان يدعى «مرعى فانس». وكانت الشقيقات تملكن معظمه. كنت بحاجة لقضاء حاجتي. خلعت بنطالي وأقعيت في الأجمة وسط الذباب والبعوض. أني أؤيد، مئة بالمئة كل وسائل الراحة المدنية وفي أي وقت. اضطررت على مسح مؤخرتي بأوراق الشجر سرت نحو البحيرة ووضعت إحدى قدميّ في الماء. كانت باردة كالجليد.

كن رجلاً أيها العجوز. هيا أدْخِلْها

كانت بشرتي بيضاء عاجيّة وأحسستني شديد الهرم، وشديد الوهن. ولجت في المياه الجليدية، تقدّمتُ حتى ارتفعت إلى مستوى خصري ثم تنشّقت نفساً عميقاً ووثبت إلى الأمام، وقضي الأمر! ارتفعت دوّامة الوحل منبعثة من القعر ودخلت أذنيّ وفمي وشعري. وقفت هناك بلا حراك داخل المياه الموحلة مصطكّ الأسنان.

انتظرت وقتاً طويلاً حتى ركدتْ المياه وَصَفَتْ. خرجتُ بعدئذٍ من المياه الجليدية. لبست ثيابي، وسرت متقدماً بمحاذاة البحيرة. حين وصلت إلى نهاية البحيرة سمعت ضجيجاً يشبه تدفّق الشلّال. ولجت الغابة منطلقاً باتجاه الضجيج. وتوجب عليّ تسلّق بعض الصخور عابراً أحد الأخاديد. وكان الضجيج يقترب أكثر فأكثر

احتشدت أسراب من الذباب والبعوض في كل الجهات من حولي، كان الذباب ضخماً وساخطاً وجائعاً، أكبر حجماً من ذباب المدن، ويستحيل أن يغفل وجبة ما لحظة يراها

كنت أشق طريقي بصعوبة عبر الأجمّة الكثيفة وفجأة انبرى أمام ناظري، أول شلال حقيقي أراه في حياتي بكامل لحمه وعظمه. كانت المياه تنسال من أعلى الجبل وتنهمر فوق الإفريز الصخري. كان المشهد رائعاً وتابعت المياه تنهمر وتنهمر من غير توقف. كانت تنبع من مكان ما، وتفرغ في مكان ما ثمة لربما ثلاثة أو أربعة جداول كانت تصب في البحيرة.

في النهاية الأمر تعبت من الفرجة وقررت العودة. قررت أيضاً أن أسلك في العودة طريقاً أخرى، قادومية. نزلت متوجهاً إلى ناحية البحيرة المعاكسة وقطعت من هناك باتجاه المخيّم. كنت أعرف تقريبياً أين يقع. كان دفتر الملاحظات الأحمر لا يزال بحوزتي. توقفت وكتبت قصيدة أخرى، أقل تأملية، ثم تابعت السير مشيت، لا أثر للمخيّم. سرت مجدداً لبعض الوقت. جلت ببصري في الأنحاء باحثاً عن البحيرة. لا أثر للبحيرة. لم أستطع أن أعرف أين هي موجودة. وفجأة حزرت، لقد كنت «ضائعاً». إن هاتين العاهرين الشبقتين قد أفقدتاني صوابي وهآنذا «ضائع». جلت بنظري من حولي، في خلفية المشهد لم يكن هناك سوى الجبال ومن حولي أحاطتني الأشجار والأجمة. لم يكن هناك وسط، أو نقطة انطلاق ولا رابط بين أي شيء وآخر تملكني الخوف، الفزع الحقيقي. ماذا جرى لي، لماذا تركتهم يخرجوني من مدينتي، من لوس أنجلوس؟ في وسع المرء أن يطلب سيارة أجرة هناك، في إمكانه أن يتصل هاتفياً. ثمة هناك حلول منطقية للمشاكل المنطقية.

امتدت حولي من كل النواحي «مراعي ڤانس» لمسافة أميال وأميال. رميت دفتر ملاحظاتي الأحمر. يا لها من ميتة غريبة لكاتب! كانت بوسعي أن أتصور الخبر في الصحيفة:

هنري شيناسكي شاعر ثانوي
وُجدَ ميتاً في غابات يوتاه

هنري شيناسكي، موظف بريد أسبق تحوّل كاتباً، عثر عليه متعفناً كلياً يوم البارحة بعد الظهر، كان اكتشف الجثة حارس الغابة و.ك بروكس جونيور.

وتم العثور كذلك على مقربة من البقايا على دفتر ملاحظات صغير أحمر اتضح انه يحتوي كتابات السيد شيناسكي الأخيرة.

تابعت السير وسرعان ما وجدتني في منطقة مستنقعية شبه غارقة بالمياه. بين الحين والآخر كانت قدماي تغوصان حتى الركبتين في المستنقع وكان يتوجب عليّ اقتلاع نفسي من هناك.

اعترضني فجأة سياج من الشريط الشائك، وأدركت على الفور أنه لا يجب أن أتسلق هذا السياج. عرفت أنه من الخطأ القيام بذلك، غير أنه لم يكن هناك أي خيار آخر تسلقت السياج وعبرت إلى الجهة الأخرى ووقفت هناك، كوّبت بعدها يديّ الإثنتين حول فمي وهتفت: «ليديا!».

لا جواب.

حاولت مجدداً «ليديا!».

بدت نبرة صوتي شديدة الحزن. صوت جبان.

انطلقت مجدداً خطر لي أن عودتي إلى عند الشقيقتين ستكون بديعة، أيضاً سماع قهقهاتهما حول مواضيع الجنس والرجال

والرقص والحفلات. سيكون بمنتهى الروعة سماع صوت غليندولين. وسيكون جميلاً أن أمرر يدي في شعر ليديا الطويل. سوف أصطحبها بكل إخلاص إلى كل حفلات المدينة بدون استثناء. حتى أني سأراقص أنا بالذات كل النساء وألقي نكاتاً مثيرة حول كل شيء. سوف أتحمّل كل ذلك الهراء الغبي الخرائي بأبتسامة عريضة. أستطيع سماعي مردداً «هاي، هذا اللحن ممتاز للرقص! من ذا يود أن نجنّ معاً؟ من ذا يود الرقص على الأنغام الصاخبة.

تابعت السير عبر المستنقع، إلى أن وصلت أخيراً إلى أرض جافة. صادفت طريقاً، كان مجرد سبيل ترابي قديم العهد، غير أنها بدت في حال جيدة، لاحظت وجود إثر إطارات وبصمات حوافز وامتدت حتى في الأعلى أسلاك كانت تنقل الكهرباء إلى مكان ما كل ما توجب عليّ القيام به كان اللحاق بتلك الأسلاك. سرت متقدماً في السبيل، ورأيت الشمس مرتفعة في السماء لا بدّ أنه كان وقت الظهيرة. تابعت متقدماً فيما اعتراني شعور بالغباء.

اعترضني وأنا أتقدم في الطريق حاجز مقفل. ما المغزى في هذا؟ كان هناك مدخل ضيق عند أحد جانبي بوابة الحاجز من الواضح أن بوابة الحاجز كانت خاصة بحماية الماشية. لكن أين كانت الماشية؟ أين هو مالك الماشية؟ لعلّه كان يزور المكان مرة كل ستة أشهر لا غير.

شعرتُ بألم في أعلى رأسي. مددتُ يدي وتحسستُ البقعة حيث كنت تلقيت ضربة هراوة قبل ثلاثين عاماً في حانة في فيلادلفيا كان نسيج أثر النُدب لا يزال موجوداً الآن. كان نسيج الندب وقد حمصته الشمس منتفخاً، كان منتصباً مثل قرن صغير انتزعت جزءاً منه ورميته على الطريق.

تابعت السير طوال ساعة أخرى، وقررت بعدها أن أدور على

أعقابي. وهذا يعني أنه توجب عليّ قطع كل المسافة نفسها مجدداً إنما إياباً هذه المرة، إلا أني ارتأيت أنه كان ما ينبغي أن أفعل. خلعت قميصي وكسوت بها رأسي. توقفت مرة أو مرتين وصرخت هاتفاً «يا ليديا!» لم أسمع أي جواب.

بعد وقت قليل وصلت مجدداً إلى بوابة الحاجز كل ما عليّ أن أفعله كان الالتفاف من حولها غير أنه كان هناك شيء ما يعترض طريقي. كان واقفاً أمام البوابة على بعد خمسة أمتار منيّ. لقد كان أيلاً، أو ظبياً صغيراً، شيئاً ما من هذا القبيل.

تقدمت ببطء باتجاهه. لم يتزحزح. أوهل كان سيدعني أمرّ؟ لم يبد أنه كان خائفاً مني. أعتقد أنه استشعر ارتباكي، جبني. دنوت أكثر فأكثر، أبى أن يتنحى من سبيلي. كانت عيناه كبيرتان بنيتان ورائعتان، أجمل من عيون كل النساء اللواتي رأيتهن. عجزت عن تصديق ذلك. كنت على بعد أقل من متر منه وعلى أهبة التقهقر إلى الخلف حين انطلق فاراً فرّ عبر الشارع ثم إلى داخل الغابات. كانت لياقته الجسمانية ممتازة، كان يجري منطلقاً كالسهم.

فيما تقدمت أكثر عبر الطريق تناهى إلى مسمعي هدير مياه جارية. كنت عطشان بحاجة إلى الماء. ليس بالوسع العيش وقتاً طويلاً من دون ماء. غادرت الطريق وتوجهت نحو هدير المياه المتدفقة. كان ثمة تلة مكسوّة بالعشب وحين وصلت إلى قمتها اتضح لي الأمر: كانت المياه تتدفق من داخل عدد من الأنابيب الإسمنتية المواجهة لأحد السدود لتصبّ في ما يشبه الخزّان. جلستُ عند حافة الخزان وخلعت حذائي وجوربيّ، رفعت بنطالي، ونقعت ساقيّ في الماء. ثم دلقت الماء فوق رأسي. قمت بعدها بشرب الماء إنما كمية قليلة وببطء، تماماً مثلما رأيتهم يفعلون في الأفلام.

بعد أن استعدت بعض الشيء عافيتي انتبهت إلى وجود دعامة جسر

كانت تمتد فوق الخزان. سرت فوق الدعامة ووصلت إلى خزانة معدنية كبيرة مثبتة بجانب دعامة الجسر كانت مقفلة بقفل. قد يكون هناك لربما هاتف في الداخل! قد أستطيع الإتصال وطلب النجدة!».

عثرت على حجر كبير وبدأت أطرق به القفل بعنف، أبى الاستسلام. يا ربّي، كيف كان جاك لندن ليتصرف في وضع كهذا؟ ما الذي كان سيفعله همنغواي، جان جينيه؟

تابعت أطرق القفل بالحجر أخطأته مرة وارتطمت يدي بالقفل أو بالخزانة بالذات. انشرط الجلد وسالت الدماء. استجمعت قواي وطرقت القفل طرقة أخيرة. انفتح. انتزعته وفتحت الخزانة الحديدية. لم يكن هناك هاتف، مجرد سلسلة من المفاتيح الكهربائية وبعض الكابلات الضخمة. مددت يدي ولمست سلكاً فتلقيت صدمة كهربائية رهيبة. قمت بعدها بجذب أحد المفاتيح، سمعت هدير مياه. تدفقت من ثلاث أو أربع فجوات في جدار السد الإسمنتي انبثاقات بيض عملاقة من المياه. جذبت مفتاحاً آخر انفتحت ثلاث أو أربع فجوات أخرى، محرّرة أطناناً من المياه. جذبت مفتاحاً آخر فأطلقت عنان كل سكور منافذ السد. وقفت وحسب أراقب تدفق المياه. راودني إن استطعت التسبب بفيضان، فسوف يُقبل رعاة البقر على جيادهم أو راكبين شاحناتهم الصغيرة المخلّعة لنجدتي. وهاأنذا أرى العنوان الصحفيّ العريض:

هنري شيناسكي شاعر

ثانوي يتسبب بفيضان

يغرق ريف يوتاه من

أجل إنقاذ ركاكته

اللوس أنجلسية

قررت أنه من المفضل أن لا أفعل ذلك. أعدت كل مفاتيح التحويل إلى وضعها الطبيعي، أغلقت الخزانة الحديدية وعلّقت القفل المحطّم بالباب.

ابتعدتُ عن الخزان، واكتشفت طريقاً أخرى إلى الأعلى وبدأت أسلكها بدت الطريق هذه مسلوكة أكثر من السابقة. مشيت فيها لم يسبق أبداً أن شعرت بتعب يضاهي ما حل بي. بالكاد استطعت الرؤية. وفجأة أبصرت فتاة في حوالي الخامسة من عمرها متوجهة نحوي. كانت ترتدي فستاناً أزرق وحذاء أبيض. بدت مذعورة آن شاهدتني. حاولت أن أبدو لطيفاً وودوداً فيما اقتربت منها

«أيتها الفتاة الصغيرة، لا تذهبي. لن أؤذيكِ. إني ضائع! أين أهلُكِ؟ أيتها الفتاة الصغيرة. خذيني إلى أهلكِ!».

دلّت الفتاة الصغيرة بإصبعها رأيت عربة مقطورة وسيارة متوقفتين بعيداً عنا بعض الشيء.

«هاي، أنا ضائع!» صرخت «يا يسوع، كم أنا سعيد بمرآكم».

أطلّت ليديا من جانب العربة المقطورة. كان شعرها مزيناً بملاقط شعر حمر «هيّا تعال يا فتى المدينة» قالت «أتبعني سأوصلك إلى البيت»

«أنا سعيد جداً برؤيتك يا حبيبتي، أعطني قبلة!».

«لا ، إتبعني».

وانطلقت ليديا راكضة إلى مسافة ما يقارب عشرة أمتار أمامي. كان من الصعب اللحاقَ بها.

«لقد سألت أولئك الأشخاص إن كانوا شاهدوا فتى مدينياً في الجوار». هتفت قائلة من فوق كتفها «أجابوا بالنفي».

«ليديا، أحبّك».

«هيا أسرع، إنك بطيء!»

«انتظري يا ليديا، انتظريني!»

قفزتْ من فوق سياج من الشريط الشائك. أخفقتُ في مجاراتها وعلقت متشابكاً فيه. فقدت القدرة على الحراك. كنت أشبه ببقرة واقعة في شرك. وصرخت بأعلى صوتي «ليديا!».

أقفلتْ عائدة مع ملاقطها الحمر وبدأت تعينني على التفلّت من الأشواك. «لقد اقتفيت آثار أقدامك، وعثرت على دفتر ملاحظاتك الأحمر لقد ضعتَ عمداً لأنك كنتَ مستاءً منا»

«لا لقد ضعت بسبب الجهل والخوف. لست شخصاً كاملاً، أنا مجرد شخص مديني معوّق النمو. أنا على الأرجح رذاذ هراء فاشل لا شيء لديه ليقدمه».

«يا يسوع» قالت «ألا تدرك أني أعرف ذلك»

حررتني من آخر الأسلاك الشائكة. وتبعتها مترنحاً هأنذا مجدداً رفقة ليديا

* * *

- ٣١ -

حدث ذلك قبل ثلاثة أو أربع أيام من وجوب سفري إلى هيوستن لإحياء قراءة شعرية. كنت توجهت إلى ميدان سباق الخيل، شربت هناك حتى الثمالة، ودخلت بعدئذٍ إلى حانة تقع عند جادة «هوليوود بولڤار». عدت إلى المنزل ما بين الساعة التاسعة والعاشرة مساءً. فيما كنت أعبر غرفة النوم باتجاه الحمام تعثرتُ بكبل الهاتف. سقطت على زاوية هيكل السرير، حافة فولاذية حادة مثل نصل سكّين. حين نهضت اكتشفت إني أصبت بجرح بليغ وعميق فوق الكاحل تماماً سالت الدماء على السجادة وخلّفتُ ورائي أثراً دموياً فيما توجهت إلى الحمّام. سالت الدماء على البلاط وطبعت خلفي آثار أقدام حمر فيما مشيت في الأرجاء.

سمعت طرقاً على الباب، فتحته فألفيت بوبي. ما أن دخل حتى هتف «يا يسوع المسيح، ماذا حلّ بك يا رجل؟»

«إنه «الموت» «صرخت عالياً «إني أنزف حتى الموت»».

«ياه» قال «يستحسن أن تعالج هذه القدم بطريقة ما»

قرعت ڤاليري الباب. أدخلتها أيضاً انفجرت صارخة. صببت كؤوس الشراب لبوبي وڤاليري ولي. رن الهاتف. كانت ليديا تتصل.

«ليديا، حبيبتي، أني أنزف حتى الموت!»

«هل هذه مجدداً واحدة من رحلاتك المهلّسة؟».

«لا، إني أنزف حتى الموت، إسألي ڤاليري».

تناولت ڤاليري سمّاعة الهاتف، «هذا صحيح، لقد شقّ رسغه جرح عميق. الدماء منتشرة في كل مكان، وهو يأبى القيام بأي شيء لمعالجته، يستحسن أن تتوجهي إلى هنا

حين وصلت ليديا كنت جالساً على الأريكة فهتفت «أنظري يا ليديا الموت!» ثمة أوردة كانت مدلاة من الجرح مثل شعيرات المعكرونة. قمت بانتزاع بعض منها رفعت سيجارتي ورحت أنقر رمادها داخل الجرح وهتفتُ «أنا رجل اللعنة، أنا رجل حقيقي!».

قامت ليديا بإحضار بعض ماء الأوكسيجين وصبته فوق الجرح، بدا المشهد جميلاً تدفقت من الجرح رغوة بيضاء وجعلت تبقبق وتطش. صبت ليديا بعض المزيد.

«يستحسن أن تذهب إلى المستشفى» اقترح بوبي.

«لست بحاجة إلى مستشفى لعين» أجبت «سوف يشفى لوحده..».

في صباح اليوم التالي بدا الجرح مريعاً كان لا يزال مفتوحاً وبدا أن قشرة سميكة متخثرة كانت بدأت تتشكل فوقه. توجهت إلى الصيدلية للإتيان بالمزيد من ماء الأوكسجين. وبعض الضمادات، والملح الإنكليزي. ملأت حوض الاستحمام بالمياه الساخنة وبالملح الإنكليزي ودخلته. وبدأت أتخيل نفسي بساق واحدة. كان هناك بعض الفائدة في الأمر

هنري شيناسكي هو

من دون أدنى شك، أعظم شاعر

وحيد الساق

في العالم

عادني بوبي خلال ما بعد الظهيرة. «هل تعلم كم تكلّف عملية بتر الساق الجراحية؟»

«إثنا عشر ألف دولار».

بعد أن غادر بوبي اتصلت هاتفياً بالطبيب.

توجهت إلى هيوستن بساق ملفوفة كلياً بالضمادات. كنت أتناول حبوب دواء مضاد للجراثيم، محاولا شفاء خمجي. وأشار الطبيب إلى أن أدنى قدر من الكحول سوف يبطل الفائدة التي تؤديها حبوب المضاد الحيوي.

إلى القراءة الشعرية التي أقيمت في متحف الفن الحديث ذهبت صاحياً من غير أن أحتسي أي شراب. بعد أن فرغت من قراءة بعض القصائد سألني أحد الحضور «كيف جرى أنك لست ثملاً؟».

«إن هنري شيناسكي لم يستطع الحضور» أجبته «أنا شقيقه إفرام»

تلوت قصيدة أخرى ثم اعترفت لهم بمسألة حبوب المضاد الحيوي. أخبرتهم أيضاً أن قوانين المتحف تمنع احتساء الكحول داخل المبنى. أحضر لي أحد الحضور قنينة بيرة. احتسيتها وتلوت بعض المزيد من القصائد. ثم أتاني واحد آخر بقنينة بيرة أخرى. ثم راحت تتدفق قناني البيرة. وتحسنت القصائد أكثر فأكثر

أقيم بعد ذلك حفل وعشاء، تقريباً تماماً في مواجهتي عبر الطاولة جلست من دون أدنى ريب أجمل فتاة أبصرتها في حياتي. كانت تشبه كاترين هيبورن في بداياتها كان عمرها **٢٢** سنة تقريباً، وقد كانت تشعّ جمالاً لم أتوقف عن الغمز والتحاذق داعياً إياها كاترين هيبورن. بدا أن ذلك راق لها لم أتوقع أن أجني أي فائدة من ذلك. كانت بصحبة صديقة. حين حل وقت المغادرة قلت لمديرة

المتحف، وهي امرأة تدعى نانا كنت أقيم في منزلها، «سوف أفتقدها أعجز عن تصديق كم هي جميلة».

«إنها آتية معنا إلى منزلي»

«لا أصدّق».

إنما لاحقاً، ألفيتها هناك بكامل روعتها، في منزل نانا، في غرفة النوم بمعيتي. كانت ترتدي وحسب منامتها، وقعدت عند حافة السرير تسرّح شعرها الطويل مبتسمة لي «ما هو إسمكِ؟» سألتها

«لورا» ردّت.

«حسناً، إسمعي يا لورا، سوف أدعوكِ كاترين».

«موافقة» قالت.

كان شعرها بلون بني ضارب إلى احمرار وطويل جداً كانت صغيرة القامة إنما متناسقة الجسم. كان وجهها أروع ما فيها

سألتها «هل أصبّ لك كأساً؟»

«آه، لا، أنا لا أشرب الكحول، لا أحب الكحول»

في الواقع، أخافتني. عصي عليّ أن أفهم ما الذي كانت تفعله هناك برفقتي. لم يبد أنها كانت من المعجبات. توجهت إلى الحمّام، عدت وأطفأت الضوء. أحسست بها تندس في الفراش إلى جانبي. غمرتها بذراعيّ وبدأنا نتبادل القبل. ذهلت بحظيّ الخارق. بأي حق أستحق هذا؟ كيف في مستطاع بعض المجموعات الشعرية أن تحدث هذا؟ لم يكن هناك أي سبيل لفهم ما يحصل. لن أرفض بالتأكيد الفرصة المتاحة. انتصب قضيبي كالوتد. وفجأة إذ بها تنزل وتلتقف بفمها قضيبي. رحت أرقب حركة رأسها وجسمها البطيئة

تحت ضوء القمر لم تكن ببراعة بعضهن، غير واقع أن تكون «هي» بالذات من يقوم بذلك، كان بحد ذاته مذهلاً لحظة أوشكت بلوغ الذروة مددتُ يدي وزرعتها في كتلة شعرها الجميل، لأجذبه تحت ضياء القمر فيما قذفت في ثغر كاترين.

* * *

- ٣٢ -

كانت ليديا في انتظاري في المطار. وكانت هيّوجة كعهدي بها على الدوم.

«يا يسوع» بادرتني «إني مهيّجة! أداعب نفسي بنفسي إنما من غير طائل»

كنا في السيارة في طريق العودة إلى منزلي.

«ليديا إن قدمي لا تزال في حال سيئة للغاية. لست واثقاً ما أن كنت قادراً على القيام بذلك نظراً لوضع قدمي».

هتفت محتجّة «ماذا؟»

«هذا صحيح، لا أظن أن بوسعي أن أضاجع وحال قدمي على ما هي عليه».

«ماذا نفعكَ إذاً؟»

«حسناً، أستطيع أن أقلي البيض والقيام بأحابيل سحرية».

«كفّ عن المزاح. أقصد، هل تحسنت حالك؟»

«قدمي سوف تشفى، وإن لم يحدث ذلك سوف يقطعونها كوني صبورة».

«لو لم تكن سكران، ما كنت سقطتَ وجرحتَ قدمك. إنها دائماً وأبداً القنينة!».

«إنها ليست على الدوم القنينة يا ليديا. إننا نمارس الجنس أربع مرات في الأسبوع. وهذا ممتاز نسبة لسنيّ».

«يخطر لي أحياناً أنك لا تستمتع حتى بذلك».

«ليديا، الجنس ليس «كل شيء»! إنك موسوسة. بحق اليسوع، خذي استراحة».

«استراحة إلى أن تشفى قدمك؟ وما الذي سأفعله خلال هذا الوقت؟».

«سوف ألعب معك لعبة السكرابل»

«زعقت ليديا وراحت السيارة تنحرف متعرّجة ما بين جانبي الطريق.

«يا ابن ـ الـ ـ عاهرة! سوف أقتلك!».

عبرت الخط الأصفر المزدوج بسرعة عالية جداً، واندفعت مباشرة نحو السيارات الآتية من المقابل. اندلعت الأبواق وتشتتتْ السيارات. تابعنا منطلقين عكس السير، فيما جعلت السيارات المقتربة منا تنحرف ذات اليمين وذات اليسار. وفجأة بشكل غير متوقع انحرفت ليديا مجدداً متجاوزة الخط الأصفر المزدوج لتعود إلى المجاز الذي كنا تركناه.

خطر لي متسائلاً، أين هي شرطة السير العجب أنه كل مرة تقوم ليديا بأمر ما تختفي الشرطة كلياً؟

«لا بأس» قالت «سوف أقلّك إلى البيت والسلام، انتهى الأمر لقد ضقت ذرعاً سوف أبيع منزلي وأنتقل إلى فونيكس. غويندولين تقطن حالياً في فونيكس. شقيقاتي سبق حذرتني من مغبة العيش مع عجوز حقير على شاكلتك»

تابعنا في السيارة ما تبقى من المسافة صامتين. حين وصلنا إلى منزلي أخرجتُ حقيبتي، نظرتُ إلى ليديا وقلت «وداعاً». كانت تبكي بصمت، كان وجهها بأكمله بليلاً وفجأة انطلقتْ مغادرة باتجاه جادة ويسترن أڤينيو. سرت عابراً الفناء الأمامي. ها قد عدت من قراءة شعرية أخرى.

تفحصّت بريدي وقمت بعدها بالاتصال هاتفياً بكاترين التي كانت تعيش في أوستن في تكساس. بدت فعلياً مسرورة باتصالي، وقد بعث فيّ البهجة مجرد سماع تلك اللكنة التكساسية، والضحكة تلك العالية النبرة، قلت لها إني أرغب في أن تقوم بزيارتي، وإني سأتكفل ببطاقتي السفر ذهاباً وإياباً وبأننا سنتوجه معاً إلى مضمار سباق الخيل، وسنذهب إلى ماليبو، وأننا مطلق ما ترغب به.
«ولكن يا هانك، أليس لديك صديقة؟

«لا، لا أحد. أنا ناسك».

«لكنك تكتب باستمرار عن النساء في قصائدك»

«هذا كان في الماضي. إننا الآن في الحاضر».

«ولكن ماذا بشأن ليديا؟»

«ليديا؟».

«أجل، لقد سبق وأخبرتني كل شيء عنها».

«ما الذي أخبرتك إياه؟».

«أخبرتني كيف أشبعتْ ضرباً امرأتين أخريين. أوهل ستدعها تشبعني ضرباً؟ أنت تعرف جيداً أني لست عظيمة القامة»

«لا مجال لأن يحدث هذا لقد انتقلتْ للعيش في فونيكس.

أؤكد لك يا يا كاترين أنك «أنتِ» المرأة المميّزة التي كنت أبحث عنها منذ أمد طويل. أرجوكِ، ثقي بي»

«سوف أقوم بالترتيبات. يتوجب أن أتدبر أحداً للاعتناء بهرّي».

«لا بأس، لكن أودك أن تدركي أن كل الأمور واضحة هنا وجلية تماماً».

«إنما يا هانك، لا تنس ما كنت أخبرتني عن نسائك».

«أخبرتك بماذا؟».

«قلت، أنهن يعدن دوماً».

«هذا مجرد تبجّح ذكوري».

«سوف آتي» قالت «حالما أرتب أموري هنا، سوف أحجز بطاقة وأطلعك على التفاصيل»

حين زرت تكساس روت لي كاترين قصة حياتها كنت وحسب ثالث رجل تشاطره الفراش. كان هنالك زوجها، وبطل في العدو سكّير وأنا زوجها السابق أرنولد كان يعمل في مجال الفن الاستعراضي «الشو بزنس»، وعالم الفنون. لا أدري تماماً كيف كانا يتدبران معيشهما كان يقوم باستمرار بتوقيع عقود مع نجوم موسيقى الروك، والرسّامين وإلى ما هنالك. رزحت أعماله تحت وطأة ستين ألف دولار من الديون، إنما كانت بفعل المزدهرة! هذا ينتمي إلى ذاك الصنف في الوضعيات التي كلما تفاقمت فيها عليك الديون، تتحسن فيها أكثر فأكثر أمورك.

أجهل ما حل في النهاية ببطل العدو. أظن أنه أطلق وحسب ساقيه للريح. بدأ أرنولد بعدئذٍ يتعاطى الكوكايين. وحوّله الكوكاكيين بين ليلة وضحاها إلى شخص مختلف كلياً وأكدت كاترين أنها كانت عاجزة عن التعرف إليه. كان الأمر مخيفاً، نقلات

في سيارة الإسعاف إلى المستشفيات ليعود بعدها في صباح اليوم التالي كأن شيئاً لم يكن. بعدئذٍ دخلت إلى المشهد جوانا دوفر وهي امرأة طويلة القامة شبه مليونيرة ومن الطبقة المخملية. مثقفة ومجنونة، بدأت هي وأرنولد يتشاركان في الأعمال. كانت جوانا دوفر تتلاعب في تعاطيها مع الفنون مثلما كان بعض الناس يتعاطون مع توقعات تجارة حبوب الذرة. كانت تكتشف فنانين مجهولين في طريقهم إلى الشهرة، تشتري أعمالهم بأسعار بخسة، وتبيعها بأسعار مرتفعة بعد أن يصبحوا معروفين. كانت تمتلك هبة العين الثاقبة في ذلك المجال. إضافة إلى جسد رائع بطول متر وثمانين سنتمراً بدأت لقاءاتها وأرنولد تزداد بشكل كثيف. وذات عشية أتت جوانا لاصطحاب أرنولد مرتدية فستاناً غالياً ضيقاً ومغوياً عندها أدركت كاترين نوايا جوانا الفعلية. لذا راحت بعد ذلك ترافق أرنولد وجوانا كلما خرجا معاً للسهر شكلوا ثلاثياً كان الحافز الجنسي لدى أرنولد ضعيفاً جداً لذا لم تكن كاترين قلقة بهذا الشأن. كانت في المقابل قلقة حيال ما يختص بالأعمال. بعدئذٍ غابت جوانا عن صورة المشهد، وانغمس أرنولد أكثر فأكثر في تعاطي الكوكايين. وازدادت أكثر فأكثر رحلات سيارة الإسعاف. طلّقته كاترين في نهاية الأمر غير أنها لا تزال تلتقي أرنولد. تحمل القهوة في تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح كل يوم إلى موظفي المكتب، ووضعها أرنولد على جدول الرواتب. وقد مكنها ذلك من الاحتفاظ بمنزلها كان أرنولد يحضر بين الحين والحين لتناول العشاء ولكن من غير أن يمارسا الجنس. مع ذلك كان بحاجة إليها وكانت تشعر غريزياً بالحاجة إلى حمايته. كانت كاترين تؤمن أيضاً بفوائد الأطعمة الصحيّة، واللحم الوحيد الذي كانت تأكله كان الدجاج والسمك. كانت إمرأة فاتنة.

- ٣٣ -

بعيد يوم أو يومين، حوالى الساعة الواحدة ما بعد الظهر سمعت طرقاً على بابي. كان الطارق رساماً يدعى مونتي ريف حسبما أعلمني والله أعلم. أخبرني أيضاً أني كنت أثمل بصحبته حين كنت أسكن في جادة دولونغبري أڤينيو

«لست أذكزك» بادرته.

«كانت دي دي تصحبني معها إلى منزلك».

«آه، أهذا صحيح؟ حسناً أدخل» كان مونتي أحضر معه نصف دزينة من قناني البيرة وامرأة طويلة رائعة الجمال.

«إنها جوانا دوڤر» قدمّها لي معرّفاً بها

«لقد فاتتني قراءتك الشعرية في هيوستن» بدأت قائلة.

«لقد روت لي لورا ستانلي الكثير عنك» قلت.

«هل تعرفها؟».

«أجل، لكني أدعوها كاترين، تيمناً بكاترين هيبورن».

«هل تعرفها معرفة «عميقة»؟».

«إلى حد ما».

«إلى أي حد؟».

«سوف تطير لتزورني خلال يوم أو اثنين».

«أهذا صحيح؟»

«أجل».

أجهزنا على قناني البيرة وخرجتُ لأحضر المزيد. حين عدت كان مونتي قد غادر. قالت لي جوانا إنه مرتبط بموعد. رحنا نتحدث عن الرسم وأريتها بعض لوحاتي. نظرت إليها وقررت أنها ترغب في شراء اثنتين منهما «كم ثمنهما؟» سألتني.

«حسناً، أربعون دولاراً للصغيرة وستون دولاراً للكبيرة الحجم»

حررت لي جوانا شيكاً بمئة دولار. ثم بادرتني بالقول: «أريدك أن تعيش معي».

«ماذا؟ هذا مفاجىء وسريع بعض الشيء».

«سيكون ذلك لفائدتك مربحاً، لديّ بعض المال. إنما لا تسألني أبداً كم بحوزتي، كانت خطرت لي بعض الأسباب التي تستوجب أن نعيش معاً هل ترغب في سماعها؟».

«كلا».

«بداية، إن عشنا معاً، سوف أصطحبك إلى باريس».

«أكره السفر».

«سوف أعرّفك إلى وجه لباريس سيعجبك فعلياً».

«دعيني أفكر في الأمر».

انحنيت ووهبتها قبلة. ثم قبلّتها من جديد، وهذه المرة لمدة أطول.

«اللعنة» هتفتُ «هيا بنا إلى الفراش»

«حسناً» قالت جوانا دوڤر.

خلعنا ملابسنا ودخلنا الفراش، كان طولها متراً وثمانين سنتمتراً أنا معتاد على النساء الصغيرات القامة. كان الأمر غريباً

أيّما موضع لمسته أحسست وكأنما هناك المزيد من المرأة. تحمّينا وهبتها ثلاث أو أربع دقائق من الجنس الفموي ثم ركبتها كانت ممتازة، كانت فعلياً خارقة. اغتسلنا، ارتدينا ملابسنا واصطحبتني لتناول العشاء في ماليبو. أخبرتني أنها كانت عاشت في غالفستون في ولاية تكساس. أعطتني رقم هاتفها وعنوانها ودعتني إلى زيارتها أجبتها بأني سوف أفعل ذلك. قالت لي أنها كانت جادة بشأن مسألة باريس وبقية الأمر لقد كانت مضاجعة ممتازة والعشاء كان أيضاً رائعاً

* * *

- ٣٤ -

في اليوم التالي اتصلت بي كاترين. قالت لي إنها استحوذت على البطاقتين وأنها ستحط في مطار لوس أنجلوس الدولي يوم الجمعة في تمام الساعة الثانية والنصف ما بعد الظهيرة.

«يا كاترين» قلت لها «ثمة أمر يتوجب أن أطلعك عليه»

«هانك، أوهل ما عدت راغباً في رؤيتي؟»

«بالعكس، أرغب في ذلك أكثر من أي وقت آخر».

«ما الخطب إذاً؟».

«حسناً، أنت تعرفين جوانا دوفر

«أتقول جوانا دوفر؟»

«تلك. تعلمين. زوجك.

«ماذا بشأنها يا هانك؟».

«في الواقع، لقد جاءت لزيارتي»

«هل تعني أنها حضرت إلى منزلك؟»

«أجل»

«ماذا جرى؟»

«تحدثنا، وابتاعت إثنتين من لوحاتي».

«هل حدث أي شيء آخر؟».

«بلى».

صممت كاترين، ثم قالت «هانك، لست واثقة ما إن كنت أرغب الآن بعد في رؤيتك».

«أتفهّمكِ. إسمعي، ماذا لو تفكرين ملياً بالمسألة، ثم اتصلي بي من جديد؟ أنا آسف، يا كاترين. آسف لحدوث ما جرى. هذا كل ما يمكنني أن أقول».

أقفلت الهاتف. سوف لن تتصل من جديد، هذا ما خطر لي. لقد كانت أفضل النساء اللواتي عرفتهن، ولقد أضعت كل شيء. إني أستحق الهزيمة، أستحق الموت وحيداً في مصحة للمجانين.

قعدت إلى جانب الهاتف. قرأت الجريدة، قسم الرياضة، القسم المالي، قسم التسالي والرسوم الهزلية. رن الهاتف. كانت كاترين «أيري بجوانا دوڤر!» قالت ضاحكة. لم أسمع أبداً كاترين متلفظة سباباً من هذا النوع من قبل

«هل هذا يعني إذاً أنك قادمة؟».

«أجل، هل تعرف موعد وصولي؟»

«بلى أعرفه، سوف أكون هناك»

استودعنا السلام، كاترين كانت قادمة. كانت آتية لقضاء أسبوع على الأقل، مع وجهها، وذلك الجسد، وذلك الشعر وتلك العينين، وتلك الضحكة.

* * *

- ٣٥ -

خرجت من المشرب وراجعت لوحة الوصول. تصل الطيارة في وقتها تماماً، وكانت كاترين في الفضاء تتقدم باتجاهي. قبعت منتظراً قبالتي جلست امرأة أنيقة تقرأ كتاباً من صنف كتب الجيب. ارتفع فستانها إلى عند فخذيها كاشفاً كل ذلك الجنب، وتلك الساق المغلّفة بجورب النيلون. لِمَ إصرارها على القيام بذلك؟ كنت أحمل صحيفة، غير أني كنت أحملق من فوقها في فخذيها كان تملك فخذين بديعتين. تراه من كان المستفيد من هاتين الفخذين؟ أحسستني غبياً وأنا أحدق في أسفل فستانها، غير أني لم أستطع منع نفسي من القيام بذلك. لقد كانت خارقة القوام. لقد كانت في ما مضى فتاة صغيرة، وفي أحد الأيام ستموت، غير أنها الآن تستعرض لي أعلى فخذيها يا لها من مومس ملعونة، سوف أنكحها مخترقاً إياها مائة مرة، سوف أغرزها بسبعة عشر سنتمراً من الأرجواني النابض! صالبت ساقيها فارتفع فستانها ثلاث سنتمترات تقريباً رفعتْ أنظارها من كتابها، وحدقت عيناها في عيني فيما نظرت من فوق أعلى صحيفتي. لم تعكس تعابيرها أي اكتراث. أدخلتْ يدها في حقيبتها وتناولت قطعة علكة، أزالت عنها غلافها وأدخلتها في فمها علكة خضراء. راحت تمضغ العلكة الخضراء فيما حدّقتُ في فمها لم تقم بشدّ فستانها إلى الأسفل. كانت تدرك أني أتطلّع. لم يكن بوسعي القيام بأي شيء. فتحتُ محفظة نقودي وأخرجت ورقتين نقديتين من فئة خمسين دولار. رفعت نظرها،

أبصرت الورقتين النقديتين، ثم أخفضت عينيها من جديد، اندلق فجأة إلى جانبي على المقعد رجل بدين. كان وجهه شديد الإحمرار حول أنفه الضخم، ويرتدي عفريتة، عفريتة بلون بني فاتح ضرط البدين. شدّت السيدة فستانها إلى تحت، وأعدت أنا ورقتيّ النقديتين إلى حافظة نقودي. ارتخى عضوي ووقفت، وتوجهت قاصداً نافورة مياه الشرب المعدنية.

في الخارج على مدرج الهبوط كانت طائرة كاترين تدرج نحو سلّم الهبوط. وقفت وانتظرت. كاترين، إني أعبدكِ.

نزلت كاترين سلّم الهبوط، رائعة بشعرها البني المحمّر وجسمها النحيل، وفي فستان أزرق ضيق التصق بجسمها وهي تسير في حذائها الأبيض ورسغيها الناعمين، إنه الشباب، كانت تعتمر قبّعة بيضاء ذات حرف عريض، وكان الحرف العريض مائلاً إلى الأسفل في المكان الممتاز حيث كانت عيناها الكبيرتان البنيتان تنظران من تحت الحرف مبتسمتين. كانت ذات مستوى رفيع. ما كانت أبداً لتكشف مؤخرتها في قاعة انتظار داخل مطار.

وكنت أنا هناك بكيلوغراماتي الـ١١٣ تائهاً على الدوم ومرتبكاً بساقيّ القصيرتين، وجذع أشبه بالقرد، معدم العنق، شاسع الصدر، ضخم الرأس، مغشيّ العيني، مشعث الشعر، وقامة بطول ١٨٠ سنتمتراً، في انتظارها

تقدمت كاترين نحوي. ذلك الشعر اللمّاع ببريقه النحاسي. نساء تكساس كن مسترخيات جداً، وطبيعيات جداً غير متكلفات. قبّلتها وسألتها عن متاعها اقترحتُ أن نتوقف لاحتساء كأس في المشرب. كانت النادلات يرتدين فساتين حمر قصيرة كشفت سراويلهن التحتية المكشكشة. كانت الفساتين مقوّرة جداً كاشفة

أثداءهن. كن يستحقن رواتبهن، كن يستأهلن بقشيشهن، كل سنت منه. كن يقطنّ في الضواحي ويمقتن الرجال. كن يعشن مع أمهاتهن وأشقائهن ومغرمات بأطبائهن النفسانيين.

أنهينا كأسينا وتوجهنا للإتيان بحقائب كاترين. حاول عدد من الرجال لفت انتباهها، غير أنها سارت ملتصقة بي متعلقة بذراعي. قليلات هن النساء الجميلات اللواتي يقبلن إن يُظهرن في العلن أنهن مرتبطات. لقد عرفت ما يكفي من النساء ليتسنى لي أن أستنتج هذا لقد قبلت بهن مثلما هنّ، وكان الحب يصيبني موجعاً ونادراً وحين كان يحصل ذلك، فقد كان دوماً جراء الأسباب الخطأ السبب الأول بكل بساطة أن المرء يتعب من كبت الحب، ويفلت زمامه لكونه الحب بحاجة إلى مكان ما يتوجه إليه. وبعدئذٍ وكالعادة، تبدأ المتاعب.

في منزلي فتحت كاترين حقيبتها وأخرجتْ زوجين من القفازات المطاطية. وضحكت.

«ما هذا؟» سألتها

«إنها دارلين، صديقتي المفضّلة، لقد رأتني أوضب حقيبتي فسألتني، ، «يا للشيطان، ما الذي تفعلينه؟» وأجبتها، «لم يسبق أن رأيت شقة هانك من قبل، غير أني متيقنة من أمر واحد وهو أني قبل أن أتمكن من الطبخ، والسكن فيها، والنوم فيها من الضروري أن أقوم بتنظيفها!».

أطلقت بعدئذٍ كاترين تلك الضحكة التكساسية البهيجة. دخلت الحمام وارتدت بنطالاً من الجينز وبلوزة برتقالية، وخرجت حافية القدمين لتدخل إلى المطبخ واضعة قفازاتها المطاطية.

دخلتُ إلى الحمام وبدّلت أيضاً ملابسي. وقررتُ أني لن أسمح لليديا بأن تمسّ كاترين، إن هي مرّت لزيارتي. ليديا؟ أين هي يا ترى؟ ماذا كانت تفعل؟

تمتمت في سرّي رسالة بعثتها إلى الآلهة التي تحرسني: رجاء أبقوا ليديا بعيدة. فلتمصّ قرون رعاة البقر وترقص حتى الثالثة فجراً ولكن رجاء أبقوها بعيدة.

حين خرجتُ ألفيت كاترين راكعة على ركبتيها تنظف بالفرشاة تراكم سنتين من الشحم فوق أرضية مطبخي.

«يا كاترين» بادرتها «تعالي نخرج إلى المدينة، هيّا بنا نخرج لتناول العشاء، لا يفترض أن تبدأ الأمور بهذا الشكل».

«حسناً يا هانك، لكن ينبغي أن أنتهي من تنظيف هذه الأرضية أولاً وسننطلق بعدئذٍ».

قعدتُ منتظراً خرجتْ بعدئذٍ وكنت جالساً على كرسيّ منتظراً إنحنت وقبلتني ضاحكة «يا لك من عجوز قذر!» ثم دخلت بعدها الحمّام. كنت مغرماً من جديد، كنت واقعاً في ورطة.

* * *

- ٣٦ -

بعد أن تناولنا العشاء عدنا ورحنا نتحادث. كانت من أتباع حميّة الأطعمة الصحيّة الملتزمين، ولم تكن تأكل من اللحوم سوى الدجاج والأسماك، وكان واضحاً أنها ناسبتها تماماً

«يا هانك» بدأت «غداً سوف أقوم بتنظيف حمّامك».

«موافق» أجبتها من فوق كأسي.

«وينبغي أن أقوم بتمريناتي كل يوم، أو هل يزعجك هذا؟»

«لا، أبداً».

«هل ستستطيع الكتابة فيما أثير كل هذا الهرج في الأرجاء؟»

«لا مانع لديّ».

«أستطيع أن أخرج وأتنزه»

«لا، وخصوصاً ليس لوحدكِ في هذا الحيّ».

«لا أريد أن أعيقكَ عن الكتابة»

«ثمة لا سبيل لإيقافي عن الكتابة، إنها شكل من الجنون».

اقتربت كاترين وقعدت قربي على الأريكة، بدت فتاة مراهقة أكثر منها امرأة. وضعت جانباً كأسي ومنحتنها قبلة طويلة شهوانية. كانت شفتاها نضرتان وناعمتان. كنت مأخوذاً بشعرها الطويل البنيّ النحاسي اللّمعان. انسحبت وتناولت كأساً أخرى من الشراب، لقد

أربكتني، كنت معتاداً على المومسات الثملات الحقيرات.

تابعنا نتحادث طوال ساعة أخرى. «هيا بنا ننام» قلت لها «إني متعب»

«جيد، سوف أتحضّر أولاً» قالت.

جلست متابعاً الشرب. كنت بحاجة إلى مزيد من الشراب. لقد كانت بكل بساطة رائعة إلى حد يفوق طاقتي.

«هانك» نادتني «أنا في الفراش».

«حسناً»

دخلت إلى الحمام وخلعت ملابسي، نظفت أسناني بالفرشاة، غسلت وجهي ويديّ. رحت أفكر أنها قطعت كل المسافة من تكساس، سافرت في الطائرة لسبب واحد وهو رؤيتي، وها هي الآن في فراشي، تنتظر

لم تكن لدي بيجامة. تقدمتُ باتجاه السرير، كانت ترتدي منامة. «هانك» بادرتني بالقول «لدينا حوالي ستة أيام آمنة، بعدها يتوجب علينا أن نتدبر طريقة ما»

دخلت معها الفراش. لقد كانت الفتاة الصغيرة ـ المرأة جاهزة. جذبتها إليّ هوذا الحظ مجدداً إلى جانبي، الآلهة كانت تبتسم لي. التهبت حرارة القبلات. وضعت يدها على قضيبي ثم نزعتُ عنها ثوب منامتها وشرعت أداعب فَرْجها أتملك كاترين فَرجاً؟ انبثق بظرها ورحت ألمسه بلطف مجدداً وتكراراً في النهاية نكحتها ولج قضيبي حتى منتصفه. كانت ضيقة، ضيقة جداً جعلتُ أحركه ذهاباً وإياباً ثم ضغطت، فانزلق ما تبقى من عضوي إلى الداخل. كان الشعور مجيداً. تثبّتتْ بي مثل كمّاشة. كنت أتحرك ولم يكن

لأفلت من قبضتها عليّ. حاولت أن أضبط نفسي، أوقفت دكّها وانتظرت أن أفتر بعض الشيء. قبلّتها ثم أفرجتُ شفتيها ورحت أمصّ شفتها العليا رأيت شعرها منفلشاً فوق معظم الوسادة. كففت بعدئذٍ عن محاولة إبهاجها وجعلت ببساطة أنكحها ممزقاً إياها بوحشية. كان ذلك أشبه بجريمة. لم أكن آبه، كان قضيبي وكأنها ممسوساً كل ذلك الشعَر ووجها الجميل واليافع. كان الأمر أشبه باغتصاب عذراء. بلغت ذروة النشوة انتفضت في داخلها، كان الشعور معذِّباً كالاحتضار، الإحساس بمنيي يدخل جسمها كانت عاجزة وقذفت منيي عميقاً في ذروة صميمها جسداً وروحاً مجدداً ومجدداً

في وقت لاحق غفونا أو تحديداً نامت كاترين. غمرتها من الخلف، وللمرة الأولى راودتني فكرة الزواج. كنت أدرك أنه كانت لديها بالتأكيد عيوب لم تكن قد ظهرت بعد. بداية العلاقة الغرامية كان دوماً الجزء الأسهل منها بعد ذلك تبدأ الأقنعة بالسقوط الواحد تلو الآخر من غير توقف. غير أني على الرغم من هذا كنت أفكر بالزواج. راودتني فكرة المنزل، الكلب والقطة، والتسوّق في السوبر ماركت. هنري شيناسكي يصير مخصياً، ولم آبه البتة.

في نهاية الأمر غفوت. حين استفقت في الصباح، كانت كاترين جالسة عند حافة السرير تسرح بالفرشاة تلك الأمتار من الشعر البرونزي. حدقت عيناها الكبيرتان القاتمتان فيّ فيما استفقت. «مرحباً يا كاترين» بادرتها «هل تقبلين الزواج مني؟»

«لا تتفوه بهذا النوع من الكلام رجاءً» ردّت «لا أحب هذا».

«إني أعني ما أقوله»

«أوه، اللعنة، هانك!».

«ماذا؟».

«قلت «اللعنة» وإن تابعت على هذا المنوال، فسوف أستقل أول طائرة متاحة».

«حسناً».

«يا هانك؟».

«ماذا؟».

نظرتُ إلى كاترين. تابعتْ تسريح شعرها الطويل. تطلّعت إليّ بعينيها الكبيرتين البنيتين وكانت تبتسم. وبادرتني قائلة «إنها مجرد علاقة جنسية يا هانك، مجرد جنس وحسب!» ثم انفجرت ضاحكة، لم تكن ضحكة تهكميّة، بل كانت فعلياً ضحكة مليئة بالبهجة. تابعت تسرّح شعرها وغمرتُ خصرَها بذراعي وألقيت رأسي فوق ساقها لم أكن متأكداً من مطلق أمر

* * *

- ٣٧ -

كنت أصطحب النساء إما إلى مباراة الملاكمة، أو إلى مضمار سباق الخيل. عشية ذلك الخميس اصطحبت كاترين لحضور مباريات الملاكمة في القاعة الأولمبية. لم يكن سبق إن شاهدتْ مباراة ملاكمة حيّة. وصلنا إلى هناك قبيل المباراة الأولى وجلسنا حذاء الحلبة. احتسيت البيرة ودخنت السجائر وانتظرت.

«إنه أمر عجيب» بدأت قائلاً لها «أن يقعد الناس هنا وينتظروا أن يصعد رجلان إلى هنا إلى داخل تلك الحلبة ويسعيان إلى الإجهاز كلّ على الآخر باللكمات».

«يبدو الأمر فظيعاً»

«لقد بُني هذا المكان منذ زمن طويل» أخبرتها فيما كانت تتطلع إلى أرجاء قاعة الميدان «ثمة مرحاضان إثنان لا غير، واحد للرجال والآخر للنساء، وهما صغيران. لذا حاولي أن تذهبي قبل فترة الاستراحة أو بعدها».

«حسناً».

كان حضور القاعة الأولمبية يتألف عموماً من الأمريكيين اللاتينيين والبيض من الطبقة الدنيا العاملة، والقليل من نجوم السينما المشاهير كان هناك العديد من الملاكمين المكسيكيين البارعين وكانوا يلاكمون بقلوبهم والمباريات الوحيدة الرديئة كانت تجري حين كان السود أو البيض يلاكمون، وخصوصاً في الأوزان الثقيلة.

اعتراني شعور عجيب بكوني هناك مع كاترين. العلاقات البشرية عجيبة، أعني تكون مع شخص ما لفترة من الوقت، تأكل وتنام وتعيش معه، تحبه، تتحدث إليه، تتوجهان إلى الأمكنة معاً، ثم يتوقف الأمر ثم بعدها تمضي فترة قصيرة لا تكون خلالها بمعيّة أحد، وتصل إمرأة أخرى، وتأكل معها وتضاجعها، ويبدو الأمر برمته طبيعياً، كما لو أنك كنت وحسب تنتظرها، وكانت هي في انتظارك. ما شعرت يوماً وكنت وحيداً إني على خير ما يرام، أحياناً أكون راضياً بذلك، غير أني لم أشعر البتة بالرضا

كانت المباراة الأولى مباراة جيدة، غيث من الدماء والشجاعة. ثمة دوماً ما نتعّلمه بخصوص الكتابة من خلال مشاهدة مباريات للملاكمة أو الذهاب إلى مضمار سباق الخيل. لم تكن الرسالة واضحة غير أنها كانت تعينني، وهذا كان في الواقع هو الجزء المهم: لم تكن الرسالة واضحة. لقد كانت بلا كلمات، مثل منزل يحترق، أو هزّة أرضية، أو طوفان، أو امرأة تخرج من سيّارة كاشفة ساقيها أجهل ما كان يحتاج إليه الكتّاب الآخرون، ما كنت آبه، ما كان بمقدوري قراءتهم بمطلق الأحوال. كنت أسير عاداتي الخاصة، أسير أحكامي المسبقة. لم يكن سيئاً أن تكون غبياً شرط أن يكون الجهل هو حقيقة خاصتك. عرفت أني ذات يوم سوف أكتب عن كاترين وأن ذلك سيكون صعباً كان من السهولة أن تكتب عن العاهرات، غير أن الكتابة عن امرأة محترمة أصعب بكثير

المباراة الثانية كانت أيضاً جيدة. زعق الحشد وصاحوا بأعلى أصواتهم وتجرعوا بإسراف قناني البيرة. لقد أفلتوا آنياً من المصانع، من المستودعات، من المسالخ، من مغاسل السيّارات ـ سوف يعودون إلى الأسر في اليوم التالي، غير أنهم «الآن» في الخارج ـ كانوا يعصفون بالحرية. ما كانوا يفكرون بعبودية الفقر أو عبودية

تعويض البطالة أو بطاقات الحصص الغذائية. سيظل بقيتنا على ما يرام إلى أن يتعلّم الفقراء كيفية صنع القنابل الذريّة في أقبية بيوتهم.

كل المباريات كانت جيدة. نهضت وتوجهت إلى المرحاض. حين رجعت كانت كاترين ساكنة إلى أقصى الحدود. بدت وكأنها كانت تشاهد عرضاً لرقص الباليه أو حفلاً موسيقياً بدت رهيفة جداً، إلا أنها على الرغم من ذلك مضاجِعَة رائعة.

تابعت أشرب وكانت كاترين تتمسك بيدي حين تدرك المباراة وحشية إستثنائية، الحشد يعشق الضربات القاضية. كانوا يصرخون حين يكون أحد الملاكمين على وشك السقوط، كانوا «هم» بالذات من يلقي اللكمات. لربما كانوا في الواقع يلكمون مرؤوسيهم أو زوجاتهم. من ذا يدري؟ من ذا يهتم؟ مزيد من البيرة.

اقترحت على كاترين أن نغادر قبل المبارة النهائية، لقد اكتفيت «موافقة» قالت.

سرنا عبر الممشى الضيق وكان الهواء أزرق بفعل الدخان، لم يعترضنا أي صفير أو إيماءات فاحشة. لقد كان وجهي المطروق والمليء بالندبات أحياناً مصدر قوة.

مشينا راجعين إلى موقف السيّارات الصغير تحت الأوتوستراد. لم تكن الفولزڤاكن الزرقاء طراز ١٩٦٧ موجودة. طراز ١٩٦٧ كان آخر طرازات الفولزڤاكن الجيدة، وكان الفتية يعرفون هذا

«يا هيبورن، لقد سرقوا سيّارتي اللعينة».

«آه يا هانك، غير معقول!».

«لقد اختفت، لقد كانت جاثمة هناك» وأشرت بإصبعي «والآن ها قد اختفت».

«هانك، ماذا سنفعل؟».

«سنستقل تاكسياً أشعر فعلياً بإحباط شديد».

«لماذا يقوم الناس بأفعال من هذا النوع؟»

«أنهم مضطرون. إنهم وسيلتهم للإفلات والشعور بأنهم أحرار»

ولجنا مقهى صغيراً واتصلتُ بسيّارة أجرة. طلبنا قهوة وكعك الدونانتس المحلّي. فيما كنا نحضر المباريات سلبوها مستخدمين خدعة علّاقة الملابس والسلك الكهربائي. لدي قول مأثور هو «خذ امرأتي، لكن إياك أن تمس بسيّارتي». لا يمكن أبداً أن أقتل رجلاً سلبني امرأتي، غير أنه يمكن أن أقتل رجلاً سلب سيّارتي.

وصلت سيّارة التاكسي. في منزلي لحسن الحظ، كان هناك بيرة وبعض الڤودكا كنت فقدت كل الأمل في البقاء واعياً ما يكفي لممارسة الحب. أدركت كاترين ذلك. كنت أذرع المكان جيئة وذهوباً متحدثاً عن سيّارتي الڤولزڤاكن الزرقاء طراز ٦٧ آخر الطرازات الجيدة. لم يكن بمقدوري حتى أن أتصل بالشرطة، كنت شديد الثمالة. سيتوجب عليّ أن أنتظر حتى الصباح، حتى الظهر

«يا هيبورن» خاطبتها قائلاً «إنها ليست غلطتك، ليس أنتِ من سرقها!».

«أتمنى لو أني فعلت، لكنتَ الآن استرجعتها».

تخيّلت فتيين أو ثلاثة صبية أفاقين منطلقين بسرعة فائقة بحبيبتي الزرقاء على أوتوستراد الشاطىء، مدخنين الحشيشة، مقهقهين ومنشرحين. ثم تخيّلت كل بُوَر الخردة تلك على طول جادة سانتا في أفينيو حيث هناك جبال من مِصَدّات السيّارات، من الحواجب الزجاجية، مسكات الأبواب، موتورات المسّاحات، قطع

المحركات، إطارات، أغطية سيّارات، عفاريت سيّارات، مقاعد مفردة للسيّارات، كراسي تحميل دواليب أمامية، أحذية مكابح، راديوهات، بِستونات، صمّامات، مكربنات، أعمدة حدبات، أجهزة نقل حركي، محاور دواليب ـ عاجلاً ما ستمسي سيّارتي مجرد كومة من قطع التبديل المفروطة.

تلك الليلة نمت ملتصقاً بكاترين، بيد أن فؤادي كان حزيناً وبارداً

* * *

- ٣٨ -

لحسن الحظ كنت أمنّتُ على السيّارة ودفعت الشركة لي بدل إيجار سيّارة، فقدُتها مصطحباً كاترين إلى مضمار سباقات الخيل. قعدنا في «هوليوود بارك» فوق المنصة المشمسة على مقربة من منعطف أحد جانبي حلبة السباق. قالت كاترين إنها لا تريد المراهنة، غير أني اصطحبتها إلى الداخل وأريتها لوح جدول السباقات وشبابيك المراهنة.

راهنتُ بخمسة دولارات على حصان يُرجَّح فوزه بنسبة ٧ إلى ٢ ويتميّز بانطلاقة صاعقة، وهو نوع الأحصنة المفضّل لديّ. لطالما اعتبرت أنها خسارة بكل الأحوال، فَلْتخسرْ وأنت في المقدمة، فتكون رابحاً طوال السباق إلى أن يهزمك أحدهم عند النهاية. جرى حصاني جيداً معظم السباق قبل أن ينسحب في نهاية الأمر فحصّل لي تسعة دولارات وأربعين سنتاً وأصبح مجموع ما كسبت سبعة عشر دولاراً وخمسين سنتاً

خلال السباق التالي بقيت هي في مقعدها، فيما توجهت أنا للقيام برهاني. حين رجعت أشارت بإصبعها إلى رجل على مبعدة صفين من المقاعد تحتنا

«هل ترى هذا الرجل هناك؟».

«أجل».

«أخبرني أنه كسب ألفي دولار البارحة، وأن مكسبه حتى الساعة في سباقات اليوم قد بلغ ٢٥ ألف دولار.

«ألا تودّين المراهنة؟ لربما في مقدورنا جميعاً أن نكسب»

«أوه لا أجهل كلياً كيفية القيام بذلك».

«الأمر سهل للغاية، تعطيهم دولاراً، فيردون لك بالمقابل ٨٤ سنتاً هذا يسمّونه «الحصّة»، الدولة والمضمار يتقاسمانها بالتساوي تقريباً آخر همومهم من كسب السباق، إن حصتهم يأخذونها من مجموع أموال المقامرة»

في السباق الثاني حلّ حصاني وهو المرجح للربح بنسبة ٨ على ٥ في المركز الثاني. وقد هزمه «عالمنخار» حصان «فلتة شوط» غير مرشح كلياً حصّلتُ كسباً مقداره ٤٥ دولاراً و٨٠ سنتاً

الرجل الجالس تحتنا بصفين استدار ونظر إلى كاترين «لقد كسبتهُ» قال لها «لقد راهنت بعشرة دولارات على فوزه «عالمنخار»

«أووه» قالت له مبتسمة «هذا جيد».

تحوّلتُ إلى السباق الثالث، وكان مخصصاً للأحصنة التي لم يسبق لها أن ربحت اضافة إلى المُهرُ والخيول المخصية. قبل خمس دقائق من الانطلاق راجعت لوحة الترجيحات، وتوجهت للقيام بالرهان. فيما ابتعدت أبصرت الرجل الجالس تحتنا على مسافة صفين يستدير ويبدأ بالتحدث إلى كاترين، كان هناك دزينة على طرازه يومياً في المضمار، ممن يخبرون الفتيات الجميلات أنهم يربحون على الدوم، آملين أنه سينتهي بهم الأمر بطريقة ما معهن في الفراش. ولعلهم لم يصلوا بتطلعاتهم إلى حدود هذا، لعلهم وحسب كانوا يأملون بشكل مبهم بشيء ما من دون أن يكونوا متأكدين تماماً

من ماهيته. كانوا مشوّشين ومشدوهين مثل ملاكم سقط بالضربة القاضية ويُعّدُ له حتى العشرة. من ذا يستطيع أن يكرههم؟ هم رابحون كبار! إن رأيتهم يراهنون تجدهم دائماً عند شباك رهانات الدولارين، أحذيتهم معدمة الكعوب وثيابهم متسخة. أسفل السفلة.

اخترت الحصان الأكثر ترجيحاً للفوز، وربحَ السباق مجلّياً وكسب رهانه أربعة دولارات. ليس بالكثير، غير أني كنت راهنت عليه بعشرة دولارات. استدار الرجل ونظر إلى كاترين معلناً «لقد أصبت» وأضاف «كسبت مائة دولار»

لم تردّ كاترين عليه. كانت قد بدأت تفهم. الرابحون لا يتشدقون أبداً كانوا يخشون أن يتعرضوا للقتل في موقف السيّارات.

بعد انتهاء السباق الرابع، وكان الحصان الفائز يكسب ٢٢ دولاراً و٨٠ سنتاً مقابل كل دولار مراهنة، استدار مجدداً وخاطب كاترين قائلاً: «لقد كسبت هذا السباق أيضاً، راهنت عليه بعشرة دولارات»

أشاحت بأنظارها عنه، «إن وجهه أصفر يا هانك، هل رأيت عينيه؟ إنه عليل».

«إنه مريض بالحلم. كلنا مرضى بالحلم، ولهذا السبب نحن هنا».

«هانك، هيا بنا نرحل»

«حسناً».

تلك الليلة احتستْ نصف قنينة من النبيذ الأحمر، نبيذ أحمر ممتاز، وكانت حزينة وصامتة. كنت أعي أنها كانت تضعني في سلة واحدة مع مراهني سباقات الخيل وجمهور مباريات الملاكمة، وكان

هذا صحيحاً لقد كنت معهم، كنت واحداً منهم. كانت كاترين تدرك أنه هناك أمراً ما معتلٍّ فيّ، ثمة ما هو مختلّ في تصرفاتي وفي كياني. كنت منجذباً إلى كل الأمور الخطأ أحب السكر، وكنت كسولاً، لم يكن لي ربّ، ولا رأي سياسياً، ولا أفكار، ولا مثاليات. كنت مستقراً في العدم، في نوع من اللاوجود، وكنت راضياً بذلك. كل هذا لا يجعل مني شخصاً مثيراً للاهتمام. لم أكن راغباً في أن أكون مهماً، فهذا صعب جداً ما وددته فعلياً كان وحسب مجرد فسحة ناعمة وغامضة لأعيش فيها، وأن أترك وشأني. وفي المقابل حين أثمل كنت أنفجر بالصراخ وأجن غضباً وأفقد كل اتزاني. هذان السلوكان لم يكن يوافق أحدهما الآخر ما كنت أكترث البتة.

كانت المضاجعة ممتازة تلك الليلة، بيد أنها كانت هي الليلة التي خسرتها فيها لم يكن بوسعي القيام بأي شيء حيال الأمر انقلبت إلى جانبي وتمسحت بالملاءة، فيما دخلت هي إلى الحمّام. فوقنا كانت طوافة خاصة بالبوليس تحوّم فوق هوليوود.

* * *

- ٣٩ -

في الليلة التالية مر لزيارتنا بوبي وڤاليري. كانا انتقلا حديثاً إلى العمارة حيث تقع شقتي ويسكنان حالياً في الجهة المقابلة من فناء العمارة. كان بوبي يرتدي قميصاً لصقه بجسمه. كانت ملابس بوبي ملاءمة دوماً بشكل ممتاز لمقاييس جسمه، وبنطاله محكم التفصيل وبالطول المناسب تماماً، كان ينتعل الحذاء المثالي وشعره مقصوصاً بأناقة. كانت ڤاليري أيضاً لابسة على الطريقة العصرية، إنما بطريقة أقل إبهاراً لقبّهما الناس «دميتا باربي» كانت ڤاليري مقبولة حين تجالسها لوحدها، ذكية ومفعمة بالنشاط ومستقيمة إلى أقصى الحدود. بوبي أيضاً من جهته كان يصبح أشد عطفاً حين أكون وإياه معاً لوحدنا، ولكن حين توجد إمرأة جديدة في الأنحاء، يصبح غبياً وجليّاً، إذ يصوّب كل انتباهه وحديثه وجهة المرأة، كما لو أن مجرد حضوره كان أمراً مثيراً ورائعاً، غير أن حديثه سرعان ما يمسي رتيباً متوقعاً ومضجراً

قعدا كنت جالساً على الكرسي قرب النافذة، وجلست ڤاليري وسط بوبي وكاترين فوق الأريكة. وانطلق عرض بوبي. انحنى إلى الأمام مركزاً انتباهه على كاترين متجاهلاً ڤاليري.

«هل تعجبكِ لوس أنجلوس؟» سألها

«لا بأس بها» أجابت كاترين.

«هل ستبقين هنا لوقت أطول؟».

«لبعض الوقت».

«هل أنت من تكساس؟».

«أجل»

«هل أهلكِ من تكساس»

«أجل».

«هل يعرضون برامج مثيرة على التلفزيون هناك؟».

«إنها مماثلة تقريباً لما يُعرض هنا».

«لي عمّ في تكساس».

«أوه»

«أجل، إنه يعيش في دالاس».

لم تَجبْ كاترين. ثم أعلنت «أستأذنكم، سأتوجه لأعدّ لنفسي سندويشاً، هل يرغب أي منكم بتناول أي شيء؟».

أجبنا بالنفي. نهضت كاترين و دخلت إلى المطبخ. وقف بوبي ولحق بها لم يكن في الوسع سماع الكلام، غير أنه كان في المقدور أن أحزر أنه كان يوجه لها المزيد من الأسئلة. أطرقتْ ڤاليري محدقة في الأرض. أطال بوبي وكاترين مكوثهما في المطبخ. فجأة رفعت ڤاليري رأسها وشرعت تخاطبني، راحت تتحدث بسرعة وعصبيّة.

«يا ڤاليري» قاطعتها قائلاً: «لا حاجة لأن نتحدث، ليس موجباً أن نتبادل الحديث».

أطرقتْ مخفضةً رأسَها من جديد.

ثم هتفتْ «هاي، ما الخطب؟ لقد طال مكوثهما هناك، أوهل تقومان بتشميع الأرضية؟».

انفجر بوبي ضاحكاً وراح يطرق قدمه إيقاعياً على الأرض.

في نهاية الأمر خرجت كاترين يتبعها بوبي. توجهت نحوي وأرتني سندويشها وكان يحتوي زبدة الفستق السوداني، فوق رقاقة من القمح وشرحات من الموز وحبيبات السمسم.

«يبدو شهياً» قلت لها

جلست وبدأت تلتهم سندويشها أطبقَ الصمت وتابع كما لو أنه حطّ على رؤوسنا الطير وفجأة انبرى بوبي قائلاً: «حسناً، أَعتقد أنه يجب أن نغادر.

غادرا بعدما انغلق الباب، نظرت إليّ كاترين وقالت: «لا تسئ الظن يا هانك، لقد كان وحسب يحاول إثارة إعجابي»

«لقد فعل ذلك مع كل امرأة عرفتها مذ تعرّفت إليه».

رن جرس الهاتف. كان المتصل بوبي. «هاي يا رجل، ما الذي فعلته بزوجتي؟»

«ما الخطب؟».

«إنها خائرة هنا، محبطة كلياً وتأبى الكلام».

«أنا لم أفعل أي شيء لزوجتك».

«لست أفقه ما يحدث».

«عمت مساءً يا بوبي».

أقفلتُ السماعة.

«لقد كان هذا بوبي» أخبرت كاترين «إن زوجته تعاني من الكآبة».

«أحقاً؟».

«هكذا يبدو».

«هل متأكد أنت أنك لا ترغب بتناول سندويش؟».

«هل بمقدورك أن تعدّي لي واحداً مشابهاً تماماً لسندويشك؟».

«آه، بلى»

* * *

- ٤٠ -

مكثت كاترين أربعة أو خمسة أيام أخرى. كنا أدركنا فترة من الشهر تصبح خلالها ممارسة كاترين للجنس محفوفة بخطورة الحبل. لم أكن أطيق الواقيات الذكرية. أحضرت كاترين نوعاً من الرغوة المانعة للحمل. وفي الأثناء استعادت الشرطة سيّارتي الڤولزڤاكن. توجهنا إلى حيث كانت محجوزة. ألفيتها غير مصابة بأي أذى وبحال جيدة باستثناء خمود بطاريتها عملت على نقلها إلى مرآب للتصليح في هوليوود حيث قاموا بإصلاحها بعد وداع أخير في الفراش أوصلت كاترين إلى المطار في الڤولزڤاكن الزرقاء رقم TRV٤٦٩

لم يكن نهاراً سعيداً بالنسبة لي. جلسنا صامتين. ثم نادوا على الركاب وجوب ركوب الطائرة وتبادلنا القبل.

«هاي! لقد رأى الجميع هذه الفتاة الشابة تقبّل هذا العجوز».

«ما همّيَ؟».

قبلتني كاترين مجدداً

«سوف تفوّتين رحلتك» قلت.

«تعال لزيارتي يا هانك. لدي بيت لطيف. أسكن لوحدي. تعال لزيارتي».

«سأفعل».

«أكتبْ!».

«سأفعل.

توجهتْ إلى داخل نفق ركوب الطائرة وتوارتْ.

مشيت عائداً إلى موقف السيّارات، ركبت سيّارتي الڤولزڤاكن، وفكرت في نفسي أنه لا يزال لديّ على الأقل هذه. سحقاً، لم أخسر كل شيء.

انطلقت بها

* * *

ـ ٤١ ـ

تلك العشيّة شرعت بالسكر. لم يكن ذلك بالأمر السهل من دون كاترين. عثرت على بعض الأغراض التي كانت خلفتها وراءها، أقراط للأذنين وسوار.

فكرت أنه ينبغي أن أجلس مجدداً أمام آلتي الكاتبة. الفن يتطلّب انضباطاً في وسع مطلق أحمق اصطياد النساء. شربت مستغرقاً في كل هذا

عند الساعة الثانية وعشر دقائق فجراً رنّ الهاتف. كنت أحتسي قنينة البيرة الأخيرة.

«مرحباً»

«مرحباً» كان صوتاً أنثوياً، صوت فتاة شابة.

«من هناك؟».

«هل أنت هنري شيناسكي؟»

«أجل»

«إن صديقتي معجبة بكتاباتك، اليوم عيد مولدها وقلت لها أني سوف أتصل بك. لقد فوجئنا بالعثور على رقم هاتفك في الدليل»

«إني مسجل هناك».

«حسناً، إنه عيد مولدها وخطر لي أنه لربما سيكون طيباً لو يكون بوسعنا القدوم لزيارتك».

«موافق».

«قلت لآرلين أن ثمة احتمالاً بأن يكون بيتك مليئاً بالنساء».

«إني شخص متوحّد».

«إذاً لا بأس إن قدمنا لزيارتك الآن؟»

أعطيتهما العنوان والطريق إلى الوصول.

«ثمة مشكلة وحيدة، لقد نفذتْ لدي البيرة».

«سوف نحضر معنا بعض القناني، إني أدعى تامي».

«لقد تجاوزت الساعة الآن الثانية فجراً».

«سوف نحضر بعض القناني لا تقلق، إن الملابس المقوّرة تحقّق العجائب»

وصلتا بعيد عشرين دقيقة بملابسهما المقوّرة إنما من دون بيرة.

«ابن العاهرة ذاك» بدأت آرلين «لطالما أعطانا من قبل، هذه المرة بدا خائفاً»

«أير فيه».

جلستا وأعلنتا عمريهما

«عمري ٣٢ سنة» قالت آرلين.

«عمري ٢٣ سنة» قالت تامي.

«إجمعا عمريكما معاً» قلت «فتحصلان على عمري بالضبط»

آرلين كان لها شعر أسود طويل. جلست على الكرسي الملاصق للنافذة تسرّح شعرها وتبرّج وجهها ناظرة في المرآة الفضيّة الكبيرة

ومتحدثة. كان واضحاً أنها منتشية بفعل حبوب المخدر. كانت تامي تمتلك جسداً قريباً من الكمال وشعراً طويلاً أصهب طبيعياً كانت أيضاً قد تناولت حبوباً غير أنها لم تكن «مطووشة» مثل صديقتها

«السعر هو مائة دولار مقابل المضاجعة الواحدة» أعلنت لي تامي.

«لا مجال».

كانت تامي قاسية العريكة مثل العديد من النساء في أوائل عشرينياتهن. وجهها كان أشبه بوجه سمكة القرش. أنفرتني وكرهتها على الفور.

غادرتا حوالي الساعة الثالثة والنصف فجراً وتوجهت إلى السرير وحيداً.

* * *

- ٤٢ -

بعد صباحين عند الرابعة فجراً طرق أحدهم بابي.

«من هناك؟».

«إنها القحبة الصهباء».

أدخلتُ تامي. جلستْ وفتحتُ قنينتين من البيرة.

«رائحة أنفاسي كريهة، لدي سِنّان مسوّسان. ليس بوسعك أن تقبلّني»

«لا بأس».

رحنا نتحادث. في الواقع كنت أستمع. كانت تامي تحت تأثير مخدر «السبيد»، أنصتُ وأتأملُ شعرها الأصهب الطويل، وكنت أستغل استغراقها في ذاتها لأحدق وأحدّق بذاك الجسد. كان يطفح بثيابها راجياً التحرّر. حكتْ وحكتْ بلا انقطاع. لم أمسّها

عند الساعة السادسة صباحاً أعطتني تامي عنوانها ورقم هاتفها

بادرتني قائلة «ينبغي أن أغادر».

«سأماشيك حتى سيّارتك».

سيّارتها من طراز «كامارو» حمراء زاهية ومخلّعة كلياً مقدمتها منسحقة مبعوجة إلى الداخل، وكان أحد الرفرافين مخلوعاً كلياً والنوافذ غير موجودة. تكدست في داخلها الأسمال البالية والقمصان

وعلب محارم الكلينكس والجرائد وعلب الحليب الكرتونية وقناني الكولا والأسلاك والحبال والمناديل الورقية والمجلّات والأكواب الكرتونية والأحذية وشاروقات للشراب ملتوية وملوّنة. هذا المقدار الضخم من الأعراض كان مكدساً فوق مستوى المقعد، وغطى كل المقاعد. نطاق السائق وحسب كان خلواً إلى حد ما

أخرجت تامي رأسها من نافذة السيّارة وتبادلنا قبلة.

انطلقت بعدئذٍ متجاوزة الحاجز الحجري عند حافة الطريق، وحين أدركت المنعطف كانت بلغت سرعتها ثمانين كلم بالساعة. ضغطتْ على الفرامل وجعلت «الكامارو» تنتفض مثل حازوقة طلوعاً ونزولاً، طلوعاً ونزولاً عدت أعقابي إلى الداخل.

توجهت إلى الفراش مفكراً بشَعرِها لم يسبق أن عرفت صهباء حقيقية من قبل. كانت ناراً

خطر لي أنها أشبه بصاعقة من الفردوس.

لسبب ما غير معلّل لم يبد وجهها البتة قاسياً كما انبرى من قبل.

* * *

- ٤٣ -

اتصلتُ بها كانت الساعة الواحدة ما بعد منتصف الليل، وتوجهتُ إلى مسكنها.

سكنت تامي في بنغل صغير وراء أحد المنازل.

أدخلتني إلى مسكنها

«أبقِ صوتك خفيضاً، لا توقظ دانسي، إنها إبنتي عمرها ست سنوات وهي نائمة في حجرة النوم».

أحضرتُ معي ست قنانٍ من البيرة، فوضعتها تامي من البرّاد وعادت حاملة قنّينتين

«لا يجب أن تبصر ابنتي أي شيء، وما زلت أعاني من سني المسوّسين، ويجعلان رائحة فمي كريهة. لا أستطيع التقبيل»

«لا بأس».

كان باب حجرة النوم مغلقاً.

«إسمع» قالت «يتوجب أن آخذ جرعة من الڤيتامين باء. وعليّ أن أخفض بنطالي وأغرز محقنة في مؤخرتي. أشحْ بنظركِ إلى الجهة الأخرى.

«حسناً سأفعل».

شاهدتها وهي تدخل السائل في المحقنة، وأشحت بأنظاري بعيداً.

«عليّ أن أفرغها كلّها» قالت.

حين فرغت من ذلك أدارت مذياعاً صغيراً أحمر.

«لديك منزل جميل».

«إني متخلّفة شهراً عن دفع بدل الإيجار».

«أوه!».

«لا مشكلة على الإطلاق. إن المالك يقطن هناك في المنزل الأمامي. أستطيع أن أتكفل بأمره».

«جيّد».

«إنه متزوّج هذا العجوز الحقير، وهل تحزر ماذا جرى؟».

«ابداً».

«منذ بضعة أيام خرجتْ زوجته إلى مكان ما، فطلب مني العجوز اللعين أن أتوجه لرؤيته. ذهبت إلى هناك واحزر ماذا حصل؟».

«هل أخرجه؟».

«لا، عرض أفلاماً بورنوغرافية، خالَ ذلك القذر أن ذلك سيهيجني».

«ألم يحدث ذلك؟».

«قلت له يا سيد ميلر أنا مضطرة للمغادرة الآن. عليّ أن أُحضرْ دانسي من المدرسة».

أعطتني تامي حبة أمفيتامين منبّهة. رحنا نتحدث بلا توقف ونحتسي البيرة.

عند الساعة السادسة صباحاً فتحت تامي الأريكة التي كنا جالسين

عليها، وكان هناك ملاءة. خلعنا حذائينا واندسينا بثيابنا تحت الملاءة. غمرت تامي من الخلف مغمساً وجهي في جمّ ذلك الشعر الأصهب، انتصب قضيبي بشدّة فأقحمته فيها من الوراء عبر ثيابها، وسمعت خدش وحفر أظافرها في حافة الأريكة.

«أنا مضطر للمغادرة» بادرتُ تامي قائلاً

«إسمعني، كلّ ما عليّ القيام به هو إعداد بعض طعام الفطور لدانسي وإيصالها إلى المدرسة. لا ضير إن رأتك. انتظرني هنا إلى أن أعود».

«أنا مغادر» قلت.

قدت إلى المنزل ثملاً وكانت الشمس أشرقت وارتفعت صفراء ومؤلمة.

* * *

- ٤٤ -

طوال سنوات عديدة نمت على فرشة رديئة تنغرز فيّ رفّاصاتها إبان ما بعد الظهيرة تلك، حين استفقت نزعت الفرشة من على السرير وجررتها إلى الخارج، ثم أسندتها إلى برميل قمامة.

أقفلتُ عائداً إلى الداخل وتركت الباب مشرعاً

كانت الساعة الثانية فجراً والطقس حاراً

دخلت تامي وجلستُ على الأريكة.

«عليّ أن أغادر» بادرتها بالقول «ينبغي أن أبتاع فرشة».

«ماذا، فرشة؟ لا بأس، سأغادر»

«لا يا تامي، انتظري أرجوكِ. الأمر برمته يستغرق ربع ساعة. انتظري هنا فيما تحتسين قنينة بيرة»

«موافقة» ردت.

كان هناك متجر للفرشات المجدّدة على مبعدة أربع عمارات في شارع ويسترن. ركنت سيّارتي أمامه وهرولت عبر المدخل «يا شباب، إني بحاجة إلى فرشة. بسرعة»

«ما هو نوع سريرك؟».

«مزدوج».

«لدينا هذه وسعرها ٣٥ دولاراً».

«اشتريت»

«هل بوسعك أن تنقلها بسيّارتك؟».

«لدي سيّارة ڤولزڤاكن».

«حسناً، سوف ننقلها ونسلّمها لك. ما هو العنوان؟»

كانت تامي لا تزال هناك حين رجعت.

«أين هي الفرشة؟»

«ستصل قريباً إشربي قنينة بيرة أخرى. هل لديكِ حبّة؟».

أعطتني حبّة أمفيتامين. وانبجس النور من خلال شعرها الأصهب.

تامي كانت انتُخبت «ملكة جمال ساني باني» إبان معرض مقاطعة أورانج الزراعي في العام ١٩٧٣ مضى على ذلك الآن أربعة أعوام غير أنها ما تزال متألقة. كانت بدينة ومكتنزة في كل المواضع المناسبة.

وصلَ مسلِّم البضاعة ووقف أمام الباب حاملاً الفرشة.

«دعني أساعدك».

كان مسلِّم الفرشات رجلاً طيب الروح. ساعدني على وضع الفرشة فوق السرير رأى بعدئذٍ تامي جالسة على الأريكة فابتسم وحيّاها بالقول «مرحباً»

«شكراً جزيلاً» قلت له وناولته ثلاثة دولارات ثم غادر.

دخلت حجرة النوم ونظرت إلى الفرشة. تبعتني تامي. كانت الفرشة مغلّفة بالسيلوفان فشرعت أمزقه وعاونتني تامي.

«أنظر كم هي جميلة» قالت.

«أجل هذا صحيح».

كانت زاهية وملّونة. ورود وسويقات وأوراق نبتات ونبتات كرمة متعرشة وملتفة. بدت أشبه بجنة عدن وبخمسة وثلاثين دولاراً

حدّقت فيها تامي قائلة «هذه الفرشة تهيّجني، أريد أن أدشنها، أود أن أكون أول امرأة تضاجعك فوق هذه الفرشة».

«أتساءل من ستكون الثانية؟».

توجهت تامي إلى داخل الحمام. حل صمتٌ ثم سمعت رقرقة مياه الدش. فرشت ملاءات جديدة وأغطية وسادات ثم تعرّيت من ثيابي وتسلّقت الفراش. أطلّت تامي صبيّة وبليلة فكانت تتلألأ بدا لون شعر عانتها مماثلاً لشعر رأسها أصهب كالنار.

توقفت أمام المرآة وشدّت معدتها فارتفع ثدياها الضخمان باتجاه المرآة. كان بمقدوري رؤيتها من الخلف ومن الأمام في الآن معاً

توجهت نحوي واندست تحت الملاءة.

شرعنا بطيئاً في جماعنا

انغمسنا في المضاجعة وانتشر كل ذلك الشعر الأصهب فوق الوسادة، فيما عَوَتْ في الخارج أبواقُ السيّارات ونبحت الكلاب.

* * *

- ٤٥ -

زارتني تامي تلك العشيّة، بدت مبهوتة بتأثير المخدرات.

«أرغب في احتساء الشمبانيا» بادرتني قائلة.

«جيد جداً» أجبتْ.

ناولتها ورقة نقدية من فئة العشرين دولاراً

«سأعود على الفور» قالت وهي خارجة من الباب.

بعدئذٍ رن جرس الهاتف كانت ليديا «كنت أتساءل وحسب إن كانت أمورك جيدة».

«إن الأحوال على ما يرام».

«لكنها هنا ليست كذلك. إني حامل».

«ماذا؟».

«ولست أعرف من هو الأب».

«أوه؟».

«إنت تذكر داتش، ذاك الرجل الذي يتسكّع باستمرار في البار حيث أعمل حالياً؟».

«بلى، صديقنا الأصلع».

«في الواقع أنه حقيقة شخص لطيف وهو مغرم بي. يهديني زهوراً

وحلوى ويريد أن يتزوجني. كان في غاية اللطافة، وفي إحدى العشيات عدت برفقته إلى المنزل ومارسنا الحب».

«جيّد»

«هناك أيضاً بارتي. هو متزوج غير أنه يعجبني. بين كل الرجال الذين يرتادون البار هو الوحيد الذي لم يحاول أن «يشدّني» هذا ما سحرني فيه. كما تعرف أني أحاول بيع منزلي، لذا مرّ بي في عصر أحد الأيام. كانت مجرد زيارة، قال إنه يرغب وحسب في إلقاء نظرة على البيت لصالح أحد أصدقائه. سمحت له بالدخول. في الحقيقة جاء تماماً في الوقت المناسب، إذ كان الولدان في المدرسة لذا لم أمانع. ثم ذات ليلة دخل ذلك الرجل الغريب إلى البار في وقت متأخر طلب مني أن أذهب معه إلى البيت. رفضت ثم قال إنه يرغب وحسب بالجلوس معي في السيّارة، التحدث إليّ. وافقت. جلسنا معاً في السيّارة وتحدثنا ثم دخنّا متشاركين لفافة ماريجوانا بعدئذٍ قبّلني. تلك القبلة كانت السبب. لو لم يقبّلني لما كنت ضاجعته، والآن أنا حامل وأجهل مِمّن. يتوجب عليّ أن أنتظر لأرى من الطفل سيشبه».

«جيد جداً يا ليديا أتمنى لك كل الحظ»

«أشكرك».

أقفلتُ السمّاعة. مرت دقيقة ثم رن الهاتف مجدداً كانت ليديا «أوه» بدأت «كيف تجري أمورك أنت؟»

«لا تغيير، أحصنة وسِكر».

«إذاً أمورك على خير ما يرام؟».

«ليس تماماً».

«ما الخطب؟».

«في الواقع أرسلت هذه المرأة لتحضر الشبمبانيا

«إمرأة؟».

«حسناً، فتاة بالأحرى.

«أتقول فتاة؟»

«أرسلتها مع عشرين دولاراً لتحضر قنينة شمبانيا ولم ترجع بعد. أظن أني خُدعت».

«شيناسكي، لا أتحمل أن تحدثني عن نسائك، أو هل تفهم ذلكِ؟»

«حسناً».

أقفلت ليديا السمّاعة وسمعت طرقاً على باب المدخل. كانت تامي، عادت مع قنينة الشمبانيا والفكّة.

* * *

- ٤٦ -

في اليوم التالي حوالي الظهيرة رن الهاتف. كانت ليديا مجدداً

«إذاً، هل عادت بقنينة الشمبانيا؟».

«من؟».

«عاهرتك».

«أجل رجعت.

«وماذا جرى بعد ذلك؟».

«شربنا الشمبانيا، كانت من النوع الممتاز»

«وماذا جرى بعد ذلك؟»

«في الواقع أنت تعرفين، اللعنة.

سمعت عويلاً مديداً ممسوساً أشبه بعويل حيوان الشرَّه مصاباً بطلقات نارية في ثلج القطب الشمالي، ومتروكاً لينزف وحيداً ويموت.

أقفلتُ الخط.

نمت معظم ما بعد الظهيرة وفي تلك الليلة توجهت بسيّارتي إلى ميدان سباق عربات الخيل.

خسرت ٣٢ دولاراً، فركبت في الڤولزڤاكن وقدت راجعاً ركنت السيّارة وعبرت شرفة مدخل المنزل وأدخلت المفتاح في قفل

الباب. كانت كل الأضواء مشتعلة. جلت بنظري في الأرجاء. كل الجوارير كانت أنتزُعتْ ومقلوبة على الأرض، أغطية الفراش كانت أيضاً مرمية على الأرض. كل الكتب كانت مفقودة من على الرفوف بما فيها كتب مؤلفاتي، ما يقارب عشرين مؤلفاً واختفت أيضاً آلتي الكاتبة ومحمصة الخبز الكهربائية والراديو، واختفت أيضاً لوحاتي.

خطر لي أنها ليديا

كل ما تركته لي كان جهاز التلفزيون، لأنها كانت تعرف أني لم أكن البتة أشاهده.

سرت إلى الخارج فأبصرت سيّارة ليديا، لكنها لم تكن موجودة في داخلها

«يا ليديا» هتفت «هاي حبيبتي!».

رحت أجوب الشارع طلوعاً ونزولاً وفجأة أبصرت قدميها، كانت قدميها الإثنتين بارزتين من خلف شجيرة قائمة بمحاذاة جدار أحد المباني. تقدمت من الشجيرة وهتفت قائلاً «ما خطبك بحق الجحيم، هل جننت؟».

لم تحرك ليديا ساكناً كانت تحمل كيسي تسوّق ممتلئين بكتبي وحقيبة تحوي لوحاتي.

«إسمعي يجب أن تعيدي لي كتبي ولوحاتي، إنها خاصتي»

خرجت ليديا من خلف الشجرة. صارخة. أخرجت الرسومات وبدأت تمزقها، راحت ترمي القطع في الهواء وحين سقطت على الأرض جعلت تدوسها بقدميها، كانت تنتعل جزمتها الخاصة برعاة البقر.

بعدئذٍ راحت تنتشل الكتب من داخل كيسي التسوّق وبدأت ترميها في الأرجاء، إلى الشارع وإلى المرجة وإلى كل مكان.

«ها هي ذي كُتبكَ! ها هي لوحاتك! إياك أن تحدثني عن نسائك! إياك أن تحدثني عن نسائك!» هتفت بأعلى صوتها

اندفعت بعدها ليديا راكضة نحو فناء شقتي حاملة بيدها كتاباً، مؤلفي الأخير «أعمال هنري شيناسكي المختارة» وراحت تصرخ «إذاً تريدُ استرجاع كتبك؟ إذاً تريد استرجاع كتبك؟ إليك كتبك الملعونة! وإياك أن تحدثني مجدداً عن نسائك!»

بدأت بعدئذٍ تحطم ألواح بوابة مدخلي الزجاجية، ممسكة «أعمال هنري شينساسكي المختارة» راحت تحطم اللوح تلو الآخر زاعقة «تريد استرداد كتبك؟ ها هي كتبك اللعينة!» لتصرخ بأعلى صوتها «وإياك أن تحدثني عن نسائك! لا أريد أن أسمع شيئاً عن نسائك!»

تسمرّت هناك بلا حراك فيما صرخت وحطمت الزجاج.

أين هي الشرطة؟ رحت أفكر أين؟

بعدئذٍ ركضت ليديا باتجاه ممشى الفناء وركلت بشكل خاطف بيسراها برميل القمامة ثم ركضت نزولاً عبر ممر الشقة المجاورة. خلف أجمة صغيرة قبعتْ آلتي الكاتبة والراديو ومحمصة الخبز الكهربائية.

انتشلت ليديا الآلة الكاتبة وركضت بها إلى منتصف الشارع. كانت ماكينة قديمة ثقيلة الوزن من الطراز المعهود. رفعت ليديا الآلة عالياً فوق رأسها بيديها الإثنتين وخبطتها بعنف في الشارع. فتطايرت أسطوانتها وقطع أخرى في أرجاء الطريق. حملتْ الآلة الكاتبة

مجدداً، رفعَتْها فوق رأسها وصرخت بأعلى ما أوتيت «إياك أن تحدثني عن نسائك» وخبطتها على الطريق مجدداً

قفزت ليديا بعدئذٍ داخل سيّارتها وانطلقت مغادرة.

بعد خمسة عشر ثانية بالتحديد وصلت سيّارة مطوّفة الشرطة.

«إنها سيّارة ڤولزڤاكن برتقالية. إنها تدعى «الشيء» تبدو أشبه بدبابة لا أذكر رقم لوحتها، إنما الأحرف هي هاء وذال وياء مثل هاذي، هل فهمت؟»

«والعنوان؟».

أعطيتهم عنوانها

من دون أدنى ريب أعادوها في سيّارتهم. وسمعت نواحها من المقعد الخلفي فيما أوقفوا السيّارة.

«قف بعيداً» صرخ بي أحد الشرطيين فيما قفز إلى خارج السيّارة. تبعني صعوداً إلى منزلي. مشى إلى الداخل واطئاً بعض الزجاج المحطّم. لسبب ما غير مفسّر راح يوجّه ضوء مشعله الكهربائي إلى السقف وإلى قوالب السقف.

«هل ترغب في تقديم شكوى؟» سألني الشرطي.

«كلا، إن لديها ولدين. لا أريدها أن تخسر ولديها إن زوجها السابق يسعى إلى انتزاعهما منها ولكن «أرجوك» قل لها أنه غير مسموح للناس بأن يقوموا بأفعال من هذا النوع»

«لا عليك» قال «الآن وقّع هذه»

كتبه بخطّ يده على دفتر ملاحظات صغير ذي صفحات مسطّرة. وكان النص كالتالي «أنا الموقع أدناه هنري شيناسكي لن أقوم برفع شكوى ضد المدعوة ليديا فانس».

وقّعتُ الورقة وغادر.

أغلقت ما كان تبقى من البوابة وتوجهت إلى السرير وحاولت أن أنام.

بعد حوالي الساعة رن جرس الهاتف. كانت ليديا كانت عادت إلى منزلها صرخت بأعلى ما أوتيت عبر الهاتف:

«يا ـ ابن ـ العاهرة ـ إن تجرأت يوماً على إخباري عن نسائك مجدداً، سوف أقوم مجدداً بما فعلته!».

وأقفلتْ السمّاعة.

* * *

- ٤٧ -

بعد ليلتين توجهت إلى منزل تامي في «راستك كورت». طرقت الباب. لم تكن الأضواء مشتعلة. بدا المنزل خالياً تحققت من صندوق بريدها كان هناك رسائل فيه. كتبت لها رسالة موجزة «تامي، حاولت عدة مرات الاتصال بك. مررت بك ولم أجدكِ في المنزل. هل أنت بخير؟ إتصلي بي. هانك».

توجهت بالسيّارة إلى منزلها عند الساعة الحادية عشرة صباحاً، لم تكن سيّارتها أمام المنزل. رسالتي كانت ما تزال هناك مشكوكة في الباب، قمت بأية حال بقرع الجرس. كانت الرسائل لا تزال في صندوق البريد. تركت لها رسالة موجزة في صندوق البريد «يا تامي أين أنت بحق الجحيم؟ إتصلي بي. هانك».

جبتُ بسيّارتي في كل أرجاء المنطقة المجاورة بحثاً غن تلك الكامارو الحمراء المهشمة.

عدت مجدداً ذاك المساء، كانت تمطر وألفيت رسالتي مبتلّتين، والمزيد من الرسائل في صندوقة البريد. تركت لها إحدى مجموعاتي الشعرية، موقّعة، وعدت بعدها إلى خنفسائي الڤولزڤاكن. كان لدي صليب مالطة معلقاً على مرآة الخلفيات في سيّارتي. نزعته من مكانه حملته إلى منزلها وربطته بمسكة الباب.

كنت أجهل مكان إقامة أي من أصدقائها، أو أين كانت تقطن أمّها، أو أين سكن عشّاقها

عدت إلى مبناي وكتبت بعض قصائد الحب.

ـ ٤٨ ـ

كنت أجالس فوضوياً من «بيفرلي هيلر» يدعى بين سولغناغ، كان يقوم بكتابة سيرتي الذاتية حين سمعت وقع خطاها في ممشى الفناء. كنت أحفظ ذلك الوقع عن ظهر قلب ـ كانتا دوماً معجّلتين ومهتاجتين ومثيرتين، تينك القدمين الضئيلتين. كنت أسكن على مقربة من خلفية الفناء. كان بابي مشرعاً ودخلت تامي راكضة.

وجد كل منا الآخر بين ذراعيه ورحنا نتعانق ونتبادل القبل.

تمنى لنا بين سولفناغ مساءً طيّباً وغادر.

«صادر أولاد الحرام أولئك متاعي، كل أغراضي! عجزت عن دفع بدل الإيجار! يا له من وسخ إبن حرام!»

«سوف أتوجه إن تودين إلى هناك، وأركل مؤخرته وسنسترجع أغراضك».

«لا، أن يمتلك بنادق! كل أنواع البنادق!»

«أوه»

«إبنتي موجودة في منزل أمي»

«ما رأيك لو نشرب شيئاً؟».

«بالتأكيد».

«ماذا؟».

«شمبانيا إكسترا دراي».

«عظيم».

كان الباب لا يزال مفتوحاً وكلّل ضوء الشمس المنهمر شعرها بهالة ـ كان طويلاً جداً وأصهب جداً وبدا وكأنه يحترق.

«هل أستطيع الاستحمام؟».

«بالتأكيد».

«انتظرني» قالت.

في الصباح تحدثنا عن وضعها المالي كانت ستصلها مبالغ من المال، منها إعانة عائلية لطفلتها إضافة إلى شيكي بطالة وأموال أخرى ستصل.

«ثمة شقة غير مؤجرة في الجهة الخلفية من المبنى هنا، فوقي تماماً، ما رأيك؟»

«كم يبلغ بدل إيجارها؟»

«مئة وخمسة دولارات شهرياً ويتضمن ذلك نصف بدلات فواتير النفقات.

«يا للشيطان، في مقدوري دفع هذا هل يوافقون على وجود أطفال؟ أو طفل واحد على الأصح؟».

«سيوافقون. لديّ نفوذ خاص هنا إني أعرف أصحاب الملك».

يوم الأحد التالي كانت انتقلتْ للسكن في الشقة. قطنتْ الشقة القائمة تماماً فوقي، وفي مقدورها رؤية جوف مطبخي حيث أطبع كتاباتي على الآلة الكاتبة فوق طاولة ركن الفطور.

* * *

- ٤٩ -

ليلة تلك الثلاثاء كنا جالسين نحتسي الكحول في منزلي، أنا وتامي وشقيقها جاي حين رن جرس الهاتف. كان المتصل بوبي.

«إن لوي وزوجته عندنا هنا، وهي ترغب في التعرف إليك».

كان لوي هو الشخص الذي أخلى الشقة التي سكنتها تامي. كان يعزف في فرق موسيقى الجاز في نوادي ليلية صغيرة ولم يصب الكثير من الحظ. غير أنه شخص ممتع.

«أفضّل التغاضي عن هذا يا بوبي».

«سيستاء لوي إن لم تحضر إلى هنا».

«حسناً أنا قادم يا بوبي لكني سأصحب بمعيّتي صديقين».

ذهبنا إلى هناك وجرى التعارف ما بين الجميع ثم أحضر بوبي بعدئذٍ بعض قناني البيرة الرخيصة، وكانت موسيقى جهاز الستيريو تصدح عالياً

«قرأت قصتك القصيرة في مجلّة «الفارس» بادرني لوي قائلاً «إنها قصة غريبة فعلياً لم يحدث أبداً أن ضاجعت امرأة ميتة، أليس كذلك؟».

«الأمر ببساطة إن بعضهن تركن فيّ انطباعاً بأنهن كن ميتات».

«أفهم ما تقصد».

«أكره هذه الموسيقى» انبرت تامي قائلة.

«وكيف تجري أمورك مع الموسيقى يا لوي؟».

«أعزف حالياً مع فرقة جديدة، إن قدّر لنا الاستمرار معاً لفترة كافية قد ندرك النجاح».

«أعتقد أني راغبة في مصّ أحد ما» اعلنت تامي «أعتقد أني سأمص بوبي، أظن أني سأمص لوي، أعتقد أني سأمص أخي!»

كانت تامي ترتدي ثوباً طويلاً بدا أشبه بثوب سهرة رسمي، وما يشبه أيضاً في الآن نفسه ثوب منامة.

ڤاليري زوجة بوبي كانت في عملها، فهي تعمل نادلة في حانة ليلتين في الأسبوع. لوي وزوجته بولا وبوبي كانوا بدأوا الشرب مذ وقت طويل.

ازدرد لوي جرعة من البيرة الرخيصة، فشعر بالغثيان فقفز راكضاً إلى خارج باب البيت. هبت تامي واقفة وَعَدتْ إلى الخارج لاحقة به. بعيد هنيهة دخلا عبر الباب معاً

«اللعنة، هيّا بنا نغادر من هنا» توجّه لوي لباولا قائلاً

«موافقة» ردّت.

نهضا وغادرا معاً

أحضر بوبي المزيد من البيرة. كنت وجاي نتحدث في أمر ما وفجأة سمعت صوت بوبي.

«لا توبخني! هاي يا صديقي لا لوم عليّ في هذا!»

رفعت بصري ونظرت. كانت تامي حاشرة رأسها في حضن بوبي وممسكة بيدها خصيتيه، ثم رفعتها واختطفت قضيبه، وتشبثت بقضيبه فيما كانت طوال الوقت تحدّق مباشرة في عيني.

ازدردتُ جرعة صغيرة من البيرة، وضعتُ القنينة جانباً، وقفتُ وغادرت.

- ٥٠ -

في اليوم التالي كنت متوجهاً لابتياع صحيفة فالتقيت بوبي.
«اتصل بي لوي» قال «أخبرني ماذا جرى معه»

«أهذا صحيح، وماذا؟».

«ركض إلى الخارج ليتقيأ وفيما كان يفعل أمسكت تامي بعضوه وقالت له «تعال نصعد سوف أرضع لك قضيبك وسنقحمه بعدئذٍ في بيضة شوكولا العيد» أجابها بالرفض فردت عليه بالقول «ما الخطب؟ ألست رجلاً؟ هل أنت عاجز عن تحمّل السكر؟ إصعد معي وسأمصك حتى الثمالة!».

نزلتُ إلى ناصية الشارع وابتعتُ الصحيفة. عدت وتفحصت نتائج سباقات الخيل، وقرأت أخبار العراكات بالسكاكين والاغتصابات والجرائم.

سمعت طرقاً على باب المدخل. كانت تامي. دخلتْ وجلستْ.

«إسمعني» بدأت «أعتذر إن كنت آلمتك بتصرفي كما فعلت، غير أن هذا هو الأمر الوحيد الذي آسف عليه، ما تبقى لا يتعلق بسواي».

«لا بأس» قلت «لكنك جرحت أيضاً مشاعر بولا حين لحقت بلوي إلى الخارج. إنهما معاً، أتفهمين ما أقصد؟»

«اللعنة» زعقت بي بأعلى صوتها «أنا لا أعرف لا بولا ولا آدم ولا حوّاء؟».

- ٥١ -

في ذلك المساء اصطحبت تامي إلى حلبة سباقات عربات الخيل. صعدنا إلى الأعلى إلى المدرّج الثاني وقعدنا هناك. أحضرت لها برنامج السباقات وحدقت فيه قليلاً (في برنامج سباقات عربات الخيل تطبع نتائج السباقات السابقة)

«إسمعني» قالت «لقد تناولت حبوباً وحين أكون تحت تأثير الحبوب أفقد أحياناً توازني كلياً وأضيع لا تشح بأنظارك عنّي»

«حسناً، يتوجب عليّ أن أقوم بالمراهنة. هل تريدين بعض الدولارات للمراهنة بها؟».

«كلا»

«حسناً، سأعود سريعاً»

توجهتُ إلى شبابيك المراهنات وراهنت بخمسة دولارات على الحصان رقم ٧.

حين رجعت لم تكن تامي موجودة هناك. خطر لي أنها توجهت بكل بساطة إلى مرحاض النساء.

جلست متابعاً السباق. فاز الحصان رقم ٧ وكسب دولاره خمسة، غنمت ٢٥ دولاراً

لم تكن تامي قد عادت بعد. خرجت الأحصنة استعداداً للسباق التالي قررت أن لا أراهن. قررت أن أفتش عن تامي.

توجهت أولاً إلى المدرج الأعلى وهو المدرج المسقوف وبحثت في كل المماشي والأجنحة والمنصات المميّزة والملهى. لم أستطع العثور عليها

انطلق السباق الثاني وأدركتْ العربات المنعطف. سمعت زعيق المراهنين إبان المرحلة الأخيرة من السباق فيما كنت أنزل إلى الطبقة الأرضية. جلت بأنظاري في كل الأرجاء بحثاً عن ذلك الجسد الرائع، وذلك الشعر الأصهب. لم أعثر عليها

نزلت إلى مركز طوارىء الإسعافات الأولية، ثمة رجل كان جالساً هناك مدخناً سيجاراً سألته «هل لديك هنا شابة صهباء؟ لعلّه أغمي عليها لقد كانت مصابة بالغثيان»

«ليس لدي أي صهباء هنا يا سيد»

حل التعب بقدميّ، عدت إلى المدرّج الثاني وبدأت أفكر في السباق التالي.

مع انتهاء السباق الثامن كنت كسبت ١٣٢ دولاراً، وكنت قررت أن أراهن بخمسين دولاراً على الحصان رقم ٤ في السباق الأخير نهضت لأضع رهاني وعندها رأيت تامي واقفة عند مدخل حجرة صيانة. كانت واقفة بين حاجب أسود يحمل مكنسة ورجل آخر أسود في زيّ أنيق. بدا أشبه بقوّاد في الأفلام السينمائية. ابتسمتْ ولوحّتْ لي بيدها

تقدمت مقترباً منها «كنت أبحث عنكِ، خطر لي أنه لربما قضيتِ نتيجة جرعة زائدة».

«لا، إني بأحسن حال، أنا بخير».

«حسناً، هذا ممتاز. عمت مساءً يا صهباء. .

ابتعدت سائراً باتجاه شباك المراهنة وسمعت وقع عدوها خلفي، «هاي بحق الجحيم إلى أين أنت ذاهب؟».

«أريد أن أراهن على الحصان رقم ٤».

أقمت رهاني. خسر الجواد رقم ٤ «عالمنخار» بفارق أنف. انتهت السباقات. سرنا أنا وتامي خارجين إلى موقف السيّارات معاً كان وركها يطرق فيّ تكراراً فيما مشينا

«لقد أثرتِ قلقي» قلت.

وجدنا السيّارة وركبنا فيها، دخّنت تامي ٦ أو ٧ سجائر في طريق العودة، كانت بالكاد تدخن جزءاً من السيجارة لتقوم بعدها بسحقها في المرمدة. أدارت الراديو رفعت الصوت ثم أخفضته، بدلت المحطّات وفرقعت بأصابعها منسجمة مع الموسيقى.

حين وصلنا إلى عمارتي ركضتْ إلى منزلها وأقفلتْ عليها الباب.

* * *

- ٥٢ -

كانت زوجة بوبي تعمل ليلتين في الأسبوع لحظة تغادر إلى عملها كان يتصل بي. كنت أدرك أنه كان يعاني من الوحدة ليلتي الثلاثاء والخميس.

كانت تلك ليلة ثلاثاء حين رنّ الهاتف. كان المتصل بوبي. «هاي صديقي، ألا بأس أن أتيت إلى عندك لنحتسي بعض قناني البيرة؟».

«لا مانع لديّ يا بوبي».

كنت جالساً على كرسيّ في مواجهة تامي التي كانت مقتعدة الأريكة. دخل بوبي وجلس على الأريكة. فتحتُ له قنينة بيرة. قعد بوبي وراح يتحدث مع تامي. كان الحوار بغاية الغباء، فنأيت بكل حواسي عنه، غير أن بعضه كان يتسرّب إليّ.

«في الصباح» قال بوبي «آخذ دشّاً بارداً، أن ذلك يوقظني بشكل تام»

«أنا أيضاً آخذ دشّاً بارداً في الصباح» ردت تامي.

«آخذ دشّا بارداً ثم أنشف جسمي» وتابع بوبي «أقرأ بعد ذلك مجلة أو ما شابه، وأصبح بعدئذٍ مستعداً لبدء نهاري»

«أنا آخذ دشّاً بارداً، غير أني لا أتنشف» قالت تامي «أدع قطرات الماء الصغيرة حيث هي»

أجاب بوبي «استحمّ بين الحين والآخر بمياه ساخنة غالية. تكون المياه ساخنة إلى درجة أني أضطر إلى الدخول إليها ببطء شديد»

وقف بعدها بوبي واستعرض كيف ينسلّ داخل مياه الحمام البالغة السخونة.

انتقل الحوار إلى الأفلام وبرامج التلفزيون.

بدا أن كليهما كان يعشق الأفلام والبرامج التلفزيونية.

تابعا يتحدثان طوال ساعتين أو ثلاث ساعات من دون توقف.

فجأة هبّ بوبي واقفاً «جيد» قال «عليّ أن أغادر».

«آه أرجوك لا تذهب يا بوبي» هتفت تامي.

«لا، يجب أن أغادر»

كان حلّ وقت عودة ڤاليري من العمل.

* * *

- ٥٣ -

مساء يوم الخميس اتصل بوبي مجدداً «هاي، صديقي ماذا تفعل؟».

«لا شيء مهماً»

«ألا بأس أن آتي لاحتساء بعض البيرة؟».

«أفضّل أن لا أستقبل أي ضيوف الليلة».

«أوه، لا تكن هكذا يا رجل، لن أطيل الجلوس، نحتسي بضعة قناني وأغادر.

«لا أفضِّل أن لا نفعل».

«إذاً عليك اللعنة» صرخ بأعلى صوته.

أقفلتُ الخط ودخلت إلى الحجرة الأخرى.

«من كان المتصل؟» سألتني تامي.

«أحد ما أراد زيارتي».

«لقد كان بوبي أليس كذلك؟».

«أجل».

«أنك تعامله بقسوة، أنه يضجر حين تكون زوجته في عملها. ما خطبك بحق الجحيم؟».

هبّت تامي واقفة وركضت إلى داخل حجرة النوم وبدأت تدير قرص التلفون. كنت ابتعت لها للتو نصفية من الشمبانيا لم تكن فتحتها بعد. فحملتُها وأخبأتُها في حجيرة المكانس.

«بوبي» قالت في الهاتف «معك تامي، هل أنتَ من اتصل للتو؟ أين هي زوجتك؟ إسمع، لحظات وأكون عندك»

أقفلتْ السماعة وخرجتْ من حجرة النوم، «أين الشمبانيا؟» سألتْ.

«أغربي عن وجهي» أجبت «سوف لن تأخذيها إلى عنده وتحتسيها وإياه».

«أريد قنينة الشمبانيا، أين هي؟».

«فليحضرْ هو قنينته»

نشلتْ تامي علبة سجائر من على طاولة الأسكملة، وركضت مولّية من الباب.

أخرجتُ قنينة الشمبانيا، نزعتُ سدّادتها وصببتُ لي كأساً كنت توقفت عن كتابة قصائد الحب. في الواقع لم أكن أكتب على الإطلاق. ما كنت أرغب في الكتابة.

كانت الشمبانيا سلسة سهلة الابتلاع، فرُحتُ أحتسي الكأس تلو الأخرى. بعدئذٍ خلعت حذائي وسرت نحو منزل بوبي. نظرت من خلال ستارة النافذة. كانا يجلسان متلاصقين على الأريكة يتبادلان الحديث.

أقفلتُ راجعاً احتسيت ما تبقى من قنينة الشمبانيا وبدأت باحتساء البيرة.

رن الهاتف. كان بوبي. «إسمع» بادرني بالقول «لِمَ لا تقدم إلى هنا وتشرب البيرة معنا أنا وتامي؟».

أقفلتُ السمّاعة.

احتسيتُ بعض المزيد من البيرة ودخنتُ سيجارين من النوع الرخيص. تفاقمت ثمالتي أكثر فأكثر توجهت إلى شقة بوبي وقرعت الباب. فتح لي الباب.

كانت تامي جاثمة على الأرض عند طرف الأريكة تتجرع الكوكايين مستخدمة ملعقة الماكدونالد. وضع بوبي في يدي قنينة بيرة.

«المشكلة» راح يقول لي «هو شعورك بأنك مهدد، إنك معدم الثقة بنفسك».

مصصتُ من بيرتي.

«هذا صحيح، أن بوبي محق في ما يقول» قالت تامي

«ثمة شعور مؤلم في داخلي»

«كل المسألة هو شعورك بأنك مهدد» قال بوبي «الأمر بغاية السهولة».

كانت جوانا دوفر أعطتني رقميّ هاتف. جرّبتُ الرقم الذي يحمل رمز منطقة غالفنستون، فأجابتْ.

«هذا أنا هنري»

«تبدو ثملاً».

«أصبتِ أود أن آتي لرؤيتك»

«متى؟».

«غداً».

«ممتاز».

«هل باستطاعتكِ ملاقاتي في المطار؟».

«بالتأكيد يا حبيبي».

«سوف أحجز تذكرة، وأعاود الاتصال بكِ».

حجزتُ تذكرة في الرحلة رقمها ٧٠٧، تنطلق من مطار لوس أنجلوس الدولي في اليوم التالي في تمامِ الساعة الثانية عشرة والربع ظهراً نقلت المعلومة إلى جوانا دوفر فأكدت لي أنها ستكون هناك في الموعد المحدد.

رن جرس الهاتف. كانت ليديا

«خطر لي أن أخطرك» قالت «إني بعت المنزل وسأنتقل إلى فونيكس. سأغادر إلى هناك في الصباح»

«ممتاز يا ليديا أتمنى لك حظاً سعيداً».

«لقد أجهضت، كدت أموت، كان الأمر مرعباً، فقدت الكثير من الدماء، ولم أشأ أن أضايقك بهذا الأمر».

«هل أصبحت بخير الآن؟».

«أنا بخير، كل ما أريده هو مغادرة هذه المدينة، سئمت هذه المدينة»

استودعنا أحدنا الآخر

فتحتُ قنينة أخرى من البيرة. فُتحَ باب المدخل ودخلت تامي. راحت تدور في حلقات طائشة محدّقة فيّ.

«هل عادت ڤاليري إلى البيت؟» سألتها «هل داويتِ كآبة بوبي؟».

تابعتْ تامي الدوران. كانت تبدو رائعة في ثوبها الطويل سيّان ضاجعت أم لم تضاجع.

«أخرجي من هنا» هتفتُ بها

قامت بدورة أخرى وركضت خارجة من الباب صعوداً إلى مسكنها

عجزت عن النوم. لحسن الحظ كان لدي المزيد من قناني البيرة. تابعت أشرب وأنهيت القنينة الأخيرة حوالي الساعة الرابعة والنصف فجراً جلست وانتظرت حلول الساعة السادسة صباحاً وعندها خرجت وابتعت المزيد.

مضى الوقت بطيئاً رحت أجول في الشقة. كنت متضايقاً غير أني شرعت أغني. أنشدت أغنيات وأنا أجول في الأرجاء من الحمّام إلى حجرة النوم إلى باب المدخل إلى المطبخ ذهاباً وإياباً مغنيّاً أغنيات.

نظرت إلى ساعة الحائط، أشارت إلى الحادية والربع صباحاً كان المطار يبعد مسافة ساعة في السيّارة. كنت مرتدياً ملابسي ومنتعلاً حذائي إنما من غير جوارب. كل ما حملته معي كان زوج نظارات للقراءة دسسته في جيب قميصي، وركضت خارجاً من الباب من دون أي متاع.

كانت الخنفساء أمام المدخل. ركبت فيها وكانت الشمس ساطعة جداً. ألقيت رأسي على المقود لبرهة قصيرة وسمعت صوتاً من

ناحية الفناء هاتفاً «أين يخال بحق الجحيم أنه ذاهب وهو على هذه الحال؟».

أدرت محرّك السيّارة، شغلّت الراديو وانطلقت. واجهت صعوبة في القيادة، إذ كانت السيّارة تنحرف باستمرار متجاوزة الخط الأصفر باتجاه السيّارات القادمة في الخط المعاكس فكانت تطلقُ أبواقها محذرّة فأعود مجدداً إلى خطيّ.

وصلت إلى المطار. كان تبقى لي ربع ساعة، إذ أني كنت طوال الطريق قد أغفلت شارات حمر وإشارات وقوف، وتجاوزت السرعة المحدّدة بما لا يقاس. بقي لدي ١٤ دقيقة وكان موقف السيّارات مليئاً، لم أستطع العثور على فسحة. ثم رأيت مكاناً أمام المصعد يتسع ما يكفي لحجم الڤولزڤاكن، وكانت ثمة إشارة أعلنت، بالحرف العريض «ممنوع الوقوف» ركنتها وفيما كنت أقفل باب السيّارة سقطت نظاراتي من جيبي وانكسرت عدستاهما على الرصيف.

نزلت الأدراج راكضاً، عبوراً بالشارع باتجاه مكتب حجوزات الطيران. كان الطقس حاراً فتصببت عرقاً، «حجز لهنري شيناسكي. كتب الموظف على البطاقة ودفعت نقداً «بالمناسبة» قال لي الموظف «لقد قرأتُ كتبك»

ركضت باتجاه مجاز التفيش. إندلع الجهاز الطنان. كنت أحمل الكثير من القطع النقدية المعدنية وسبعة مفاتيح ومطواتي. وضعتها كلها على الصينية ومررت عبره من جديد.

خمس دقائق. البوابة ٤٢.

كان الجميع قد ركبوا الطائرة، دخلتها. ثلاث دقائق. وجدت

مقعداً وشددت الحزام، كان قبطان الرحلة يتكلّم عبر المذياع الداخلي.

تدرّجتُ الطائرة وصولاً إلى المدرج، وحلّقنا في الهواء ثم انعطفنا فوق المحيط وقمنا بدورة كاملة.

* * *

- ٥٤ -

كنتُ آخر راكب نزل من الطائرة،ا وألفيتُ جوانا دوفر في انتظاري.

«يا إلهي» بادرتني ضاحكة «إن حالتك تبدو مزرية!».

«جوانا تعالي نحتسي كأس «بلودي ماري» فيما ننتظر حقائبي. آه يا للشيطان! أنا لم أجلب أية حقائب. لكن دعينا بمطلق الأحوال نشرب البلودي ماري».

دخلنا إلى المشرب وجلسنا

«لن تصل البتة إلى باريس أن تابعت على هذا المنوال»

«لست مغرماً بالفرنسيين. إني ألماني المولد كما تعرفين»

«آمل أن يعجبك منزلي. إنه بسيط. طبقتان والكثير من الفسحات الفارغة».

«طالما ننام معاً في السرير نفسه»

«لديّ أنابيب ألوان».

«أنابيب ألوان؟»

«أقصد في مقدورك أن ترسم إن وددت ذلك»

«اللعنة، ولكن أشكرك بأية حال، آمل أني لا أكون قد قاطعت شيئاً؟»

«لا، كنت على علاقة مع ميكانيكي سيّارات، غير أنه أصيب بالإرهاق لم يستطع تحمّل إيقاعي.

«كوني لطيفة معي يا جوانا إن المص والنكاح ليسا كل ما هنالك في الحياة».

«لهذا ابتعت لك أنابيب الألوان، لكي تستطيع أن تسترجع أنفاسك»

«أنت امرأة رائعة حتى ولو لم يكن طولك ١٨٣ سنتمتراً».

«يا يسوع، كما لو أني لا أعرف هذا».

أعجبني مسكنها كانت كل النوافذ والأبواب محمية بشرائط منخلّية، وتفتح النوافذ مشرعة وهي نوافذ واسعة. افترشتْ سجّادتان الأرضية، واحتوى المنزل حمّامين ومفروشات قديمة، وتوزعت في كل المكان طاولات كبيرة وصغيرة. كان بسيطاً ومريحاً

«خذ دشّاً» قالت لي جوانا

ضحكت «إن الثياب التي أرتديها هي كل ما لديّ»

«سوف نجد لك ثياباً أخرى غداً، بعد أن تأخذ دشّك سوف نخرج ونتناول وجبة من ثمار البحر. إني أعرف مطعماً ممتازاً».

«أوهل يقدمون شراباً؟»

«يا لك من حقير».

لم آخذ دشّاً تحمّمت.

قدنا لمسافة طويلة. لم ألاحظ أبداً من قبل أن غالفستون كانت جزيرة.

«إن مهرّبي المخدرات يقودمون هذه الأيام باختطاف مراكب صيد القريدس، يقتلون كل من على متنها ويشحنونها بعدئذٍ ببضاعتهم. هذا أحد أسباب ارتفاع أسعار القريدس، أصبح صيده مهنة خطيرة. بالمناسبة ما أحوال مهنتك؟».

«لم أكتب شيئاً مؤخراً أعتقد أنه انتهى الأمر بالنسبة إليّ».

«كم مضى من الوقت على ذلك؟».

«ستة أو سبعة أيام؟».

«ها هو المكان، وصلنا

دخلت جوانا إلى الموقف. كانت تقود بسرعة كبيرة، بيد أنها لم تكن تسرع بقصد مخالفة القوانين. كانت تقود بسرعة كما لو ذلك كان حقّها المكتسب. كان ثمة الفرق في هذا وكنت أقدّر ذلك.

وجدنا طاولة بعيداً عن الحشد. كانت الصالة مبرّدة وهادئة وقليلة الضوء، راقني المكان. طلبتُ وجبة قريدس بينما اختارت جوانا وجبة عجيبة. طلبتها بالفرنسية، إنها رفيعة الثقافة وسافرت إلى أنحاء في العالم. في بعض الأحوال، وإن كنت أكرهها، فإن الثقافة الجيدة وسيلة مؤهلة عندما تتفحص قائمة طعام أو تبحث عن وظيفة، وخصوصاً حينما تكون محدقاً في قائمة طعام. لطالما شعرت بدونية تجاه الندل، لأني وصلت متأخراً جداً وبمتاع ثقافي ضئيل، كان الندل جميعهم يقرأون ترومان كابوتي. كنت أقرأ نتائج سباقات الخيل.

كان العشاء شهياً، وخارجاً في الخليج جابت مراكب صيد القريدس وزوارق خفر السواحل والقراصنة. كان طعم القريدس شهياً في فمي وابتلعته محتسياً نبيذاً فاخراً أيها الصديق الصدوق لطالما أحببتك في قوقعتك الحمراء الوردية، خطيراً ومتمهلاً.

عدنا إلى مسكن جوانا دوڤر واحتسينا قنينة لذيذة من النبيذ الأحمر. جلسنا في العتمة ننظر السيّارات القليلة العابرة في الشارع تحتنا كنا صامتين ثم تحدثت جوانا

«هانك؟».

«ماذا؟».

«هل بسبب امرأة ما أتيت إلى هنا؟».

«أجل».

«هل انتهى ما بينكما؟».

«يروقني أن أعتبر الأمر كذلك. لكن إن أجبت «لا».

«إذاً أنت غير واثق أليس كذلك؟»

«ليس تماماً».

«هل ثمة من يعرف؟».

«لا أظن».

«وهذا ما يجعل الأمر برمته منتناً».

«إنه بحق منتن»

«تعال نتضاجع»

«لقد شربت كثيراً»

«هيا بنا نتوجه إلى السرير».

«أود أن أحتسي بعض المزيد»

«سوف لن تكون قادراً

«أعرف. آمل أن تسمحي لي بالبقاء أربعة أو خمسة أيام».

«هذا متوقّف على أدائك» قالت.

«يبدو لي هذا عادلاً».

حين أجهزنا على النبيذ بالكاد استطعت الوصول إلى السرير. وغفوت قبيل خروج جوانا من الحمّام.

* * *

- ٥٥ -

حين استفقت نهضت واستخدمت فرشاة أسنان جوانا، شربت كوبين من الماء، غسلت يديّ ووجهي وعدت مجدداً إلى السرير استدارت جوانا وأطبق فمي على ثغرها وشرع قضيبي بالانتصاب. وضعت يدها على قضيبي. أمسكت بشعرها شاداً رأسها إلى الخلف مقبّلاً إياها بوحشيّة. رحت أداعب فرجَها وأدغدغ بظرها لوقت مديد. كانت رطبة للغاية، اعتليتها وغرزته فيها أبقيته في داخلها كنت أستشعر استجابتها استطعت إطالة وطئها في النهاية ما عدت قادراً على كبح نفسي، صرت مبتلاً بالعرق وارتفع نبض دقات قلبي عالياً حتى إني صرت أسمعه.

«لست بكامل نشاطي» قلت لها

«أنا نفسي تمتعت. فلندخن لفافة ماريجوانا»

أخرجت لفافة ماريجوانا ملفوفة جاهزة ورحنا نمررها ما بيننا ذهاباً وإياباً» «جوانا» قلت لها «ما زلت نعساً، إن ساعة أخرى من النوم لن تضيرني على الإطلاق».

«بالتأكيد إنما ليس قبل أن ننهي هذه اللفافة»

أنهينا تدخين اللفافة وتمددنا فوق الفراش. غفوت.

* * *

- ٥٦ -

ذلك المساء بعد العشاء، أحضرت جوانا القليل من المسكالين.

«هل سبق وجربت هذا المخدر؟»

«لا».

«أتود المحاولة؟».

«لا مانع»

كانت جوانا وضعت بعض أنابيب الألوان والفراشي والأوراق فوق الطاولة. وفي اللحظة بالذات تذكرت أنها كانت جامعة أعمال فنيّة وأنها كانت ابتاعت بعض لوحاتي. كنا نحتسي بيرة الهاينكن معظم الوقت، غير أننا كنا لا نزال متزنين.

«هذا مخدر قوي جداً»

«كيف هو تأثيره؟».

«إنه يسبب نوعاً غريباً من الانتشاء. يمكن أن تصاب بالغثيان وحين تتقيأ يزيد انتشاؤك، غير أني أفضّل أن لا أتقيأ لذا نتناول معه القليل من كربونات الصودا أعتقد أن التأثير الأساسي الذي يسببه المسكالين هو شعورك بالرعب الفظيع».

«لقد عرفت هذا الشعور من دون أي عون إطلاقاً».

ابتدأت بالرسم. أدارتْ جوانا أسطوانة في جهاز الستيريو. كانت موسيقى بغاية الغرابة غير أنها أعجبتني. استدرت متلفتاً فوجدت أن جوانا غادرتْ. لم أكترثْ. رسمت رجلاً انتحر للتو، كان شنق نفسه بحبل علّقه بعارضة خشبية. استخدمت تنويعة من اللون الأصفر، وجعلت جثة المنتحر مضيئة وجميلة، وفجأة هتف شيء ما «هانك.

كان خلفي تماماً وثبت من مقعدي صائحاً «يا يسوع المسيح! آه اللعنة! يا يسوع المسيح!».

كانت مكعبات ضئيلة من الثلج تنزلق من معصميّ إلى كتفيّ ونزولاً إلى ظهري. ارتجفت وارتعدت ثم استدرت ملتفتاً، فألفيت جوانا منتصبة هناك.

«إياك أن تفعلي بي هذا مجدداً» صحت بها «إياك البتة أن تتسلّلي إليّ على هذا النحو وإلّا قتلتك!».

«هانك، كل ما هنالك إني توجهت لابتياع السجائر».

«أنظري هذه اللوحة».

«آه إنها رائعة قالت إنها تعجبني فعلياً».

«إنه المسكالين على ما أعتقد».

«أجل، بالضبط».

«حسناً أعطني سيجارة أيتها السيدة».

ضحكت جوانا وأشعلت سيجارتين.

شرعت أرسم مجدداً وهذه المرة نجحت بشكل ممتاز: رسمت ذئباً هائلاً ومغوياً يضاجع امرأة صهباء، كان شعرها الأصهب متدلياً

إلى الخلف فيما يخرقها الذئب الأخضر عبر ساقيها المرفوعتين. كانت عاجزة ومذعنة، كان الذئب يلجها وفي الأعلى كان الليل مشتعلاً كانا في العراء وشاهدتهما النجوم الطويلة الأذرع والقمر كانت حارة ملتهبة ومفعمة بالألوان.

«هانك.

«وثبت مبهوراً، كانت جوانا من خلفي. أمسكتها بحلقها «سبق وحذرتك أيتها اللعينة ألّا تنسلّي من ورائي»

* * *

- ٥٧ -

بقيت عندها خمسة نهارات وليال. وبعدها استحال عليّ الانتصاب. اصطحبتني جوانا بسيّارتها إلى المطار. كانت ابتاعت لي حقيبة وبعض الملابس الجديدة. كنت أمقت مطار «دالاس ـ فورت ورث» ذاك، أنه المطار الأسوأ في الولايات المتحدة.

لوّحت لي جوانا مودّعة وانطلقتُ محلقاً في الأثير

لم تشبْ الرحلة إلى لوس أنجلوس أية شائبة. نزلت من الطائرة متسائلاً بشأن خنفسائي، صعدت في المصعد إلى فسحة الموقف فلم أعثر عليها حسبتُ أنهم لا بدّ سحبوها من مكانها توجهت بعد ذلك إلى الجهة الأخرى. فانبرت أمامي هناك. كل ما في الأمر، توجب عليّ دفع تذكرة الموقف.

قدت السيّارة إلى المنزل. بدت الشقة كما عهدها على الدوم ـ قناني فارغة وقمامة في كل مكان. توجب عليّ أن أنظفّها قليلاً لو رآها أحد ما على تلك الحال لكان أودعني السجن.

سمعت طرقاً على المدخل. فتحت الباب. كانت تامي «مرحباً» قالت.

«سلام».

«لا بدّ أنك كنت في ذروة من العجلة حين غادرت. لم يكن أي من الأبواب مقفلاً والباب الخلفي وجدته مشرعاً إسمع، هل تعدني بأنك لن تخبر أحداً إن أخبرتك أمراً؟»

«أعدكِ».

«إن آرلين دخلت إلى هنا واستخدمت الهاتف، أجرت مخابرة بعيدة المدى».

«جيّد».

«حاولتُ منعَها غير أني لم أستطع. كانت تناولت حبوباً مخدّرة».

«جيّد»

«أين كنتَ؟».

«في غالفستون»

«ما الذي دفعك إلى الفرار بتلك الطريقة؟ أنت مجنون»

«أنا مضطر أي المغادرة مجدداً يوم السبت»

«السبت. في يوم نحن الآن؟»

«الخميس».

«إلى أين أنت متوجه؟».

«إلى مدينة نيويورك»

«ماذا هناك؟».

«قراءة شعرية. بعثوا لي البطاقتين منذ أسبوعين، وسأنال نسبة مئوية من ثمن بطاقات الدخول»

«آه. خذني برفقتك! سأترك دانسي عند أمي. أريد الذهاب!»

«لست قادراً على دفع تكاليف سفرك، سيستنفذ هذا كل مكاسبي. توجب عليّ دفع مصاريف طائلة مؤخراً»

«سأكون مطيعة!» سأكون ملاكاً من الطيبة! سأبقى دوماً إلى جانبك! لقد اشتقت إليك فعلياً».

«هذا مستحيل يا تامي».

توجهتْ إلى البرّاد وأحضرتْ قنينة بيرة. «الحقيقة أنك لا تأبه إطلاقاً بي. كل قصائد الحب تلك كانت مجرد هراء».

«لا لم تكن كذلك حين كتبتها».

رن الهاتف. كان المتصل ناشري. «أين اختفيت؟»

«في غلافستون، أقوم بأبحاث هناك».

«تناهى إليّ أنك ستقوم بقراءة شعرية هذا السبت في نيويورك؟»

«أجل وتامي ترغب في الذهاب أيضاً، إنها حبيبتي».

«هل ستحضرها برفقتك؟».

«لا، لا أستطيع تحمّل لنفقات».

«كم تكلّف البطاقة؟».

«٣١٦ دولاراً ذهاباً وإياباً».

«هل تحرص فعلياً على اصطحابها معك؟».

«أجل، أعتقد هذا».

«حسناً إفعل ذلك. سوف أرسل لك الشيك عبر البريد».

«هل أنت جاد فيما تقول؟»

«أجل».

«أعجز عن التعبير».

«لا عليك. لكن تذكر، ديلان توماس».

«ألا أنهم لن يستطيعوا قتلي أنا».

استودع واحدنا الآخر السلام، وكانت تامي تمصّ بيرتها

«حسناً» بادرتها «لديك يومان أو ثلاثة لتوضبي حقائبك»

«أتقصد أني «ذاهبة»؟».

«أجل، إن ناشري سيدفع تكاليف رحلتك».

قفزت تامي وعانقتني. قبّلتني وأمسكت بخصيّتي وجذبت قضيبي. «أنت ألطف داعر عجوز على الإطلاق!».

نيويورك سيتي، باستثناء دالاس، وهيوستن وشارلستون وأتلانتا كانت أسوأ مكان زرته على الإطلاق. ضمتني تامي بشدة فانتصب قضيبي، جوانا دوف لم تستنفد كل احتياطي.

* * *

- ٥٨ -

كانت رحلتنا ستنطلق من لوس أنجلوس يوم السبت في تمام الساعة الثالثة والنصف، عند الساعة الثانية صعدت وطرقت على بوابة تامي. لم تكن موجودة هناك. عدت إلى شقتي وقعدت هناك. رن الهاتف. كانت تامي. «إسمعيني» قلت لها: «ينبغي أن نستعدّ للمغادرة، ثمة أناس بانتظاري في مطار كنيدي. أين أنتِ؟»».

«ينقصني ٦ دولارات من ثمن وصفة دواء. إني بصدد ابتياع علبة من مخدر «كواليودس»

«أين أنت الآن؟»».

«أسفل تقاطع جادتي سانتا مونيكا بولفار ووسترن، على بعد عمارة تقريباً إنها صيدلية «البومة»، لا يمكن أن تغفلها»

أقفلتُ السمّاعة. ركبتُ في الڤولزڤاكن وتوجهت إلى هناك. ركنتها على بعد عمارة أسفل تقاطع سانتا مونيكا ووسترن، خرجت منها ورحت أتطلع في الأرجاء. لم يكن هناك أي صيدلية.

ركبت مجدداً في الڤولز ورحت أجوب الشوارع باحثاً عن سيّارتها الكامارو الحمراء. وفجأة عثرت عليها عن بعد خمس عمارات نزولاً ركنت السيّارة ودخلتها كانت تامي جالسة على كرسيّ. ركضت دانسي باتجاهي وكشرّتْ في وجهي.

«ليس بوسعنا اصطحاب الطفلة»

«أعرف هذا سوف ننزلها عند منزل أمي».

«منزل أمك؟ إنه يبعد خمسة كيلومترات عن وجهة للمطار».

«هل يقع في اتجاه طريق المطار؟».

«لا إنه في الاتجاه المعاكس».

«كلا أنه لديك الدولارات الستة؟»

ناولت تامي الستة دولارات.

«سوف ألقاكِ في منزلك. هل وضبتِ حقيبتك؟»

«أجل أنا مستعدة».

عدت في السيّارة إلى منزلي وانتظرت، وأخيراً سمعتهما

«ماما!» هتفت دانسي «أريد جرساً»

ارتقتا الأدراج إلى الأعلى. انتظرت أن ينزلا لم تنزلا صعدت إليهما كانت تامي وضّبت حقيبتها غير أنها كانت جاثية على ركبتيها منشغلة بفتح وإقفال سحّاب حقيبتها

«إسمعي» قلت لها «سأحملُ متاعك الأخرى إلى السيّارة».

كان لديها كيسا تسوّق كبيرين محشوين متخمين بالأغراض وثلاثة أثواب في تعاليقها، كل هذا إضافة إلى حقيبتها

نزلت حاملاً كيسي التسوّق والأثواب إلى الڤولز، حين عدت كانت ما تزال تفتح وتقفل سحّاب حقيبتها

«تامي، هيا بنا نذهب».

«دقيقة واحدة».

ركعتْ هناك تشد وحسب السّحاب ذهاباً وإياباً، طلوعاً ونزولاً.

لم تكن تنظر داخل الحقيبة. كل ما فعلته كان شد السحّاب طلوعاً ونزولاً

«ماما» هتفت دانسي «أريد جرساً».

«هيا بنا يا تامي فلننطلق»

«آه، لا بأس».

حملتُ حقيبة السحّاب ولحقتا بي إلى الخارج.

تبعتُ سيّارتها الكامارو الحمراء المهشّمة إلى منزل والدتها دخلنا البيت. وقفت تامي أمام كومودينة أمها وراحت تفتح الجوارير، تفتحها وتغلقها، وكلّما فتحت جاروراً كانت تحشر يديها في جوفه وتقلب كل فيه رأساً على عقب، لتغلقه بعدئذٍ بعنف وتنتقل إلى التالي وهكذا دواليك.

«يا تامي إن الطائرة على وشك الإقلاع».

«آه، لا لدينا متسع من الوقت. أني أكره التسكّع في المطارات».

«ما الذي ستفعلينه بخصوص دانسي؟».

«سوف أتركها هنا بانتظار أن تعود أمي من عملها».

اندلع عويل دانسي. في النهاية أدركتْ الأمر، وراحت تنتحب وانهمرت دموعها وفجأة صمتت، كوّرت قبضتيها وصرخت بأعلى صوتها «أريد جرساً».

«إسمعي يا تامي، أنا بانتظارك في السيّارة».

خرجتُ وانتظرت. انتظرتُ خمس دقائق ثم عدت إلى الداخل. كانت تامي ما تزال تفتح الجواير وتغلقها

«رجاءً يا تامي هيا بنا نغادر!».

«حسناً».

استدارت نحو دانسي قائلة «إسمعي لا تتحركي من هنا إلى أن تعود جدتك إلى البيت. إبقِ الباب مقفلاً، ولا تدخلي أحداً إلى المنزل باستثناء جدتك!».

إنفجر نحيبُ دانسي من جديد. ثم زعقت «إني أكرهكِ».

تبعتني تامي وركبنا في الڤولز. أدرتُ المحرك. فتحتْ الباب وتوارتْ. «يجب أن أحضر شيئاً من سيّارتي!» سمعتها تقول بأعلى ما أوتيتْ.

ركضت تامي إلى الكامارو «آه اللعنة. لقد أقفلتها والمفتاح ليس بحوزتي! هل لديك تعليقة للسترة؟»
«لا» صرخت «ليس لدي تعليقة سترة»
«لحظة وأعود!»

ركضت تامي عائدة إلى شقة أمّها سمعت انفتاح الباب. انفجر عويل دانسي وصراخها ثم سمعت دويّ إغلاق الباب، وعادت تامي بتعليقة سترات. توجهت إلى الكامارو وخلعتْ الباب.

مشيت نحو سيّارتها كان تامي متسلقة المقعد الخلفي معيّثة في تلك الخبيصة غير القابلة للتصديق ـ ملابس، أكياس ورقية، أكواب كرتونية، جرائد، قناني بيرة، علب كرتون فارغة ـ المكدّسة في الداخل، في النهاية وجدت ما تبحث عنه: آلة التصوير خاصتها، البولارويد التي كنت أهديتها إياها بمناسبة عيد مولدها

فيما قدت منطلقاً بأقصى سرعة الڤولز، كما لو أني أسعى للفوز بسباق مونت كارلو مالت تامي نحوي.

«أنت فعلاً تحبني، أليس كذلك؟».

«أجل».

«حين سنصل إلى نيويورك سأضاجعك كما لم يضاجعك أحد من قبل!».

«أحقاً؟».

«أجل».

أمسكت بقضيبي واتكأت عليّ.

صهبائي الأولى والوحيدة. كنت محظوظاً

* * *

- ٥٩ -

عدونا طوال المنحدر الطويل كنت أحمل فساتينها وكيسي التسوّق.

عند أسفل السلم الكهربائي لاحظت تامي ماكينة التأمين على حياة الركاب.

«رجاءً» قلت لها «بقي لدينا خمس دقائق قبل إقلاع الطائرة».

«أريد أن تقبضْ دانسي مال البوليصة»

«لا بأس».

«هل لديك ربعان؟»

ناولتها ربعين، دستّهما فانبجست بطاقة من الماكينة.

«هل لديك قلم؟».

«ملأت تامي البطاقة وكان هناك مغلّف. وضعت البطاقة في المغلّف وحاولت بعدئذٍ أن تدسَّه في شق ضيّق في الماكينة.

«إن هذا الشيء يأبى الدخول!»

«سوف نفوّت الطائرة».

تابعت تحاول دس المغلّف في الشق الصغير، وباءت كل محاولاتها بالفشل.

بقيت واقفة هنا تحاول بلا كلل دس المغلّف في الشقّ وأصبح المغلّف الآن مطوياً كلياً والتوت كل جنباته.

«سأجن» قلت لها «لا أستطيع تحمّل هذا»

حاولتْ دسّه عدة مرات أخرى. لم يفلح الأمر. نظرت إليّ قائلة بامتعاض «حسناً هيا بنا».

صعدنا في السلم الكهربائي مع فساتينها وكيسيها

عثرنا على بوابة ركوب الطائرة. جلسنا على مقعدين قرب المؤخرة. شددنا الأحزمة. «أترى» قالت لي «قلت لك إن لدينا متسعاً من الوقت».

رمقت ساعة معصمي وشرعت عجلات الطائرة تدور.

* * *

- ٦٠ -

كان مضى على تحليقنا في الفضاء عشرون دقيقة حين أخرجتْ مرآة من حقيبتها وبدأت تبرّج وجهها وخصوصاً العينين. راحت تعالج عينيها بفرشاة صغيرة مركزة على الأهداب، وفيما فعلت ذلك جحظت فاتحة عينيها إلى أوسع ما يكون وفغرت فاهها راقبتها وجعل عضوي ينتصب.

كان ثغرها ممتلئاً جداً ومستديراً ومفتوحاً وتابعتْ تزيين أهدابها طلبت كأسين من الشراب.

توقفت تامي لتحتسي جرعة من كأسها ثم تابعت.

راح شاب فتي جالس على المقعد إلى يميننا يداعب نفسه. تابعت تامي التحديق في المرآة فاغرة ثغرها بدا أنها بارعة فعلياً بالمص بذلك الفم.

استغرقها ذلك ساعة كاملة وبعدئذٍ ضبّت المرآة والفرشاة ومالت متكئة عليّ وغفت.

كان هناك امرأة جالسة على المقعد إلى يسارنا بدت في أواسط أربعينياتها وكانت تامي نائمة إلى جانبي.

نظرت المرأة إليّ.

«كم لها من العمر؟» سألتني.

خيم فجأة صمت مطبق في تلك الطائرة، كان معظم ركابها تقريباً ينصتون.

«٢٣»

«تبدو ١٧».

«عمرها ٢٣».

«تقضي ساعتين مبرّجة وجهها وتنام بعدها».

«بالكاد استغرقها ذلك ساعة واحدة».

«هل أنت ذاهب إلى نيويورك؟» سألتني السيدة.

«أجل».

«هل هي إبنتك؟».

«لا أنا لست والدها ولا جدّها ولا قرابة بيننا على الإطلاق. إنها حبيبتي ونحن متجهان إلى نيويورك». استطعت أن أقرأ العنوان العريض في عينيها

منحرف من شرقي

هوليوود يغوي فتاة

في السابعة عشرة، يصطحبها

إلى مدينة نيويورك

حيث يستغلها جنسياً

ويبيع جسدها بعدئذٍ

إلى العديد من المتسكعين

كفّت السيدة المستجوبة واستسلمتْ. تمددتْ مجدداً على مقعدها وأغمضت عينيها. انزلق رأسها نزولاً باتجاهي. بدا لي وكأنما

باتجاه حضني تقريباً غامراً تامي رحت أراقب ذلك الرأس متسائلاً ما إذا كانت ستعترض إن قمت بسحق شفتيها بقبلة مسعورة. حظيت بانتصاب آخر

كنا على وشك الهبوط. بدت تامي مرتخية كلياً تملكني القلق شددت لها حزام المقعد.

«تامي وصلنا إلى نيويورك سيتي! إننا نستعد للهبوط! يا تامي استيقظي!» قلت هاتفاً

لا جواب.

أهي جرعة زائدة؟

تحسست نبضها فلم أشعر بأي شيء.

حدّقت في ثدييها الهائلين متبيناً أي إشارة توحي بالتنفس. لم يتحركا نهضت ووجدت مضيفة الطائرة.

«رجاءً عدْ إلى مقعدك يا سيّد إننا نستعد للهبوط».

«إسمعي إني قلق. لقد عجزت عن إيقاظ صديقتي»

«أتعتقد أنها ميتة؟» همست لي.

«لا أدري» همست مجيباً

«حسناً يا سيدي، ما أن نحط سوف أعود إليكما»

كانت الطائرة بدأت تحط، دخلت إلى المرحاض وبللت بعض المحارم الورقية، عدت وجلست إلى جانب تامي ورحت أفرك بها وجهها ضاع كل التبرّج هباءً. لم تحرك تامي ساكناً.

«إصح إيتها العاهرة!».

جعلتُ أمرغ المحارم ما بين ثدييها لا حياة لمن تنادي لا حراك. كففت.

سيتوجب عليّ شحن جثتها لإعادتها بطريقة ما سينبغي أن أبرر نفسي لوالدها وستكرهني أمّها

حطّت الطائرة. نهض الركاب ووقفوا في الصف بانتظار أن يخرجوا بقيت جالساً في مكاني. هززتها وقرصتها «أصبحنا في نيويورك يا صهبائي، في التفاحة المتعفنة، هيا استفيقي أوقفي هذه المسرحية».

عادت المضيفة وراحت تهز تامي.

«عزيزتي ما الخطب؟»

بدأت تامي تستجيب، تحركت ثم فتحتْ عينيها هذا لمجرد سماعها صوتاً جديداً لا أحد يكترث لصوت مألوف. الأصوات المألوفة تصبح جزءاً من الشخص بالذات مثل أظافره.

أخرجت تامي مرآتها وبدأت تسرّح شعرها كانت المضيفة تربّت على كتفها وقفت وأخرجت الفساتين من المحجيرة فوقنا كان كيسا التسوّق موضوعين هناك أيضاً تابعت تامي النظر في المرآة وتسريح شعرها

«تامي نحن في نيويورك، هيا بنا ننزل».

نهضتْ بسرعة. كنت أحمل كيسي التسوّق والفساتين. اندفعتْ عبر بوابة المخرج مهزهزة إليتي عجيزتها تبعتها

* * *

- ٦١ -

رَجُلُنا كان هناك لملاقاتنا، يدعى غاري بنسون. كان أيضاً يكتب الشعر ويقود سيّارة أجرة. كان بدينا جداً لكن على الأقل لم يكن شكله شكل شاعر، لم يكن لبوسه لا على طراز «نورث بيتش» أو «أيست فيلاج» أو أشبه بأستاذ لغة إنكليزية، وكان ذلك مناسباً إذ أن الطقس كان حاراً جداً في نيويورك ذلك النهار، قرابة أربعين درجة مئوية. أحضرنا حقائبنا وركبنا في سيّارته الشخصية وليس في سيّارة الأجرة خاصته، وراح يفسّر لنا عدم فائدة أن يمتلك المرء سيّارة خاصة به في مدينة نيويورك، ولهذا السبب هناك عدد كبير من التاكسيات. أخرجنا من المطار وبدأ يقود بنا ويتحدث، وسواقو نيويورك سيتي كانوا يشبهون تماماً نيويورك سيتي، ما كانوا ليفسحوا لغيرهم قيد أنملة أو يأبهوا ثمة لا رحمة ولا مجاملة. رفرف لصق رفرف يسوقون. كنت أفهم ذلك: إن أفسح أحد ما سنتمتراً واحداً فسوف يتسبب بزحمة سير، بشغب، بجريمة. تدفّق السير بلا نهاية مثل براز داخل مجرور. كان المشهد رائعاً ولم يكن أي سوّاق مستاءً، كانوا بكل بساطة مسلّمين بواقع الأمر

يبد أن غاري رغب فعلياً التحدث عن أعماله. «إن كان لا مانع لديك أرغب في تسجيل حديث معك لبرنامج على الراديو أود أن أجري معك حواراً»

«ممتاز يا غاري، لنقل غداً بعد انتهاء القراءة».

«سأقلّك الآن لمقابلة منظم حفل القراءة. لقد قام بتنظيم كل الأمور، سيريك مكان سكنك والخ. إسمه مارشال بنشلي ولا تخبره إني أطلعتك على هذا فأنا لا أطيقه على الإطلاق»

أوصلنا إلى هناك ورأينا بعدئذٍ مارشال بنشلي واقفاً أمام مبنى مشيّد بالحجارة الرملية السمراء. لم يكن هناك موقف للسيّارات. قفز إلى جوف السيّارة وانطلق غاري بنا كان مظهر بنشلي يشي بأنه شاعر، شاعر يعتمد على موارده الشخصية وما عمل يوماً لكسب عيشه، بدا ذلك جلياً كان ودوداً معسول اللسان، بلورة حقيقية.

«سنوصلك إلى مسكنك» قال.

راح يستظهر بفخر لائحة طويلة من الأشخاص الذين سبق وأقاموا في فندقي. عرفت بعضاً من الأسماء وجهلت البعض الآخر

قاد غاري بالسيّارة إلى داخل فسحة خاصة بإنزال الركاب أمام «فندق تشلسي». نزلنا وقال غاري «ألقاكما في القراءة وأراكما غداً»

قادنا مارشال إلى الداخل واقتربنا من موظف مكتب الاستقبال. لم يكن تشلسي بالتأكيد فندقاً خارقاً، ولعل ذلك هو سر سحره.

استدار مارشال وناولني المفتاح. «إنها الغرفة رقم ١٠١٠ غرفة جانيس جوبلن القديمة».

«شكراً»

«العديد من الفنانين العظام كانوا من نزلاء الغرفة ١٠١٠»

رافقنا متوجهاً معنا إلى المصعد البالغ الصغر»

«تبدأ القراءة عند الساعة الثامنة، سوف أمر لاصطحابكما عند

السابعة والنصف. حُجزت كل المقاعد منذ أسبوعين، إننا نبيع حالياً بعض التذاكر وقوفاً بيد أنه يتوجب علينا أن ننتبه إلى تعليمات السلامة العامة»

«يا مارشال، أين يقع أقرب متجر للكحول؟».

«في الأسفل إلى اليمين».

ودعنا مارشال وركبنا المصعد إلى الأعلى.

* * *

- ٦٢ -

كان الطقس حاراً جداً ذلك المساء أثناء القراءة التي كانت تقام في كنيسة مار مرقس. جلسنا أنا وتامي داخل مكان استُخدمَ من قبل حجرة لتبديل الملابس، وجدت تامي مرآة كبيرة مسندة على الحائط وبدأت بتسريح شعرها اصطحبني مارشال إلى الفناء الخلفي للكنيسة. كان لديهم هناك في الخلف مقابر للموتى، انتشرت شواهد إسمنتية صغيرة فوق الأرض، وكان ثمة كتابات محفورة على الشواهد. جال بي مارشال في الأرجاء مستعرضاً لي التدوينات. أصير على الدوام عصبياً قبل القراءة الشعرية، شديد التوتر ومحبطاً لطالما كنت على وشك التقيؤ. ثم فعلت ذلك. تقيأت على أحد الأضرحة.

«لقد تقيأت على بيتر ستوفيزانت»(*) قال مارشال.

مشيت عائداً إلى حجرة تبديل الملابس. كانت تامي ما تزال تتأمل نفسها في المرآة. كانت تتفحص وجهها وجسمها لكن أكثر ما أقلقها كان شعرها، كوّمته عند ذروة رأسها تأملته في تلك الوضعية ثم أفلتته ليسقط فوق كتفيها

أقحم مارشال رأسه داخل الغرفة، «هيّا أسرعا، إنهم ينتظرون!»

(*) بيتر ستوفيزانت (١٦٧٢ ١٩١٢) حاكم نيويورك يوم كانت مستعمرة هولندية. (المترجم)

«تامي ليست جاهزة بعد» قلت له.

عندها قامت مجدداً بتكويم شعرها عند ذروة رأسها ونظرتْ إلى نفسها ثم تركته يسقط. ووقفت بعدئذٍ لصق المرآة محدقة في عينيها

طرق مارشال على الباب ثم دخل «هيا يا شيناسكي!»

«هيا بنا يا تامي فلننطلق»

«حسناً»

«خرجت متأبطاً ذراع تامي. اندلع التصفيق. أسطورة العجوز شيناسكي تفعل فعلها نزلت تامي بين الحشد وبدأت أقرأ كان لدي العديد من قناني البيرة في سطل من الثلج قرأت قصائد قديمة وقصائد جديدة. نجاح مضمون. لقد نلت من مار مرقس.

* * *

- ٦٣ -

عدنا إلى الغرفة ١٠١٠ حصلت على شيكي. تركت ملحوظة طالباً عدم إزعاجنا جلسنا أنا وتامي نتنادم الشراب. كنت قرأت خمس أو ستة قصائد حب تتعلق بها

«لقد أدركوا أني كنت أنا المعنيّة» قالت: «كنت أقهقه أحياناً كان الأمر محرجاً»

لعلّه من أقل الإيمان أن يعرفوا أنها كانت هي المقصودة. فهي كانت تتلألأ جنساً حتى الصراصير والنمال والذباب رغبت في مضجاعتها

سمعنا طرقاً على الباب. استطاع شخصان التسلّل وهما شاعر وزوجته. كان الشاعر يدعى مورس جنكنز من فيرمونت وزوجته تدعى سادي إفيريت. جلب معه أربع قناني من البيرة.

كان ينتعل صندلاً، يرتدي جينزاً قديماً ممزقاً، يضع أساور فيروزية اللون ويعلّق حول عنقه سلسلة، كان ملتحياً، طويل الشعر ويرتدي قميصاً برتقالية ويثرثر يثرثر بلا انقطاع جائباً في أرجاء الحجرة.

يعاني الكتّاب من علّة. إن نُشِر مؤلف الكاتب وبيع منه الكثير والكثير من النسخ يعتبر هذا الكاتب أنه عبقري، إن نُشِر مؤلف الكاتب، وباع عدداً متوسطاً من النسخ يعتبر هذا الكاتب أنه

عبقري، إن نُشِر مؤلف الكاتب وباع عدداً قليلاً من النسخ يعتبر هذا الكاتب نفسه عبقرياً، إن لم يُنشرْ مؤلف الكاتب على الإطلاق ولا يملك مالاً لينشره على حسابه فيعتقد إذّاك أنه فعلياً كاتب عبقري. بيد أن الحقيقة فعلياً هي أنه ليس هناك سوى القليل النادر من العبقرية، إنها بالكاد موجودة، مضمحلّة. إنما في مقدوركم أن تتأكدوا من أمر واحد، وهو إن أسوأ الكتّاب يمتلكون أعلى درجات الثقة بالنفس وأقلّ درجات عدم الثقة بالذات. بأية حال من الضروري تجنب جنس الكتّاب، ولقد حاولت تحاشيهم غير أن ذلك كان شبه مستحيل. كانوا توّاقين إلى نوع من الإخاء، ما يشبه التواطؤ لم يكن لأي من هذا علاقة بالكتابة، ولا فائدة ترجى في أي من هذا في مواجهة الآلة الكاتبة.

«لقد لاكمت «كلاي» مدرّباً إياه قبل أن يصبح «علي»» قال مورس وراح مورس يلكم ويراوغ ويرقص مهوّما في الفراغ «لم يكن سيئاً على الإطلاق لكني لقنته تدريباً مناسباً».

تابع مورس ملاكمته الوهمية في أرجاء الحجرة.

«لاحظوا ساقيّ» قال «أمتلك ساقين خارقتين!».

«إن ساقيّ هانك أفضل من ساقيك» ردّت تامي.

كوني اختصاصياً في السيقان وافقتها القول.

جلس مورس. صوّب قنينة بيرة باتجاه سادي. «انها تعمل ممرضة، إنها تعيلني. غير أني سأدرك الفلاح يوماً، وسأصبح شهيراً!».

لن يحتاج مورس البتة إلى ميكروفون أثناء قراءته الشعرية.

حدّق فيّ قائلاً: «يا شيناسكي أنت أحد أفضل شاعرين أو ثلاثة

أحياء. أنك ناجح فعلياً تملك أسلوباً صدامياً، لكني أنا أيضاً سأفلح! دعني أقرأ لك هرائي. يا سادي ناوليني قصائدي».

«لا» قلت «إنتظر! لا أريد أن أسمعها».

«لِمَ لا يا رجل؟ ما المانع؟»

«كفاني شعراً هذه الليلة يا مورس، كل ما أريده هو التمدد ونسيان كل هذا».

«حسناً، لا بأس، إسمع، أنت لم تجب أبداً على رسائلي».

«أنا لست متكبراً يا مورس غير أني أتلقى ٧٥ رسالة شهرياً، إن أجبت عليها كلّها فلن يتبقى لدي أي وقت للقيام بأي شيء آخر».

«أراهن على أنك تجيب على رسائل النساء».

«هذا يتوقف على.

«لا بأس يا صديقي، لست ناقماً عليك، ما زلت معجباً بكتاباتك، لربما لن أصبح أبداً شهيراً، غير أني مؤمن بأني سأنجح وأعتقد أنه سيسعدك أن تكون التقيتني. هيا بنا نغادر يا سادي.

«واكبتهما إلى الباب. أمسكني مورس بيدي. لم يشدّ عليها ولم يلتفت أي منا إلى الآخر «إنك عجوز طيب» قال.

«شكراً يا مورس».

ثم غادر.

* * *

- ٦٤ -

في صباح اليوم التالي عثرت تامي على رُشتة وصفة طبية في جزدانها «يجب أن أستخدم هذه الرُشتة» قالت: «ألقِ نظرة عليها»

«كانت الورقة متجعدة وقد سال حبرها».

«ما الذي حل بها؟».

«حسناً إنك تعرف جيداً شقيقي، إنه مدمن حبوب».

«بالتأكيد أعرف شقيقك، لي في ذمته عشرون دولاراً».

«في الواقع حاول أن يخطتف مني هذه الروشتة، حاول خنقي. فوضعت الروشتة في فمي وابتلعتها، أو تظّاهرت بالأحرى بأني ابتلعتها لم يكن هو متأكداً من ذلك. حدث ذلك يوم اتصلت بك وطلبت منك أن تأتي وتشبعه ضرباً لاذ بالفرار، غير أن الروشتة كانت لا تزال في فمي. لم أستخدمها بعد غير أني أستطيع القيام بذلك هنا إن الأمر يستحق المحاولة».

«جيّد».

هبطنا في المصعد نزولاً إلى الشارع، كانت الحرارة أكثر من أربعين درجة. بالكاد استطعت الحراك. بدأت تامي تسير وتبعتها سائراً وراءها فيما ترنحت ما بين جانبي الرصيف.

«عجّل!» هتفت قائلة لي «لا تتخلّف ورائي!».

كانت بلا أدنى ريب تحت تأثير حبوب ما، بدا أنها مهدئات. كانت مخبَّلة. اقتربت تامي من كشك لبيع الصحف وبدأت تتفحص إحدى المجلات، أعتقد أنها كانت مجلة «فارايتي». وقفتْ هناك وأطالتْ مسَمّرة في مكانها وقفتُ هناك قريباً منها، كان ذلك مملا وعبثياً كانت تحدّق وحسب في غلاف مجلة «فارايتي».

«إسمعي يا أختاه، إما إبتاعي هذه المجلة اللعينة أو إنجرّي من هنا!» كان هذا الرجل القابع داخل الكشك.

انزاحت تامي «يا إلهي إن نيويورك مكان رهيب! كنت أودُ وحسب أن أرى إن كان هناك خبر ما عن القراءة الشعرية»

انطلقت تامي متحرجلة مترنحة من حافة رصيف إلى حافة أخرى. في هوليوود كانت السيّارات لتتوقف عند حافة الطريق، ولكان حاول السود إغواءها وسعى العديد إلى التقرب منها، وناجوها وصفقوا لها نيويورك كانت مختلفة فهي كليلة، ملولة تزدري الجسد.

كنا دخلنا في «غيتو» للسود. كانوا ينظرون إلينا فيما سرنا عابرين: تلك الصهباء ذات الشعر المسترسل، المبهوتة. وذلك العجوز ذو اللحية الموشاة بالشيب الذي يتبعها منهكاً لمحتهم جالسين فوق أروقة بيوتهم، كانت وجوههم ودودة. أحببتهم. أحببتهم أكثر مما أحببتها هي.

تبعتُ تامي إلى أسفل الشارع. ثم أبصرنا محلاً لبيع المفروشات. كان هناك كنبة مكتب محطمة فوق الرصيف. اقتربت تامي من كنبة المكتب القديمة ووقفت محملقة فيها، بدت وكأنها منوَّمة مغنطيسياً لمَستَها بإصبعها. مرت الدقائق. وفجأة تقدمت وقعدت عليها

«إسمعي» قلت لها «أنا عائد إلى الفندق وأنت إفعلي ما تشائين».

لم تكلف تامي نفسها حتى عناء الالتفات إليّ. راحتْ تزلق يديها جيئة وذهوباً فوق متكيء كنبة المكتب. كانت مستغرقة في عالمها الخاص. استدرت وغادرت عائداً إلى التشلسي.

ابتعت بعض قناني البيرة وركبت في المصعد. خلعت ثيابي، أخذت دشّاً، ووضعت وسادتين على لوحة السرير ورحت أمصّ قنينة بيرة. القراءات الشعرية تستهلكني، إننا مصّاصات للروح. أنهيت قنينة بيرة وفتحت أخرى. تحظى من جراء القراءات أحياناً بمضاجعات. نجوم الروك يحظين بمضاجعات، الملاكمون الصاعدون يحظون بمضاجعات، مصارعو الثيران العظماء يحظون بعذراوات. وحدهم مصارعو الثيران يستحقون بتعليل ما غنائمهم.

تناهى إلى مسمعي طرق على الباب. نهضت وشققت الباب قليلاً كانت تامي. اقتحمتْ الباب عنوة.

«وقعت على يهودي حقير ابن عاهرة. أراد ١٢ دولاراً ثمناً لدواء الروشتة! إن سعره ستة دولارات في لوس أنجلوس. قلت له إني لا أملك إلا ستة فلم يأبه. يهودي قميء ويقطن في هارلم! أوهل أحظى بقنينة بيرة؟».

تناولت تامي قنينة البيرة وقعدت مفرشخة فوق النافذة. رِجلٌ في الخارج، ذراع في الخارج، رجل في الداخل، وذراع متمسكة بالنافذة المرفوعة.

«أرغب في رؤية تمثال الحريّة. أريد مشاهدة «كوني أيلاند». قالت.

أحضرتُ لي قنينة بيرة جديدة.

«آه، الطقس لطيف هنا في الخارج! إنه فعلياً لطيف وبارد!».

انحنت تامي إلى خارج الشبّاك متطلعّة.

فجأة صرختْ.

انزلقت اليد التي كانت ممسكة بالشباك. رأيت معظم جسمها ينقلب من الشباك، ثم عاد. استطاعت بسحر ساحر أن ترفع نفسها إلى الداخل من جديد. جلستْ هناك مخبولة.

«لقد نجوتِ بأعجوبة» قلت لها «لكان ذلك ألهم قصيدة جميلة. كنت فقدت العديد من النساء وبطرق شتى، غير أني لم أعهد سابقة كهذه».

تقدمت تامي من السرير استلقت متمددة على بطنها فأدركت أنها كانت لا تزال مبهوتة. وفجأة انقلبت من على السرير وسقطت على ظهرها لم تحرك ساكناً تقدمت إليها ورفعتها ووضعتها مجدداً على الفراش. أمسكتها بشعرها وقبّلتها بضراوة.

«هاي. ماذا تفعل؟».

تذكرتُ أنها كانت وعدتني بمضاجعة. قلبتُها على بطنها، رفعتُ فستانها ونزعت لباسها التحتي. ركبت فوقها وكبستها محاولاً العثور على فرجها أقحمته مراراً وتكراراً وفجأة ولجتها رحت أزلقه أكثر فأكثر ثبّتها بقوّة. كانت تبعثُ أصواتاً ضئيلة. وفجأة رن جرس الهاتف. انسحبت، نهضت وأجبته. كان المتصل غاري بنسون.

«إني قادم مع آلة التسجيل لنقوم بذلك الحوار الإذاعي».

«متى؟».

«خلال ٤٥ دقيقة تقريباً».

أقفلت السماعة وعدت إلى تامي، كنت ما أزال في حال

انتصاب. أمسكتُ بشعرها وقبّلتها مجدداً بضراوة. كانت عيناها مغمضتين وثغرها هامداً اعتليتها من جديد وفي الخارج كانوا يقتعدون سلالم الحريق. عندما بدأت الشمس بالهبوط وانتشرت الظلال خرجوا من بيوتهم ليتبرّدوا كان سكان نيويورك يقعدون هناك في الخارج محتسين البيرة وقناني الصودا والمياه المثلجة. كانوا يتحملّون ويدخنون السجائر، مجرد البقاء على قيد الحياة كان انتصاراً كانوا يزّينون سلالم النجاة بالنباتات كانوا يتدبرون بالمتيسر

غرزته في تامي «حتى البيض» على طريقة الكلاب. الكلاب هي الأدرى. لقد أصبت الفلاح. كان رائعاً أن أكون خارج مكتب البريد. كانت ضغطاتي ترجرج وتطرق جسدها على الرغم من تأثير المهدئات كانت تحاول الكلام. «هانك..» تمتمت.

أخيراً بلغت الذروة وقذفت واسترحت بعدها ممدداً فوقها كان كلانا مبللاً بالعرق. انقلبت عنها، نهضت، تعرّيت ودخلت تحت الدشّ. ها قد نكحت مرة أخرى هذه الصهباء التي تصغرني باثنين وثلاثين عاماً

شعرت بالحبور تحت الدشّ. نويت العيش حتى بلوغ الثمانين لكي أستطيع عندها مضاجعة فتاة في الثامنة عشرة من العمر. كان المكيّف معطلاً، غير أن الدشّ لم يكن كذلك. كنت مستعداً لحواري الإذاعي.

* * *

- ٦٥ -

عودة إلى لوس أنجلوس، أمضيت أسبوعاً شبه كامل بسلام تام. وفجأة رن جرس الهاتف. كان المتصل صاحب نادٍ ليلي في «مانهاتن بيتش» ويدعى مارتي سيفرز. كنت سابقاً أقمت قراءتين شعريتين هناك. وكان النادي يدعى «سماك ـ هاي».

«شيناسكي أريدك أن تحيي عندي قراءة شعرية بعد أسبوع، يوم الجمعة المقبل. يمكن أن تحصّل قرابة اربعمائة وخمسين دولاراً».

«موافق».

كانت فرق «روك أندرول» تعزف هناك. كان الحضور مختلفاً عن جمهور الكلّيات وكانوا منحطّين يبزونني حقارة، وكنا نتبادل السباب ما بين القصائد. كنت أفضّل هذا

«يا شيناسكي» تابع مارتي «هل تخال أنك من يعاني من مشاكل مع النساء دعني أخبرك أمراً إن التي أعاشرها حالياً بارعة في معالجة النوافذ والحواجب المنخلية. أكون نائماً، فتبزغ فجأة في حجرة النوم في الثالثة أو الرابعة فجراً. فتهزني مثيرة الرعب في فرائصي. تنتصب هناك إزاء السرير قائلة لي: «أردت وحسب التأكد من أنك نائم لوحدك!»».

«الموت والتجلّي».

«منذ بضعة ليالٍ كنت جالساً فسمعت طرقاً على الباب. أعرف

أنها هي. فتحت الباب فلم أجدها هناك. كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً وكنت مرتدياً سروالي التحتي. كنت أحتسي الكحول فقلقت. ركضت إلى الخارج في سروالي التحتي. كنت أهديتها بمناسبة عيد ميلادها ملابس بقيمة أربعماية دولار. أسرعت إلى الخارج وإذ بي أرى الملابس أمامي فوق سطح سيّارتي الجديدة، وقد أضرمت فيها النار، إنها تحترق! وما أن ركضت معجلاً لرفعها من على السيّارة اندفعتْ من خلف شجيرة وبدأت بالصراخ. أطل الجيران مستطلعين وهأنذا تحت أنظارهم في سروالي التحتي، حارقاً يديّ محاولاً انتزاع الملابس من على السقف».

«يبدو أنها شبيهة تماماً بواحدة من نسائي»

«حسناً، لذا تصوّرت أن الأمر انتهى ما بيننا، فيما جلست هنا بعد ليلتين، وكان توجب عليّ أن أهتم بالنادي تلك الليلة، لذا كنت جالساً هنا حوالي الساعة الثالثة فجراً سكران ومجدداً في سروالي الداخلي. سمعت قرعاً على بابي إنه وقع طرقاتها فتحته فلم تكن هناك خرجت لأتبيّن سيّارتي فألفيت فوقها المزيد من الملابس المبللة بالبنزين والمشتعلة. كانتْ ادخرتْ بعضها غير أنها هذه المرة كانت تحترق فوق كبّوت السيّارة. قفزتْ فجأة من مكان ما وانفجرت بالصراخ. أطل الجيران وإذ بي مجدداً في سروالي التحتي محاولاً إنتزاع تلك الملابس المحترقة من على كبّوت سيّارتي».

«هذا رائع. أتمنى لو أنه حدث لي».

«ينبغي أن ترى سيّارتي الجديدة. سقفها وكبّوتها مكسوّان كلياً بالفقاعات والتقرّحات.

«أين هي الآن؟».

«عدنا من جديد معاً إنها قادمة بعيد نصف ساعة. هل أنت موافق على إحياء القراءة؟».

«بالتأكيد».

«إنك تنتزع إعجاباً يفوق ما تحظى به فرق موسيقى الروك. لم يسبق أن رأيت أمراً مماثلاً، أود فعلياً إحضارك ليلتي الجمعة والسبت».

«لن ينجح هذا يا مارتي. في وسعك أن تعيد غناء الأغنية نفسها مئات المرّات، ولكن في ما يتعلق بالشعر فالناس يريدون كل مرة سماع قصائد جديدة»

ضحك مارتي وأقفلَ السمّاعة.

* * *

- ٦٦ -

اصطحبت تامي برفقتي، وصلنا مبكرين بعض الشيء فدخلنا باراً في الجهة المقابلة. تدبرنا طاولة وجلسنا.

«بربك لا تكثر الشراب يا هانك، أنت تعرف جيداً أنك تبتلع كلمات وتغفل سطوراً بأكملها حين تكون شديد الثمالة».

«وأخيراً» قلت لها «تقولين شيئاً منطقياً».

«يعتريك خوف من الجمهور، أليس كذلك؟».

«أجل، لكنه ليس رهبة المسرح. المسألة أنه يتوقعون مني هناك أن أكون مهرجاً يستمتعون برؤيتي غارقاً في هرائي. في النهاية هذا يتيح لي دفع فاتورة الكهرباء والذهاب إلى مضمار سباق الخيل. ليس عليّ أن أقدّم أية إعتذارات بشأن إقدامي على القيام بهذا».

«أود احتساء كأس من كوكتيل «ستينجر»». قالت تامي.

طلبتُ من الفتاة أن تحضر لنا كوكتيل ستينجر وقنينة بيرة باد وايزر.

«سأكون فتاة عاقلة هذه الليلة» قالت «لا تقلق بشأني»

تجرعتْ تامي كأس الستينجر حتى ثمالته.

«إنهم بالكاد يصبون شراباً في كؤوس الستينجر هذه، أريد كأساً أخرى».

احتسينا كأساً أخرى من الستينجر وقنينة باد وايزر ثانية.

«فعلياً» قالت «أعتقد أنهم بالكاد يصبّون شيئاً من كؤوس الكوكتيل هذه، من الأجدى أن أطلب كأساً أخرى».

ازدردت تامي خمس كؤوس ستينجر خلال أربعين دقيقة.

طرقنا على الباب الخلفي لنادي «سماك ـ هاي». أفسح لنا أحد حراس مارتي الشخصيين البدناء السبيل إلى الدخول. كان يستخدم هؤلاء المعتلّي الغدد الدرقية لحفظ الأمن والنظام آن يفلت زمام الفتيان المشاكسين والمسوخ ذوي الشعور الطويلة وشمّامي الغَرَاء ومدمني الـ«أل أس دي»، ومدخني الحشيشة ومدمني الكحول ـ كل البؤساء والملعونين والضجرين والمدّعين المغرورين.

كنت أستعد للتقيؤ وتقيأت، وهذه المرة وجدت سلة قمامة فاستفرغت فيها في المرة السابقة قذفت قيئي أمام مكتب مارتي بالضبط. أَسَرَّهُ هذا التغيير

* * *

- ٦٧ -

«هل تودان إحتساء شيء ما؟» سألني مارتي.

«قنينة بيرة لي» أجبت.

«سأشرب كأس ستينجر» قالت تامي.

«جدْ لها مقعداً وراقبها باستمرار» قلت لمارتي.

«فهمت. سوف نهتم بإجلاسها الصالة مليئة بالكامل. لقد رفضنا مائة وخمسين شخصاً آخر ولديك نصف ساعة قبل أن تخرج إليهم.

«أريد أن أقدم شيناسكي للجمهور» قالت تامي.

«هل أنت موافق؟» سألني مارتي.

«موافق».

كان هناك على المسرح فتى مع غيتار يدعى دينكي سامرز. كان الحشد «يسلخون جلده». قبل ثمانية أعوام كان دينكي حاز على «الأسطوانة الذهبية» ومذّاك إخفاق كامل.

اتصل مارتي عبر هاتف داخلي «ماذا هناك» سأل «أهذا الفتى سيء إلى هذا الحد؟».

كان في الوسع سماع صوت أنثوي عبر الهاتف «إنه لا يحتمل».

أقفل مارتي سمّاعة الهاتف.

«نريد شيناسكي» راحوا يهتفون.

«حسناً» سمعنا دينكي يجيب «شيناسكي هو التالي».

بدأ يغني من جديد. كانوا جميعاً ثملين. فجعلوا يصيحون ويهسهسون مستهجنين. تابع دينكي الغناء. أنهى عرضه وغادر المسرح. ليس في وسع المرء أن يحزر ماذا ستؤول إليه الأمور. أحياناً من المفضّل أن يبقى الواحد في فراشه مدفوناً تحت ملاءاته.

سمعت طرقاً على الباب، أطلّ دينكي بحذائه الرياضي الأحمر والأبيض والأزرق والتيشرت البيضاء وبنطاله المخطط وقبعّته اللبدية البنية اللون. جثمت قبعته فوق كتلة من الخصلات الشقراء. طُبعت على قميصه التيشرت عبارة «الله هو الحب»

نظر إلينا دينكي قائلاً «أوهل كنت سيئاً إلى هذا الحد؟ أريد أن أعرف. أحقاً كنت سيئاً إلى هذا الحد؟».

لم يجبه أحد.

حدق فيّ دينكي وسألني «يا هانك أو هل كنت فعلياً رديئاً إلى هذا الحد؟».

«إن الجمهور برمته ثمل. إن عيد المساخر»

«أريد أن أعرف فعلياً ما إذا كنت سيئاً أم لا؟».

«هيا تناول كأساً من الشراب».

«يجب أن أفتش عن صديقتي» قال دينكي «لقد بقيتْ هناك لوحدها».

«إنصت إليّ» قلت «إِنسى الأمر».

«ممتاز» قال مارتي «هيّا بِكَ».

«أنا من يقدِّمه» قالت تامي.

خرجت برفقتها، وفيما اقتربنا من المسرح تبيّنونا، وبدأوا يطلقون الصرخات واللعنات. تساقطت قنانٍ من على الطاولات ونشب عراك باللكمات. يستحيل أن يصدّق زملائي السابقون في مكتب البريد حصول هذا

تقدمت تامي إلى أمام الميكروفون «سيداتي وسادتي» قالت «إن هنري شيناسكي لم يستطع الحضور هذه الليلة».

حل صمت في الصالة.

ثم تابعت قائلة: «سيداتي وسادتي إليكم هنري شيناسكي!».

دخلت. تعالت سخرية الجميع. لم أكن قد فعلت شيئاً بعد. أمسكت بالمايكروفون، «مرحباً، هنا هنري شيناسكي

ارتجّ المكان بفعل الضجيج. لم أكن بحاجة للقيام بأي شيء. كانوا هم متكفّلين بالعرض بأكمله. إنما ينبغي توخي الحذر. سكارى كما هم، كانوا يستطيعون على الفور ملاحظة أي إيماءة مغلوطة، أي كلمة خاطئة. لا تستطيع إطلاقاً الاستخفاف بجمهورك. كانوا دفعوا بدل الدخول. كانوا دفعوا ثمن كؤوسهم، وتوقعوا أن يحظوا بشيء ما بالمقابل، فإن لم تعطهم إياه فسوف يرمونك بلا أدنى ريب في عمق المحيط.

كان هناك برّاد فوق المسرح. فتحته كان يحوي بأقل تقدير أربعين قنينة من البيرة. مددت يدي وتناولت واحدة. فتحتُ السدادة منتزعاً إياها ازدردت جرعة كبيرة. كنت بأمس الحاجة إليها

صاح فجأة رجل من الأسفل في مقدم الحضور «هاي يا شيناسكي، نحن هنا ندفع ثمن شرابنا!».

كان رجلاً بديناً جالساً في الصفّ الأمامي مرتدياً زي سعاة البريد.

توجهت إلى البرّاد وأخرجت منه قنينة بيرة. ثم اقتربت نحوه وناولته قنينة البيرة، وعدت مجدداً إلى البراد وانتشلت بعض المزيد من القناني وناولتها إلى الأشخاص الجالسين من الصف الأمامي.

«هاي، وماذا بشأننا؟» صاح أحدهم من آخر الصالة تقريباً

حملت قنينة ورميتها عبر الهواء. رميتُ اى هناك في الخلف بضع قنانٍ وارتفعت عالياً في الهواء. سمعت صوت تحطّمها فقررت أن أكفّ عن ذلك. استطعت تصوّر عنوان الدعوة القضائية المرفوعة ضدّي «كِسرٌ في الجمجمة».

كان تبقى عشرون قنينة.

«كفى، هذه القناني المتبقية هي لي «لوحدي»!

«هل ستقرأ طوال الليل؟»

«سوف أشرب طوال الليل.

تصفيق، صيحات سخرية، زعيق.

«هانك يا منيك يا خرائي!» صاح بي أحدهم بأعلى صوته.

«أشكركِ يا خالتي تيلي» أجبته.

جلست. ضبطت الميكروفون وبدأت إلقاء قصيدتي الأولى. حل الصمت في الصالة. صرت الآن وحيداً في الحلبة في مواجهة الثور. اعتراني الذعر غير أني كنت أنا من كتب القصائد، فقرأتها كان من المفضّل أن أبدأ بشيء خفيف. بقصيدة ساخرة. حين انتهيت من قراءتها اهتزّت الجدران بفعل التصفيق. كان أربعة أو خمسة أشخاص يتعاركون أبان التصفيق. كان الحظ إلى جانبي وكل ما توجب على القيام كان الصمود هناك.

لم يكن في من المفترض الاستخفاف بهم، ولم يكن من المفترض أيضاً تملّقهم. كان ينبغي إيجاد منطقة وسطية.

قرأت المزيد من القصائد محتسياً البيرة. صرت أكثر وأكثر ثمالة وازدادت صعوبة التلفظ بالكلمات. أغفلت سطوراً بأكملها وأوقعت قصائد على الأرض. توقفت بعدها عن القراءة وتابعت وحسب احتساء البيرة.

«يا للمتعة» قلت لهم «تدفعون لمشاهدتي أحتسي الشراب».

قمت بمجهود وقرأت لهم قصائد أخرى. في الختام تلوت عليهم بعض القصائد الفاحشة وأنهيت القراءة.

«هذا كل شيء» أعلنت.

راحوا يهتفون مطالبين بالمزيد.

الفتيان في المسلخ وفتيان «سيرز روباك»، كل فتية المستودعات حيث عملت صبياً ورجلاً لن يصدقوا إطلاقاً إن أياً من هذا يمكن أن يحدث.

داخل المكتب كان هناك المزيد من الكحول. عدد من لفائف الماريجوانا الثخينة «قاذفات قنابل». تناول مارتي الهاتف الداخليّ متقصياً ما آلت إليه مداخيل الباب.

حدّقت تامي في مارتي «لا أستسيغكَ» بادرته قائلة «لا تعجبني عينيك على الإطلاق».

«دعك من عينيه» قلت لها «فلنأخذ المال وننصرف».

حرّر لي مارتي الشيك ووقّعه وناولني إيّاه «ها هو ذا الشيك» قال «مئتا دولار».

«مئتا دولار!» صرخت فيه تامي «يا ابن العاهرة العفن!».

تحققت من الشيك. «إنه يمزح» قلت لها «اهدئي».

«تجاهلتني كلياً «مئتا دولار» رددتْ لمارتي «أيها المتعفن.

«يا تامي» قلت لها «لقد دفع لي أربعمائة دولار.

«وقّعْ الشيك» قال مارتي «وسأعطيك المبلغ نقداً».

«تعتني السكر هناك في الداخل» قالت لي تامي «سألت ذلك الرجل «أتسمح لي بأن أتكي جسمي على جسمك؟» أجابني «لا مانع».

وقّعتُ الشيك وأعطاني كدسة من الأوراق النقدية فدسستها في جيبي.

«إسمعي يا تامي أعتقد أنه من المستحسن أن ننصرف»

«أكره عينيك» قالت تامي لمارتي.

«لِمَ لا تمكثا لنثرثر بعض الوقت» سألني مارتي.

«لا، ينبغي أن نغادر».

وقفت تامي «ينبغي أن أذهب إلى حمّام النساء».

خرجتْ.

جلسنا أنا ومارتي منتظرين. مضت عشر دقائق. وقف مارتي وقال لي «إنتظرني، لحظة وأعود»

جلست وانتظرت، خمس دقائق، عشر دقائق، خرجتُ من المكتب وإلى خارج الباب الخلفي. سرت إلى الموقف وجلست في الڤولز، مرّت ربع ساعة، ٢٠ دقيقة، ٢٥ دقيقة.

قلت في نفسها سوف أهبها خمس دقائق إضافية وبعدها سأغادر.

في تلك اللحظة بالذات خرج مارتي وتامي معاً من الباب الخلفي ودلفا إلى المسلك.

دل مارتي بإصبعه «ها هو هناك». توجهت مارتي نحوي. كانت ملابسها في حال من الفوضى وملتوية.

صعدت إلى المقعد الخلفي من السيّارة وتكوّرت هناك.

ضللت السبيل مرتين أو ثلاث على الأوتوستراد، وفي النهاية ركنت السيّارة أمام العمارة. أيقظت تامي. خرجت من السيّارة وركضت متسلّقة الأدراج إلى شقّتها، وصفقتْ الباب.

* * *

- ٦٨ -

كان ذلك مساء الأربعاء عند الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً وكنت سقيماً معدتي في حال مزرية غير أني استطعت رغم ذلك ابتلاع بضع قناني من البيرة. قبعت تامي بمعيّتي وبدتّ متعاطفة. كانت دانسي عند جدّتها

رغم أني كنت مريضاً، وجدتني في نهاية الأمر أقضي وقتاً طيباً شخصان لوحدهما معاً مرتاحين قريري العين.

سمعنا طرقاً على الباب، نهضت وفتحته. انبرى شقيق تامي جاي برفقة شاب آخر يدعى فيلبرت، وهو بورتوريكي قصير القامة. جلسا وناولت كلّا منهما قنينة بيرة.

«تعالوا نخرج إلى السينما ونشاهد فيلماً بورنوغرفياً» اقترح جاي.

جلس فيلبرت من دون أن ينبس بحرف. كان له شاربان مشذبان بعناية، وبالكاد عكس وجهه أي تعبير لم يكن يبعث مطلق بصيص. خطرت في بالي تعابير مثل كابٍ وكامدٍ وشاحب وميت وإلى ما هنالك.

«لماذا لا تتفوّه بشيء يا فيلبرت؟ سألته تامي.

لم يتكلّم.

وقفتُ، توجهتُ إلى مجلى المطبخ وتقيأت فيه. عدتُ بعدها

وجلستُ من جديد. تناولت قنينة بيرة جديدة. أكره حين ترفض معدتي البيرة. كل ما في الأمر أني لم أتوقف عن السكر طوال عدة أيام وليالٍ من دون انقطاع. كنت بحاجة لوقفة استراحة، لكني كنت أيضاً بأمس الحاجة لاحتساء الشراب، البيرة وحسب. في وسعي عادة تحمّل البيرة. ابتلعت جرعة كبيرة.

لم تتحمّل معدتي البيرة فأسرعتُ إلى الحمّام. طرقت تامي على باب الحمّام، «هانك، هل أنت بخير؟»

تمضمضت فمي وفتحت الباب «أشعر بالغثيان، لا تشغلي بالك»

«هل تريدني أن أتخلّص منهما؟»

«ضروري».

أقفلتْ عائدة إليهما «إسمعاني أنتما، ماذا لو صعدنا إلى شقتي؟».

لم أكن أتوقع ذلك.

كانت تامي أغفلت دفع فاتورة الكهرباء أو أنها لم تكن تريد ذلك، فجلسوا هناك في الأعلى على ضوء الشموع. كانت أخذت معها قنينة صغيرة من كوكتيل المرغريتا، كنت ابتعتها في وقت سابق من النهار.

جلستُ وشربتُ وحيداً، ولم ترفض معدتي البيرة التالية.

استطعت سماعهم في الأعلى يتحادثون.

غادر شقيق تامي بعدئذٍ. راقبته وهو يسير تحت ضوء القمر نحو سيّارته..

مكث كل من تامي وفيلبرت معاً هناك في الأعلى وحيدين معاً على ضوء الشموع.

قبعت في العتمة مطفئاً الأضواء أشرب. مرّتْ ساعة من الوقت. كنت أرى إرتعاش ضوء الشموع خلل الظلمة. أجلت النظر في الأرجاء. كانت تامي قد نسيت حذاءها حملت الحذاء وتسلقت الدرجات. كان بابها مشرّعاً وسمعتها تتحدث إلى فيلبرت. «حسناً، بأية حال ما أود قوله كان.

سمعتني أصعد الدرج. «هنري، أهذا أنت؟»

رميت حذاء تامي إلى ما تبقى من المسافة حتى أعلى الدرج فحطّ خارج بوابتها

«لقد نسيتِ حذاءك» هتفت قائلاً

«آه! باركك الله» ردّت.

حوالي الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي قرعت تامي باب منزلي. فتحتُه. «يا لكِ من مومس متعفنة».

«أوقف هذا النوع من الكلام» قالت لي.

«أترغبين في قنينة بيرة؟»

«أجل».

جلست. «حسناً، شربنا قنينة المرغريتا وبعدئذٍ غادر أخي. كان فيلبرت بغاية اللطافة، جلس وبالكاد حكى. «كيف ستذهبْ إلى منزلكَ؟» سألتهُ «هل لديك سيّارة؟» وأجابني بالنفي. جلس وحسب محدقاً فيّ فبادرته «حسناً لديّ سيّارة سأقلّك إلى المنزل» وهكذا أوصلته إلى منزله. بأية، بما أني كنت هناك شاطرته الفراش، كنت

ثملة للغاية غير أنه لم يمسّني. قال إنه يتوجب عليه التوجه إلى عمله في الصباح» ضحكتْ تامي، «أحياناً خلال الليل حاول الاقتراب مني، فدفنت رأسي تحت الوسادة كي لا يسمعني وانفجرت بالضحك. أبقيتُ الوسادة فوق رأسي وتابعت القهقهة. كفَّ أخيراً عن المحاولة. بعد أن غادر في الصباح إلى عمله، توجهت بالسيّارة إلى منزل أمي وأوصلت دانسي إلى المدرسة، وهآنذا

في اليوم التالي بدت تامي مهتاجة بتأثير تناولها حبوب الأمفيتامين. جعلت تركض داخلة وخارجة من شقتي مندفعة مثل أعصار. وفي نهاية الأمر بادرتني بالقول «سأعود في المساء. أراك مساءً!»

«إنسي الأمر»

«ما مشكلتك؟ سيسَّرُ العديد من الرجال برؤيتي هذه الليلة».

اندفعت تامي خارجة من الباب. كان هناك قطة حبلى نائمة أمام شرفة منزلي الأمامية.

«أغربي من هنا يا «حمراء»

انتشلتُ القطة الحبلى وقذفتها باتجاه تامي. أخطأتُها بفارق ثلاثين سنتمتراً تقريباً، وسقطت القطة داخل شجيرة ملاصقة.

في الليلة التالية كانت تامي مجدداً تحت تأثير الأمفيتامين. كنت ثملاً، تامي ودانسي راحتا تصيحان بي بهستيرية من النافذة في الأعلى.

«كل خراء أيها الخرائي»!».

«أجل كلْ خراءً، يا خرائي! ها ها ها!».

«آه، بالونان» أجبت «بالونا أمك الكبيرين!».

«كل خراء الجرذ أيها الخرائي!».

«يا خرائي، يا خرائي، يا خرائي! ها ها ها!».

«أيا ذات دماغ ذبابة الفاكهة» أجبت «مصّي قطن سرّتي!»

«يا

وفجأة اندلعت عدة طلقات لبندقية نارية من على مقربة، إمّا من الشارع أو من خلفية العمارة، أو خلف الشقة المجاورة. من مسافة قريبة جداً كان حيّا فقيراً ومرتعاً للدعارة والمخدرات ولحصول جريمة ما بين الحين والآخر

بدأت تامي تصرخ من النافذة «هانك! هانك، إصعد إلى هنا هانك! هانك! هانك! هانك، عجّل يا هانك!»

ركضت إلى فوق، فوجدت تامي ممددة فوق الفراش وفاض كل ذلك الشعر الأحمر الرائع متوهجاً فوق الوسادة. أبصرتني

«لقد أُصبت» قالت بوهن «لقد أصبت برصاصة»

دلتني بإصبعها إلى بقعة على بنطالها الجينز الأزرق. لم تكن تمزح على الإطلاق. كانت مذعورة.

كان هناك بالفعل لطخة حمراء غير أنها بدت جافة. كان يروق لتامي استخدام أنابيب الألوان خاصتي مددتُ يدي ولمستُ اللطخة الجافة. كانت على ما يرام باستثناء الحبوب التي كانت تناولتها

«إسمعي» قلت لها «أنت بخير لا تجزعي.

ما أن خرجت من الباب، أبصرت بوبي منطنطاً الأدراج بأقصى سرعته.

«تامي، تامي ما الخطب؟ هل أنتِ بخير؟».

كان من الواضح أنه توجب على بوبي ارتداء ملابسه، وهذا يوضح سبب تأخره.

فيما مر بي خابطاً مندفعاً عاجلته قائلاً: «بحق اليسوع يا رجل، أكلّما خطوت خطوة أجدك أمامي».

ركض داخلاً إلى شقة تامي، وتبعه جار تامي في الشقة الملاصقة وهو بائع سيّارات مستعملة ومعتوه «طبياً»

نزلت تامي إلى شقتي بعد بضعة أيام حاملة مغلّفاً

«يا هانك، لقد سلّمتني المديرة للتو إشعاراً بالإخلاء».

أرتني إيّاه.

قرأته بعناية «يبدون جديين» قلت.

«وعدُتها بأني سأدفع بدل الشهر المتأخر غير أنها أجابتني «لم يعد مرغوباً بك هنا يا تامي».

«ما كان يجدر أن تتأخري كثيراً لدفع الإيجار».

«أنصتْ إليّ، إن المال بحوزتي، المسألة ببساطة أنه يعزّ عليّ دفع المال».

كانت تامي شخصاً مشاكساً بكل ما للكلمة من معنى، سيّارتها لم تكن مسجّلة ولوحة تسجيل السيّارة انقضى أجلها من زمن طويل وتسوق من دون إجازة سوق. كان تترك سيّارتها مركونة طوال أيام في المناطق الصفراء حيث يسمح بالركون مؤقتاً، وفي المناطق الحمراء حيث يمنع الوقوف كلياً وفي مواقف السيّارات الخاصة..

حين كان شرطة السير يوقفونها وتكون سكرانة أو مخدّرة أو لا تحمل بطاقة شخصية، كانت تتحدث إليهم وكانوا دوماً يطلقونها كانت تمزّق بطاقات المخالفات التي كانت تنالها

«سوف أجد رقم هاتف المالك» (لم يكن يقطن في البناية). «لا يحق لهم طردي من هنا هل لديك رقم هاتفه؟»

«لا».

في تلك اللحظة بالذات مرّ أمام بابي إيرف وكان يملك بيت بغاء، ويعمل أيضاً كحارس «باونسر» في صالون محلّي للتدليك والمسّاجات. يبلغ إيرف من الطول ١٩٠ سنتمتراً ويدمن الأمفيتامين. وكان عقله أكثر رجاحة من أول ثلاثة آلاف شخص يمكن أن تمر بهم في الشارع.

ركضت تامي إلى الخارج منادية «إيرف! إيرف»

توقف واستدار. نتأت تامي ثدييها باتجاهه سائلة إياه «إيرف هل تعرف رقم هاتف صاحب البناية؟».

«لا، لا أعرفه».

«يا إيرف إني بحاجة ماسة لرقم هاتفه. إن أعطيتني رقمه سأمص لك زبّك!».

«ليس لديّ رقمه»

سار نحو باب شقته وأدخل المفتاح في القفل.

«هيّا يا إيرف، سأمص لك زبّك إن قلته لي!».

«هل أنت جادة فيما تقولين؟» سألها متردداً فيما حدّق فيها.

فتح بعدئذٍ الباب، دخل وأقفله وراءه.

اندفعت تامي نحو باب آخر وقرعته. شقّ ريتشارد بابه بحذر وأبقاه معلقاً بسلسلته. كان أقرع الرأس، يعيش وحيداً ومؤمناً ورعاً في غضون الخامسة والأربعين من عمره ويتابع بلا توقف مشاهدة التلفزيون. كان متورّد البشرة ونظيفاً مثل امرأة. ويشتكي باستمرار من الضجّة الصادرة من عندي، تمنعه من النوم حسب زعمه. نصحته الإدارة بالانتقال إلى شقة أخرى. كان يكرهني. وها هي الآن واحدة من نسائي أمام بابه. أبقى سلسلة الباب معلّقة.

«ماذا تريدين؟» سألها هاسّاً

«إسمع يا حبيبي، أريد أن تعطيني رقم مالك البناية. إنك تقطن هنا منذ سنوات، أنا موقنة أنك تملك الرقم. إني بحاجة إليه».

«أغربي من هنا» قال.

«إسمع يا حبيبي، ستنال مني جزاءً لطيفاً قبلة، قبلة شهيّة وافرة»

«أيتها الآثمة!» صاح بها «أيتها الزانية!».

وصفق ريتشارد الباب مغلقاً إياه.

عادت تامي إليّ «هانك؟».

«ماذا؟».

«ما معنى زانية؟ أعرف ما معنى زاهية إنما ما الذي تعنيه كلمة زانية؟».

«الزانية يا عزيزتي هي المومس».

«ماذا! يا له من قذر ابن عاهرة!».

خرجت تامي من جديد وتابعت تدقّ أبواب الشقق الأخرى. كان البعض منهم غير موجود، والبعض الآخر لم يُجب.

أقفلت عائدة «ليس هذا عادلاً! لماذا يريدونني أن أرحل من هنا؟ ما هو الذنب الذي اقترفته؟».

«لست أدري. تذكري جيداً، ربما هناك أمر ما؟».

«لست أذكر أي شيء بالتحديد».

«تعالي إسكني معي».

«لن تستطيع تحمّل الطفلة»

«معكِ حق».

مرت الأيام. ظلّ المالك متوارياً، لم يكن راغباً في التعاطي مع المستأجرين، تخندقت المديرة وراء إشعار الإخلاء. حتى إطلالات بوبي أمست نادرة، أمضى أمسياته متعشياً أمام التلفزيون، مدخناً الحشيشة ومستمعاً إلى موسيقى أسطواناته «هاي إسمع يا صديقي» قال لي «صديقتك لا أستسيغها على الإطلاق! إنها تدمّر صداقتنا يا رجل!»

«هذا صحيح يا بوبي.

توجهت إلى السوبرماركت وأحضرت بعض علب الكرتون الفارغة.

حدث بعدئذٍ أن شقيقة تامي وتدعى كاتي فقدت صوابها في دنفر بعدما هجرها حبيبها، وتوجب على تامي التوجه إلى هناك لرؤيتها مصطحبة دانسي. أوصلتهما بسيّارتي إلى محطة القطار ورافقتها حتى دخلتا القطار.

- ٦٩ -

تلك العشية رن جرس الهاتف. كانت مرسيدس. كنت التقيتها بعد قيامي بقراءة شعرية في «فينوس بيتش» كانت من الثامنة والعشرين من عمرها تقريباً، تملك جسداً لا بأس به وساقين جذابتين. شقراء طولها حوالى المتر والستين سنتمتراً، كان حديثها مملًا وضحكتها ملعلعة وناشدة في معظم الأوقات.

كنت ذهبت إلى منزلها بعد القراءة. كانت تسكن شقّة مطلّة على سنسول الشاطىء الخشبيّ. عزفتُ على البيانو وقرعت هي على طبلتي البونغو كان هناك قنينة مقشّشة من شراب «ريد ماونتن»، ولفافات ماريجوانا ثملت إلى حد أني عجزت عن المغادرة. نمت هناك تلك الليلة وغادرتُ في الصباح

«إسمع» قالت مرسيدس «أعمل الآن في جوار حيّك، هل أستطيع زيارتك؟»

«أجل».

أقفلتُ السمّاعة. رن الهاتف مجدداً كانت تامي

«إسمعني، قررت مغادرة الشقة. سوف أعود بعد يومين عليك وحسب أن تُخرج لي من الشقة فستاني الأصفر، ذاك الذي يعجبك وحذائي الأخضر أيضاً دع كل ما تبقى، إنها مجرد أشياء لا قيمة لها»

«حسناً».

«إسمع، إني مفلسة حتى الحضيض، ليس لديّ أي مال لابتياع الطعام».

«سأرسل لك أربعين دولاراً عند الصباح، عبر تحويلة من خلال الوسترن يونيون».

«كم أنت لطيف.

أقفلت السمّاعة، بعد ربع ساعة وصلت مرسيدس.

كانت ترتدي تنورة قصيرة للغاية وتنتعل صندلاً وبلوزة مقوّرة.

وأيضاً علّقت في أذنيها قرطين أزرقين.

«هل ترغب في تدخين سيجارة حشيشة؟» سألتني.

«بالتأكيد»

أخرجت الحشيشة وأوراق اللفّ من جزدانها وشرعت تلفّ بعض اللفائف. أحضرتُ قنينتي بيرة وجلسنا على الأريكة ودخنّا وشربنا

بالكاد تحادثنا داعبتُ ساقيها وشربنا البيرة ودخنّا طوال وقت مديد.

في نهاية الأمر تعرّينا واعتلينا السرير، أولاً مرسيدس ثم أنا رحنا نتعانق وداعبت فَرجها أمسكتْ بقضيبي فاعتليتها قادته مرسيدس إلى داخل فرجها، أطبقتْ عليه بإحكام هناك في الأسفل، كانت ضيقة جداً جعلت أعذبها لوقت قصير مثيراً رغبتها مخرجاً معظمه تقريباً ومحركاً شفرته ذهاباً وإياباً ثم زلقته كله في الداخل ببطىء وتمهّل. ثم فجأة ضغطّها تباعاً أربع أو خمس مرات فتقافز رأسها فوق الوسادة. «ااارغ غ. .» غرغرت عالياً عندها أبطأت إيقاع دكّاتي

كانت ليلة حارة ونضح كلانا بالعرق. كانت مرسيدس مخدّرة بفعل البيرة والحشيشة. فقررت أن أختم مضاجعتي إياها بشكل رائع. أن ألقّنها من براعتي بعض الأمور.

تابعت أدكها وأدك خمس دقائق، عشر دقائق أخرى. عجزت عن بلوغ الذروة والقذف. وبدأت أضعف وشرع عضوي بالارتخاء.

اعترى مرسيدي القلق «هيا أقذف!» صاحت ترجوني «آه أقذف يا حبيبي!»

لم يسعفني هذا على الإطلاق. انقلبت عنها

كانت ليلة حارة إلى حد لا يطاق. أمسكتُ الغطاء ومسحتُ به عرقي. استطعت سماع نبضات قلبي فيما تمددت هناك. بدا إيقاعه حزيناً وتساءلت في نفسي عما كان يخطر لمرسيدس.

استلقيت منهكاً، مرتخي القضيب.

أدارت تامي وجهها نحوي. قبّلتها التقبيل أكثر حميمية من النكاح لهذا السبب بالذات لم يرق لي يوماً أن تقوم حبيباتي بتقبيل الرجال الآخرين. بل أفضل أن يضاجعوهم.

تابعت تقبيل مرسيدس وبما أني كنت حساساً تجاه القبلات استعدت انتصابي من جديد. ركبتها مقبّلا إياها كما لو كانت تلك آخر ساعة لي في الكوكب.

إنزلق قضيبي فيها

هذه المرة كنت موقناً بأني سأفلح. استشعرت الأعجوبة.

سوف أقذف داخل فرجها هذه العاهرة. سوف أصب عصاراتي في جوفها وليس ثمة ما يستطيع كبحي.

كانت ملكي. كنت جيشاً غازياً، كنت مغتصباً، كنت سيّدها، كنت الموت أصواتاً

كان مغلوباً على أمرها تمايل رأسها وتشبثت فيّ متأوهة باعثة أصواتاً..

«آآ. .غ، أوو غ غ أوه أوه. أوووف. أووووه!».

كان قضيبي يقتات من ذلك.

أصدرتُ صوتاً عجيباً ثم بلغتُ الذروة وقذفت.

خلال خمس دقائق كانت تشخر كان كلانا يشخر

عند الصباح أخذنا دشّاً وارتدينا ملابسنا «إني أدعوكِ لتناول الفطور في الخارج» قلت لها

«موافقة» أجابت مرسيدس «بالمناسبة، هل تضاجعنا الليلة الفائتة؟».

«ربّاه! ألا تتذكرين؟ لقد تضاجعنا طوال خمسين دقيقة!».

عجزت عن تصديق ما سمعت. بدت مرسيدس غير مقتنعة.

توجهنا إلى مطعم عند زاوية الشارع، طلبت بيضاً مع قديدة الخنزير وفنجان قهوة وخبز التوست. وطلبت مرسيدس فطيرة كريب بالجانبون وقهوة.

أحضرت لنا النادلة ما طلبناه. التهمتُ لقمة من البيض، وصبّت مرسيدس شراب السكر فوق فطيرتها

«أنت محق» بادرتني بالقول «لا بدّ أنك ضاجعتني، أحسّ بتقطّر المنيّ على باطن رِجْلي».

قررت ألّا أراها مطلقاً مرة أخرى.

- ٧٠ -

صعدت إلى شقة تامي حاملاً معي الصناديق الكرتونية. وضّبت أولاً الأغراض التي كانت ذكرتها لي. ثم عثرت على متاع أخرى - فساتين أخرى، بلوزات، أحذية، مكواة، مجفف للشعر، ملابس دانسي، صحون وصواني وألبوم للصور. وجدت هناك أيضاً كنبة ثقيلة من الروطان كانت ملكها، أنزلت كل الأغراض إلى شقتي. ثمانية أو تسعة صناديق كرتونية مليئة بالأغراض، وضعتها إزاء حائط حجرتي الأمامية.

في اليوم التالي توجهت بسيّارتي إلى محطة القطار لإحضار تامي ودانسي.

«إنك تبدو متألقاً» بادرتني تامي.

«شكراً» قلت.

«سوف نسكن في منزل والدتي، يمكنك أن تقلّنا إلى هناك. ليس بمستطاعي أي شيء حيال إشعار الإخلاء، من ذا يودّ الإقامة حيث هو غير مرغوب فيه؟».

«تامي، لقد أنزلت معظم أغراضك. إنها موضوعة في صناديق كرتونية في شقتي».

«ممتاز، هل أستطيع تركها هناك بعض الوقت؟».

«بالتأكيد».

غادرتْ بعدها والدة تامي إلى دنفر لزيارة الشقيقة، وفي تلك الليلة بالذات ذهبت لأسكر عند تامي. كانت تامي ابتلعت حبوباً مخدّرة ورفضتُ أنا تناول أي واحدة. حين أدركتُ قنينة البيرة التاسعة عشرة قلت «يا تامي، فعلياً لست أدري ماذا يعجبكِ في بوبي، إنه نكرة».

وضعت ساقاً فوق الأخرى وراحت تؤرجح قدمها ذهاباً وإياباً

«يخالها أحاديثه التافهة ساحرة» قلت.

تابعتْ أرجحة قدمها

«الأفلام السينمائية، الحشيشة، المجلّات المصوّرة، الصور البورنوغرافية، هذا كل ما يعرفه».

جعلت تؤرجح قدمها بإيقاع أسرع.

«أو هل أنتِ فعلاً مغرمة به؟».

تابعتْ أرجحة قدمها

«يا لك من عاهرة حقيرة» صحتُ بها

توجهت إلى الباب وصفقته خلفي وركبت بعدها في الڤولز اندفعت مسرعاً بين السيّارات متمايلاً يمنةً ويساراً متلفاً وصل «الدبرياج» وعلبة التروس.

عدت إلى شقتي وبدأت تحميل الصناديق الكرتونية التي تحوي أغراضها في الڤولزڤاكن. وأيضاً الأسطوانات والملاءات والألعاب، وبالطبع لم تكن الڤولز تسع الكثير

أسرعت عائداً إلى منزل تامي، ركنت السيّارة بالعرض وشغلّت شاراتي الرفّافة، أخرجت الصناديق من السيّارة وكومتها أمام مدخل

المنزل. غطيتها بملاءات وألعاب ثم قرعت جرس الباب وانطلقت بسيّارتي مغادراً

حين عدت محمّلاً الشحنة الثانية، كانت الشحنة الأولى توارت. كدّست كومة أخرى وقرعت الجرس وانطلقت مولياً الأدبار كالصاروخ.

حين عدت بالشحنة الثالثة كانت الثانية توارت. كدّست كومة أخرى وقرعت الجرس، لأغادر مجدداً بعدئذٍ مع انبعاث الفجر

عندما وصلت عائداً إلى شقتي احتسيت كأس فودكا ممزوجاً بالماء متبيّناً ما تبقى من الأغراض. كان هناك كنبة ثقيلة من الروطان ومجفف للشعر ذو قوائم. ثمة مجال لأقوم بنقلة واحدة إضافية لا غير، وكان عليّ أن أختار إمّا الكنبة أو مجفّف الشعر، إذ لم يكن ثمة مجال لأن تتسع الفولز لكليهما

أزمعت القرار على كنبة الروطان. كان الساعة الرابعة فجراً وكنت أوقفت السيّارة في عرض الشارع مشغلًا شاراتي الرفّافة. أنهيت كأس الفودكا وصرت أشد ثمالة ووهناً رفعت كنبة الروطان فوجدتها حقاً ثقيلة، وحملتها نزولاً عبر الممشى إلى السيّارة. وضعتها على الأرض وفتحت الباب المقابل لمقعد السائق. أقحمت الكنبة الروطان في الداخل. حاولت بعدئذٍ إغلاق الباب، غير أن الكنبة كانت ناتئة إلى الخارج. حاولت سحب الكنبة إلى خارج السيّارة. كانت عالقة. لاعناً رحت أدفعها مزيداً إلى الداخل. اخترقت إحدى أرجل الكنبة الروطان زجاج السيّارة الأمامي وانبثقت منه مصوّبة نحو السماء، ورغم ذلك أبى الباب الانغلاق ولم يبد ذلك حتى وشيك الحصول. جرّبت أن أدفع رِجْل الكنبة قدماً عبر الزجاج الأمامي لكي أستطيع إغلاق الباب فما كانت تتزحزح

كانت الكنبة عالقة في الداخل بإحكام. حاولت أن أسحبها إلى الخارج. أخفقت من جديد. يائساً رحت أدفع وأسحب، أسحب وأدفع. إن حضرت الشرطة فسوف يقضى عليّ، بعد وقت قليل وهنت. ركبت في مقعد السائق. لم تتوافر أي فسحة لأركن السيّارة في الشارع. قدت السيّارة متوجهاً إلى موقف السيّارات الخاص بمطعم البيتزا فيما راح الباب يتأرجح ذهاباً وإياباً، تركتها هناك مشرّعة الباب وضوء السقف مشتعلاً (أبتْ لمبة السقف الانطفاء). كان الزجاج الأمامي محطماً ونتأت من خلاله رجل الكرسي تحت ضوء القمر. بدا المشهد برمته معيباً، جنونياً يفوح بالقتل والجريمة. وأحرّ قلباه يا سيّارتي الجميلة.

نزلت الشارع عودة إلى بيتي. سكبت كأساً أخرى من الفودكا والماء واتصلت بتامي.

«إسمعي يا حبيبتي أنا في ورطة. كنبتك عالقة في زجاجي الأمامي، ويستحيل عليّ إخراجها أو إدخالها إلى السيّارة كي أستطيع إغلاق الباب. الزجاج الأمامي محطم. هل ثمة من حل لديك؟ ساعديني حباً باليسوع!».

«ستتدبر حلاً ما يا هانك».

أقفلتْ السمّاعة.

اتصلت مجدداً «حبيبتي.

أقفلتْ الخط. في المخابرة التالية كانت فصلت وتد الهاتف.

بززززز، بززززز، بززززز.

استلقيت على الفراش. رن جرس الهاتف.

«تامي.

«هانك، معك فاليري، لقد عدت لتويّ إلى البيت، وددت أخطارك بأن سيّارتك مركونة في موقف مطعم البيتزا وبابها مفتوح».

«أوه، لم الحظ ذلك»

«أشكركِ جزيلاً على اتصالك».

نمت. وقد كان في الواقع نوماً شديد الاضطراب. سيقطرون خنفسائي ويحجزونها سوف أنال غرامة مخالفة.

استفقت عند الساعة السادسة والثلث فجراً، فارتديت ملابسي وتوجهت إلى مطعم البيتزا، كانت السيّارة ما تزال حيث تركتها، والشمس على وشك الإشراق.

أمسكت الكنبة الروطان وجذبتها كانت ما تزال عالقة لا تتزحزح. استشطت غضباً ورحت أشدها وأنتعها لاعناً وتفاقم غيظي أكثر فأكثر كلما بدا لي ذلك أكثر استحالة، وفجأة سمعت طقطقة خشبية، أحسستني ملهماً ومفعماً بالنشاط، وجدت بين يدي قطعة مكسورة من الخشب. حدقت فيها قبل أن أرميها في الشارع وأعود مستأنفاً مهمتي. ثم انكسر جزء آخر تلك الأيام التي قضيتها عاملاً في المصانع، أيام تفريغ الشاحنات، أيام تحميل صناديق الأسماك المثلجة، أيام تعتيل المواشي المذبوحة على كتفي، هآنذا أقطف ثمارها الآن. لطالما كنت شديد البأس، إنما بالمساواة كسولاً هآنذا أمزّق الكنبة إرباً وفي نهاية الأمر أفلحت في انتزاعها من السيّارة. انقضضت عليها فوق أرض الموقف وحطمتها شرّ تحطيم، حطمّتها شر تحطيم. لممت بعدئذٍ القطع وكوّمتها بعناية في مرجة منزل أحدهم الأمامية.

ركبت في ڤولزي وعثرت على فسحة لإيقافها قرب بنايتي. كل ما توجب أن أفعله الآن، كان العثور على فناء لقطع السيّارات المستعملة إزاء جادة سانتافي أڤينينيو، وابتياع زجاج أمامي جديد لڤولزتي لا ضير في تأجيل هذا عدت إلى المنزل شربت كوبين من الماء المثلّج وتوجهت إلى السرير

* * *

- ٧١ -

مضى أربعة أو خمسة أيام، رن الهاتف. كانت تامي.

«ماذا تبغين؟» سألتها

«إسمعني يا هانك. أتذكر ذلك الجسر الصغير الذي تعبره بسيّارتك متوجهاً إلى منزل أمّي؟»

«أجل».

«جيد، ثمة من يبيع إلى جانبه تماماً أغراضه المستعملة. دخلت إلى هناك فلفتت انتباهي آلة كاتبة ثمنها عشرون دولاراً فقط، وحالتها العملية ممتازة. أرجوك ابتعها لي يا هانك».

«ما حاجتكِ بآلة كاتبة؟».

«في الواقع لم يسبق أن أفصحت لك، غير أني لطالما رغبت أن أصبح كاتبة».

«تامي..»

«أرجوك يا هانك سيكون هذا آخر ما أطلبه منك، وسأبقى صديقتك مدى العمر»

«لا».

«هانك.

«آه، اللعنة، موافق».

«سوف ألتقيكَ عند الجسر بعد ربع ساعة، أريد أن أعجّل قبل أن يشتريها أحد ما لقد وجدتُ شقة جديدة ويقوم فيلبرت وشقيقي بمساعدتي على الانتقال.

كما هو متوقع لم تحضر تامي إلى الجسر بعد ربع ساعة ولا بعد ٢٥ دقيقة. ركبت مجدداً في الڤولزڤاكن وتوجهت بها إلى شقة والدة تامي. كان فيلبرت يحمّل صناديق كرتونية في سيّارة تامي. لم يرني، ركنت السيّارة على بعد مبنى من المنزل.

خرجت تامي ورأت سيّارتي وكان فيلبرت على وشك الركوب في سيّارته، كان يملك كذلك سيّارة ڤولزڤاكن إنما صفراء اللون. لوّحتْ له تامي بيدها قائلة له «أراك لاحقاً».

نزلت بعدئذٍ إلى الشارع سائرة باتجاهي. حين دنت من السيّارة تمددتْ هناك في وسط الشارع واستلقتْ هناك. انتظرتُ. نهضتْ بعدئذٍ وتوجهتْ إلى السيّارة وركبت فيها

انطلقت بالسيّارة. كان فيلبرت قاعداً داخل سيّارته. لوّحت له فيما عبرنا إزاءه، فلم يرد التحيّة. كانت عيناه حزينتين لم يكن بعد سوى في البداية.

«بصراحة» انبرت تامي قائلة «إني مرتبطة بفيلبرت حالياً».

انفجرت ضاحكاً، خرجت مني عفوياً لم أتقصد ذلك.

«من الأفضل أن نعجّل. قد تكون الآلة الكاتبة قد بيعت».

«لِمَ لا تدعين فيلبرت يبتاع لك هذه الآلة اللعينة؟».

«إسمع إن كنت لا تود القيام بذلك، أوقف السيّارة وأنزلني على الفور».

أوقفتُ السيّارة وفتحت الباب.

«إسمعني جيداً يا ابن ـ الـ ـ عا ـ هرة، لقد «وعدتني» بأن تشتري لي هذه الآلة! إن لم تفِ بوعدك فسوف أبدأ بالصراخ وتحطيم نوافذك!».

«حسناً، لكِ آلتك الكاتبة».

وصلنا إلى المكان. كان الآلة الكاتبة ما تزال هناك.

«لقد أمضت هذه الآلة الكاتبة كل حياتها العملية في مصحّة عقلية» أخبرتنا السيّدة.

«سوف لن يتغيّر عليها الجوّ على الإطلاق» أجبتها

دفعت للسيّدة العشرين دولاراً وعدنا في السيّارة. كان فيلبرت غادر.

«هل تود البقاء لبعض الوقت؟» سألتني تامي.

«لا ثمة ما يجب أن أفعله»

استطاعتْ حملَ الآلة الكاتبة من دون مساعدة. كانت من الطراز المحمول.

* * *

- ٧٢ -

لم أتوقف عن الشرب طوال الأسبوع التالي. شربت نهاراً وليلاً، وكتبت ٢٥ أو ثلاثين قصيدة كئيبة عن الحب الضائع.

كان ذلك مساء ليل الجمعة حين رن الهاتف. كانت مرسيدس «لقد تزوجت» بادرتني بالقول «إلى جاك الصغير، كنتَ التقيتَه في الحفلة تلك الليلة حين قرأتَ الشعر في ڤينيس. إنه شاب لطيف للغاية وغنيّ. سننتقل للسكن في منطقة ڤالي».

«ممتاز يا مرسيدس، أتمنى لك كلّ الحظ»

«لكني مشتاقة للشرب والتحدث إليك. ماذا لو زرتك الليلة؟».

«موافق»

وصلت بعد ربع ساعة وبدأت تلفّ سجائر الحشيشة واحتساء جعتي.

«جاك الصغير فتى طيب جداً إننا سعيدان معاً»

امتصصت قنينة بيرتي.

«لا أريد أن نتضاجع» قالت «لقد تعبت من عمليات الإجهاض، ضقت فعلياً ذرعاً من الإجهاضات..».

«سنفكّر بأمر آخر نفعله».

«كل ما أريده هو التدخين والسكر والتحدث».

«هذا لا يكفيني»

«جلّ ما تريدونه أنتم الرجال هو المضاجعة».

«لا بأس بهذا».

«جيد، لا أريد ممارسة الجنس، لا أريد المضاجعة». هتفت حانقة.

«إهدئي»

جلسنا على الأريكة. لم نتبادل القبل. لم تكن مرسيدس محدّثة بارعة ولم يكن حديثها مثيراً للاهتمام. إنما لديها في المقابل ساقاها ومؤخرتها وشعرها وشبابها، يشهد الله كم عرفت من النساء المميزات غير أن مرسيدس لم تكن بالتأكيد في رأس القائمة.

تدفقت البيرة ودارت لفائف الحشيشة. كانت مرسيدس ما تزال في الوظيفة إيّاها في «معهد هوليوود للعلاقات الإنسانية». غير أن سيّارتها كانت تسبب لها المشاكل، وكان عضو جاك الصغير الذكرّي قصيراً وثخيناً كانت تقرأ كتاباً بعنوان «الكريب فروت» ليوكو أونو وتعبت من الإجهاضات. منطقة «ڤالي» كانت لطيفة غير أنها مشتاقة إلى «ڤينيس» مفتقدة التجوال بدرّاجتها فوق جسر الشاطىء الخشبي.

لست أدري كم طال حديثنا، أو حديثها، إنما طويلاً وبعد ذلك بوقت مديد قالت إنها أشد سكراً من أن تستطيع القيادة إلى بيتها

«إخلعي ثيابك وهلمّي إلى السرير» قلت لها

«لكن لا مضاجعة» قالت.

«لن أمسَّ فَرجْك البتة».

تعرّت واندست في الفراش. تعرّيت ودخلت الحمّام. راقبتني وأنا أخرج حاملاً مرطبان فازلين.

«ماذا تزمع أن تفعل؟»

«إهدئي يا حبيبتي إهدئي»

فركت عضوي بمرهم الفازلين ثم أطفأت الضوء ودخلت الفراش.

«أدبري» قلت لها

مددت ذراعاً من تحتها وجعلت أداعب أحد ثدييها ومددت ذراعي الأخرى من فوق مداعباً الثدي الآخر أمتعني انغماس وجهي في شعرها تصلّب عضوي وزلقته في دبرها أمسكتها من خصرها وجذبت مؤخرتها نحوي زالقاً إيّاه فيها بعنف «اااه» صرخت.

شرعت أدّك ممعناً في الإيلاج. كانت إليتاها ضخمتين وناعمتين. نضح جسمي بالعرق فيما دككتها عنيفاً ثم قلبتها على بطنها وأمعنت الولوج أعمق فأعمق. ضاق المجال، وكزت ذروة قولونها فصرخت:

«إخرسي! لعنك الله!».

كانت ضيقة جداً غير أني زلقته فيها أكثر فأعمق، كان ثقبها بغاية الضيق، فيما دككتها أحسست فجأة بألم في جانبي، ألم حارق وفظيع، غير أني لم أتوقف. فلعتها صعوداً حتى عمودها الفقري. زئرتُ مثل ممسوس وقذفت.

تمددت بعدئذٍ فوقها كان ألم خاصرتي رهيباً . كانت هي تبكي.

«اللعنة» سألتها «ما خطبك؟ ما لمستُ حتى فَرْجكِ»

انقلبتُ عنها

عند الصباح بالكاد تلفظت مرسيدس ببعض الكلمات. ارتدت ملابسها وغادرت إلى عملها

«ياه» قلت في نفسي «هآنذا أفقد واحدة أخرى».

إبان الأسبوع التالي أخفضتُ منسوب استهلاكي للكحول. ذهبت إلى مضمار سباقات الخيل طالباً الهواء العليل وضياء الشمس، وبعض المشي والحركة. في الليل كنت أشرب متعجباً كيف أني لا أزال على قيد الحياة، ومن كيفية انتظام الأمور. فكرّت بكاترين وبليديا وبتامي، وأحسستُني سقيماً بعض الشيء.

مساء يوم الجمعة رن الهاتف. كانت مرسيدس.

«هانك، أود المجيء إلى عندك، إنما للتحدث واحتساء البيرة وتدخين الحشيشة لا غير. لا شيء آخر».

«تعالي إن كنت تشائين».

وصلت مرسيدس بعد نصف ساعة. لمفاجأتي ألفيتها رائعة الجمال. ما رأيت قط تنورة أقصر من التي إرتدتها، وبدت ساقاها بديعتين. قبّلتها بسعادة فتملّصت مبتعدة.

«لم أقوَ على المشي طوال يومين بعد مضاجعتنا الأخيرة. إياك أن تنكحني مجدداً من مؤخرتي».

«حسناً، أقسم بأني لن أعيد الكرّة»

تكرر السيناريو نفسه تقريباً جلسنا على الأريكة وكان الراديو

شغّالاً، ثرثرنا، شربنا البيرة ودخّنا. قبّلتها مراراً وتكراراً لم أستطع لجم نفسي. تصرفتْ هي كما لو أنها راغبة بذلك، إلا أنها ظلت مصرّة على أنها لا تستطيع. كان جاك الصغير يحبّها، وثمة الأهمية للحب في هذا العالم.

«لست أنا من ينكر هذا» قلت لها

«أنت لا تحبني»

«أنت امرأة متزوجة».

«لستُ مغرمة بجاك الصغير، غير أنه يعني لي الكثير وعلاوة فهو يعشقني»

«تبدو الأمور ممتازة».

«أوهل وقعت يوماً في الحب؟».

«أربع مرات»

«ما الذي جرى؟ أين أصبحن؟».

«إحداهن ماتت والثلاث الأخريات بمعية رجال غيري».

تحدثنا لوقت طويل تلك الليلة ودخّنا عدداً لا يحصى من لفائف الحشيشة، حوالي الساعة الثانية ما بعد منتصف الليل، قالت مرسيدس «أخشى أنه لن يكون بوسعي قيادة سيّارتي إلى المنزل، يعتريني خدر شديد، قد أحطم السيّارة»

«إخلعي ملابسك وادخلي السرير».

«حسناً ولكن لديّ فكرة».

«ما هي؟».

«أرغب في مشاهدتك وأنت «تحلبه»! أود مشاهدته وهو ينبجس بالمنيّ!».

«حسناً، لا ضير إتفقنا».

تعرّت مرسيدس واستلقت على الفراش. خلعتُ ملابسي ووقفت إلى جانب السرير «إجلسي لتتسنى لك رؤية أفضل».

جلست مرسيدس عند حافة السرير. بصقت في راحة يدي وشرعت أفرك قضيبي.

«آه» هتفت مرسيدس «إنه يكبر!»

«هاها»

«أوه، لقد أصبح برمته قرمزياً وثمة عروق ثخينة! إنها تنبض! يع كم هو قبيح!».

«بلى».

فيما تابعت جلد قضيبي أدنيته من وجهها جعلتْ تحدّق فيه. ما أن أصبحتُ على شفا الانتشاء توقفتُ.

«أوه» هتفت محتجة.

«إسمعي، لدي فكرة أفضل.

«ما هي؟»

«ماذا لو حَلَبتهِ أنتِ لي؟».

«موافقة».

بدأت سعيها. «أوهل أفعل بشكل صحيح؟».

«إفعلي بقوة أكبر، وابصقي على راحة يدك وافركيه كلّه تقريباً، معظمه، إنما لا تقربي شفرته».

«حسناً فهمت. آوه يا إلهي، أنظر إليه. أودّ رؤيته يبخّ عصارته!».

«تابعي يا مرسيدس! آه يا إلهي!».

كنت على وشك بلوغ الذروة. أزحتُ يدها بعيداً عن قضيبي.

«أوه، الله يلعنك!» هتفت مرسيدس.

مالت إلى الأمام وابتلعته بفمها، وجعلت تمصّ وتقرع برفق ممرّرة لسانها على طول قضيبي فيما مصّته.

«آه أيتها الساقطة!».

فجأة أفلتَ فمُها قضيبي.

«أكملي! تابعي! أجهزي عليّ!».

«لا!».

«إذاً، اللعنة لقد طلبت ذلك!».

قلبتها على الفراش وقفزت عليها قبّلتها بضراوة وأدخلت قضيبي فيها ورحت أضخّه فيها شاعراً بولوجه مستشعراً انبعاث بخاره في جوفها

* * *

- ٧٤ -

توجّب عليّ السفر بالطائرة إلى إيلينوي لتقديم قراءة شعرية في الجامعة. كنت أكره القراءات غير أنها كانت تسعفني لتأمين إيجار مسكني، ولربما أيضاً في بيع الكتب. كانت تخرجني من شرقي هوليوود وترفعني إلى الفضاء، مع رجال الأعمال ومضيفات الطيران وكؤوس الشراب المثلجة ومحارم الورق الصغيرة والفستق السوداني للقضاء على رائحة الأنفاس الكريهة.

كان من المفترض أن يلاقيني الشاعر وليام كيسينغ، الذي كنت وإياه نتبادل الرسائل مذ العام ١٩٦٦ كنت قرأت نتاجه للمرة الأولى على صفحات مجلّة «الثور» التي ينشرها دوغ فازيك، واحدة من أولى المجلات المنسوخة ولعلها رائدة ثورة النسخ لم يكن أي منّا مثقفاً بكل ما للكلمة من المعنى. كان فازيك يعمل في مصنع للمطّاط ومحارباً سابقاً في كوريا مع قوات المارينز وتعيله زوجته سيسيليا وكنت أنا أعمل إحدى عشرة ساعة ليلاً كساعٍ للبريد. كانت تلك أيضاً هي الحقبة التي أطل فيها بشكل مثير على المشهد الشعري مارفن وودمان بقصائده الغريبة حول الشياطين. كان مارفن وودمان أفضل كاتب شياطين ملعون في أميركا لربما في إسبانيا وألبيرو أيضاً كنت آنذاك مأخوذاً بكتابة الرسائل، كنت أخط رسائل من أربع أو خمسة صفحات للجميع ملوناً بجموح المغلفات والصفحات بأقلام التلوين. كان آنذاك حين شرعت أراسل وليام

كيسينغ، جندي المارينز الأسبق والمجرم الأسبق ومدمن المخدرات (خصوصاً عقار الكودیین).

الآن بعد مضي سنوات أمَّن وليام كيسينغ لنفسه وظيفة مؤقتة كأستاذ جامعي. استطاع أن يحصّل شهادة أو اثنتين بين اعتقالاته بداعي المخدرات. حذَّرته من كونها وظيفة خطرة لمطلق من يتوق إلى الكتابة. غير أنه على الأقل كان يلقّن صفه الكثير من شعر شيناسكي.

كان كيسينغ وزوجته في انتظاري في المطار. ولمّا كان متاعي بحوزتي توجهنا على الفور إلى السيّارة.

«يا إلهي» بادرني كيسينغ «ما رأيت بحياتي أحداً ينزل من طائرة ويكون بهذه الهيئة».

كنت أرتدي معطف والدي الميت وكان واسعاً فضفاضاً كان بنطالي طويلاً جداً وغطّت ثنيتا الساقين حذائيّ، وناسبني ذلك لأن جوربيّ ما كانا ملائمين وكان حذائيّ معدم الكعب. أمقت الحلاّقين لذا كنت أنا بالذات حلّاقي الشخصي، آن أعجز عن العثور على امرأة لتقوم بذلك. لا أهوى حلاقة الذقن وأكره الذقون الطويلة، لذا كنت أقصّ ذقني بالمقص مرة كل أسبوعين أو ثلاثة. كنت سيء البصر، غير إني أكره النظارات لذا ما كنت أرتديها إلا للقراءة. كنت ما زلت أمتلك أسناني الخاصة، إنما ليس بالكثير منها. كان وجهي وأنفي حمراوين بسبب السكر، وكان الضوء يؤذي عيني، لذا كنت أنظر شزراً بعينين نصف مغمضتين من خلال شقيّن ضيّقين. كنت في أهلية تامة لمطلق شارع سقوط(*) في أي مكان.

(*) شارع السقوط: منطقة حافلة بالحانات والفنادق الرخيصة ووكالات الاستخدام يألفها العمال والمهاجرون والسكيرون والمشردون. (المترجم)

انطلقنا في السيّارة.

«كنا توقعنا شخصاً مختلفاً كليّاً» بادرت سيسيليا قائلة.

«أوه؟».

«أقصد، أن صوتك بمنتهى الرقة وتبدو رقيقاً، توقّع بيل منك أن تهبط من الطائرة سكران، ومكيلاً السباب ومتحرشاً بالنساء.

«أنا لا أستعرض البتة فظاظتي. إنتظر أن تتمظهر بشروطها»

«سوف تقرأ مساء الغد» قال بيل.

«ممتاز، سنلهو هذه الليلة وننسى كل همومنا»

تابعنا في السيّارة.

تلك الليلة الفيت كيسينغ ممتعاً كمثل رسائله والقصائد. ويمتلك من الحصافة أن ينأى عن الأدب في حوارنا، إلا بين الحين والآخر تحدثنا حول أمور أخرى. لم أكن وفير الحظ شخصياً مع معظم الشعراء حتى حين كانت رسائلهم وقصائدهم جيدة. كنت التقيت دوغلاس فازيك، ولم يكن اللقاء ليوصف بالماتع على الإطلاق. من المفضّل المكوث بعيداً عن الكتّاب الآخرين والقيام وحسب بإنجاز عملك، أو ليس إلا عدم القيام بعملك.

انسحبت سيسيليا باكراً كان لديها وظيفة يتوجب أن تتوجه إليها في الصباح.

«إن سيسيليا تطلّقني» قال لي بيل «لا ألومها، لقد علّ قلبها من مخدراتي من غثياني، من كل كياني. لقد تحمّلتْ ذلك طوال سنوات. الآن ما عاد باستطاعتها الاستمرار أكثر أمسيت بالكاد قادراً على مضاجعتها إنها تقيم علاقة فضائحية مع أحد الفتيان

المراهقين. لا أستطيع أن ألومها لقد أخذتُ متاعي وغادرتُ وأقيم الآن في غرفة لي. في مقدورنا أن نتوجه إلى هناك وننام أو أستطيع الذهاب إلى هناك وأنام لوحدي وفي وسعك البقاء هنا، أو يستطيع كلانا البقاء هنا، كلّه سيّان بالنسبة إليّ.

تناول كيسينغ حبتين وابتلعهما

«فلنبق كلانا هنا» قلت.

«أنك تبتلع كؤوسك بشكل مخيف».

«ليس هناك أمر آخر أفعله».

«لا بدّ أنك تملك أحشاء مصفحّة بالفولاذ».

«في الحقيقة لا لقد انفجرت مرّة. غير أنها تلك الفجوات حين تلتحم مجدداً، يقولون إنها تصبح أقوى من أفضل لحام».

سألني «كم تخال أنك ستعيش بعد؟».

«لقد خططت لكل شيء. سوف أموت في العام ٢٠٠٠، وأكون عندها في الثمانين من عمري»

«هذا عجيب» انبرى كيسينغ قائلاً: «إنها تماماً السنة التي سوف أموت فيها، ٢٠٠٠. حتى أني حلمت في نومي بشأن ذلك. حلمت حتى باليوم وبساعة موتي. بأية حال أنه في العام ٢٠٠٠».

«إنه رقم جميل مدوّر. يعجبني»

تابعنا احتساء الشراب طوال ساعة أخرى أو اثنتين. حظيت بغرفة نوم الضيوف ونام كيسينغ على الأريكة. من الواضح أن سيسيليا كانت جادة بشأن مسألة التخلص منه.

في الصباح التالي استفقت عند العاشرة والنصف. كان بقي بعض

قناني البيرة. استطعت أن أبتلع واحدة. كنت على وشك الشروع بالثانية حين دخل كيسينغ

«يا يسوع، كيف يتسنى لك أن تفعل هذا؟ أن لك نشاط فتى في الثامنة عشر».

«بعضها صباحاتي يكون سيئاً غير أن هذا ليس تحديداً أحدها».

«لدي حصّة تدريس لغة إنكليزية عند الواحدة. يتوجب عليّ أن أكون لائقاً

«إبتلعْ كأساً من شراب الجن».

«أنا بحاجة لبعض الطعام في معدتي».

«كُل بيضتين نمبرشتيتين. إلتهمهما مع رشّة فلفل أحمر أو فلفل حلو».

«هل أستطيع أن أسلق لك إثنتين؟»

«أجل، أشكرك»

رن الهاتف. كانت سيسيليا تكلّم بيل قليلاً معها ثم أقفل السمّاعة. «هناك إعصار يقترب. أحد أكبر الأعاصير في تاريخ الولاية، وقد يمرّ من هنا».

«دوماً يحدث أمر ما حين أقرأ الشعر».

لاحظت أن الجو بدأ يقتم.

«قد يلغون الدرس. من الصعب أن نحزر. من الأفضل أن ألتهم الطعام».

وضع بيل البيض في الوعاء.

«لست أفهمك» قال «إنك لا تبدو سقيماً بفعل إسرافك البارحة في الشراب».

«سقم الخمار الصباحي يتملكني يومياً هذا طبيعي. لقد اعتدته.

«ما زلت تكتب أشياء ممتازة على الرغم من كل هذا السكر».

«دعنا لا نتحدث عن هذا هل هذا سببه تنوّع الفروج التي أنكحها لا تغلِ تلك البيضات طويلاً».

دخلتُ الحمام وقضيت حاجتي. لم يكن الإمساك ضمن مشاكلي. كنت بالكاد خرجت حين سمعت بيل يصيح «شيناسكي!»

ثم سمعته في الفناء، كان يتقيأ ثم عاد.

كان المسكين سقيماً فعلياً

«تناولْ قليلاً من كاربونات الصودا هل لديكَ حبوب من الفاليوم؟»

«لا»

«إذاً إنتظر عشر دقائق بعد ابتلاع كاربونات الصودا، واشرب قنينة بيرة فاترة. إسكبها في كأس الآن كي تتهوى».

«لديّ حبّة بنزدرين»

«تناولها».

كان الجو يزداد قتاماً. بعد ربع ساعة من تناوله حبّة البزندرين أخذ بيل دشّاً. حين خرج بدا بحال جيدة. أكل سندويشاً من زبدة الفستق مع شرحات الموز. سوف ينجو

«أنت ما زلت مغرماً بزوجتك أليس كذلك؟» سألته.

«بحق اليسوع، أجل».

«أدرك أن هذا لن يعينك، إنما حاول أن تستوعب أن هذا الأمر أصابنا جميعاً، مرة على الأقل».

«هذا لن يساعد».

«حين تبغضك إمرأة، إنسها في استطاعتهن عشقك وفجأة يتحول شيء ما في داخلهن. في مقدورهن أن يشاهدنك تموت في بالوعة أو تنهرس تحت دواليب سيّارة، وسوف يبصقن عليك»

«إن سيسيليا إمرأة رائعة».

كان الجو يقتم أكثر فأكثر «دعنا نحتسي المزيد من البيرة» قلت.

جلسنا واحتسينا البيرة. أعتمتْ فعلياً واندلعتْ رياح عاتية. لم نتحدث كثيراً كنت سعيداً بلقائنا لم يكن بيل أبداً سخيفاً كان متعباً ولربما هيّن ذلك المسألة. لم يحالفه أي حظ مع قصائده في الولايات المتحدة الأميركية. في المقابل إنهم يعشقونه في أوستراليا لربما في أحد الأيام سوف يكتشفونه هنا، ولربما لا لربما مع حلول سنة ٢٠٠٠. كان رجلاً صغير القامة قوي البنية وصلباً، كان واضحاً أنه أعطى كل ما عنده من غير أدنى حساب، وليس بالإمكان تجاهل وجوده. لقد كنت شغوفاً به.

شربنا بصمت وفجأة رن الهاتف. كانت مجدداً سيسيليا لقد مرّ الإعصار أو على الأصح مر من حولنا يتوجب على بيل تعليم صفّه. وسأقرأ الشعر هذا المساء. سحقاً كل شيء يسير على ما يرام. ثمة لا متبطلين بيننا

حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً، وضع بيل دفتر

ملحوظاته وكل ما يحتاجه داخل حقيبة ظهر، ركب على دراجته الهوائية وانطلق مدوّساً نحو الجامعة.

عادت سيسيليا إلى المنزل خلال وسط ما بعد الظهيرة.

«هل كان بيل بحال جيدة حين غادر؟»

«أجل، لقد غادر ممتطياً دراجته. وبدا بحال حسنة».

«حسنة كيف؟ هل تناول مخدراً ما؟».

«بدا بحال طيبة. أكل وكل ما هنالك».

«ما زلت مغرمة به يا هانك. غير أنه لم يعد بوسعي التحمل أكثر».

«أفهمك».

«لا يمكنك أن تتصوّر كم يعني بالنسبة إليه وجودك هنا معه. كان يقرأ لي رسائلك».

«بذيئة، أليس كذلك؟».

«لا، طريفة. لقد أضحكتنا»

«هيّا نتضاجع يا سيسيليا»

«هانك، دعني من حيل إغوائك».

«يا صغيرتي الريّانة، دعيني أغطسه فيك».

«أنت ثمل يا هانك»

«معك حق. إنسي الأمر»

* * *

- ٧٥ -

«تلك الليلة قدمت قراءة أخرى رديئة. لم آبه للأمر. ولم يكترثوا لذلك. إن كان بوسع جون كايج(*) أن ينال ألف دولار مقابل إلتهام تفاحة، سوف أقبل أنا خمسمائة دولار إضافة إلى بطاقة السفر لأكون ليمونة معصورة.

تكرر الأمر بعد ذلك كالعادة. أتت التلميذات الصغيرات بأجسادهن الفتية الشبقة، وعيونهنّ الأشبه بالمصابيح المضطرمة ويسألنني توقيع بعض كتبي. لكنت وددت في وقت ما نيك حوالي خمس منهن في ليلة واحدة، وطردهن من نظامي إلى الأبد.

قَدِمَ أستاذان وكشَّرا في ساخرين من حمقي. رفع ذلك من معنوياتهما ويخالجهما الآن كما لو أنه سيكون لهما الحظ أمام الآلة الكاتبة.

أخذت الشيك المصرفي وغادرت. كان مقرراً بعد ذلك قيام تجمّع صغير مقصور على فئة مختارة وذلك في منزل سيسيليا كان ذلك جزءاً من الاتفاق غير المكتوب. كلما ازداد عدد الفتيات، كل ما كان ذلك أفضل بالنسبة إليّ، غير أن حظوظي في منزل سيسيليا كانت شبه معدومة. كنت أدرك ذلك. وتأكيداً للمؤكد في الصباح استفقت في الفراش، وحيداً

(*) جون كايج John Cage كاتب ومؤلف موسيقي اميركي (١٩١٢ - ١٩٩٢) المترجم.

مجدداً استفاق بيل سقيماً في الصباح التالي. وكان لديه صف آخر عند الواحدة ظهراً، وقبل أن يتوجه إلى هناك قال لي «سيسيليا سوف تقلّك إلى المطار. سأغادر الآن. لا وداعات كئيبة».

«جيد»

حمل بيل حقيبة الظهر خاصته، ودفع درّاجته الهوائية عبر الباب.

* * *

- ٧٦ -

كنت عدت إلى لوس أنجلوس منذ حوالي أسبوع ونصف الأسبوع. وكان الوقت ليلاً رن جرس الهاتف. كانت سيسيليا، قالت وهي تنشج باكية. «هانك لقد مات بيل. أنت أول واحد أعلمه بالأمر»

«بحق اليسوع يا سيسيليا، لا أدري ماذا يجب أن أقول».

«أنا سعيدة جداً لكونك أتيت لزيارتنا حين جئت. لم يفعل بيل شيئاً سوى التحدث عنك بعدما غادرت. أنت تجهل ما عنت زيارتك بالنسبة إليه».

«ما الذي حدث؟».

«قال إنه يشعر بسقم شديد فاصطحبناه إلى مستشفى وبعد ساعتين مات. أعرف أنه سوف يظنون أنه قضى جراء جرعة مفرطة من المخدرات، لكن هذا غير صحيح. رغم أني كنت سأطلّقه غير أني كنت مغرمة به».

«إني أصدّقك»

«لا أود إزعاجك بهذا كلّه»

«أبداً، كان بيل سيتفهّم كلياً بيد أني لست أدري ما يتوجب أن أقوله لمساعدتك. إني تحت وقع الصدمة. دعيني أتصل بك لاحقاً لأطمئن على حالك».

«أوستفعل حقاً؟».

«بالطبع».

هذه هي المشكلة مع السكر خطر لي فيما صببت لي كأساً إن حدث أمر سيء تشرب في محاولة للنسيان، وإن حدث أمر طيّب تشرب للاحتفاء به، وإن لم يحدث أي شيء تشرب من أجل أن يحدث شيء ما

مع أنه كان مريضاً وتعيساً، غير أن سمات بيل لم تعكس انطباعاً بأنه شخص على وشك أن يموت. كان هنالك الكثير من الميتات المشابهة، وعلى الرغم من أننا نعرف الموت ويخطر في بالنا تقريباً يومياً، فحين تحدث ميتة مفاجئة وحين يكون ذلك الشخص كائناً بشرياً إستثنائياً ومحبّباً يوجعنا ذلك، يوجعنا بشدّة، وليس ثمة الأهمية كم كان قضى من قبل أناس طيّبون، أم أشرار أو مجهولون على حد سواء.

إتصلت بدوري بسيسيليا ذلك المساء، واتصلت بها مجدداً في الليلة التالية، ومرة أخرى بعد ذلك، وبعدئذٍ توقفتُ عن الاتصال.

* * *

- ٧٧ -

بعد مضي شهر واحد، كتب لي ر.أ دوايت محرّر دار نشر «دوغبايت برس» وطلب مني كتابة مقدمة لمجموعة قصائد مختارة لكيسينغ. كيسينغ بعون ميتته سوف يحظى أخيراً ببعض التقدير في مكان ما غير أوستراليا

ثم اتصلت سيسيليا «هانك أنا متوجهة إلى سان فرانسيسكو لمقابلة ر.أ دوايت. في حوزتي بعض الصور الفوتوغرافية لبيل وبعض قصائده غير المنشورة. سوف أراجعها مع دوايت، وسوف نقرر ما الذي سننشره. غير أني أولاً أرغب بالتوقف في لوس أنجلوس لمدة يوم أو يومين. هل بمقدورك موافاتي إلى المطار؟».

«بالتأكيد، بوسعك المكوث في منزلي يا سيسيليا»

«شكراً جزيلاً».

أعطتني موعد وصولها ودخلت ونظّفتُ المرحاض، وفركتُ حوض الاستحمام وبدّلت الملاءات، وأغطية الوسادات على سريري.

وصلت سيسيليا في رحلة الساعة العاشرة صباحاً، وقد تعذبتُ شرّ العذاب. وصلت عند الوقت، غير أنها بدت جذّابة وإن يكن ممتلئة بعض الشيء. كانت قوية البنية مربوعة وبدت أشبه بنظّوفة من طراز نسوة الغرب الأميركي الأوسط. كان الرجال ينظرونها باشتهاء إذ

كان لها أسلوب خاص في تحريك عجيزتها، فتبدو ثقيلة بعض الشيء ومثيرة.

انتظرنا وصول متاعها في المشرب. لم تكن سيسيليا تشرب الكحول. احتست كوباً من عصير البرتقال.

«أعبد المطارات ومسافري المطارات، هل تشاطرني هذا الشعور؟»

«كلا»

«يبدو الأشخاص أشد إثارة للاهتمام».

«إنهم يملكون مالاً أكثر مما لدى الأشخاص الذين يسافرون في القطار أو في الباص».

«لقد عبرنا فوق «الغراند كانيون» في طريقنا إلى هنا».

«أجل أنه على طريقك».

«تلك النادلات يرتدين تنانير قصيرة جداً! في الوسع رؤية سراويلهن التحتية»

«هذا ممتاز للبقشيش يقطنّ جميعاً في شقق غالية، ويقدن سيّارات «أم جي» الفاخرة».

«كان الجميع في الطائرة بمنتهى اللطافة! وعرض عليّ الرجل الجالس في المقعد إلى جانبي أن يبتاع لي كأساً من الشراب».

«دعينا نأتي بمتاعك»

«إتصل ر.أ ليخبرني أنه وصله تقديمك لمجموعة قصائد بيل المختارة. قرأ لي أجزاء منها على الهاتف. أحببتها كثيراً، أود أن أشكرك».

«إنسي الأمر».

«لا أعرف كيف يسعني أن أكافئك».

«أمتأكدة أنت أنك لا ترغبين بتناول كأس؟».

«نادراً ما أشرب الكحول. ربما في وقت لاحق».

«ماذا تفضّلين؟ سأجلب لك شيئاً تشربينه حين سنصل إلى منزلي. أريدك أن ترتاحي وتسترخي»

«أنا أكيدة من أن بيل ينظر إلينا الآن من فوق وأنه مسرور».

«أوتعتقدين هذا؟»

«أجل!».

أحضرنا متاعنا وسرنا باتجاه موقف السيّارات.

* * *

- ٧٨ -

تلك الليلة نجحت في دفع سيسيليا إلى احتساء كأسين أو ثلاث كؤوس من الشراب. فقدت السيطرة على نفسها وصالبت ساقيها عالياً، وأبصرت كمية دسمة في لحم الفخذين. بضاعة متينة. بقرة حلوب بثديي بقرة وعيني بقرة. تملك قدرة تحمّل عالية. لقد كان كيسينغ نفّاذ النظر

كانت مناهضة لقتل الحيوانات ولم تكن تأكل اللحم. أظن أن لديها كفايتها كان كل ما هنالك جميلاً بالنسبة إليها، وأضافت، كنا نملك بين أيدينا كل جمال هذا العالم، وكل ما توجب أن نفعله هو مدّ أيدينا ولمسه، كان كل شيء متاحاً لنا ومن دون أي مقابل.

«معك كل الحق يا سيسيليا» أجبتها «هاكِ كأساً أخرى»

«إنها تسبّب لي الدوار».

«لا ضير في بعض الدوار».

صالبت سيسيليا ساقيها مجدداً فانكشف فخذاها، انكشفا عالياً وعالياً جداً

يا بيل ليس بوسعك أن تستخدمه الآن. كنت شاعراً جيداً، ولكن ما الضير، لقد خلّفت وراءك أكثر من كتاباتك. ولم يكن لكتابتك أبداً فخذين وألقاً مشابهاً

احتست سيسيليا كأساً أخرى ثم توقفت، وتابعت أنا الشرب.

من أين تأتي كل هذه النسوة؟ المخزون لا ينفذ، لكل واحدة منهن خصوصية واختلاف. كانت فروجهن مختلفة، وقبلاتهن مختلفة، وأثداؤهن مختلفة، لكن ليس بوسع أي رجل استنفادهن كلهن، ثمة عدد لا يحصى منهن، مصالبات سيقانهن مفقدات الرجال صوابهم. يا لها من وليمة!

«أرغب في الذهاب إلى الشاطىء. هل تأخذني إلى الشاطىء يا هانك؟» سألتني سيسيليا

«هذه الليلة؟»

«لا، ليس الليلة إنما في وقت ما، قبل أن أغادر».

«موافق»

تحدثت سيسيليا عن الاضطهاد الذي تعرض له الهندي الأميركي. ثم أخبرتني أنها تكتب، غير أنها لم تكشف أبداً كتاباتها، بل تحفظها وحسب في دفتر مفكرة. كان بيل قد شجعّها وعاونها في بعض الأشياء. كانت ساعدت بيل في الدخول إلى الجامعة. وبالطبع كان ساعد كونه جندياً سابقاً في الجيش الأميركي. وكان مخدر الكوديين متوافراً على الدوم، لقد كان مدمناً على الكوديين. كانت هدّدته بهجره تكراراً وتكراراً غير أن ذلك كان عديم الفائدة. والآن.

«إشربي هذا يا سيسيليا». بادرتها «سوف يعينك على النسيان»

صببت لها كأساً طنّانة.

«أواه، ليس بمقدوري البتة إحتساء كل هذا!».

«إرفعي عالياً تصالب ساقيك. إكشفي لي المزيد من فخذيك».

«لم يتحدث إليّ بيل بهذه الطريقة أبداً».

تابعت إحتساء الشراب وتابعت سيسيليا تتحدث، وبعد وقت ما توقفتُ عن الاستماع. حل منتصف الليل وغادر «إسمعي يا سيسيليا فلنتوجه إلى الفراش، لقد ثملت».

دخلت إلى حجرتي وخلعت ملابسي واندسيت تحت الملاءة، سمعتها تمر وتلج الحمّام. أطفأتُ ضوء حجرة النوم. خرجتْ بعد وقت وجيز وشعرت باعتلائها الجهة الأخرى من السرير

قلت «عمت مساءً يا سيسيليا».

جذبتها نحوي. كانت عارية. يا يسوع قلت في داخلي. تبادلنا قبلة. كانت تقبّل بشكل رائع. كانت قبلة مديدة حارة. ثم افترقت شفاهنا

«سيسيليا».

«ماذا؟»

«سوف أضاجعكِ في وقت لاحق».

انقلبت مستديراً وغفوت.

* * *

- ٧٩ -

مر لزياتي بوبي وفاليري، وقدّمت جميع من هنالك معرّفاً

«سوف نأخذ أنا وفاليري عطلة، ونستأجر شاليهاً بمحاذاة الشاطىء في «مانهاتن بيتش»» قال بوبي «لم لا ترافقانا أنتما؟ سيكون بوسعنا تقاسم الإيجار. هنالك غرفتا نوم.

«لا يا بوبي، لا أظنُ ذلك».

«آه! هانك رجاءً!» انبرت سيسيليا «أني مولعة بالمحيط! هانك، إن ذهبنا إلى هناك سوف أشرب، هذا وعد!»

«حسناً أنا موافق يا سيسيليا».

«جيد» قال بوبي «سوف ننطلق هذا المساء وسنمر لاصطحابكما حوالي السادسة مساءً. سنتعشّى معاً».

«رائع» قالت سيسيليا

«نتسلّى حين نتناول الطعام مع هانك» قالت فاليري «آخر مرة خرجنا برفقته، دخلنا إلى ذلك المطعم الفخم فبادر رئيس الندل على الفور قائلاً له: «أريد سلطة الكرنب وبطاطا مقلية لأصدقائي هنا! حصة مضاعفة للجميع، واحرص ألّا تفرغ كؤوسنا، وإلّا سوف أشنقك بربطة عنقك!»

«ليس بوسعي الانتظار» قالت سيسيليا

حوالي الساعة الثانية ما بعد الظهر، رغبت سيسيليا القيام بنزهة صحيّة. سرنا عبر الفناء. لاحظتْ نبتات البونسيتة. توجهت تواً نحو شجيرة، وغرزت أنفها داخل الزهور مداعبة إياها بأصابعها.

«آه، إنها جميلة جداً!».

«إنها تموت يا سيسيليا ألا ترين كم هي ذاوية؟ أن تلّوث الضبخن يقتلها».

تابعنا السير تحت شجرات النخيل.

«وهناك عصافير في كل مكان! مئات منها يا هانك».

«وعشرات القطط أيضاً».

توجهنا في السيّارة نحو «مانهاتن بيتش» برفقة بوبي وفاليري، نزلنا في شقتنا المحاذية للبحر، وخرجنا بعدئذٍ لتناول الطعام. احتست سيسيليا كأساً يتيمة مع عشائها وأخبرتنا كل ما يتعلق بكونها نباتية. تناولت هي حساء وسلطة ولبناً مصفى وأكل بقيتنا شرائح من لحم الستايك والبطاطا المقلية والخبز الفرنسي والسلطة. سرق بوبي وفاليري المملحة والمبهَرَة وسكينين لقطع اللحم، والبقشيش الذي كنت تركته للنادل.

توقفنا لابتياع الكحول ومكعبات الثلج والسجائر، وعدنا بعدها إلى الشقة. الكأس اليتيمة التي احتستها سيسيليا جعلتها تقطقط بالضحك وبالكلام، وجعلت تفسّر أن للحيوانات أيضاً أرواح. لم يعارضها أحد في رأيها كان ذلك مستحيلاً وكنا نعرف جيداً في المقابل بدا أن ما كنا غير متأكدين منه، هو ما إن كنّا نحن نملك تلك الروح.

* * *

- ٨٠ -

تابعنا احتساء الكحول. شربت سيسيليا كأساً أخرى وتوقفت.

«أرغب في الخروج والتطلع إلى القمر والنجوم» قالت «المشهد رائع في الخارج!».

«لا بأس يا سيسيليا».

توجهتْ إلى الخارج، وجلستْ على كرسيّ البحر الطويلة بمحاذاة حوض السباحة.

«لا عجب في موت بيل» بادرت بالقول «لقد قضى جوعاً إنها لا تعطي شيئاً مجاناً»

«لقد رددت الكلام نفسه عنك أثناء العشاء، حين ذهبتَ إلى مرحاض الرجال» ردّت فاليري «قالت، آه، إن قصائد هانك تفيض ولعاً ورغبة، غير أنه كشخص ليس كذلك على الإطلاق»

«ثمة ما هو مشترك بين الله وبيني، أننا لا نختار دوماً الحصان نفسه».

«أولم تضاجعها بعد؟» سأل بوبي.

«كلا».

«كيف كان كيسينغ؟»

«كان شخصاً جيداً، غير أن حقيقة أُعْجَب كيف أنه تحمّل العيش

معها لعل مخدر الكوديين والخبوب ساعدت في ذلك. لعلها كانت بمثابة زهرة كبيرة ـ طفلة ـ ممرضة بالنسبة إليه».

«تباً» انبرى بوبي «دعنا نشرب»

«بالتأكيد. إن اضطررت للاختيار ما بين السِكْر والمضاجعة أعتقد أنه سيتوجب عليّ التوقف عن المضاجعة».

«المضاجعة تسبّب الكثير من المشاكل» قالت ڤاليري.

«حين تكون زوجتي خارجاً تضاجع شخصاً آخر، أرتدي بيجامتي وأتغطّى بالملاءة وأغفو» قال بوبي.

ردّت فاليري «إنه واثق من نفسه»

«لا أحد منا يعرف فعلياً كيف يستخدم الجنس، كيف يتصرف به» قلت «معظم الناس يعتبرون الجنس مجرد دمية ندير كرنكها ونفلتها على هواها».

«ماذا بشأن الحب؟» سألتني ڤاليري.

«الحب يناسب أولئك الذين بمقدورهم تحمّل العبء النفسي الفائض. الأمر أشبه بمحاولة عبور نهر متدفق من البول حاملاً على ظهرك وعاءً مليئاً بالقاذورات»

«أواه، الأمر ليس سيئاً إلى هذا الحد!».

«إن الحب شكل من الإجحاف. وثمة لدي فائض من الإجحافات الأخرى».

توجهت ڤاليري نحو النافذة.

«الناس يستمتعون، يقفزون في حوض السباحة، وهي هناك تناجي القمر».

«لقد مات زوجها» قال بوبي «إرحموها».

أخذت قنينتي وتوجهت إلى حجرة نومي، خلعت كل ملابسي باستثناء سروالي الداخلي ودخلت الفراش. لم يكن أي شيء أبداً متناغماً الناس تمسكوا على نحو أعمى بمطلق عوّامة نجاة تيسرت: الشيوعية، الأطعمة الصحيّة، الزن، الركمجة، رقص الباليه، التنويم المغنطيسي، اللقاءات الجماعية، حفلات الجنس الجماعي، ركوب الدراجات الهوائية، التداوي بالأعشاب، الكثلكة، حمل الأثقال، السفر، الانكفاء، النباتية، الهند، الرسم، الكتابة، النحت، التأليف الموسيقي، قيادة الفرق الموسيقية، التنزه بحقيبة على الظهر، اليوغا، الجماع، المقامرة، السكر، التسكّع، البوظة، بيتهوفن، باخ، بوذا، اليسوع، الماركات المسجلة، الهيدروجين، عصير الجزر، الانتحار، البدلات المخيّطة يدوياً وحسب القياس، السفر بالطائرة، مدينة نيويورك، وفجأة تبخر كل شيء وانهار كلياً توجب على الناس أن يجدوا أشياء يفعلونها إبان انتظار الموت. أعتبر من جهتي أنه أمر جيد أن يكون لنا خيار.

لقد اتخذت خياري. رفعت ربعية الفودكا وشربت مباشرة من القنينة. إن الروس حقاً فطنون.

فُتحَ الباب ودخلت سيسيليا بدت جميلة بجسمها القوي المشدود. معظم النسوة الأميركيات كن إما شديدات الهزال أو واهنات. إن أسأت معاملتهن بعض الشيء ينكسر شيء ما في دواخلن ويصبحن عصابيات ويصير رجالهن هواة رياضة متحمسين، مدمني كحول، أو مهووسين بالسيّارات. إن النروجيين والأيسلنديين والفنلنديين يعرفون كيف ينبغي أن تكون عليها بنية النساء: ممتلئة وقوية، مؤخرة كبيرة، وركان عريضتان، فخذان بيضاويتان سمينتان، رأس كبير، ممتلئة وقوية، فم كبير، ثديان عامران، شعر كثيف،

عينان كبيرتان، منخران واسعان، وفي الأسفل عند الوسط ـ كبير كفاية وصغير كفاية.

«مرحباً يا سيسيليا تعالي إلى السرير».

«لقد كان الخارج لطيفاً هذه الليلة».

«بالتأكيد، تعالي وألقي عليّ السَّلام».

توجهتْ ودخلت الحمّام. أطفأتُ ضوء حجرة النوم.

خرجت بعيد برهة. شعرت بها وهي تدخل الفراش كان العتمة مطبقة غير أن بعض النور تسلل عبر الستار. ناولتها ربعية الفودكا شربت جرعة ضئيلة ثم أعادت لي القنينة. كنّا جالسين وظهرانا متكئين على لوحة مقدم السرير والوسادات. وكان فخذانا ملتصقتين.

«هانك، لقد كان القمر أشبه بشظية معدنية ضئيلة، غير أن النجوم كانت مشعّة ورائعة. إن هذا يدفعك إلى التأمل، أليس كذلك؟»

«بلى».

«إن بعض تلك النجوم ماتت منذ مئات السنوات الضوئية، إلا أننا لا نزال نستطيع رؤيتها»

مددت ذراعي وجذبت رأس سيسيليا نحوي. شُرّعَ فمها، كان رطباً وطيّباً

«سيسيليا هيا بنا نتضاجع»

«لا أريد»

كنت أنا أيضاً بشكل ما لا أريد ذلك كذلك. ولهذا السبب سألتها

«أولا ترغبين؟ إذاً لماذا تقبّلينني بهذه الطريقة؟».

«أعتقد أن الناس بحاجة لبعض الوقت كي يستطيعوا التعرف إلى بعضهم البعض»

«أحياناً لا يتيسّر هذا المتسع من الوقت».

«لا أريد القيام بذلك».

خرجتُ من السرير خرجتُ متوجهاً في سروالي الداخلي، وطرقت باب بوبي وڤاليري.

«ما الخطب؟» سألني بوبي.

«إنها ترفض مضاجعتي»

«إذاً؟».

«هيّا بنا نسبح».

«الوقت متأخر، إن حوض السباحة مقفل».

«مقفل؟ هناك مياه، أليس كذلك؟».

«أقصد أن الأنوار مطفأة»

«لا بأس. إنها تأبى مضاجعتي».

«إنك لا تملك مايوهاً للسباحة».

«لدي سروالي الداخلي».

«حسناً لا ضير، إنتظر دقيقة.

خرج بوبي وڤاليري مرتديين بشكل جميل زيي سباحة جديدين ضيقين مسبوكين. ناولني بوبي لفافة حشيشة كولومبية وأخذت نفساً منها.

«ما خطب سيسيليا؟».

«خيمياء مسيحية».

سرنا إلى بيسين السباحة. كان صحيحاً أن الأنوار كانت مطفأة. غطس كل من بوبي وڤاليري في البيسين الواحد تلو الآخر. جلست على حافة الحوض ورجلاي متدليتان في الماء. جعلت أرضع من ربعية الفودكا

انبثق بوبي وڤاليري فوق سطح الماء في وقت واحد. سبح بوبي نحوي إلى حافة الحوض. راح يشدني من رسغ قدمي.

«هيّا تعال أيّها الأبله، كن شجاعاً! أغطس!» هتف عالياً

ابتلعت جرعة أخرى من الفودكا ثم وضعت أرضاً القنينة. لم أغطس. زلقت نفسي بتؤدة من على الحافة. ثم سقطت فجأة في الماء. كان الشعور عجيباً في المياه المعتمة. غرقت بطيئاً باتجاه قعر البيسين. طولي متر وثمانون سنتمتراً وكان زني ١١٣كلغ. انتظرت حتى ألمس القعر كي أطلق نفسي طلوعاً إلى وجه الماء. أين هو هذا القعر؟ ههوذا كنت على وشك فقدان أنفاسي. قذفت بنفسي كالمنجنيق. صعدت مجدداً ببطء. في النهاية خرقت سفح الماء.

«الموت لكل العاهرات اللواتي يغلقن سيقانهن في وجهي!» صرخت عالياً

فُتح باب وأقبل راكضاً باتجاهنا أحدهم آتياً من شقة الطبقة الأرضية. كان المدير

«هاي، السباحة ممنوعة في هذا الوقت من الليل! لقد أطفئت أنوار حوض السباحة!».

جذفت بيديّ وقدميّ باتجاهه، أدركت حافة حوض السباحة ورفعت رأسي محدقاً فيه «إسمعني يا ابن الشرموطة إني أشرب برميلي بيرة في اليوم وأنا مصارع محترف. أنا لطيف بالسجيّة. غير أني أعتزم السباحة وأريد أن تضاء تلك الأضواء! الآن! وسأطلب منك ذلك مرة وحيدة!».

أُشعلتُ الأضواء. أنيرت البيسين بشكل متألق. كانت ساحرة. جذفتُ سابحاً باتجاه الفودكا أنزلتها من على حافة الحوض وابتلعت جرعة كبيرة. أمست القنينة تقريباً فارغة. تطلعت نزولاً وكان بوبي وڤاليري يسبحان في دوائر حول بعضهما تحت الماء. كانا بارعين في ذلك، كانا رشيقين وحلوين. غريب حقاً كيف أن الجميع كان أصغر مني.

اكتفينا من حوض السباحة. سرت نحو باب المدير في سروالي التحتي البليل وطرقت. فتح الباب. لقد أعجبت به.

«هاي، يا صديقي، باستطاعتك أن تطفىء الأنوار الآن. لقد فرغتُ من السباحة. أنت لطيف يا بنيّ أنت فعلاً لطيف»

سرنا عائدين إلى شقتنا

«تعال احتسي معنا كأساً» اقترح بوبي «أدرك أنك تعيس».

دخلت واحتسيت كأسين.

قالت ڤاليري «إسمعني جيداً هانك، أنت ونساؤك! ليس بوسعك أن تضاجعهن كلهن، ألا تفهم هذا؟».

«الانتصار أو الموت!».

«هيا إذهب إلى النوم يا هانك».

«عمتما مساءً يا صديقيّ، وشكراً

عدت إلى غرفة نومي، كانت سيسيليا ممددة على ظهرها وكانت تغط في نومها، «خخخخ خخخخ.

بدت لي بدينة. خلعت سروالي التحتي الرطب ودخلت السرير ورحت أهزّها

«سيسيليا إنك تغطّين!» هتفت بها

«أووه أوووه.   أنا آسفة.

«لا بأس. سيسيليا   إن هذا أشبه تماماً بكوننا متزوجين. سوف أضاجعك في الصباح حين سأستعيد نشاطي».

* * *

- ٨١ -

أيقظني صوت ضجيج. لم يكن طلع ضوء النهار بعد، كانت سيسيليا تتنقل في الأرجاء وهي ترتدي ملابسها

تطلعت إلى ساعة يدي.

«إنها الخامسة فجراً، ما الذي تفعلينه؟».

«أريد مشاهدة طلوع الشمس. أعشق شروق الشمس!»

«لا عجب في أنك لا تشربين الكحول».

«سأعود سريعاً بوسعنا أن نتناول الفطور معاً»

«لم يتسن لي تناول الفطور منذ أربعين عاماً»

«أنا ذاهبة لمشاهدة شروق الشمس يا هانك»

وجدت قنينة بيرة غير منزوعة السدادة. كانت فاترة. فتحتها وشربتها ثم عدت إلى النوم.

عند الساعة العاشرة والنصف طُرِقَ الباب.

«أدخل..».

دخل بوبي وڤاليري وسيسيليا

«لقد انتهينا للتو من تناول الفطور معاً» قال بوبي.

«تريد سيسيليا الآن أن تخلع حذاءها وتتمشى عارية القدمين على الشاطىء». قالت ڤاليري.

«إني لم أشاهد من قبل المحيط الباسيفيكي يا هانك. إنه رائع!»

«سأرتدي ملابسي.

مشينا بمحاذاة الشاطىء بدت سيسيليا سعيدة. وكانت تصرخ كل مرة كان ينكسر فيها الموج ويغمر قدميها العاريتين.

«تابعوا أنتم الثلاثة» قلت لهم «سأتوجه أنا للبحث عن حانة».

«سأذهب معك» انبرى بوبي.

«سوف أنتبه لسيسيليا» قالت ڤاليري.

حططنا الرحال في أقرب حانة. كان هناك فقط كرسيّان شاغران. سحبنا الكرسيين وجلس بوبي إلى جانب رجل وأنا إلى جانب امرأة. وطلبنا شرابنا

المرأة الجالسة إلى جانبي كانت في السادسة أو السابعة والعشرين من العمر بدا وجهها مشوباً بالعياء. بدت عيناها زاويتين وفمها متعباً، غير أنها كانت لا تزال متماسكة رغم ذلك. كان شعرها قاتم اللون ومسرحاً بأناقة. ارتدت تنورة وامتلكت ساقين جذابتين. كانت روحها زبرجدية وفي وسعك رؤية التماعة في عينيها ألصقت ساقي بساقها لم تنأى بنفسها عني. رحت أرشف كأسي.

سألتها «إبتعي لي كأساً».

أومأتْ برأسها مؤشرة لصاحب الحانة. فحضر إلينا

«كأس فودكا مع سڤن آب للسيد»

«أشكرك.

«بابيت».

«شكراً يا بابيت. إسمي هنري شيناسكي، كاتب سكّير».

«لم أسمع بك البتة».

«وأنا كذلك»

«أملك محلّا قرب الشاطىء. أبيع حلي صغيرة وتفاهات، عموماً تفاهات»

«إننا متساويان، أنا أكتب الكثير من التفاهات».

«إن كنت ذلك الكاتب الرديء، لِمَ لا تبدّل مهنتك؟».

«إني بحاجة لطعام وملجأ وملبس. إشتري لي كأساً أخرى».

أومأت بابيت برأسها لصاحب الحانة، وحصلتُ على شراب آخر.

ضغطنا ساقينا الواحدة على الأخرى.

«أنا جرذ» قلت لها «مصاب بالإمساك المعوي وعاجز عن الانتصاب»

«أجهل كل ما يتعلّق بإمعائك، غير أنك فعلياً جرذ وفي مقدورك جيداً الانتصاب».

«ما هو رقم هاتفك؟».

راحت بابيت تفتش عن قلم في حقيبتها

فجأة دخلت سيسيليا وڤاليري.

«آه» بدأت ڤاليري «ها هما إبنا الحرام. لقد قلت لك. في الحانة الأقرب!»

إنزلقت بابيت نازلة من على كرسيها خرجت من الباب. استطعت رؤيتها عبر ستائر النافذة. كانت تسير مبتعدة على ممشى الشاطىء الخشبي، وكان جسدها «روعة». لدنة كصفصافة، ماجت في النسيم ثم توارت.

- ٨٢ -

جلست سيسيليا تراقبنا ونحن نشرب. كان واضحاً بالنسبة لي أني خيّبتها أنا أكل اللحم. لا أؤمن بالله. أحب المضاجعة. لا أهتم للطبيعة. لا أنتخب أبداً أحب الحروب. الفضاء الخارجي يضجرني. البايسبول يسئمني. التاريخ يضجرني. حدائق الحيوانات تضجرني.

«هانك» انبرت قائلة «سأخرج لبعض الوقت».

«ماذا هناك في الخارج؟»

«أهوى مشاهدة الناس وهم يسبحون في حوض السباحة. أحب رؤيتهم يستمتعون».

نهضت سيسيليا وسارت إلى الخارج.

ضحكت ڤاليري. ضحك بوبي.

«حسناً، في المحصّلة سوف لن أستطيع الحصول عليها».

سألني بوبي «أوهل ترغب في ذلك؟».

«إنها ليست إساءة إلى غريزتي الجنسية بل إلى غروري».

أجاب بوبي «ولا تنس مسألة سنّك»

«ليس ثمة ما هو أسوأ من خنزير قضيبيّ عجوز» أجبت.

رحنا نشرب صامتين.

بعد ساعة أو ما يقارب عادت سيسيليا

«هانك إني أريد الذهاب».

«إلى أين؟».

«إلى المطار. أريد السفر إلى سان فرانسيسكو. متاعي كلها معي».

«لا مانع من جهتي، بيد أن ڤاليري وبوبي أحضرانا إلى هنا في سيّارتهما، لعلهما لا يودان المغادرة الآن».

«سوف نقلّها إلى لوس أنجلوس» ردّ بوبي.

دفعنا فاتورتنا، ركبنا السيّارة وكان بوبي وراء المقود وڤاليري إلى جانبه، وأنا وسيسيليا جالسين على المقعد الخلفي. نحّتْ سيسيليا نفسها بعيداً عني ملتصقة بالباب، أقصى ما استطاعت أن تنأى عني.

شغّل بوبي مسجلة الموسيقى، وتدفقت الموسيقى على المقعد الخلفي وكأنها موجة، بوب ديلان.

مرّرت لنا ڤاليري لفافة حشيشة، ابتلعت نفساً وجربت أن أناولها لسيسيليا، فانكمشت مبتعدة عني أكثر فأكثر مددت ذراعي وربّت على إحدى ركبتيها غير أنها دفعت يدي بعيداً

«هاي، كيف الحال معكما هناك في الخلف؟» سألنا بوبي.

«إنه الحب» أجبتُ.

تابعنا نتقدم في السيّارة طوال ساعة.

«ها هوذا المطار» انبرى بوبي قائلاً

«لديك ساعتان من الوقت» قلت لسيسيليا «في وسعنا العودة إلى منزلي والانتظار هناك».

«لا ضير» ردت سيسيليا «أريد أن أغادر الآن».

سألتها «ولكن ما الذي ستفعلينه طوال ساعتين في المطار؟».

«آه» ردت سيسيليا «إني أعبد المطارات!».

توقفنا أمام المحطة. قفزت خارجاً من السيّارة وأخرجت حقائبها فيما وقفنا معاً تطاولت سيسيليا على رؤوس قدميها ولثمتني على خدّي. تركتها تسير إلى داخل المطار وحيدة.

* * *

- ٨٣ -

كنت وافقتُ على تقديم قراءة شعرية في الشمال. قبل حلول موعد القراءة كنت جالساً في حجرة في فندق «هوليداي إن» أحتسي البيرة مع جو واشنطن متعهد الحفل، والشاعر المحلّي دادلي باري ومعه صديقه الحميم بول. كان دادلي خرج إلى العلن معترفاً أنه مثليّ. كان عصبي المزاج وبديناً وطموحاً راح يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً

«هل ستقدّم قراءة جيدة؟»

«لا أدري»

«إنك تجذب الكثير من الحشود. يا إلهي، كيف تفعل ذلك؟ أنهم متراصفون صفاً حول المبنى».

«إنهم يهوون سفك الدماء»

أمسك دادلي صديقه بول من أحد جنبيّ إليته. «سوف أبردك يا حبيبي! وبعدها في وسعك أن تبردني!»».

وقف جو واشنطن إزاء النافذة. «هاي، أنظر، هوذا وليام بورروز قادماً في الممشى. إنه ينزل في الحجرة المجاورة تماماً لغرفتك، سوف يقرأ مساء الغد»

مشيت نحو النافذة، لقد كان بورروز بالفعل، ابتعدت وفتحت قنينة بيرة جديدة. كنا في الطبقة الثانية.

تسلّق بوروز الدرج، مرّ من أمام نافذتي، فتح بابه ودخل.

«أوهل ترغب في التوجه لزيارته؟» سألني جو

«كلا».

«أنا ذاهب لرؤيته لبرهة من الوقت».

«جيد».

كان دادلي وبول يتداعبان قارصاً الواحد منهما الآخر في إليته. إنفجر دادلي بالضحك فيما كان بول يقطقط مقهقهاً ومستحياً

«أوليس بوسعكما أنتما أن تقوما بذلك في الخصوصية؟»

«ألا تجده طيوّبا؟» سألني دادلي «إني أعشق الفتيان الصغار!».

«إهتمامي منصب بشكل أكبر على الإناث»

«أنت لا تعرف ماذا يفوتك؟».

«لا تشغل بالاً».

«إن جاك ميتشيل يفضّل المتخنثين يكتب قصائد عنهم».

«أنهم يبدون على الأقل أشبه بالنساء».

«بعضهم أجمل من النساء».

رحت أحتسي الشراب بصمت.

عاد جو واشنطن. «أخبرت بوروز أنك تنزل في الحجرة الملاصقة. قلت له: «يا بوروز إن هنري شيناسكي موجود في الحجرة الملاصقة» رد «أوه، حقاً؟» سألته إن كان يرغب في لقائك. فرد «كلا».

«ينبغي أن يضعوا بّرادات في هذه الغرف» قلت، «إن هذه البيرة اللعينة أمست فاترة».

توجهت إلى الخارج بحثاً عن ماكينة للثلج. وفيما عبرت إزاء حجرة بوروز ألفيتة قاعداً على كرسي قرب النافذة، فرمقني بنظرة خالية من أي تعبير

عثرت على ماكينة مكعبات الثلج، وعدت بالثلج ووضعته في المغسلة وأقحمت قناني البيرة فيها

«لا تغالي بالسكر» قال جو «وإلا سوف ينتهي بك الأمر متغثغاً الكلمات»

«لن يبالوا البتة بهذا الشأن، جلّ ما يرغبون هو تعليقي على الصليب».

«خمسمائة دولار مقابل ساعة واحدة من العمل؟» سأل دادلي «وتسمّي ذلك صلباً؟»

«تماماً».

«يا لك من مسيح عجيب!».

غادر كل من دادلي وبول، وخرجنا أنا وجو لتناول الطعام والشراب في أحد المقاهي المحلّية. وجدنا طاولة، وبالكاد جلسنا حتى راح عدد من الغرباء يسحبون كراسيهم ويجلسون إلى طاولتنا كلهم رجال، يا للقرف. كان هناك بعض الفتيات الجميلات غير أنهن تطلّعن وابتسمن وحسب، أو أنهن لم يتطلّعن ولم يبتسمن، أحسب أن تلك اللواتي لم يبتسمن أضمرن لي الكراهية بسبب موقفي من النساء. أيري فيهن.

جاك ميتشيل كان موجوداً هناك وأيضاً مايك تافتس وهما شاعران. لم يكن أي منهما يعمل على الرغم من أن شِعرهما لم يكن يكسبهما أي قرش. كانا يعيشان بقوة الإرادة والحسنات. ميتشيل كان فعلياً شاعراً جيداً غير أنه سيء الحظ. كان يستحق أفضل من ذلك. ثم جاء بلاست غريملي المغنّي. كان بلاست دوماً سكران. لم أره البتة صاحياً وكان هناك إثنان آخران حول الطاولة لم أكن أعرفهما

«سيّد شيناسكي؟».

كانت «زغتورة طيّوبة» ترتدي فستاناً قصيراً أخضر

«أجل».

«هل توقّعْ لي هذا الكتاب؟»

كانت مجموعة شعرية قديمة، قصائد كنت كتبتها إبان عملي في مكتب البريد تحت عنوان «تدور حول الغرفة وأنا». وقّعت الكتاب ورسمت لها رسماً وأعدته إليها

«آه، شكراً جزيلاً»

غادرت. وحولي كل أولاد الحرام هؤلاء الجالسين حول الطاولة، لم يكن لدي أي فرصة للقيام بأي مبادرة.

سرعان ما غصّت الطاولة بأربعة أو خمسة أباريق من البيرة، وطلبتُ سندويشاً شربنا طوال ساعتين أو ثلاث، ثم عدت بعدئذٍ إلى حجرتي. أجهزت على قناني البيرة التي في المغسلة وتوجهت إلى النوم.

لست أذكر الكثير بشأن القراءة الشعرية، غير أني استفقت في السرير في صباح اليوم التالي، وحيداً طرق جو واشنطن على الباب حوالي الساعة الحادية عشرة.

«هاي يا رجل، لقد كانت واحدة من أفضل قراءتك!».

«حقاً! أولست تعبث بي؟»

«لا، كنت فعلياً رائعاً هوذا الشيك».

«شكراً لك يا جو».

«هل أنت متأكد من أنك لا ترغب في لقاء بورروز؟»

«تماماً»

«سيقرأ هذه الليلة، أوهل ستبقى لحضور قراءته؟».

«يتوجب عليّ العودة إلى لوس أنجلوس يا جو»

«هل سمعته يقرأ من قبل؟»

«جو، أريد أن آخذ دشاً وأرحل من هنا، هل ستقلّني إلى المطار؟»

«بالتأكيد»

حين غادرنا كان جالساً في كرسيه إزاء النافذة. لم يبد عليه البتة أنه رآني. ألقيت عليه نظرة عجلى وتابعت السير كان الشيك بحوزتي وكنت متلهفاً للوصول إلى ميدان سباق الخيل.

* * *

ـ ٨٤ ـ

كنت أتراسل مع سيّدة في سان فرانسيسكو طوال عدة أشهر كانت تدعى ليزا وستون وتكسب عيشها بإعطاء دروس في الرقص ـ بما في ذلك الباليه في الأستديو خاصتها كانت في الثانية والثلاثين من العمر، تزوجت مرّة وكل رسائلها كانت طويلة ومطبوعة على الآلة الكاتبة، من دون أي خطأ على ورق زهري اللون. كانت تكتب بطريقة جيدة، بذكاء وبقليل من المغالاة. استمتعتُ برسائلها وأجبتُ عليها لم تتطرق ليزا إلى الأدب، ولا إلى الأسئلة المسماة كبيرة. كتبت لي عن حدوثات إعتيادية صغيرة، ووصفتها لي بعمق بصيرة وبظرف. إلى أن جاء يوم أن كتبت لي معلنة أنها قادمة إلى لوس أنجلوس لابتياع بعض أزياء الرقص، وسألتني إن كنت أرغب في رؤيتها؟ أجبتها أن بالطبع بالتأكيد، وأنه بوسعها الإقامة في منزلي، ولكن نظراً للفرق بين عمرينا سيتوجب عليها أن تنام على الأريكة بينما أنام أنا على السرير سوف أتصل بك هاتفياً عندما أصل، كتبت لي مجيبة.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام رن الهاتف. كانت ليزا «أنا في المدينة» قالت.

«هل أنتِ في المطار؟ سوف آتي لإحضارك»

«سأستقل تاكسياً».

«إنه مكلف جداً».

«الأمر أهون بهذه الطريقة»

«ماذا تشربين؟».

«لا أشرب كثيراً، لذا مهما تشاء.

جلست وانتظرتها. يعتريني على الدوم شعور بالارتباك في أوضاع كهذه. حين تحصل فعلياً أوجس خيفة، وأكون ما عدت تقريباً راغباً في حصولها كانت ليزا ذكرت لي أنها جميلة. غير أني لم أكن شاهدت أي صورة فوتوغرافية لها لقد تزوجت مرة إمرأة، كنت وعدت بأن أتزوجها من دون أن أراها «عالعمياني» عبر الرسائل وحسب، هي أيضاً كانت كتبت رسائل ذكية، غير أن سنتين ونصف السنة من الزواج كانت بمثابة الكارثة، الناس عادة يبدون أفضل بكثير في رسائلهم مما هم في الواقع. يصبحون بهذا المعنى أكثر شاعرية.

رحت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، وفجأة سمعت وقع خطوات تتقدم في ممشى فنائي الخارجي. توجهت إلى ستارة النافذة واختلست النظر. ليست سيئة على الإطلاق. شعر داكن وترتدي بأناقة فستاناً طويلاً يتدلى حتى رسغي قدميها، كانت تمشي برشاقة مرفوعة الرأس. أنف جميل وفم عادي. تعجبني النسوة اللواتي يرتدين فساتين، أن ذلك يذكرني بالأزمنة الغابرة. حملتْ حقيبة صغيرة. طرقتْ. فتحتُ الباب، «تفضلي».

وضعت ليزا حقيبتها على الأرضية. «إجلسي».

كانت تضع القليل من الماكياج. كانت مليحة وشعرها قصير القصّة متميز الطراز.

أحضرت لها كأساً من الفودكا مع السفن آب وحضّرت لي كأساً

أخرى. بدت ليزا رزينة. كان ثمة مسحة من الألم في وجهها ـ لا بدّ وأنها عانت في حياتها من حقبة أو حقبتين صعبتين. وأنا كذلك.

«سوف أبتاع بعض الأزياء غداً هناك متجر مختص في لوس أنجلوس، وهذا غريب جداً».

«يعجبني الفستان الذي ترتدينه. أعتقد أن المرأة المكسوّة بالكامل مثيرة. بالطبع يكون صعباً أن تحزر شكل بنيتها ولكن بوسع المرء أن يكوّن فكرة».

«أنت تماماً كما تخيّلتك. لا تهاب شيئاً على الإطلاق».

«أشكرك».

«تبدو إلى حد ما حيّياً»

«ما زلت في كأسي الثالثة».

«ماذا يحصل بعد الرابعة؟».

«لا شيء مهماً أشربها وأنتظر الخامسة»

خرجتُ لجلب الصحيفة. حين عدت كانت ليزا قد رفعت طرف فستانها إلى ما فوق الركبتين تماماً بدت مغرية. كانت ركبتاها مقبولتين وساقاها جميلتين. بدا النهار (بل الليل) واعداً كنت عرفت من رسائلها أنها مدمنة أطعمة صحيّة مثلها مثل سيسيليا إنما لحسن الحظ لم تكن تتصرف أبداً مثل سيسيليا جلست عند الطرف الآخر من الكنبة ولم أتوقف عن اختلاس النظرات إلى ساقيها لطالما كنت عاشق سيقان.

بادرتُ ليزا «ساقاك جميلتان».

«هل أعجباك؟».

رفعت طرف فستانها أعلى بسنتمترين أو ثلاثة. أخبلني ما وقعت عليه أبصاري، ساقاها الرائعتان المنبثقتان شيئاً فشيئاً من تحت كل ذلك القماش، كان ذلك أكثر إثارة بكثير من تنورة قصيرة ميني جوب.

بعيد الكأس التالية اقتربت دانياً من ليزا

قالت لي: «يتوجب أن تأتي لزيارتي في استديو الرقص خاصتي».

«لست بارعاً في الرقص».

«ستفلح، سوف أعلّمك».

«مجاناً؟»

«بالطبع. أنت رشيق القدمين بالنسبة إلى شخص جسيم مثلك. أستطيع أن أحزر من طريقة مشيتك أنه باستطاعتك أن ترقص ببراعة»

«اتفقنا سوف آنام على أريكتك»

«لدي شقة ظريفة لكن ليس لدي سوى فراش مائيّ».

«لا مانع»

«غير أنه عليك أن تسمح لي أن أطبخ لك طعاماً صحيّاً».

«يبدو هذا مناسباً» حدقت في ساقيها، ثم رحت أربّت على إحدى ركبتيها قبّلتها، فردّت لي القبلة مثل إمرأة متوحدة.

«أو هل تجدني جذّابة؟» سألتني ليزا

«أجل، بالطبع غير أن أكثر ما يعجبني فيك هو أناقتك. لديك نوع من السلوك الراقي».

«لديك حصافة في السلوك يا شيناسكي».

«من المفروض، أني أكاد أبلغ الستّين».

«تبدو أكثر وكأنك في الأربعين يا هانك».

«أنت أيضاً حصيفة اللسان يا ليزا».

«يفترض هذا، فأنا في الثانية والثلاثين من العمر».

«يسرّني أنك لست في الثانية والعشرين».

«ويسرّني أنك لست في الثانية والثلاثين».

قلت «يا لها من ليلة سعيدة».

وارتشف كلانا من كأسه.

«ما رأيك بالنساء؟» سألتني.

«لست مفكراً لكل امرأة اختلافها بشكل أساسيّ يبدين بالنسبة إليّ تركيبة من الأفضل والأسوأ ـ سحريات وفظيعات. غير أني مسرور بوجودهن بمطلق الأحوال»

«كيف تعاملهن؟».

«أنهن يعاملنني بلطف يفوق لطفي حيالهن».

«أوتجد هذا عادلاً؟».

«ليس عادلاً، لكن هذا هو واقع الحال».

«أنت صادق على الأقل».

«ليس تماماً»

«بعد ابتياع الأزياء الجديدة غداً، أود أن أجرّبها أمامك، وبوسعك أن تقول لي أي واحد تفضّله».

«بالتأكيد، غير أني أفضّل الفساتين الطويلة. ثمة الأناقة فيها».

«سأشتري من كل الأنواع»

«أنا لا أشتري ثياباً جديدة إلا بعد إهتراء ما أرتديه».

«مصاريفك من صنف آخر».

«يا ليزا، سأتوجه إلى السرير بعد انتهاء هذه الكأس، ألا بأس؟».

«بالتأكيد».

كنت قد كدّست بطانيات على الأرض. «هل لديك ما يكفي من الحرامات؟».

«أجل».

«وماذا بشأن الوسادات؟».

«لا مشكل».

أنهيت كأسي، نهضت وأقفلت بالمفتاح باب المدخل.

«لست بصدد حبسك هنا إطمئني».

«إني مطمئنة.

دخلت إلى حجرة النوم، أطفأتُ الضوء، خلعت ملابسي وإندسيت تحت الأغطية. «أترين» هتفت قائلاً لها «أنا لم أغتصبك».

«آه» أجابت «خسارة، أتمنى لو تفعل!».

لم أصدقّ ذلك تماماً، بيد أنه طاب لي سماعه بمطلق الأحوال. لقد تصرّفتُ بكياسة وسوف تبقى ليزا هنا في صباح الغد.

آن استفقتُ سمعت حراكها في الحمّام. لربما كان يفترض بي أن

أصفعها؟ وما أدراني؟ كيف للرجل أن يتصرف؟ بشكل عام، قررت أنه من المستحسن الانتظار إن كان يخالجك مطلق شعور تجاه الشخص. إن كرهتها على الفور من المفضّل أن تضاجعها على الفور، وإلا فمن المستحسن أن تنتظر، وبعدئذٍ تضاجعها، وتكرهها لاحقاً

خرجت ليزا من الحمّام مرتدية ثوباً أحمر متوسط الطول. ناسبها بشكل جيد إذ كانت نحيلة وهيفاء. وقفتْ قبالة مرآة حجرتي مداعبة شعرها

«هانك، أنا متوجهة لشراء الأزياء الآن. إبقَ أنت في الفراش. لعلك مريض نتيجة كل ذلك الشراب الذي احتسيته».

«ماذا؟ لقد شربنا الكمية نفسها»

«لقد سمعتك تتسلّل مختلساً بعض المزيد في المطبخ. لماذا فعلت ذلك؟».

«أحسب أني كنت خائفاً».

«أنت؟ خائف؟ وأنا من أعتقد أنك ناكح النسوة الشديد البأس العظيم والسكّير؟»

«أوهل خذلتك؟»

«لا».

«لقد كنت خائفاً فني متجذر في خوفي. إني صاروخ ينطلق منه».

«أنا متوجهة لابتياع الملابس يا هانك».

«أنكِ مستاءة مني، لقد خذلتكِ»

«أبداً سوف أعود».

«أين يقع هذا المتجر؟».

«في الشارع رقم ٨٧».

«هل قلتِ الشارع ٨٧؟ يا يسوع العظيم، إنه متجر واتز!».

«إن لديهم أفضل أزياء في كل منطقة الشاطىء».

«لكنها منطقة للسود هناك!».

«هل أنت ضدّ السود؟».

«أنا ضدّ كل شيء».

«سأستقل سيّارة أجرة، وسأعود بعد ثلاث ساعات».

«أهلْ تنتقمين مني بهذه الطريقة؟».

«قلت لك أني سأعود. لقد تركت حاجياتي هنا»

«سوف لن ترجعي أبداً».

«لا بل سأعود. أنا ناضجة وأستطيع أن أتدبر أموري لوحدي».

«عظيم، ولكن إسمعيني. لا تستقلّي سيّارة أجرة»

نهضت وجلبت بنطالي الجينز وأخرجت منه مفاتيح سيّارتي.

«هاك. خذي سيّارتي الفولزڤاكن. رقمها هو، تي في آر ٤٦٩ إنها مركونة مباشرة في الخارج، ولكن لا تقسِ على جهاز تعليق التروس، التعشيقة الثانية تالفة، فهي تجرش خصوصاً أن أدرتها ارتجاعياً

أخذتْ المفاتيح، وعدتُ أنا إلى الفراش ورفعت فوقي الملاءة. إنحنت ليزا فوقي. أمسكتُ بها وقبّلتها على عنقها كانت أنفاسي كريهة.

«لا تبتئس» قالت «قسماً سوف نحتفل هذه الليلة، وسيكون هناك عرض أزياء».

«لست قادراً على الانتظار».

«بلى، تستطيع».

«المفتاح الفضيّ يفتح الباب من جانب السائق، والمفتاح الذهبي لإشعال المحرّك.

مشت خارجة في فستانها الأحمر المتوسط الطول. سمعتُ إنغلاق الباب. تطلعت في الأرجاء. حقيبتها كانت ما تزال موجودة. وكان هناك زوجان من الأحذية على السجادة.

* * *

- ٨٥ -

عندما استفقت كانت الساعة الواحدة والنصف. قمت بالاستحمام وارتديت ملابسي وتفحّصت بريدي. كان هناك رسالة من شاب من غلاندايل يقول فيها «عزيزي السيد شيناسكي، أنا كاتب شاب وأعتقد أني كاتب جيد، جيد جداً، غير أن الناشرين يعيدون لي كل القصائد التي أرسلها إليهم. كيف يمكن للواحد أن يشق طريقه في هذا المجال؟ ما هو السرّ؟ من يتوجب عليك أن تعرف؟ إني معجب كثيراً بكتاباتك وأرغب في زيارتك والتحدث إليك. سوف أحضر معي دزينة من قناني البيرة ويمكن أن نتحدث وفي ودّي أيضاً أن أقرأ لك بعض قصائدي.

هذا البائس المسكين لا يملك فَرجاً رميت رسالته في سلّة القاذورات.

بعد حوالي ساعة من الوقت عادت ليزا «آه، لقد وجدت أروع الأزياء!»

كانت ذراعها مثقلة بالفساتين. دخلت إلى الحمّام. مضى بعض الوقت ثم خرجت. كانت لابسة فستاناً طويلاً عالي القبّة، ودارت فيه أمامي. قولب مؤخرتها بشكل ممتاز. كان ذهبياً وأسود وانتعلت سكربينة سوداء. قامت بأداء رقصة خفيفة.

«هل أَعجبكَ؟».

«آه، بالتأكيد. » قبعت جالساً وانتظرت

عادت ليزا إلى داخل غرفة النوم. خرجت بعدئذٍ مرتدية فستاناً أخضر وأحمر مع لطخات من الفضيّ. كان لهذا الفستان تقويرة في وسطه تكشف سرّة بطنها وراحت تستعرضه أمامي متباهية محدّقة في عينيّ بطريقة إستثنائية، لم تكن لا خجولة ولا مثيرة، بل مثالية.

لا أذكر كم من الأزياء استعرضت لي، غير أن الأخير كان رائعاً كان ملتصقاً بجسمها ومشقوقاً طولياً إلى جانبي قسمه الأسفل. وفيما مشت في الأرجاء انكشفت إحدى ساقيها ثم انبثقت الثانية. كان الزيّ أسود اللون مومضاً ومشقوقاً حتى الأسفل من الأمام.

نهضتُ وعبرتُ الغرفة وانقضضتُ عليها رحت أقبلّها بضراوة لاوياً إياها إلى الخلف. تابعت تقبيلها فيما بدأتُ أرفع فستانها رفعتُ تنورتها من الخلف عالياً ورأيت سروالها التحتي، الأصفر رفعت القسم الأمامي من فستانها وبدأت أضغط قضيبي على بطنها إنزلق لسانها إلى داخل فمي - كان بارداً جداً وكأنها كانت تشرب ماءً مثلجاً سرت بها القهقرى إلى داخل غرفة النوم، ألقيتها على الفراش وانقضضت عليها بخشونة. خلعت عنها ذلك السروال التحتي الأصفر وخلعت أيضاً بنطالي، وأطلقت العنان لمخيلتي عقدتْ ساقيها حول رقبتي فيما وقفت فوقها فرجتْ ساقيها، وتقدمتُ وزلقتُه في فَرجِها رحتُ أعبث بعض الشيء، متخذاً سرعات مختلفة. طعنات غاضبة، إقحامات عاشقة، غرزات معذبة، وطعنات وحشية كنت أخرجه بين الحين والآخر، ثم أبدأ مجدداً في النهاية أفلتّ لنفسي العنان، وهبتها بعض نضخات الأخيرة، أدركت النشوة وهويتُ إلى جانبها تابعت ليزا تقبيلي لم أكن متأكداً ما إن كانت قد أدركت النشوة الجنسية أم لا أما أنا فبلى

تناولنا طعام العشاء في مطعم فرنسي كان يقدم أيضاً طعام أميركياً وبأسعار متهاودة كان المطعم كالعادة مكتظاً بالزبائن مما أتاح لنا الوقت للجلوس إلى بار المشرب تلك الليلة حجزتُ طاولة بإسم لانسلوت لافبوي، ولقد كنت حتى صاحياً إلى درجة أني تذكرته حين نادوا علينا للجلوس بعد ٤٥ دقيقة

طلبنا قنينة نبيذ. قررنا أن نؤجل العشاء قليلاً ثمة لا طريقة ألطف للشرب من الجلوس إلى طاولة صغيرة، فوق غطاء طاولة أبيض برفقة إمرأة جميلة

«إنك تضاجع» بادرتني ليزا «بحماسة صبوية لرجل ينكح للمرة الأولى، ومع ذلك تضاجع بكثير من الابتكارية»

«أوهل تسمحين بأن أكتب هذا على كمّ قميصي»

«أكيد».

«قد أستخدمه يوماً ما»

«لكن لا تستخدمني، هذا كل ما أطلبه منك. أرفض أن أكون مجرد إسم آخر على لائحة نسائك»

لم أجبْ.

«شقيقتي تكرهك» قالت لي ليزا «لقد حذرتني من إنتهازيتك، من أن تستغلّني»

«إنك تحطّين من مستواك يا ليزا، لماذا تتحدثين تماماً مثل الجميع؟»

لم نستطع إنتظار العشاء حين عدنا إلى المنزل تابعنا الشرب. لقد أعجبتني كثيرا فعليا وبدات أسيء معاملتها بالسباب بدت

متفاجئة واغرورقت عيناها بالدموع. فرّتْ إلى داخل الحمام وبقيت في داخله قرابة عشر دقائق، ثم خرجتْ.

«لقد كانت شقيقتي محقة» بادرتني بالقول «أنت وغد!».

«هيا بنا إلى الفراش يا ليزا».

خلعنا ملابسنا مستعدّين للدخول في الفراش. اعتلينا الفراش وركبتها كان الأمر أصعب بكثير من دون تمهيد، بيد أني استطعت في النهاية إيلاجه. وبدأت أنكح. نكحت ونكحت بلا انقطاع. ليلة أخرى من الليالي الملتهبة. كانت أشبه بكابوس متكرر. بدأت أنضح بالعرق. تابعت أنكح وأكدح بلا توقف. استحال عليّ بلوغ الذروة استحال عليّ الانتشاء. نكحت وكدحت تكراراً وتكراراً وفي النهاية انقلبت عنها «آسف يا حبيبتي، لقد شربت كثيراً»

إنزلق رأس ليزا إلى أسفل صدري عبوراً ببطني إلى الأسفل. أدركتْهُ وبدأتْ تلحسْ وتلحس وتلحس ثم ابتلعَتْهُ بفمها وراحت تمصّه.

عدت في الطائرة برفقة ليزا إلى سان فرانسيسكو كان لديها شقة جاثمة فوق قمة تلّة شديدة الانحدار شقة جميلة. أول أمر توجب عليه القيام به هو التبرّز دخلت إلى الحمّام وجلست. كان ثمة نبتات متعرشة حول كل أرجاء المكان. يا له من مكان رائع. أعجبني كثيراً. حين خرجت أقعدتني ليزا على بعض الوسادات الكبيرة. وضعتْ أسطوانة لموزار، وصبّتْ لي كأساً من النبيذ المثلج. كان وقت العشاء ووقفت في المطبخ تطبخ طعام العشاء بين الفينة والأخرى كانت تملأ لي مجدداً كأس النبيذ. لطالما استمتعت في المكوث في بيوت النساء، أكثر من قيامهن بالمكوث عندّي. حين أكون عندهن أستطيع المغادرة في أي وقت أشاء.

نادتني إلى العشاء. كان هناك سلطة وشاي مثلج ويخنة دجاج. كان الطعام شهياً كنت أنا طباخاً رديئاً، كل ما استطعت أن أقليه كان شرحات لحم الستايك، على الرغم من أني كنت أعد يخنة لحم بقر شهيّة. كنت أضيف إلى الطبخة كل ما هنالك وأنجح أحياناً في مسعاي.

بعد العشاء قمنا بجولة في السيّارة وصولاً إلى رصيف مرفأ الصيادين. كانت ليزا تقود سيّارتها باحتراز شديد. عند كل تقاطع للشوارع كانت تتوقف وتنظر يميناً ويساراً إلى جهتي الطريق، ولم تكن تتقدم حتى لو لم يكن هناك أي سيّارة من الناحيتين. وتّرت لي أعصابي. كنت أنتظر

«اللعنة يا ليزا فلننطلق، ثمة لا أحد في الأرجاء».

عندئذٍ وفقط عندها كانت تتقدم. هكذا كانت الأمور مع الأشخاص. كلما طالت معرفتك بهم انكشفت غرابة أطوارهم أكثر فأكثر، أحياناً تبدو غرابة أطوارهم مضحكة - هذا في البداية.

مشينا عبر رصيف الميناء، ثم توجهنا وجلسنا على الرمل. كان شاطئاً حقيراً

أخبرتني أنها لم تتخذ لها خليلاً منذ ردح من الوقت. وأن الأحاديث التي تطرق إليها الرجال الذين عرفتهم، وما كان يثير اهتمامهم وجدته غير معقول.

«النساء متشابهات إلى حد بعيد» قلت لها «حين سُئلَ ريتشارد بورتون عن الأمر الأول الذي يتطلّع إليه في إمرأة، أجاب «يتوجب أن تكون على الأقل في الثلاثين من العمر»

حلّ الظلام وعدنا إلى شقتّها أحضرت ليزا النبيذ وقعدنا فوق

الوسادات. فتحتْ مصراعي النافذة ورحنا ننظر الليل في الخارج. شرعنا نتبادل القبل. ثم احتسينا النبيذ وتعانقنا من جديد.

«متى ستعودين إلى عملك؟» سألتها

«أوهل ضجرت مني؟».

«لا، إنما يتوجب أن تكسبي عيشك».

«لكنك أنت لا تعمل».

«بلى بمعنى ما»

«هل تعني أنك تعيش من أجل الكتابة وحسب؟».

«لا، إني موجود وحسب. ثم لاحقاً أحاول أن أتذكر وأكتب بعض الأمور».

«أوهل هذا يكفيك لتعيش؟».

«ماشي الحال إلى حد الآن»

التهبت قبلاتنا أكثر فأكثر، لم تكن تشرب بقدر ما كنت أعبّ. انتقلنا إلى فراشها المائي، تعرّينا وتمددنا فوقه. كنت سمعت الكثير عن الفرش المائية ومن المفترض أن تكون رائعة، غير أني وجدتها في الواقع صعبة. فالمياه راحت ترتعش وتهتز تحت جسدينا وفيما كنت أغرزه في ليزا جعلت المياه تتأرجح من جانب إلى آخر. وعوض أن تأتي بها إليّ بدا وكأنها تبعدها عني. لعليّ بحاجة إلى التمرّن. قمت بأداء نمرتي الوحشية، فأمسكتها من شعرها وهجمت أغرزه فيها كما لو أني أغتصبها أعجبها ذلك أو أنها أوحت بذلك مصدرة غمغمات ابتهاج ضئيلة. توحشنت عليها أكثر، ثم فجأة بدا لي أنها انتشت مدركة الذروة الجنسية ومطلقة كل الأصوات

الصحيحة والتنهدات، أثار ذلك اهتياجي وانتشيت بعدما انتهتْ على الفور.

اغتسلنا ثم عدنا إلى الوسادات والنبيذ، وغفت ليزا واضعة رأسها في حضني. بقيت جالساً هناك طوال ساعة تقريباً ثم تمددت بعدها على ظهري، ونمنا تلك الليلة فوق كل تلك الوسادات.

في اليوم التالي اصطحبتني ليزا إلى استديو الرقص خاصتها ابتعنا سندويشات من مقهى مقابل الأستديو، وحملناها معنا مع مشروباتنا إلى الأستديو وأكلناها كانت حجرة واسعة جداً في الطبقة الثانية. لم يكن فيها شيئاً سوى أرضية فارغة، باستثناء جهاز ستريو للموسيقى وبعض الكراسي، وثمة أيضاً حبال مثبّتة عالياً في السقف وعلى طوله، ولم أفهم ما الغرض منها

«أو ترغب في أن أبدأ بتعليمك الرقص؟» سألتني.

«في الواقع لست في المزاج المناسب» أجبت.

الأيام والليالي التالية كانت مشابهة. لا أقول سيئة إنما غير عظيمة. تحسّنت أموري على الفراش المائي، غير أني بقيت أفضّل الفراش العادي للقيام بالمضاجعة.

بقيت هناك ثلاثة أو أربعة أيام إضافية، وعدت بعدئذٍ بالطائرة إلى لوس أنجلوس.

تابعنا نتبادل الرسائل.

بعد مرور شهر عادت إلى لوس أنجلوس، وهذه المرة حين وصلت إلى بابي كانت ترتدي بنطالاً فضفاضاً بدت مختلفة عجزت عن تفسير ذلك لنفسي غير أنها بدت مختلفة. لم أكن أستمتع بمجالستها، لذا رحت أصطحبها إلى سباقات مضمار الخيل

وإلى حضور الأفلام السينمائية، وإلى حلبات الملاكمة، وكل الأمور التي كنت أقوم بها مع النسوة اللواتي أستمتع برفقتهن، بيد أن شيئاً ما كان ينقص. لم نتوقف عن ممارسة الحب، غير أنها لم تعد مثيرة كالبداية، وشعرت كما أننا متزوجان.

بعد خمسة أيام كانت ليزا جالسة على الأريكة وكنت أقرأ الجريدة حين بادرتني قائلة، «هانك، لقد أخفقت علاقتنا، أليس كذلك؟».

«أجل»

«ما المشكلة؟»

«لست أدري».

«سأرحل   لا أريد أن أبقى هنا».

«إهدئي، ليس الوضع بهذا السوء».

«لكني لا أستطيع أن أفهم».

لم أجب.

«هانك أوصلني إلى مبنى تحرير المرأة. هل تعرف أين يقع؟»

«أجل إنه في حيّ ويستلايك، حيث كانت من قبل مدرسة الفنون».

«وما أدراك بهذا؟».

«لقد أوصلت إمرأة أخرى إلى هناك مرة».

«يا لك من حقير».

«إهدئي، الآن. . .

«لدي صديقة تعمل هناك. لست أدري أين تقع شقتها، وعجزت عن العثور على اسمها في دليل الهاتف. غير أني أعرف أنها تعمل في مبنى تحرير المرأة. سوف أقضي معها يومين إذ ثمة لا رغبة لدي البتة بالعودة إلى سان فرانسيسكو في حالي النفسية هذه.

جمعت ليزا حاجياتها ووضعتها في حقيبتها، خرجنا إلى السيّارة وقدتها إلى حيّ ويستلايك. كنت أوصلت مرّة ليديا إلى هناك، من أجل المشاركة بمعرض للفن النسوي حيث عرضت بعض منحوتاتها

أوقفتُ السيّارة أمام المبنى.

«سأنتظر للتأكد من أن صديقتك موجودة هنا».

«لا عليك، يمكنك المغادرة».

«سأنتظر»

انتظرت وأطلّت ليزا ولوّحت مودّعة، ولوحت لها بالمقابل مودعاً أدرت المحرّك وانطلقت مبتعداً

* * *

- ٨٦ -

بعد أسبوع كنت جالساً في سروالي القصير ذات ما بعد ظهيرة. سمعت طرقاً خفيفاً وطرياً على الباب. «إنتظر لحظة» هتفت. ارتديت مبذلاً وفتحت الباب.

«إننا فتاتان ألمانيتان. لقد قرأنا كتبك».

بدت إحداهما في حوالي التاسعة عشر من عمرها، والأخرى لربما في الثانية والعشرين.

لقد نُشِر لي كتابان أو ثلاثة في ألمانيا وبإصدارات محدودة. كنت ولدت في ألمانيا في العام ١٩٢٠ في أندرناخ. المنزل الذي ترعرعت فيه في طفولتي أصبح الآن بيتاً للدعارة. لم أكن أتكلم الألمانية غير أنهما كانتا تتكلمان الإنكليزية.

«أدخلا».

جلستا على الكنبة.

«إسمي هيلدا» قالت التي في التاسعة عشر.

«أنا جرترود» قالت التي في الثانية والعشرين.

«أنا هانك».

«وجدنا كتبك حزينة جداً ومضحكة جداً» قالت جرترود.

«شكراً».

توجهتُ وقمتُ بإعداد ثلاث كؤوس من الفودكا مع أسنان ات ملأت كأسيهما بالكحول وأثقلت كذلك كأسي

«إننا في طريقنا إلى مدينة نيويورك سيتي. وخطر ببب نعرّج لزيارتك» قالت جرترود

ثم تابعت لتخبرني أنهما قادمتان من المكسيك كانتا تتقنان الإنكليزية. كانت جرترود هي الأسمن بين الاثنتين وبدينة تقريباً، عظيمة الثديين والمؤخرة هيلدا في المقابل كانت نحيلة وبدت نوعاً ما متوترة. مصابة بإمساك وغريبة الأطوار، ولكن جذّابة

فيما كنت أشرب صالبت ساقيّ فإنفرج الروب دي شامبر الذي أرتديه

«أوه» انبرت جرترود «إن لديك ساقين مثيرتين!»

«أجل» أعقبت هيلدا

«أعرفُ هذا» قلت.

ماشتْ الفتاتان تماماً إيقاعي بالشرب، فتوجهتُ وحضّرت ثلاث كؤوس أخرى. حين جلستُ من جديد تأكدت من أنه مبذلي يغطيني جيداً

«أيتها الفتاتان، في وسعكما المكوث هنا بضعة أيام، لتستريحا».

لم تجبا

«إن كان هذا لا يستهويكما فلا بأس» قلت، «يمكننا أن نكتفي بالتحادث قليلاً لا أريد أن أفرض عليكما شيئاً».

«أراهن أنك تعرف الكثير من النساء» قالت هيلدا «لقد قرأنا كتبك».

«إني أكتب الرواية».

«ما هي الرواية؟»

«الرواية هي تحسين للحياة»

«هل تعني أنك تكذب؟» سألتني جرترود.

«قليلاً ليس كثيراً».

سألتني هيلدا «هل لديك حبيبة؟».

«لا ، ليس لدي الآن».

«سنبقى» قالت جرترود.

«لدي سرير واحد فقط.

«لا بأس، يناسبنا هذا».

«هناك أمر أخير

«ماذا؟».

«يجب أن أنام في الوسط».

«لا مشكلة».

تابعت أحضّر كؤوس الشراب بلا انقطاع، وعاجلاً ما انقطعنا اتصلت بمتجر الكحول. «أريد.

«آسف يا صديقي» قال «إننا لا نبدأ التوزيع حتى البيوت قبل الساعة السادسة مساءً».

«حقاً؟ إني أحشر في حلقومك مئتي دولار شهرياً . .

«من المتكلم؟»

«شيناسكي».

«آه شيناسكي. ما الذي تطلبه؟».

ردّدت للرجل طلبي، ثم سألته «أو هل تعرف الطريق إلى هنا؟».

«آه، بالطبع»

وصل بعد ثماني دقائق. كان أوسترالياً بديناً دائم التعرّق. تناولت منه الصندوقين ووضعتهما على كرسيّ.

«مرحى أيتها السيدتان» بادرهما الأوسترالي البدين.

لم تردّا عليه.

«كم تبلغ الفاتورة يا أربوكل؟».

«حسناً، المجموع ١٧ دولاراً و٩٤ سنتاً».

ناولته عشرين، وراح يبحث عن فكّة في قعر جيبه.

«لا عليك. إبتع لنفسك منزلاً جديداً».

«شكراً لك يا سيدي»

ثم انحنى باتجاهي وسألني بصوت خفيض، «يا إلهي، ما هو سرّك؟»

«الطرق على الآلة الكاتبة»

«الكتابة على الآلة الكاتبة؟»

«أجل، حوالي الـ١٨ كلمة في الدقيقة».

لشيّته إلى الخارج وأقفلت الباب.

تلك الليلة شاطرتهما الفراش وانحشرت ما بينهما. كنا جميعاً

ثملين. أمسكت بداية إحداهما ورحت أقبّلها وأداعبها ثم استدرت واحتضنت الثانية. رحت أتنقل ذهاباً وإياباً وكان ذلك ممتعاً للغاية. في وقت لاحق ركّزت على واحدة لوقت طويل، ثم استدرت وانقضيّت على الأخرى. انتظرتْ كل واحدة منهما بصبر دورها، واحترت في أمري. كانت جرترود أكثر شهوانية من الأخرى، فيما كانت هيلدا أكثر شباباً رحت أسحل فرجيهما وأركبهما، غير أني لم أخرطهما في نهاية الأمر قررت على جرترود. غير أني عجزت عن القيام بذلك. كنت شديد الثمالة. غفونا أنا وجرترود، يدها ممسكة عضوي، ويداي على ثدييها إضمحل انتصاب عضوي وبقي ثدياها مشدودين.

كان الطقس حاراً جداً في اليوم التالي وتابعنا احتساء الكحول. اتصلت بمطعم طالباً طعاماً شغّلت المروحة الكهربائية. لم نتحادث كثيراً الفتاتان الألمانيتان إستمتعا باحتساء الكحول. ثم خرجتا بعدئذٍ وجلستا على كنبتي العتيقة على شرفة المنزل الأمامية، هيلدا مرتدية شورتاً قصيراً وصديرية، وجرترود سروالاً تحتياً زهرياً ضيقاً من دون صدرية أو بنطال. قدمَ ماكس ساعي البريد. استلمت عني جرترود بريدي. كاد ماكس أن يصاب بالإغماء. كان بوسعي رؤية الحسد والريبة في عينيه. وماذا، لديه على الأقل أمان الوظيفة.

حوالي الساعة الثانية بعد الظهر أعلنت هيلدا أنها ستخرج للقيام بنزهة. عدنا أنا وجرترود إلى الداخل. وأخيراً استطعنا القيام بذلك. كنا ممددين على الفراش ورحنا نتداعب ممهدين للأمر، وبعد فترة قصيرة دخلنا في صلب الموضوع. ركبتها وأقحمته فيها، غير أنه انزلق بحدّة ناحية اليسار وكأنه كانت هناك انعطافة. في وسعي أن أذكر إمرأة وحيدة كانت على هذه الشاكلة، غير أنها كانت ممتازة. ثم خطر لي أنها لربما تخدعني وإني لست فعلياً والجاً فيها. لذا

سحبته إلى الخارج وأقحمته من جديد. دخل وانعطف مرة أخرى إلى اليسار، اللعنة. إحتمال من إثنين، أما لديها فَرج أعوج أو أني لم أكن ألجها. أقنعت نفسي بأن أصدق أنها كانت تملك كساً أعوج. ورحت أخرطها وأضخّها فيما راح قضيبي يطوي بمشقة تلك الانعطافة اليسرى الحادة.

جهدت وكدحت ثم فجأة أحسست كما لو أنه يمسّ عظماً كان ذلك الشعور صاعقاً، فاستسلمت وانقلبت عنها

«آسف» قلت لها «يبدو أني لست في نشاطي اليوم»

لم تجب جرترود.

نهضنا كلانا وارتدينا ملابسنا توجهنا بعدها إلى الغرفة الأمامية وجلسنا ننتظر هيلدا رحنا نحتسي الكحول وانتظرنا استغرق رجوع هيلدا وقتاً مديداً، مديداً جداً جداً وفي النهاية وصلتْ.

«مرحى بكِ» بادرتها

«من هم، كل هؤلاء السود الذي يقطنون في حيّك؟» سألتني.

«لا أعرف من هم».

«قالوا لي أنه باستطاعتي أن أكسب ألفي دولار أسبوعياً»

«وهل قالوا لك كيف؟».

«لا»

مكثت الفتاتان الألمانيتان يومين أو ثلاثة أخرى. وتابعت أصطدم بتلك الانعطافة اليسرى حتى وأنا صاحٍ. قالت لي هيلدا إنها وسط عادتها الشهرية. لذا لم تكن لتعينني علىَ الإطلاق.

في النهاية جمعتا أغراضهما وأركبتهما في سيّارتي. امتلكتا حقيبتين كبيرتين من القماش، كانتا تحملانهما فوق كتفيهما هيبيّتان ألمانيتان. اتبعت تعليماتهما انعطف من هنا، انعطف من هناك. كنا نتسلق أعلى فأعلى داخل منطقة تلال هوليوود. كنا وسط حيّ غنيّ. كنت نسيت أن بعض الناس يعيشون برفاهية فيما معظم الآخرين يأكلون خراءهم فطوراً حين تقطن حيث أسكن، تتوقع بكل بساطة أن كل الأمكنة الأخرى تشبه مسكنك القذر.

«لقد وصلنا» قالت جرترود.

«كانت الفولزفاكن عند أسفل طريق خاصة طويلة متمعجة. في الأعلى هناك في مكان ما، كان هناك منزل، منزل كبير، ضخم، يحتوي في داخله وحوله كل ما تحويه بيوت من ذلك النوع.

«يستحسن أن تدعنا نصعد سيراً على الأقدام» قالت جرترود.

«كما تشائين»

خرجتا درت بالفولزفاكن نصف انعطافة. وقفتا أمام المدخل وراحتا تلوّحان لي مودعتين وكانت حقيبتاهما القماشيتان معلقتين فوق أكتافهما لوحت لهما مودّعاً ثم انطلقت مغادراً وضعت مبدل التروس على اللاتعشيق وانزلقت هابطاً الجبال.

* * *

- ٨٧ -

عُرِض عليّ إقامة قراءة شعرية في نادٍ ليلي شهير يدعى «ذي لانسر» يقع على «هوليوود بولفار». وافقت على القراءة ليلتين. كانت قراءتي تلي انتهاء عزف فرقة للروك تدعى «الاغتصاب الكبير» كان بدأ يجرفني إغراء متاهة «الشوبزنس»» الاستعراضي. وهبوني بعض البطاقات المجانية فاتصلت بتامي، وسألتها إن كانت ترغب في الحضور. وافقت، لذا اصطحبتها معي في الليلة الأولى. اتصلت بهم مدوناً حضورها على قائمة المدعويين. جلسنا إلى البار منتظرين بدء وصلتي. كانت إستعراضية تامي تشبه تماماً إستعراضيتي. سكرت على الفور وراحت تذرع البار ذهاباً وإياباً مخاطبة الجميع.

مع حلول وقت بداية قراءتي كانت تامي قد بدأت تهوي مترنحة على الطاولات. فتشت عن شقيقها وعنّفته قائلاً «بحق المسيح، هلّا أخرجتها من هنا؟».

رافقها إلى الخارج. كنت أنا أيضاً سكران، ولاحقاً نسيت أني كنت قد طلبت إخراجها

لم أقدم قراءة جيدة. كان الجمهور برمته من عشاق موسيقى الروك أندرول فقط لا غير، وكانوا يغفلون أسطراً والمعاني. غير أن جزءاً كبيراً من الخطأ أتحمله أنا أيضاً كان حالفني الحظ أحياناً مع جماهير الروك، غير أني في تلك الليلة بالذات أخفقت. شوّشني

غياب تامي أعتقد هذا حين وصلت إلى البيت اتصلت برقمها ردت أمّها «إن إبنتك» عاجلتها صارخاً «هي حثالة المجتمع»

«يا هانك لا رغبة عندي في سماع قذارة من هذا النوع»

أقفلت السماعة.

في الليلة التالية ذهبتُ وحيداً جلستُ إلى بار المشرب ورحت أحتسي الشراب. اقتربت من طاولتي إمرأة ناضجة ومحترمة وعرّفت بنفسها كانت أستاذة تعلّم الأدب الإنكليزي واصطحبت معها إحدى تلميذاتها، فتاة دحدوحة تدعى نانسي فريز بدت نانسي مهتاجة أرادتا أن تسألاني إن كنت أقبل الإجابة على بعض الأسئلة لصالح صفّهما

«هيّا إسألا»

«من هو كاتبك المفضّل؟»

«فانتي».

«من؟».

«جون ف ـ ا ـ ن ـ ت ـ ي. «إسأل الغبار»، «إنتظر حتى الربيع»، «بانديني»

«أين باستطاعتنا إيجاد كتبه؟».

«لقد وجدتُها في المكتبة البلدية في وسط المدينة، في الزاوية بين الشارع الخامس وأوليف ستريت. أليس كذلك؟».

«ما الذي أعجبك فيها؟».

«كتلة مشاعر وأحاسيس. رجل بمنتهى الشجاعة».

«من غيره؟»

«سيلين»

«لماذا؟»

«لقد أذاقوه الأمرّين فضحك منهم، وجعلهم هم أيضاً يضحكون، رجل بمنتهى الشجاعة».

«أو هل تؤمن بالشجاعة؟»

«أقدّر وجودها عند أي كان، عند الحيوانات والطيور والزواحف والبشر»

«لماذا؟»

«لماذا؟ إنها ترفع من معنوياتي، إنها أسلوب للمواجهة حين تنعدم كلياً الفرص»

«وهمنغواي؟»

«كلا».

«لماذا؟».

«إنه متجهّم جداً، مفرط في جدّيته. كاتب جيد، جمل مهمّة. غير أن الحياة بالنسبة إليه كانت باستمرار بمثابة حرب شاملة. لم يكن إطلاقاً عفوياً، لم يرقص أبداً».

طوتا دفتري ملاحظاتهما وتوارتا يا للأسف. كنت وددت أن أخبرهما بأن الأشخاص الذين أثروا فيَّ فعلياً، كانوا غايبل وكاغني وبوغارت وإيرول فلين.

فجأة وجدت نفسي جالساً برفقة ثلاث نساء فاتنات، سارا وكاسي

وديبرا كانت سارا في الثانية والثلاثين في عمرها، فتاة أنيقة متميزة وذات شخصية. كان لها شعر أشقر ضارب إلى الحمرة ومسترسل، وعينان وحشيتان مجنونتان بعض الشيء. كانت تنوء بأعباء حنوّ فائض وحقيقي بلا أدنى ريب، وقد دفعت ثمنه كما هو جلّي على نحو ما ديبرا كانت يهودية ذات عينين كبيرتين بنيّتين، وفم واسع مكسوّ بطبقة سميكة من أحمر الشفاه الدموي اللون، بدا فَمُها المتلألىء وكأنه يدعوني. أحسب أنها كانت ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، وذكرّتني بسيماء أمي في العام ١٩٣٥ (على الرغم من أن أمي كانت أجمل منها). كاسي كانت طويلة القامة، وشعرها أشقر طويلاً وفتيّة جداً ومرتدية ملابس باهظة على الموضة، وعلى آخر صرعة ومتوترة وفاتنة. التصقتْ بي، وراحت تضغط على يدي، وتحفّ ساقها على ساقي. فيما راحت تشد يدي ضاغطة اكتشفت أن يدها أكبر من يدي، (رغم أني رجل ضخم وتربكني يداي الصغيرتان. في شجاراتي في البارات أبان شبابي في فيلادلفيا، اكتشفت سريعاً أهمية حجم اليد. كيف جرى وقدّر لي أن أربح ثلاثين بالمئة من عراكاتي أراه اليوم أمراً مذهلاً). بأية حال، أحسّت كاسي أن لديها أفضلية على الفتاتين الأخريين ولم أكن أنا متأكداً بعد في خياري، غير أني وافقتها ضمنياً

بعدئذٍ توجب عليّ أن أصعد إلى المسرح للقراءة، وكانت ليلتي أفضل من سابقتها كان الجمهور هو نفسه، غير أني كنت مركزاً على عملي. ازدادت حماوة الجمهور شيئاً فشيئاً، وإستعرت مشاركتهم وحماستهم وصرخاتهم. أحياناً هم من يُنجحْ الحفل، وأحياناً أنتَ. وعموماً أنتَ. الأمر أشبه بصعود حلبة ملاكمة، ينبغي أن تشعر بأنك تدين لهم بشيء، وإلا لا غرض لك في الوجود هناك. رحت ألكمُ وأشطب وأراوغ متراقصاً على الحلبة، وفي

الجولة الأخيرة شننت هجوماً وأجهزت على الحكم بالضربة القاضية. ولأني كنت أخفقت في الليلة الفائتة، لا بدّ وأن نجاحي بدا مفاجئاً جداً بالنسبة إليهم. وبالتأكيد أنا نفسي تفاجأت.

كانت كاسي بانتظاري عند البار. ومرّرت لي رسالة حب موجزة مع رقم هاتفها، ديبرا افتقدت المخيّلة ـ كتبت لي فقط رقم هاتفها لبرهة ـ وبشكل غريب ـ خطرت في بالي كاترين، ثم قدّمتُ كأساً لكاسي على حسابي. سوف لن ألتقي كاترين مجدداً؛ صغيرتي التكسانية حلوة الحلوات. وداعاً يا كاترين.

«قولي لي يا كاسي أو هل تستطيعين إيصالي إلى المنزل؟ إني ثمل جداً ولا قدرة لي على القيادة. إن اعتقلتُ مرة واحدة أخرى بتهمة القيادة في حال السكر سأدخل السجن»

«حسناً سأقلّكَ إلى البيت، وماذا بشأن سيّارتك؟»

«إنسِها، سأتركها هنا».

غادرنا معاً في سيّارتها الـ«إم جي»، كما في أفلام السينما كنت أتوقع أن تلقي بي في أي لحظة عند التقاطع الآتي. كانت في منتصف عشرينياتها وتتكلم وهي تقود. تعمل في شركة أسطوانات وتعشق وظيفتها لم يكن عليها الحضور قبل العاشرة والنصف صباحاً، لتغادر عند الساعة الثالثة بعد الظهر «ليست سيئة وظيفتي» قالت: «وأحبها، أستطيع أن أوظّف وأطرد موظفين، لقد ترقيّت، غير أني لم أضطر بعد إلى طرد أحد. إنهم أشخاص طيبون ولقد أصدرنا عدداً من الأسطوانات الرائعة.

وصلنا إلى شقتي. أخرجتُ قنينة فودكا إنسدل شعر كاسي مدركاً تقريباً مؤخرتها لطالما سحرني الشَعْر والسيقان.

«لقد كانت قراءتك خارقة هذه الليلة» قالت: «كنت مختلفاً كلياً

عمّا كنته في البارحة. لا أدري كيف أفسر هذا، لكنك حين تدرك ذروة عطائك، تطلق العنان لنوع من. الحنو الإنساني. في حين أن معظم الشعراء مجرد متزمتين حقيرين وأفظاظ».

«أنا أيضاً مثلك أمقتهم».

«وهم في المقابل يبادلونك الشعور نفسه».

شربنا بعض المزيد وتوجهنا إلى السرير. كان جسمها بديعاً مجيداً أشبه بأجساد فتيات مجلة «بلاي بوي»، لكنني لسوء الحظ كنت ثملاً غير أني خرطتها رغم ذلك ورحت أنكح وأنكح. أمسكت بشعرها الطويل وسحبته من تحتها، وجعلت أمرر أصابعي فيه. كنت مهتاجاً غير أني لم أفلح في نهاية الأمر في إدراك الذروة والانتشاء، انقلبت عنها وتمنيت لها نوماً هنيئاً، ونمت نوم المذنب.

في الصباح وجدتني محرجاً كنت موقناً إني لن أرى البتة كاسي مجدداً ارتدينا ملابسنا كانت الساعة العاشرة تقريباً سرنا إلى سيّارتها الـ«أم جي» وركبنا فيها لم أنبس بحرف ولم تتكلم هي. أحسستني أحمق غير أنه لم يكن لدي أي شيء أقوله. توجهنا بالسيّارة إلى نادي «لانسر» وانبرت هناك الفولزفاكن الزرقاء.

«شكراً على كل شيء يا كاسي، واذكري شيناسكي بالخير»

لم تجب. قبلّتها على خدّها وخرجتُ. انطلقتْ مبتعدة في سيّارتها الـ«إم جي». خلاصة الأمر في النهاية كما رددت غالباً ليديا «إن كنت تريد السكر، إسكر، إن كنت تريد المضاجعة إرمِ القنينة بعيداً»

مشكلتي باختصار أني أرغب في الإثنين معاً

* * *

- ٨٨ -

من هنا كانت مفاجأتي حين رن الهاتف بعد ليلتين وكانت كاسي هي المتصلّة.

«ماذا تفعل يا هانك؟»

«قابع في البيت لا غير».

«لِمَ لا تقدم إلى هنا»

«بكل سرور.

أعطتني العنوان، كان في ويستوود أو غربي لوس أنجلوس.

«لدى الكثير من المشروبات» قالت: «لا حاجة بك أن تحضر معك أي شيء»

«لربما لا يجدر بي أن أشرب البتة؟».

«كما تشاء».

«إن صببتِ لي سأشرب، وإن لم تفعلي فلن أحتسي شيئاً».

«لا تقلق بهذا الشأن» قالت لي.

ارتديت ملابسي، وقفزت إلى جوف الڤولزڤاكن وقدت نحو العنوان. كم من الفرص سيتاح للمرء؟ أن الآلهة متسامحة معي مؤخراً لعلها تختبرني؟ لعلّها خدعة؟ لعلّهم يعلفون شيناسكي لذبحه

فيما بعد. لقد توقعت إمكانية حصول ذلك. لكن لا حول لك ولا قوة بعد أن يدرك العدّ لك مرتين الثمانية، ويتبقى جولتان للانتهاء.

كانت شقة كاسي تقع في الطبقة الثانية. بدت مسروره برؤيتي. انقضّ عليّ كلب أسود ضخم. كلب هائل الحجم وذكر وأشعر وقف مسنداً كفيّه بكتفيّ، وراح يلحس وجهي. دفعته بعيداً عني. وقف هناك مهزهزاً مؤخرته مصدراً نواحاً متوسلاً كان شعره طويلاً جداً وأسود اللون وبدا من النوع الهجين، ولكن يا لضخامة ذلك الحيوان.

بادرتني كاسي «إنه إلتون»

توجهتْ إلى البراد وأحضرت النبيذ.

«هذا ما يتوجب أن تشربه. لديّ الكثير منه»

كانت ترتدي فستاناً أخضر تماماً، ضيقاً مقولباً عليها بدت أشبه بأفعى. وانتعلت حذاءً مرصّعاً بحجارة خضراء، ومجدداً لاحظت كم كان شعرها طويلاً، ليس فقط طويلاً بل كثيفاً، كان ثمة الحجم المذهل له. لقد انسدل ليصل على الأقل إلى مؤخرتها كانت عيناها كبيرتين وبلون أزرق ـ أخضر، أحياناً يطغى الأزرق على الأخضر وفي أحيان أخرى تنقلب الآية، حسب انعكاس النور. لاحظت وجود كتابين من كتبي على رف مكتبتها، وكانا من أفضل مؤلفاتي.

جلست كاسي فتحت قنينة النبيذ وصبّت كأسين.

«كنا تواءمنا لا أدري كيف في لقائنا الأخير تلامسنا في مكان ما لم أرغب في التخلّي عن ذلك»

«لقد استمتعت بلقائنا». أجبت.

«هل ترغب في حبّة أمفيتامين؟».

«لا ضير»

أحضرتُ حبتين سوداين. النوعية الأفضل. ابتلعت خاصتي مع جرعة النبيذ.

«إني أتعامل مع أفضل تاجر مخدرات في المدينة. فهو لا يخدعني أبداً».

«عظيم»

«أوهل حدث وأن أدمنت المخدرات؟» سألتني.

«لقد جربت الكوكايين فترة، غير أني لم أستطع تحمّل الإحباط الذي يلي. في اليوم التالي، كنت أخشى الدخول إلى المطبخ إذ أنه كان يوجد هناك سكين لحّام. ثم إنه لا قدرة لي مالية على دفع بين خمسين وسبعين دولاراً يومياً»

«لدى بعض الكوكايين».

«أعفيني».

صبّت المزيد من النبيذ.

لست أدرك السبب، لكني مع كل امرأة جديدة، كان الأمر أشبه بالمرة الأولى، تقريباً كما لو أني لم أعرف أبداً إمرأة من قبل. قبلّت كاسي. فيما قبّلتها مررت يدي داخل كل ذلك الشعر الطويل الكثيف.

«هل توّدُ سماع بعض الموسيقى؟»

«لا ، ليس فعلياً».

«كنت تعرف دي دي برونسون، أليس كذلك؟»

«أجل، لقد انفصلنا»

«هل عرفتَ بالذي حصل لها؟»

«كلا»

«بداية خسرتْ وظيفتها، ثم غادرتْ إلى المكسيك. التقت هناك مصارع ثيران متقاعد. أشبعها ضرباً وأذاقها المرّ، وسلبها جنى عمرها، سبعة آلاف دولار».

«المسكينة دي دي. مني أنا إلى هذا»

نهضتْ كاسي. نظرتها وهي تعبر الغرفة. كانت عجيزتها تتأرجح وتومض تحت الفستان الأخضر الضيّق. عادت جالبة أوراقاً للّف وبعض حشيشة الكيف. ثم أعدّت لفافة

«ثم تعرضتْ لحادث سيّارة»

«ما كانت تجيد البتة القيادة. هل تعرفينها جيداً؟»

«لا، لكننا في عالم الفن تصلنا كل الأخبار»

«مجرد أن نحيا إلى أن نموت، هو أشغال شاقة بحد ذاته»

ناولتني كاسي لفافة الحشيشة، وقالت: «تبدو حياتك منظّمة»

«حقاً؟»

«أقصد، أنك لا تسعى إلى الإغواء، أو تحاول أن تعطي انطباعاً قوياً مثلما يفعل بعض الرجال. وتبدو ظريفاً بالطبيعة»

«تعجبني مؤخرتك وشعرك» قلت «وشفتيك وعينيك ونبيذك وبيتك ولفافاتك. إلا أني لست في الواقع منظّما»

«إنك تكتب كثيراً عن النساء»

«أعرف، وأتساءل أحياناً عمّاذا سأكتب بعد ذلك»

«لربما لن يتوقف ذلك»

«لكل شيء نهاية»

«مرّرْ لي هذه اللفافة»

«تفضلي يا كاسي»

أخذتُ نفساً منها ثم قبلتُها شاداً رأسها إلى الخلف بشعرها فرجتُ بقوة شفتيها كانت قبلة مديدة. ثم أفلتّها

«أنت تحب هذا، أليس كذلك؟» سألتني.

«إنه بالنسبة إليّ أكثر خصوصية وإثارة جنسية من النكاح»

«أعتقد أنك محق» قالت.

دخّنا واحتسينا النبيذ طوال ساعات، ثم توجهنا بعدها إلى الفراش رحنا نتبادل القبل ونتداعب كنت نشيطاً ومنتصباً وخرقتها جيداً، لكن بعد عشر دقائق أيقنت أني لن أفلح في بلوغ الذروة. أفرطت في السكر مجدداً بدأت أتعرّق وأتوتر تابعت أنكح لبعض المزيد من الوقت ثم انقلبت عنها

«أن آسف يا كاسي

نظرتُ رأسها وهو ينزل إلى عضوي كان لا يزال منتصباً بدأت تلحسه قفز الكلب إلى أعلى الفراش فركلته لاشاً إياه راقبتُ كاسي وهي تلحس عضوي ضوء القمر انساب عبر النافذة وتمكنت من رؤيته بوضوح أدخلت شفرة قضيبي في فمها وبالكاد قضمته

برفق. وفجأة ابتلعته بأكمله وعملت ببراعة لاحسة بلسانها طلوعاً ونزولاً على طول قضيبي فيما هي تمصّه. كان ذلك مجيداً

مددتُ ذراعي وأمسكتُ شعرها بيد واحدة ورفعته عالياً، أبقيته عالياً فوق رأسها كل ذلك الشعر، فيما كانت تمص قضيبي. دام ذلك وقتاً طويلاً، ولكن في النهاية شعرت أني على وشك بلوغ النشوة. أحسّتْ هي بذلك أيضاً وضاعفتْ مجهوداتها بدأتُ أصدْر تأوهات، واستطعت وبشكل متوازٍ سماع أنّات الكلب الضخم القابع على السجادة. أعجبني ذلك. ضبطت نفسي طوال ما استطعت لإطالة المتعة. وبعدئذٍ وما فتئت ممسكاً ومداعباً شعرها، تدفق منيي في فمها

حين استفقت في الصباح التالي، كانت كاسي ترتدي ملابسها

«لا بأس» قالت «يمكنك أن تبقى، فقط تأكد من أقفالك الباب حين تغادر»

«موافق»

بعدما غادرتْ أخذت دشاً ثم عثرت على قنينة بيرة في البرّاد، شربتها، ودّعتُ إلتون، تأكدتُ من إقفالي الباب، ركبت في الڤولزڤاكن وقدت عائداً إلى المنزل.

* * *

- ٨٩ -

بعد ثلاثة أو أربعة أيام وجدت بطاقتها، واتصلت بديبرا «تعالَ إلى هنا» قالت لي. أرشدني إلى خط السير للوصول إلى «بلايا ديل راي» وتوجهت بالسيّارة. كان لديها منزل صغير مستأجر مع فناء أمامي. تقدمت بالسيّارة داخل الفناء الأمامي، خرجتُ من السيّارة وطرقتُ الباب ثم قرعت الجرس. كان جرساً مزدوج الرنّة. فتحت ديبرا الباب. كانت تماماً كما استطعت أن أتذكرها، بفمها الهائل ذي الشفتين الملطختين بأحمر الشفاه، وقصة شعرها القصيرة، وقرطي أذنيها الفاقعي اللون وعطرها، من غير أن ننسى وبلا انقطاع تقريباً، تلك الابتسامة العريضة.

«آه، أدخل يا هنري»

دخلت. كان ثمة شخص جالس في المنزل، إنما بدا بوضوح أنه مثلّي، لذا لم أنزعج فعلياً من الأمر

«أقدّم لك لاري جاري. إنه يقطن المنزل الخلفي»

تصافحنا وجلست.

«هل لديكِ شيء ما نحتسيه؟».

«آه، هنري!» قالت بدلع.

«باستطاعتي الذهاب وإحضار شيء ما في الواقع كنت نويت أن أفعل، غير أني لم أن أعرف ما الذي ترغبان باحتسائه».

«آه، لدي ما ينبغي».

توجهت ديبرا إلى داخل المطبخ.

«كيف الحال؟» سألت لاري.

«لم أكن على خير ما يرام مؤخراً، إلا أني أتحسّن، إني أعالج نفسي بالتنويم الذاتي المغنطيسي. لقد حقّق لي العجائب».

«هل ترغب في احتساء شيء ما يا لاري؟ «سألته ديبرا من المطبخ.

«آه، لا، شكراً لك.

خرجت ديبرا حاملة كأسين من النبيذ الأحمر كان منزلها مزخرفاً بمغالاة، كان هناك أشياء في كل مكان. أشياء مركومة بلا انتظام وغالية الأثمان، وبدا أن هناك موسيقى روك أندرول منبعثة من شتى الاتجاهات خارجة من مكبرات صوت صغيرة.

«أن لاري يمارس التنويم الذاتي المغنطيسي»

«لقد أخبرني»

«لا يمكنك أن تعرف كم تحسّن نومي. لا يمكنك أن تدرك إلى أي حد تحسنت علاقتي بالآخرين»

«أو هل تنصحُ الجميع بتجربة ذلك؟» سألته ديبرا

«في الواقع من الصعب أن أحزر. لكني بأي حال أعرف أنه نجح معي»

«إني بصدد إقامة حفلة تنكرية يا هنري. سوف يأتي الجميع. لِمَ لا تنضمّ إلينا؟ أي زي تنكري تراه مناسباً له يا لاري؟»

حدّق كلاهما فيّ.

«في الواقع لست أدري» أجاب لاري «حقيقة لا أستطيع أن أحدّد ربما؟ آه، لا لا أعتقد ذلك.

رن جرس الباب «بينغ بونغ» وتوجهت ديبرا لفتحه. كان القادم مثليّاً آخر إنما عاري الصدر. كان يضع على وجهه قناع ذئب يتدلى من فمه لسان مطاطي كبير. بدا نكد المزاج وكئيباً

«فنسنت أعرفّك إلى هنري. هنري أعرّفك إلى فنسنت.

تجاهلني فنسنت كلياً بقي وحسب واقفاً هناك بلسانه المطاطيّ.

«اليوم في العمل كان نهاري فظيعاً لم يعد بإمكاني تحمّل الأمر هناك. أظن أني سأترك العمل».

«ولكن يا فنسنت ما الذي ستفعله بعدئذٍ؟» سألته ديبرا

«لا أدري، إنما بوسعي القيام بالعديد من الأمور. لقد ضقت ذرعاً من لحس مؤخراتهم!».

«ستأتي إلى الحفلة، أليس كذلك يا فنسنت؟»

«بالتأكيد، إني أتحضّر لذلك منذ أيام»

«هل حفظت سطور دورك في المسرحية؟».

«بلى، إنما هذه المرّة أعتقد أنه من الأفضل أن نقدّم المسرحية قبل قيامنا بالألعاب. في المرة الأخيرة كنا جميعاً منهارين كلياً، ولم نستطع أن نعطي المسرحية حقّها»

«موافقة يا فنسنت ستجري الأمور حسبما تقترح».

عندها استدار فنسنت ولسانه وخرجا من الباب.

وقف لاري، «حسناً عليّ أن أغادر أنا أيضاً سعدتُ بلقائِكَ» قال متوجهاً إليّ.

«وأنا كذلك يا لاري».

تصافحنا وسار لاري عبر المطبخ وخرج عبر الباب الخلفي إلى شقته.

«يقدم لي لاري عوناً كبيراً، إنه جار رائع. سرَّني أنك كنت لطيفاً معه»

«طبيعي، بحق الشيطان لقد كان هنا قبلي»

«إننا لا نمارس الجنس معاً».

«ونحن أيضاً».

«أنت تفهم قصدي».

«سأتوجه وأحضر شيئاً لنشرب»

«يا هنري لدي الكثير ومن كل الأنواع. كنت أعرف أنك قادم».

ملأت ديبرا كأسينا مجدداً حدقتُ فيها كانت صبيّة، غير أنها بدت وكأنها خارجة للتو من ثلاثينيات بداية القرن. كانت تلبس تنورة سوداء تصل إلى متوسط ما بين ركبتها ورسغها، وحذاء أسود عالي الكعب، وبلوزة بيضاء بياقة عالية وعقداً وأقراطاً وأساور وأحمر شفاه كثيف على شفتيها وتضع عطراً كان جسمها جيد البنيان، ثديان وردفان ممتازان كانت تؤرجحهما وهي تمشي. لم تكن تتوقف على إضرام السجائر الواحدة تلو الأخرى، انتشرت الأعقاب الملطخة بأحمر الشفاه في كل مكان. أحسست بقناعة كليّة أني عدت إلى فترة مراهقتي. لم تكن حتى ترتدي جوارب لصوقة من النايلون، وبين الحين والآخر كانت تشد بقوة جوربيها القطنين

الطويلين كاشفة القليل من ساقيها، وبالكاد ركبتيها كانت تنتمي إلى ذلك الصنف من الفتيات اللواتي عشقهن آباؤنا

أخبرتني عن عملها، كان يتعلّق بالوثائق القضائية والمحامين. كان يسبب لها الجنون، غير أنه كان يؤمن لها مدخولاً طيباً

«أحياناً أوّجه لمعاوني كلمات نابية، غير أني أعود وأتمالك نفسي ويسامحني. لا يمكنك أن تتخيل كيف هم أولئك المحامون الملعونون! يريدون كل شيء على الفور ولا يبالون بشأن ما يمكن أن يستغرقه ذلك من وقت للقيام به»

«إن المحامين والأطباء هم أعلى أعضاء المجتمع دخلاً وأكثرهم دلالاً، ويليهم ميكانيكي المرآب الذي يصلح سيّارتك، ويليهم بفارق ضئيل طبيب أسنانك».

صالبت ديبرا ساقيها، فعَلَتْ تنورتها كاشفة ساقيها

«ساقاك رائعتان يا ديبرا، وذواقة في ارتداء الملابس، تذكريني بالفتيات في زمن صبا أمي. أيامذاك حين كانت النسوة نساء»

«إنك محدث لبق يا هنري»

«لا بدّ أنكِ فهمتِ مقصدي، وهذا الأمر يصح خصوصاً في لوس أنجلوس. مرة منذ زمن غير بعيد غادرت المدينة، وعندما عدت أو تدرين كيف أدركت فعلياً إني رجعت؟».

«أوه، لا

«لحظة التقيتُ أول امرأة في الشارع. كانت ترتدي تنورة بمنتهى القصر إلى درجة أنك ترين منفرج سروالها الداخلي. وعبر مقدم سروالها الداخلي، أعذري قولي، في وسعك رؤية شعر عانتها. عندها أدركت أني عدت إلى لوس أنجلوس».

«أين كنتَ حين أبصرت تلك المرأة؟ في شارع ماين ستريت؟»

«أي ماين ستريت بحق الشيطان؟ كان ذلك عند تقاطع شارعي بيفرلي وفيرفاكس»

«هل أعجبك النبيذ؟».

«أجل، وأعجبني أيضاً منزلك، إلى درجة أني قد أنتقل للعيش هنا».

«إن صاحب الملك غيور جداً».

«هل سأثير غيرة أحد آخر؟».

«لا».

«ما السبب؟»

«إن عملي مرهق جداً، ولا رغبة لديّ في العشية سوى في العودة إلى المنزل والاسترخاء. أهوى تزيين شقتي. صديقتي وهي أيضاً تعمل عندي، سأتوجه وأياها صباح الغد إلى متاجر الآثار والفنيّات القديمة. أوهل ترغب في مرافقتنا؟».

«أوهل سأكون موجوداً هنا غداً صباحاً؟»

لم تجب ديبرا صبت لي كأساً أخرى وجلست قربي على الكنبة. ملتُ نحوها وقبّلتها فيما فعلت، رفعتُ تنورتها بضعة سنتيمترات واختلست النظر إلى ساقيها المشدودتين بجوربي النايلون. بدتا مغريتين. حينما انتهينا من تبادل القبل شدّت تنورتها إلى الأسفل من جديد، غير أنه كان تسنى لي الوقت الكافي لحفظهما في ذاكرتي. نهضتْ وتوجهتْ إلى الحمّام. تناهي إلى مسامعي تدفق مياه المرحاض. ثم كان انتظار. كانت لربما تضع المزيد من أحمر الشفاه. انتشلتُ من جيبي محرمتي ومسحتُ فمي.

تلطخت المحرمة بالأحمر هآنذا أحظى أخيراً بكل ما كان حظي به الفتيان في المدرسة الثانوية، الفتيان الذهبيون الأغنياء بملابسهم الفاخرة وسيّاراتهم الجديدة، وأنا بملابسي العتيقة القذرة ودرّاجتي الهوائية المحطّمة.

خرجتْ ديبرا جلستْ وأشعلت سيجارة.

بادرتها «هيا بنا نتضاجع»

دخلت ديبرا إلى حجرة النوم. كان ثمة نصف قنينة من النبيذ متروكة على الكومودينة. سكبت لي كأساً وأشعلتُ واحدة من سجائرها قامت بإيقاف أسطوانة موسيقى الروك. كانت مبادرة لطيفة منها

حلَّ سكون تام. صببت كأساً أخرى، لِمَ لا أنتقل وأقطن هنا؟ أين سأضعها آلتي الكاتبة؟

«هنري؟»

«ماذا؟».

«أين أنت؟».

«إنتظري لحظة، سأنهي كأسي وأجيء إليكِ».

«حسناً»

أنهيت كأسي ثم سكبت فيه ما كان تبقى في الزجاجة. كانت من نوع «بلايا ديل راي»، تعرّيت مخلفاً ملابسي كوماً خبيصاً فوق الأريكة. لم أكن يوماً لبيّساً متأنقاً، كانت قمصاني جميعها باهتة الألوان، ومنكمشة، عمرها خمس أو ست سنوات ورثّة، وعلى نحوها كانت بناطيلي. أكره متاجر الألبسة، أكره البائعين، يتصرفون بفوقية لا تطاق، تخالهم يدركون سرّ الحياة، يمتلكون ثقة بالذات

أفتقدها كانت أحذيتي على الدوم قديمة وبالية. كنت أكره أيضاً متاجر الأحذية. ما ابتعت أبداً شيئاً، إلا بعد أن يُستنفد الأسبق كلياً، وهذا يشتمل السيّارات. لم يكن الأمر أني أقتّر، المسألة وحسب أنه ليس باستطاعتي أن أتحمّلَ فكرة أني شارٍ بحاجة إلى بائع، بائع شديد الوسامة ومتحفظ ورفيع المنزلة. إضافة إلى أن كل هذا يحتاج إلى وقت، وقت يكون بوسعك فيه الاستلقاء واحتساء الشراب.

دخلتُ حجرة النوم في سروالي التحتي القصير لا غير كنت أعي تدليّ بطني الأبيض من فوق كلسوني، بيد أني لم أبذل أي جهد لحشره في معدتي. انتصبت عند حافة السرير، أخفضت كلسوني وخلعته. فجأة رغبت بمزيد من الشراب. اعتليت السرير واندسيت تحت الأغطية. واستدرت بعدئذٍ نحو ديبرا، غمرتها بذراعيّ والتحمنا معاً كان فمها مشرعاً، قبّلتها كان فمها مثل فَرْج نديّ. كانت جاهزة، استشعرت ذلك. لن يكون هناك حاجة لمداعبات. تبادلنا القبل وراح لسانها يخفق والجاً وخارجاً من فمي، عضضته بأسناني وأمسكته. ثم انقلبت فوق ديبرا وزلقته في عشّها

أخال إنها كانت الطريقة التي أدارت بها رأسها بعيداً إلى الجانب فيما نكحتها، هي ما أثارني فعلياً مالت برأسها بعيداً وكان يثب فوق الوسادة مع كل خبطة. بين الحين والآخر فيما أدك كنت أدير رأسها نحوي وأقبّل ذلك الفم القاني كالدم. هآنذا أخيراً أفلح. كنت أنكح كل النسوة والفتيات اللواتي كنت أتفرسهن بتوق على أرصِفة لوس أنجلوس في ١٩٣٧، وهي السنة الأخيرة الأسوأ لحقبة الكساد، حين كانت المضاجعة تكلّف دولارين، ولم يكن أحد يملك أي مال (أو أمل) على الإطلاق. توجب عليّ أن أنتظر طويلاً

دوري. تابعت الإيلاج طالعاً نازلاً كمضخة. كانت مضاجعتي ملتهبة وعقيمة! أمسكت مرة أخرى برأس ديبرا وأطبقت على ذلك الفم المشبع بأحمر الشفاه، فيما تدفقت في جوفها، داخل حجابها الحاجز.

* * *

- ٩٠ -

كان النهار التالي يوم سبت وحضّرت لنا ديبرا الإفطار.

«هل سترافقنا في رحلة صيد التحف القديمة اليوم؟».

«بالتأكيد».

«هل أنت متضايق من تأثير شراب البارحة؟».

«لا بأس».

رحنا نأكل بصمت لبعض الوقت وقالت بعدئذٍ «لقد أحببت قراءتك في ملهى «لانسر». كنت ثملاً غير أنك أفلحت»

«أحياناً أخفق».

«متى ستقرأ مجدداً؟».

«أحدهم يتصل بي من كندا أنهم يحاولون الاستحصال على المال الضروري للتكاليف»

«أتقول كندا؟ هل أستطيع مرافقتك؟».

«سوف نرى».

«هل ستمكث هنا الليلة؟».

«أوتريدينني أن أفعل؟»

«أجل»

«إذاً سأبقى».

«رائع.

انتهينا من تناول طعام الإفطار وتوجهت إلى الحمّام فيما راحت ديبرا تغسل الأطباق. دفقتُ مياه المرحاض ومسحتُ مؤخرتي، ثم دفقت المياه من جديد. غسلتُ يديّ وخرجت. كانت ديبرا تقوم بتنظيف المجلى. أمسكتُ بها في الخلف.

قالت «يمكنك استخدام فرشاة أسناني إن شئت»

«أهوَ كريه لهاثي؟».

«يمكن تحمّله»

«هراء».

«بوسعك أيضاً أن تأخذ دشاً إن رغبت. ؟».

«هذا أيضاً ؟».

«توقفْ، يكفي، أن تيسي لن تصل قبل ساعة. ممّا يتيح لنا أن نتحادث بعض الشيء.

توجهتُ وفتحت ماء الاستحمام. ما كنت أهوى الاستحمام سوى في الموتيلات. في الحمّام كان هناك صورة لرجل معلّقة على الجدار. رجل أسمر البشرة طويل الشعر، نموذجي، وله وسامة الوجه الملازمة للحمق الاعتيادي. كان يبتسم لي بأسنانه البيض. رحت أنظّف بالفرشاة ما كان تبقى من أسناني الفاقدة اللون. كانت ديبرا ذكرت لي أن زوجها الأسبق، كان طبيباً نفسانياً

تدوّشت ديبرا بعدما انتهيت أنا صببتُ لي كأساً صغيرة من النبيذ، وقعدت على كرسيّ ناظراً الخارج عبر النافذة المواجهة.

فجأة تذكرت أني نسيت أن أرسل بالبريد إلى زوجتي السابقة مبلغ نفقة إعالة الطفلة. لا ضير، سوف أفعل ذلك نهار الإثنين.

أحسستني خليّ البال في بلايا ديل راي. أمر طيب الخروج من الزقاق المزدحم والقذر حيث أقطن. لم يكن هناك أي ظل، وكانت الشمس تسحقنا من دون هوادة. كنا كلنا مخبولين بطريقة أو بأخرى. حتى الكلاب والقطط كانت مجنونة، والعصافير وباعة الصحف الغلمان والعاهرات.

عندنا في شرقي هوليوود ما كانت الحمّامات تعمل البتة بشكل صحيح، ولم يكن بوسع سمكري صاحب البناية الرخيص الرديء أن يقوم البتة بإصلاحها كنا نرفع عن خزانات المياه أغطيتها ونشغّل يدوياً غاطس المضخة. كانت الصنابير تقطر والصراصير تزحف. والكلاب تغوط في كل مكان، واحتوت الحجابات المنخليّة الموضوعة على النوافذ ثقوباً كبيرة فيها، أفسحتْ مجالاً للبعوض وكل صنوف الحشرات الغريبة الطيّارة.

«بينغ بونغ» قرع الجرس ونهضتُ وفتحتُ الباب. إنها تيسي. كانت في أربعينياتها، قحبة، صهباء بدا جلياً إن شعرها مصبوغ.

«أنت هنري أليس كذلك؟».

«أجل، أن ديبرا في الحمام، رجاء إجلسي».

كانت ترتدي تنورة قصيرة حمراء. فخذاها كانتا بديعتين. ولا بأس كذلك بكاحليها وربلتي ساقيها بدت من الصنف الذي يعشق النكاح. توجهتُ إلى الحمام وطرقت بابه.

«يا ديبرا، لقد وصلت تيسي.

متجر التحف القديمة الأول كان على مبعدة مبنى أو مبنين من

مياه الشاطئ. توجهنا إلى هناك في الفولز ودخلناه. جلت برفقتهما كان كل ما هناك مسعّراً ٨٠٠ دولار و١٥٠٠ دولار ساعات حائط قديمة، كراسي عتيقة، طاولات قديمة. كانت الأسعار مذهلة لا تصدّق. وقف موظفان أو ثلاثة في الأرجاء وفركوا أياديهم. كان واضحاً أنهم يعملون بمعاش زائد عمولة. كان صاحب المتجر بالتأكيد يبتاع هذه الأغراض بأبخس الأثمان من أوروبا، أو جبال أوزارك. سئمت من النظر إلى بطاقات الأسعار الضخمة، قلت للفتاتين إني سأنتظر في السيّارة.

عثرتُ على حانة في الجانب الآخر من الشارع. دخلتها وقعدت. طلبت قنينة من البيرة. كان البار يغصّ بشبّان معظمهم ما دون الخامسة والعشرين من العمر كانوا شقر الشعر ونحيلين، أو سمراً ونحيلين، مرتدين بناطيل فضفاضة وقمصاناً ملائمة بأفضل ما يكون. كانت وجوههم معدمة التعبير مستكينة. لم يكن هناك نسوة. ثمة تلفزيون ضخم شغّال. لم يكن يبعث أي صوت. لم يكن أحد ينظره. لم يكن أحد يتكلّم. أنهيت بيرتي وغادرت.

عثرت على محل لبيع الكحول، وابتعت رزمة ست عبوات من الجعة. عدت إلى السيّارة وقبعت فيها كانت الجعة ممتازة. كانت السيّارة مركونة في بورة خلف متجر التحف. الشارع إلى يساري كان مزدحماً ورحت أراقب الناس المنتظرين بصبر في سيّاراتهم. كان ثمة تقريباً على الدوم رجل وامرأة يحدّقان باستقامة أمامهما، غير متكلّمين. كان الأمر في النهاية بالنسبة للجميع مسألة انتظار. تنتظر وتنتظر، المستشفى، الطبيب، السمكري، المصحّة العقلية، السجن، البابا مَوْت بالذات. مواطنو العالم يلتهمون الطعام ويشاهدون التلفزيون ويقلقون بشأن وظائفهم، أو بطالتهم فيما ينتظرون.

رحت أفكّر بشأن ديبرا وتيسي في متجر التحف القديمة. ما كنت للحق أهوى ديبرا، لكن هآنذا أدخل حياتها فأحسستني متلصصاً معتوهاً

قعدت محتسياً البيرة. كنت على وشك إنهاء العبوة الأخيرة حين أطلّتا أخيراً

«آه يا هنري» بادرتني ديبرا «لقد عثرت لي على أجمل طاولة رخامية الغطاء بمائتي دولار فقط!»

أردفت تيسي «أنها حقاً بديعة!».

ركبتا في السيّارة. ألصقت ديبرا ساقها بساقي وسألتني «أوهل أضجرك كل هذا؟».

أدرت المحرك وقدت متوجهاً إلى متجر كحول وابتعت ٣ أو ٤ قنانٍ من النبيذ وسجائر

يا لتلك العاهرة تيسي في تنورتها الحمراء القصيرة وجواربها النيلون، راودني فيما دفعت لصاحب متجر الكحول. أراهن أنها كانت قد أجهزت أقلّه على دزينة من الرجال الطيبين من غير أن تفكر حتى بذلك. قررت أن مشكلتها كانت «عدم» التفكير، لم تكن تهوى التفكير وثمة لا ضير في ذلك إذ أنه لم يكن هناك أي قوانين أو نظم حيال ذلك. لكن حين ستدرك سن الخمسين خلال بضع سنوات، فسوف تشرع بالتفكير! عندها سوف تصبح إمرأة عنيفة في سوبر ماركت، دافعة بقوة عربة التسوق إلى ظهور الناس وكواحلهم في صفّ الدفع على الصندوق، واضعة نظّارتين قاتمتين، ويكون وجهها منتفخاً وتعساً، وعربتها مليئة بجبن الحلوّم ورقاقات البطاطا، وشرحات لحم الخنزير والبصل الأحمر، وربعية قنينة «جيم بيم».

عدت أعقابي إلى السيّارة وسقنا بها إلى مسكن ديبرا جلست الفتاتان، فتحت قنينة وصببت ثلاث كؤوس.

انبرت ديبرا «يا هنري، سوف أستدعي لاري. سوف يقود بي إلى هناك في شاحنته لجلب الطاولة. سأعفيك من هذه المشقة، ألست سعيداً الآن؟»

«بلى»

«ستمكث تيسي برفقتك»

«جيّد».

«حذار، كونا مؤدبين أنتما الإثنان!»

دخل لاري عبر الباب الخلفي، وسارا هو وديبرا خارجين من البوابة الأمامية. قام هاري بتحمية محرك الشاحنة الصغيرة، وانطلقا بها مغادرين.

قلت «حسناً، صرنا لوحدنا»

ردت تيسي «أجل». جلست ساكنة كلياً ناظرة مباشرة أمامها أنهيت شرابي وتوجهت إلى الحمام لأبول. حين خرجت كانت تيسي ما تزال قاعدة على الكنبة صامتة.

مشيت إلى ما وراء الكنبة. حين وصلت إليها أمسكتها من أسفل ذقنها ورفعت وجهها ضغطت فمي على ثغرها كان رأسها عظيم الضخامة. كانت تضع ماكياجاً أرجوانياً مفروشاً تحت عينيها، ونضحت برائحة كريهة أشبه برائحة عصير الفاكهة المتعفنة، المشمش. تدلّت من كل من أذنيها سلسلة فضيّة رفيعة، وعند ذروة كل منهما علّقت كرة وحيدة. رمزية! فيما تبادلنا القبلات مددت يدي نزولاً داخل بلوزتها عثرت على نهد فكوّبت يدي ممسكاً إياه

وجعلت أدعكه في الاتجاهات. لم تكن ترتدي صديرية. بعدها استويت واقفاً وأخرجت يدي. مشيت حول الكنبة وجلست إلى جانبها، وصببت كأسين.

انبرت قائلة «أنت شديد الجرأة قياساً بابن عاهرة عجوز قبيح مثلك».

«ما رأيك بمضاجعة سريعة قبل أن تعود ديبرا؟».

«لا».

«لا تكرهيني، كنت أحاول وحسب إحياء الجلسة!».

«أظن أنك تجاوزت الحدود. ما فعلته للتو كان بذيئاً وجلياً».

«أحسب أني أفتقد المخيّلة».

«وتزعم أنك كاتب؟»

«أكتب بيد أني عموماً التقط صوراً فوتوغرافية»

«أظن أنك تضاجع النسوة وحسب من أجل أن تكتب عن مضاجعتك إياهن»

«لست أدري».

«أحسب أنك في الواقع تعرف هذا»

«أوكي. أوكي. إنسي الأمر إشربي».

عادت تيسي تحتسي كأسها أنهته ووضعت سيجارتها حدّقت فيّ طارفة بأهداب جفنيها الطويلة الزائفة. كانت مثل ديبرا ذات ثغر كبير مطليّ بأحمر الشفاه. إلا أن ثغر ديبرا كان أحمره أغمق، وما كان يتلألىء مثله. خاصة تيسي كان أحمر زاهياً، وشفتاها لمّاعتين.

فغرت فمها لاعقة على نحو متواصل شفتها السفلى. فجأة أمسكت بي تيسي وانفغر ذلك الثغر فوق فمي. كان ذلك مثيراً، شعرت كما لو أني أتعرض للاغتصاب. شرع قضيبي بالانتصاب. مددت يدي إلى الأسفل فيما كانت تقبّلني، وقلبت تنورتها إلى الخلف، وزلقت يدي إلى أعلى ساقها اليسرى فيما تابعنا تبادل القبل.

بادرتها بعد القبلة «تعالي».

أمسكتها بيدها وقدتها إلى داخل حجرة نوم ديبرا وألقيت بها فوق الفراش، كان غطاء السرير المزخرف موضوعاً فوقه. خلعت حذائي وبنطالي. ثم خلعتُ لها حذاءها قبّلتها قبلة مديدة، ثم رفعت التنورة الحمراء إلى ما فوق وركيها لم تكن ترتدي جوارب نسوية، إنما مجرد جوربين قصيرين من النايلون وسروال تحتي زهري اللون. انتزعت لها سروالها التحتي وكانت تيسي مغمضة عينيها من مكان ما في الجوار تناهي إليّ صوت ستيريو يبث موسيقى سيمفونية. فركت بإصبعي فَرجها سرعان ما تخضّل بظرها وبدأ يتفتّح. خرقته بإصبعي ثم أخرجت الأصبع ورحت أفرك بظرها كانت لذيذة رطبة وممتعة. وطأتها، نخعتها بضع نخعات سريعة ضارية، ثم أبطأتُ الإيقاع. بعدئذٍ اندفعتُ مجدداً بعنف. حدّقتُ في ذلك الوجه الفاسق والساذج ولقد أثارني فعلياً وجعلت أدقّها من دون كلل

فجأة دفعتني تيسي بعيداً عنها «قمْ عني!»

«ماذا؟ ماذا؟».

«لقد سمعت صوت الشاحنة! سوف تطردني! سأفقد وظيفتي!»

«لا، لا، أيتها العاهرة!» زعقت بأعلى صوتي.

اندفعت أنخعها بعنف بلا رحمة، وضغطت شفتيّ على ذلك الفم

الرهيب اللّماع وقذفت في داخلها، يا للروعة. وثبت منزاحاً عنها التقطتْ تيسي فردتي حذاءها وسروالها التحتي وركضت إلى الحمّام. تمسّحتُ بمنديلي وسوّيتُ غطاء الفراش، ونفخّت الوسائد. فيما كنت بصدد إغلاق زمّام بنطالي، فُتِحَ الباب. سرت متوجهاً إلى الحجرة الأمامية.

«يا هنري هلّا تعين لاري في حمل الطاولة؟ إنها ثقيلة».

«بالتأكيد».

«أين تيسي؟»

«أعتقد أنها في الحمّام».

لحقت بديبرا إلى الخارج نحو الشاحنة. زلقنا الطاولة إلى خارج الشاحنة. أمسكناها وحملناها إلى المنزل. حين عدنا إلى الداخل كانت تيسي جالسة على الكنبة تدخن سيجارة.

بادرتنا «لا توقعا البضاعة أيّها الشابان!».

أجبت «مستحيل!».

حملناها إلى داخل حجرة نوم ديبرا، ووضعناها إلى جانب السرير كان لديها طاولة أخرى هناك قامت بنقلها وقفنا بعدها على مقربة، ورحنا نتأمل سطحها الرخامي.

«آه يا هنري. مائتا دولار فقط. هل أعجبتك؟»

«آه، إنها ممتازة يا ديبرا، ممتازة جداً».

توجهت إلى الحمّام، غسلت وجهي، سرّحت شعري ثم أخفضت بنطالي وسروالي التحتي القصير وقمت بسكون بغسل أعضائي. بوّلت، دفقت مياه المرحاض ومشيت عائداً إلى الخارج

سألتهُ «ما رأيك بكأس من النبيذ يا لاري؟».

«آه لا، لكن شكراً .».

بادرته ديبرا «شكراً لعونك يا لاري».

غادر لاري خارجاً من الباب الخلفي.

هتفت ديبرا «آه، أنا بغاية الإثارة!»

جلست تيسي تشرب وتبادلنا الحديث لمدة عشرة أو خمس عشرة دقيقة، ثم انبرت قائلة «يتوجب عليّ المغادرة»

ردت ديبرا «إبقي إن كنت ترغبين»

«لا، لا، يتوجب أن أذهب. ينبغي أن أنظّف شقّتي، لقد أصبحت في فوضى عارمة».

سألتها ديبرا «أتودين تنظيف شقتك؟ اليوم؟ ولديك صديقان لطيفان يشاركانك الشراب؟».

«المسألة أني جالسة هنا منشغلة البال بتلك الفوضى هناك، عاجزة عن الشعور بالراحة. لا تعتبري الأمر ضدّك شخصياً»

«حسناً يا تيسي. إذهبي لا بأس، سنسامحك»

«جيّد يا حبيبتي.

تبادلتا قبلة عند بوابة المدخل وغادرت بعدها تيسي

أمسكتني ديبرا بيدي وقادتني إلى داخل حجرة النوم. رحنا نحدّق في الطاولة ذات السطح الرخامي.

«فعلياً، ما رأيك بها يا هنري؟»

«في الواقع، لقد خسرتُ مائتي دولار في مضمار سباق الخيل وما جلبت بالمقابل ما يمكن أن أعرضه. أعتقد أنه لا بأس بها».

«ستكون هنا إلى جانبنا هذه الليلة فيما نمارس الحب».

«ربما يفترض بي أن أنتصب هنا، وبمقدورك أن تتشاطري الفراش مع الطاولة؟»

«أنت غيران!».

«طبعاً».

عادت ديبرا إلى المطبخ وعادت حاملة بعض الخِرَقْ، وسائلاً ما للتنظيف وشرعت تمسح السطح الرخاميّ.

«أتعرف، ثمة طريقة خاصة لمعالجة الرخام من أجل توكيد عروقه»

خلعت ملابسي وقعدت إلى حافة الفراش في سروالي التحتي القصير ثم تمددت إلى الخلف على الوسادات وفوق غطاء الفراش المزخرف «آه يا لليسوع يا ديبرا، لقد لخبطتُ ترتيب غطاء السرير»

«لا بأس».

توجهتُ وأحضرتُ كأسين من الشراب، وناولت ديبرا إحداهما رحت أتفرّج عليها وهي تقوم بمعالجة الطاولة. ثم التفتت إليّ قائلة: «أتعرف، أنك تملك أجمل ساقين بين كل من رأيت من الرجال قاطبة»

«لا بأس بهما بالنسبة لعجوز مثلي، هه، أليس كذلك يا صغيرتي؟».

«أبداً».

فركتْ مجدداً الطاولة قليلاً، ثم توقفتْ عن ذلك».

«كيف جرت الأمور مع تيسي؟»

«إنها لطيفة. لقد أحببتها بحق».

«إنها فتاة كادحة».

«لا علم لي بهذا الشأن».

«أشعر بالذنب حيال مغادرتها أعتقد أنها أرادت وحسب أن تفسح لحميميتنا، يتوجب أن أتصل بها».

«لِمَ لا؟».

توجهت ديبرا إلى الهاتف، وتحدثت وتيسي طوال فترة غير قصيرة من الوقت. بدأ يحلّ الظلام. ماذا بشأن العشاء؟ كان تضع الهاتف في وسط السرير وجالسة فوق قدميها تملك مؤخرة جذابة. ضحكتْ ديبرا ثم ودّعتها ونظرتْ إليّ.

«تقول تيسي أنك جد لطيف»

توجهتُ لإحضار المزيد من الشراب. حين عدت أعقابي ألفيت التلفزيون الضخم الملّون مشتعلاً جلسنا متلاصقين فوق السرير نشاهد التلفاز. جلسنا ملصقين ظهرينا بالحائط محتسيين الشراب.

«يا هنري» سألتني «هل لديك أي ارتباط يوم عيد الشكر؟».

«أبداً».

«لِمَ لا تمضي يوم عيد الشكر بمعيتي؟ سأهتم أنا بالديك الروميّ وسأدعو صديقين أو ثلاثة»

«موافق. يبدو الأمر مثيراً»

انحنت ديبرا إلى الأمام وأطفأتْ الجهاز. بدت في غاية السعادة. ثم انطفأ الضوء. توجهت ديبرا إلى الحمّام لتخرج من هناك ملتفة بغلالة رقيقة، وسرعان ما اندست إلى جانبي في الفراش. تعانقنا.

انتصب عضوي وجعل لسانها يلج ويخرج من فمي. كان لسانها ثخيناً وساخناً، نزلت برأسي إلى الأسفل. أفسحتُ ما بين شعرات عانتها وزلقت لساني. ثم جعلتُ أخرقها قليلاً بأنفي. كانت متجاوبة. عدت إلى الأعلى، ركبتها وغرزته فيها

رحت أنخع وأنخع. حاولت أن أتخيّل تيسي بتنورتها القصيرة الحمراء. لم يسعفني ذلك. كنت وهبت كل ما لدي لتيسي. تابعت أخرط وأخرط بلا هوادة.

«عذراً حبيبتي لقد أكثرت من الشراب. آه، تحسّسي قلبي!».

وضعت يدها إلى صدري وقالت «إنه يطرق بسرعة».

«أما زلت مدعواً إلى حفلة عيد الشكر؟».

«بالتأكيد يا عزيزي البائس، لا تقلق رجاءً».

قبّلتها متمنياً لها نوماً هنيئاً وانقلبت إلى الناحية الأخرى وحاولت أن أنام.

* * *

- ٩١ -

بعدما غادرتْ ديبرا في صباح اليوم التالي تحمّمت، بعدها حاولت مشاهدة التلفزيون. رحت أجول في الأرجاء عارياً، ولاحظت أنه يمكن مشاهدتي من الشارع عبر النافذة الأمامية. لذا شربت كوباً من عصير الكريب فروت، وارتديت ملابسي. في نهاية الأمر لم يكن هناك أي شيء أفعله سوى العودة إلى شقتي. لعلّه وصلني بعض البريد، لربما رسالة من أحدٍ ما تأكدت من أنها كل الأبواب مقفلة ثم خرجت متوجهاً إلى الڤولزڤاكن. أدرت المحرك وقدت عائداً إلى لوس أنجلوس.

في طريق العودة تذكرت سارا، الفتاة الثالثة التي كنت التقيتها أثناء القراءة الشعرية في «نادي ذي لانسر» الليلي. كنت أملك رقم هاتفها في محفظة جيبي. وصلت إلى المنزل، تغوّطت، ثم إتصلت بها

قلت «مرحبا، أنا شيناسكي، هنري شيناسكي.

«بلى، أتذكرك».

«ماذا تفعلين؟ خطر لي أن أتوجه لرؤيتك»

«يتوجب عليّ أن أكون في مطعمي اليوم. ماذا لو أتيتَ أنتَ هنا؟

«إنه متجر أطعمة صحيّة أليس كذلك؟»،

«بلى، سوف أعد لك سندويشاً صحيّاً ممتازاً».

«آه».

«إني أقفل المتجر عند الرابعة، حاول أن تصل هنا قبل ذلك بقليل».

«حسناً كيف أصل إلى هناك؟».

«أحضر قلماً، وسأعطيك الاتجاهات».

كتبت التوجيهات وقلت لها «نلتقي قرابة الثالثة والنصف».

قرابة الثانية والنصف ركبت في الفولزفاكن. في مكان ما على الطريق الحرّة التبستْ التوجيهات، أو أنه أنا من اختلطت عليه الأمور. أكره بشكل فظيع التوجيهات والأتوسترادات على حد سواء. انحرفت عن الطريق الحرّة وألفيتني في لايكوود. توقفت عند محطة وقود واتصلت بسارا، أجابت «هنا نزل دروب أون»

هتفتُ «اللعنة!».

«ما الخطب؟ تبدو غاضباً».

«أنا في لايكوود! إن تعليماتك خرائية!»

«أتقول لايكوود؟ إنتظر»

«أنا عائد إلى المنزل. أنا بحاجة لاحتساء كأس».

«هدىء من روعك. أريد أن أراك! قل لي في أي شارع أنت في لايكوود، وأقرب تقاطع طرقات إليك».

تركت سماعة الهاتف مدلّاة وتوجهت لأستفهم أين كنت. أعطيت سارا المعلومة وقامت بتوجيهي من جديد.

قالت «سهل جدّ. أريد وعداً منك بأنك ستأتي».

«حسناً».

«وإن تهتَ مجدداً، إتصل بي».

«أعتذر، في الواقع أني أفتقد حسّ الاتجاهات، لطالما قضّت مضجعي كوابيس حول تعرضي للتيه أظن أني أنتمي إلى كوكب آخر».

«لا عليكَ. إتبع وحسب توجيهاتي الجديدة».

عدت إلى السيّارة وكان الأمر هذا المرّة سهلاً سرعان ما وجدتني على أوتوستراد شاطىء المحيط الباسيفيكي باحثاً عن طريق جانبية. وجدتها قادتني إلى منطقة تسوّق «سنوب» للمتنفجين قرب المحيط. قدت السيّارة ببطء ووقعت عيناي فجأة على اللافتة الكبيرة المرسومة يدوياً «نزل دروب أون». كان هناك صور فوتوغرافية وبطاقات صغيرة ملصقة على النافذة. مطعم مأكولات صحية على السراط المستقيم، يا يسوع لم أرغب في الدخول. تقدمت حول البناية عابراً نزل دروب أون متمهلاً انعطفت يميناً ثم مجدداً إلى اليمين. رأيت حانة تُدعى «كراب هافن» أوقفت السيّارة أمامها ودخلت.

كانت الساعة الرابعة إلّا ربعاً ما بعد الظهيرة، ولم يكن هناك أي مقعد شاغر معظم الزبائن كانوا مترعين. وقفت وطلبت كأساً من الفودكا مع السڤن آب. حملتها إلى الهاتف واتصلت بسارا «حسناً، أنا هنري، لقد وصلت»

«لقد رأيتك تعبر في السيّارة مرتين. لا تخف. أين أنت؟»

«في بار «كراب هافن» أحتسي كأساً لن أتأخر بالوصول».

«حسناً. لا تشرب كثيراً».

احتسيت تلك الكأس وواحدة أخرى. وجدت طاولة صغيرة شاغرة وقعدت هناك. فعلياً ما كنت أرغب في الذهاب. بالكاد استطعت أن أذكر شكل سارا

أنهيت كأسي وتوجهت بالسيّارة إلى مطعمها نزلتُ، فتحت الباب المنخليّ ودخلتُ. كانت سارة واقفة خلف المنضدة. رأتني هتفت قائلة: «مرحباً هنري! دقيقة وأكون معك» كانت تحضّر شيئاً ما أربعة أو خمسة شبّان كانوا جالسين أو واقفين في الأرجاء. جلس بعضهم على كنبة، آخرون اقتعدوا الأرضية. كانوا جميعاً في منتصف العشرينات ومتشابهين. كانوا يرتدون شورتات قصيرة للمشي، وجلسوا هناك وحسب صامتين. بين الفينة والأخرى كان يضع أحدهم ساقاً فوق ساق أو يسعل. كانت سارا إمرأة جميلة إلى حد ما، نحيلة، وكانت تجول في الأرجاء برشاقة. ذات مستوى راقٍ. كان شعرها أشقر ضارباً إلى احمرار. بدا الأمر واعداً

بادرتني «سوف نهتمُ بكَ».

أجبتها «حسناً».

كان هناك خزانة كتب تحوي ثلاثة أو أربعة كتب. عثرت على أحد كتب لوركا، وجلستُ متظاهراً بالقراءة. هكذا لا أعود مضطراً أقلّه إلى رؤية أولئك الفتيان في شورتاتهم القصيرة، بدوا وكأنما ما مسّهم أي شيء طوال حياتهم، اعتنتْ بهم أمهاتهم أفضل عناية، كانوا مصانين، تعكس سيماؤهم بريقاً لطيفاً من راحة البال. لم يحدث البتة، أن دخل أي منهم السجن، أو قام بمشقة عمل يدوي، أو نال حتى ضبط مخالفة سير كانت الزمرة بكاملها حلوى قشدة بعسل.

أحضرت لي سارا سندويش طعام صحيّ. «تفضّل، جرّب هذا».

أكلت السندويش فيما استلقى الفتيان في الأرجاء متراخين. فجأة نهض أحدهم وخرج. ثم لحقه واحد آخر. كانت سارا تقوم بترتيبات ما قبل الإغلاق. كان تبقى واحد لا غير. كان تقريباً في الثانية والعشرين من عمره وكان مقتعداً الأرض. بدا بائساً، كان ظهره محنياً كقوس ويضع نظارات ذات إطار أسود سميك. الفيته أشد وحدة وحمقاً من الآخرين. «هاي يا سارا» انبرى قائلاً «تعالي نخرج ونحتسي بعض البيرة الليلة»

«ليس الليلة يا مايك، ما رأيك لو نخرج غداً مساءً؟».

«بالتأكيد يا سارا».

نهض وتوجه نحو المنضدة. وضع قطعة نقود معدنية، وتناول كعكة محلّاة صحيّة. وقف عند المنضدة ملتهماً كعكة الطعام الصحيّ المحلّاة. حين انتهى استدار وخرج.

سألتني سارا «هل كان السندويش شهياً؟»

«أجل لا بأس به».

«هل بإمكانك أن تجلب الطاولة والكراسي من على الرصيف؟».

أدخلت الطاولة والكراسي.

سألتني «ماذا تودّ أن تفعل؟»

«في الواقع أكره الحانات. الهواء فيها منتن. أقول نبتاع كجولاً ونذهب إلى منزلك».

«عظيم. ساعدني في إخراج النفايات».

ساعدتها في حمل النفايات إلى الخارج، وأقفلتْ بعدها المطعم.

«إلحقْ بشاحنتي الصغيرة. أعرف محلًّا يبيع نبيذاً طيّباً بعدها تستطيع أن تتبعني إلى منزلي»

كان لديها ڤان ڤولزڤاكن، وقدتُ في أثرها، كان هناك صورة رجل في ملصق إعلاني على النافذة الخلفية لڤانها، «إبتسم وابتهج» كان ينصحني، وعند أسفل الملصق قرأتُ إسمه، دراير بابا

فتحنا قنينة نبيذ وجلسنا على الأريكة في منزلها أعجبتُ بطريقة فرش بيتها كانت صنعتْ بنفسها كل مفروشاتها، بما في ذلك السرير كانت هناك صور فوتوغرافية لدراير بابا في كل مكان. كان من الهند ومات في ١٩٧١ زاعماً أنه الله.

فيما كنا جالسين أنا وسارا نحتسي أول قنينة نبيذ فُتح الباب، ودخل شاب ذو أسنان ناتئة وشعر طويل ولحية بالغة الطول. انبرت سارا قائلة «هذا رون رفيق سكني».

«مرحباً رون. أترغب في كأس نبيذ؟»

احتسى رون كأساً من النبيذ بمعيتنا بعدها دخلت فتاة بدينة برفقة رجل نحيل حليق الرأس. كانا بيرل وجاك. جلسا ثم دخل شاب آخر كان إسمه جان جون. جلس جان جون. بعدها دخل بات. كان لبات لحية سوداء وشعر طويل. جلس على الأرضية حذاء قدميّ.

بادر قائلاً: «أنا شاعر».

ابتلعت جرعة من النبيذ.

سألني «كيف السبيل لأن ينشر الواحد كتابه؟».

«تسلّمه إلى الناشرين».

«لكني غير معروف»

«الجميع يبدأ مجهولاً».

«أقدّم قراءات ثلاث ليالٍ أسبوعياً وأنا ممثل لذا أقرأ بشكل جيد جداً أحسب لو تابعت بإطراد تقديم القراءات، قد يرغب أحد ما في نشر قصائدي».

«هذا غير مستحيل».

«المشكلة أني حين أقرأ لا أحد يجيء».

«لا أدري ماذا يمكن أن أقول لك»

«سوف أطبع كتابي أنا بنفسي».

«ويتمان فعل هذا».

«هلّا تقرأ بعضاً من قصائدك؟»

«بحق المسيح، لا».

«لِمَ لا؟».

«أرغب وحسب في احتساء الشراب».

«إنك تحكي كثيراً عن احتساء الشراب في كتبك «هل تعتقد إن الشراب ساعدك على الكتابة؟»

«لا، أنا مجرد كحوليّ صار كاتباً كي يتاح لي البقاء في السرير حتى الظهر»

استدرت نحو سارا، «ما كنت أدري أن لديكِ هذا العدد الكبير من الأصدقاء»

«هذا لا يحصل عادة. نادراً ما تكون الحال على هذا النحو»

«لدينا لحسن الحظ الكثير من النبيذ».

قالت: «أنا متأكدة من أنهم سرعان ما سيغادرون».

كان الآخرون يتحدثون. إنساق الحوار وتوقفت عن الاستماع

إليه. طبعتْ فيّ سار انطباعاً طيباً حينما تتحدث كانت تفعل ذلك بفطنة وصرامة. امتلكت ذهناً ثاقباً بيرل وجاك كانا أول من غادر. ثم لحقهما جان جون. بعدها بات الشاعر جلس رون إلى أحد جانبي سارا، وجلست أنا عند الآخر نحن الثلاثة وحسب. سكب رون لنفسه كأساً من النبيذ. ما كان بالوسع أن ألومه، لقد كان رفيق سكنها لم يكن لدي أي أمل في إنهاكه بالانتظار. كان يقطن هناك. صببت لسارا كأساً من النبيذ وبعدها واحدة لي. بعدها انتهيت من إحتسائها بادرتُ سارا ورون قائلاً: «حسناً، أظن أني سأغادر».

«آه لا» ردت سارا «الوقت مبكر جداً ولم تتسنَّ لي الفرصة للتحدث إليك. أرغب في التحدث إليك».

التفتتْ نحو رون قائلة له «أنت تتفهم، أليس كذلك يا رون؟»

«طبعاً».

نهض وسار متوجهاً إلى خلفية المنزل.

«هاي» بادرتها «لا أرغبُ في التسبب بأية مشاكل»

«أية مشاكل؟»

«بينك وبين رفيق سكنك»

«آه، لا شيء بيننا لا جنس، لا شيء. إنه يستأجر الغرفة التي في خلفية المنزل».

«أوه».

تناهت إلى مسامعي نغمات غيتار. ثم صوت غناء مرتفع.

انبرت سارا «إنه رون»

كان يخور مثل خنزير مذبوح. وكان صوته بشعاً إلى درجة أنه لم يكن ثمة حاجة للتعليق.

تابع رون الغناء طوال ساعة كاملة. احتسينا أنا وسارا بعض المزيد من النبيذ. قامت بإشعال بعض الشموع. «تفضل خذ واحدة «بيدي»».

كان سبق وجرّبتُ واحدة. الـ«بيدي» هي سيجارة سمراء بنيّة صغيرة من الهند. كان لها مذاق طيب حرّيف. استدرت نحو سارا وتبادلنا قبلتنا الأولى. كانت بارعة في التقبيل وبدت العشيّة واعدة.

انفتح الباب المنخليّ بغتة وولج الغرفة شاب فتيّ.

«يا باري» هتفت سارا به «لقد انقضى وقت استقبالي الضيوف».

انغلق الباب المنخليّ مدوّياً وغادر باري. توقعتُ مشاكل مستقبلية، كمتوحد كنت عاجزاً عن تحمل الزحمة. لا علاقة لهذا بالغيرة، غير أني ببساطة أكره الناس والحشود في أي مكان، ما عدا أثناء قراءاتي. الناس يسبّبون لي الانحطاط، يتنشقون هوائي فأختنق.

«أيتها البشرية أنتِ مشروع فاشل منذ البداية». كان هذا شعاري.

تبادلنا أنا وسارا مجدداً القبلات. كان كلانا قد أكثر من الشراب. فتحت سارا قنينة أخرى. كانت تتحّمل بشكل جيد النبيذ. ليست لديّ أدنى فكرة عمّا تحدثنا عنه. أفضل ما في سارا أنها قليلاً ما كانت تذكر كتابتي. حين فرغت آخر قنينة، قلت لسارا إني أشد سكراً من أن أستطيع القيادة إلى منزلي

«أوه، بمقدورك أن تنام في سريري، لكن لا جنس»

«لماذا؟».

«لا يُمارس المرء الجنس من دون زواج».

«ألا يمارس المرء؟».

««دراير بابا» لا يؤمن بهذا»

«أحياناً يمكن أن يكون الله مخطئاً».

«يستحيل، أبداً».

«حسناً، فلنذهب إلى الفراش»

رحنا نتبادل القبل في العتمة. كنت بأية حال مهووساً بالتقبيل، ولقد كانت سارا واحدة من أبرع المقبِّلات اللواتي عرفتهن في حياتي. يتوجب عليّ أن أعود بعيداً إلى الوراء إلى ليديا لأجد واحدة تضاهيها بيد أن كل امرأة كانت مختلفة عن الأخرى. كل واحدة تقبّل بأسلوبها الخاص. لعلها ليديا تقوم في هذه اللحظة بتقبيل إبن عاهرة ما، أو أسوأ من هذا تقوم بلثم عضوه، في حين أن كاترين كانت نائمة في أوستن.

أمسكت سارا بقضيبي وجعلت تداعبه وتفركه. ثم ضغطته على فرجها كانت تطيع ربّها «دراير بابا» امتنعت عن التلاعب بفرجها لأني أحسست بأن ذلك يمكن أن يغيظ دراير تبادلنا وحسب القبلات وتابعت تفرك قضيبي على فَرْجِها، لربما على بظرها، ما عرفتُ. انتظرت بأمل أن تقوم بإدخال قضيبي في فرجها، غير أنها تابعتْ وحسب الفرك. بدأت شعيرات عانتها تلهب قضيبي فابتعدت عنها

قلت «عمتِ مساءً يا حبيبتي» ثم استدرت وانقلبت إلى الجهة الأخرى ليصبح ظهري باتجاهها يا حبيبي يا دراير، ردّدت في سريّ، ثمة في هذا الفراش من يؤمن بك أيّما إيمان.

في الصبيحة انغمسنا مجدداً في مسألة الفرك تلك السخيفة وانتهى بنا الأمر تماماً كالسابق. قلت أخيراً تباً لست بحاجة لهذا الصنف من عدم الممارسة.

سألتني سارا «هل ترغب في الاستحمام؟».

«بالتأكيد»

دخلت إلى الحمّام وفتحت صنبور الماء. في وقت ما خلال الليلة كنت ذكرت لسارا أن إحدى نزواتي المجنونة كانت الاستحمام في حوض مياه ساخنة مبخرة، ٣ أو ٤ مرات يومياً أسلوب العلاج بالمياه ذاك القديم العهد.

كان حوض استحمام سارا يستوعب كماً من المياه يفوق ما يتسع له حوضي، وكانت مياهه أكثر سخونة، كان طولي خمسة أقدام وأحد عشر وثلاثة أرباع إنش، ورغم ذلك استطعت أن أتمدد في الحوض. في الأيام الغابرة كانوا يصنعون أحواض استحمام للأباطرة، وليس لموظفي بنوك بطول خمس أقدام.

ولجت الحوض وتمدّدت. كان ذلك بديعاً وقفت بعدها وتفحصت عضوي التعس المسلوخ المفروك بشعر العانة. إنه وقت عصيب يا صديقي العجوز، غير أنك كنت على وشك الفلاح، أحسب أن هذا أفضل من لا شيء، أليس كذلك؟ اقتعدت داخل الحوض وتمدّدت من جديد. رن جرس الهاتف. ثم حل صمت.

فجأة قرعت سارا الباب.

«أدخلي!»

«يا هانك إنها ديبرا».

«ديبرا؟ كيف عرفت إني هنا؟».

«لقد اتصلت بكل مكان. هل ترغب في أن أطلب منها الاتصال لاحقاً؟».

«لا، قولي لها أن تنتظر».

وجدت منشفة كبيرة فلففتها حول خصري. توجهت إلى الحجرة الأخرى. كانت سارا تتحدث إلى ديبرا عبر الهاتف.

«آه، ههوذا

ناولتني سارا سمّاعة الهاتف. «مرحباً يا ديبرا ما الخطب؟».

«يا هانك، أين كنت؟».

«في حوض الاستحمام».

«أتقول في حوض الاستحمام؟»

«أجل»

«أوهل خرجتَ للتو؟»

«أجل»

«ماذا ترتدي؟».

«أضع منشفة حول خصري».

«كيف باستطاعتك أن تبقي المنشفة حول خصرك والتحدث على الهاتف؟»

«هآنذا أفعل ذلك»

«هل جرى أي شيء بينكما؟»

«لا».

«لماذا؟».

«لماذا ماذا؟».

«أعني، لماذا لم تضاجعها؟».

«إسمعي، أتحسبينني لعوباً أفعل أموراً من هذا القبيل؟ أتظنين أن هذا هو جلّ ما أبغيه؟».

«إذاً، لم يحصل أي شيء، أليس كذلك؟»

«أجل».

«ماذا؟».

«أجل لا شيء».

«أين ستذهب بعد أن تغادر من هناك؟»

«إلى منزلي»

«تعال إلى هنا»

«ماذا بشأن قضيّتك القانونية؟»

«كدنا ننتهي منها بمقدور تيسي أن تتولى المسألة».

«ممتاز»

أقفلت السمّاعة.

سألتني سارا «ماذا تنوي أن تفعل؟»

«أنا متوجه إلى عند ديبرا قلت لها أني سوف أصل إلى هناك خلال ٤٥ دقيقة».

«خلت أننا سوف نتناول الغداء معاً أعرف هذا المطعم المكسيكي

«إسمعي، إنها مهتمة بشأني، لا أرى كيف بمقدورنا الجلوس والتحدث فيما نتناول الغداء؟».

«لقد عقدت العزم على تناول الغداء. بمعيّتك».

«يا للجحيم، ومتى ستطعمين زبائنك؟».

«إني أفتح عند الحادية عشرة. ولا تزال الساعة بعد العاشرة»

«حسناً، فلنذهب ونتناول الطعام.

كان مطعماً مكسيكياً داخل منطقة هيبيّة حقيرة في هرموزا بيتش. نماذج لامبالية باهتة. «الموت عند الشاطىء» أغفلْ وحسب كل ما هنالك، تنفسْ، انتعلْ صندلاً وإزعم أنه عالم خارق.

فيما كنا ننتظر طلبيتنا، مدّت سارا يدها وغمست إصبعها في طاس صلصة حارة، وقامت بعدها بمصّ إصبعها ثم أغمسته مجدداً أحنت رأسها فوق الطاس. جعلت جدائل من شعرها السبط تلكز وجهي. لم تتوقف عن إغماس إصبعها في الطاس والمصّ.

«إسمعي» بادرتها بالقول «هناك أشخاص آخرون يرغبون في تناول هذه الصلصة. أنت تثيرين اشمئزازي. توقفي»

«لا، إنهم يعيدون تعبئتها كل مرّة»

أملتُ أنهم يقومون فعلياً بإعادة تعبئتها كل مرّة. ثم وصل الطعام وانحنت سارا وانقضّت عليه مثل حيوان، تماماً مثلما كانت ليديا تفعل انتهينا من تناول الطعام وخرجنا بعدها، وركبت هي في شاحنتها المقفلة، وانطلقتْ متوجهة إلى مطعم الأطعمة الصحيّة

خاصتها، وركبت أنا سيّارتي الڤولز وانطلقت باتجاه بلايا ديل راي. كانت أعطتني توجيهات وعلامات دقيقة. كانت العلامات مربكة غير أني تبعتها ولم أواجه أي متاعب. كان ذلك إلى حد ما مخيّباً، لأنه بدا أنه حينما يزول الضغط والجنون من حياتي اليومية فإنه يغدو قليلاً جداً ما في الوسع الاعتماد عليه.

ركنت السيّارة داخل فناء ديبرا لحظت أحدهم يتحرك وراء الستائر كانت تترقب وصولي. خرجت من الڤولز وحرصتُ على إقفال البابين إذ أن بوليصة تأمين السيّارة كانت انتهت صلاحيتها

صعدت وقرعت جرس منزل ديبرا «بينغ بونغ» فتحتْ البوابة وبدتْ سعيدة برؤتي. لا ضير في هذا، بيد أن أموراً من هذا القبيل كانت تمنع الكاتب من العمل.

* * *

- ٩٢ -

لم أقم بما يستحق الذكر في ما تبقى من الأسبوع، كانت فعاليات لقاء أوكتري لسباقات الدّراجات قد بدأت. توجهتُ إلى مضمار السباقات مرتين أو ثلاث. لم أربح ولم أخسر كتبت قصة قصيرة بذيئة لصالح مجلة جنسية. كتبت عشر أو ١٢ قصيدة، استمنيت، وكنت أتصل كل ليلة بسارا وديبرا ذات ليلة اتصلت بكاسي وردّ على الهاتف رجل ما، وداعاً كاسي.

أمعنت التفكير في الانفصالات، كم أنها شاقة، بيد أنه يحصل فقط عموماً بعد أن تنفصل عن امرأة، أنك تلتقي واحدة أخرى. كان يتوجب عليّ أن أتذوّق النسوة من أجل أن أعرفهن فعلياً، أن ألجهنّ. في مقدوري ابتكار شخصيات الرجال في رأسي لأني كنت واحداً منهم، إنما النساء بالنسبة إليّ كان يستحيل تقريباً أن أتخيلهن من دون أن أعرفهن أولاً لذا كنت أستكشفهن بأفضل مستطاعي. ولقد عثرت على إنسانات فيهن. أنس الكتابة. تصير الكتابة أقل بكثير من العلاقة بالذات إلى أن تنتهي العلاقة، الكتابة ليست سوى البقيّة. ليس من الضروري أن يمتلك الرجل إمرأة كي يشعر أنه موجود حقاً، بقدر مستطاعه، بيد أنه أمر طيب التعرّف إلى بعضهّن. بعدها حين تخفق العلاقة سوف يدرك ماهية الوحدة الحقيقية والجنون، وهكذا سيعرف ما سوف يواجهه حتماً، في النهاية، حين تحل نهايته هو بالذات.

كنت في الواقع عاطفياً بشأن العديد من الأمور، حذاء امرأة تحت السرير، دبوس شعر متروك فوق المزينة، طريقتهن من تلفّظ «أنا ذاهبة لأبول..» شرائط الشعر، التمشي برفقتهن عبر البولفار عند الواحدة والنصف ما بعد الظهيرة، مجرد شخصين سائرين معاً، ليالي احتساء الشراب والتدخين الطويلة، التحادث الجدالات، التفكير في الانتحار، تناول الطعام معاً والإحساس بالغبطة، النكات، نوبات الضحك اللامعلّلة، حدس احتمال معجزات، التواجد في سيّارة مركونة معاً، المقارنة ما بين غراميات سابقة عند الثالثة فجراً، أن تقول لي أني أغطّ في نومي، سماعها وهي تغطّ، الأمهات، البنات، الأبناء، القطط، الكلاب، أحياناً موت ما وأحياناً طلاق ما، ولكن الاستمرار دوماً، ودائماً الفلاح في تجاوز ذلك، قراءة الصحيفة وحيداً في مطعم صغير لبيع السنديوشات، وشعورك بالغثيان لأنها الآن متزوجة من طبيب أسنان بمعدل ذكاء ٩٥، حلبات السباقات، الحدائق العامة، نزهات تناول الطعام في الحدائق، حتى السجون، أصدقاؤها المضجرون، أصدقاؤك المملّون، احتساؤك الشراب، حبوب منع الحمل خاصتها، رقصها، عبثها، عبثك، مضاجعاتك الجانبية، وقيامها بالمثل، نومكما معاً

يتوجب تحاشي إصدار أحكام، غير أنه بفعل الضرورة على المرء أن يختار. ما بين الخير والشر خيار ممتاز نظرياً، غير أنه للاستمرار في العيش يتوجب على المرء أن يختار، بعضهن كن ألطف من الأخريات، بعضهن ببساطة يكن مهتمات بك بشكل أفضل، وأحياناً تكون الفاتنات خارجياً الباردات داخلياً ضروريات لمضاجعات حقيرة خرائية تماماً مثل فيلم حقير خرائي، الأكثر لطافة يضاجعن بشكل أفضل، بالفعل، وحين تظل لبعض الوقت بمعيتهن يبدين جميلات، لأنهن يكن كذلك. خطرت في بالي سارا، لقد

كانت تمتلك ميزة خاصة. لو فقط لم يكن هناك دراير بابا رافعاً شارة «قف» تلك الملعونة.

جاء بعدها عيد مولد سارا في ١١ نوفمبر/تشرين الثاني يوم تذكار المحاربين القدامى. كنا التقينا مرتين من جديد، مرّة في بيتها وأخرى في شقتي. كان جوّ اللقائين ممتعاً وواعداً إلى أقصى الحدود. كانت غريبة الأطوار إنما ذات شخصية مميزة وخلّاقة، كنا مغتبطين. ما عدا في السرير كانت المشاعر ملتهبة. غير أن دراير بابا فرّق ما بيننا كنت بصدد خسارة المعركة بمواجهة الله.

قالت لي «المضاجعة ليست أمراً بذي أهمية استثنائية».

توجهتُ إلى متجر للأطعمة الاستوائية الإكزوتيكية بين جادتي هوليوود بولفار وفاونتين، يدعى «متجر العمة بيتي». الموظفون هناك كانوا أشخاصاً كريهين. شبّان سود صغار وشبّان بيض صغار ذوو ذكاء حاد تحوّل إلى تنفجيّة حادة. كانوا يتبخترون في الأرجاء متجاهلين ومهينين الزبائن. النساء اللواتي يعملن هناك كن مجهدات، حالمات السمات يرتدين وزرات كبيرة فضفاضة، ومطأطئات الرؤوس وكأنما بفعل شعور بليد بالذنب والزبائن كانوا هزيلين شاحبين يتحملّون الإهانات ويعودون من أجل المزيد. لم يحاول الموظفون إثارة غيظي، لذا أتيح لهم البقاء على قيد الحياة.

ابتعت لسارا هدية عيد ميلادها الهدية الأساسية كانت عسلاً ملكياً، وهو يصنع من مخاخ عدد كبير من النحل التي تجمع من مقبرتهم الجماعية بواسطة إبرة. ابتعت سلّة مجدولة وتحوي إلى جانب العسل الملكي، بعض عيدان الطعام الصيني وملح بحري خشن، إضافة إلى رمّانتين (عضويتين) وتفاحتين (عضويتين) وبعض

بذور دوار الشمس. كان العسل الملكي هو الهديّة الأساسية وكلفني ثمناً باهظاً كانت سارا تحدثت عنه قليلاً، وعن رغبتها في الحصول عليه بيد أنها أردفت قائلة، أنها غير قادرة على شرائه.

قدت السيّارة متوجهاً إلى عند سارا كنت جلبت كذلك معي العديد من قناني النبيذ. صراحة كنت أجهزت على إحداها فيما كنت أحلق ذقني. نادراً ما أحلق ذقني، غير أني حلقتها من أجل عيد ميلاد سارا، وكذلك في ليلة ذكرى الهدنة(*) كانت امرأة ممتازة، ذات طباع خلّابة ولسبب غريب كان في الأمكان تفهّم عزوبيتها أعني انطلاقاً من وجهة نظرها هي، لا بدّ أنها تحفظها لرجل صالح. ليس الأمر أني كنت على وجه الدقة رجلاً صالحاً، غير أن رفعة منزلتها الجليّة، كانت ستبدو ممتازة جالسة إلى جانب منزلتي الجليّة إلى طاولة مقهى في باريس، بعدما أكون قد صرت أخيراً شهيراً كانت حبّابة، مثقفة بخفر والأروع من كل شيء، كان ثمة ذلك المزيج البديع من الوميض الأحمر في ذهبي لون شعرها بدا الأمر إلى حد بعيد وكأني كنت أفتش عن لون الشعر ذاك مذ عقود. ولربما أكثر

توقفت عند حانة على أوتوستراد الشاطىء الباسيفيكي، واحتسيت كأساً مضاعفة من الفودكا مع السڤن آب. اعتراني القلق بخصوص سارا تقول إن الجنس هو صنو الزواج وكنت على يقين بأنها مقتنعة كلياً بذلك. كان ثمة بلا أدنى ريب نزعة عزوبية لديها غير أنه في مستطاعي أن أتصوّر أيضاً أنها كانت تتفلّت من ذلك بطرق شتى، وما كنت بالتأكيد أول من فرك عضوه العاري بفَرْجها أظن

(*) ذكرى الهدنة يوم ١١ نوفمبر المعتبر عطلة رسمية في الولايات المتحدة الأميركية إحياءً لذكرى انتهاء الحرب في عاميّ ١٩١٨ و١٩٤٥. (المترجم)

أنها مشوّشة بقدر ما هو الجميع. بيد أن واقع مجاراتي لها في نزواتها، كان بمثابة لغز بالنسبة إليّ. ما كنت حتى أود بخاصة أن أمتلكها لم أكن أوافقها على أفكارها، غير أنها كانت بمطلق الأحوال تروق لي. لربما كنت أمسي كسولاً لربما سئمت من الجنس، لربما هآنذا أخيراً أهرم. ميلاد سعيد يا سارا.

وصلت بسيّارتي إلى أمام منزلها، وحملتُ سلّة المأكولات الصحيّة. كانت في المطبخ. قعدت محتضناً السلّة وقناني النبيذ.

«أنا هنا يا سارا!»

خرجتْ من المطبخ. كان روني قد غادر غير أنها رفعت صوت جهاز الستريو خاصته بكامل طاقته، لطالما كرهت الستيريوهات. حين تسكن أحياء فقيرة تسمع بلا توقف أصوات الجيران بما في ذلك مضاجعاتهم، بيد أن أبغض الأمور قاطبة هو أن تكون مجبراً على الاستماع إلى موسيقاهم الراعدة، وكل ما فيها من قيء طوال ساعات. إضافة إلى هذا كانوا عادة يشرّعون نوافذهم واثقين من أنك أنت أيضاً سوف يروقك ما يروقهم.

كانت سارا قد وضعت أسطوانة لجودي غارلند. كنت معجباً بجودي غارلند، إلى حد ما وخاصة بحفلتها تلك في الميتروبوليتان في نيويورك. إلا أنه فجأة ألفيتها زاعقة منشدة صياحاً هراءها العاطفي.

«حباً باللّيسوع يا سارا أخفضي الصوت!»

أخفضت الصوت إنما ليس كثيراً فتحتُ إحدى قناني النبيذ وجلسنا إلى طاولة متواجهين. ألفيتني من غير أن أدرك السبب نزقاً

مدت سارا يدها داخل السلّة وعثرت على العسل الملكي

غمرتها البهجة. انتزعت الغطاء وذاقته. «هذا قويّ جداً» انبرت قائلة «إنه الخلاصة. هل ترغب في تذوّقه؟».

«لا، شكراً».

«إني أعدّ لنا عشاءً».

«ممتاز، لكن كان يجدر أن أدعوكِ للخروج».

«لقد شرعتُ في إعداده».

«لا بأس إذاً»

«لكني بحاجة لبعض الزبدة، ينبغي أن أخرج وأبتاع القليل منها سوف أحتاج كذلك إلى خيار وبندورة للمتجر غداً»

«سوف أحضرها لكِ، إنه عيد ميلادك».

«ألا تبدّل رأيكَ وتتذوق بعض العسل الملكي؟»

«لا شكراً لا بأس».

«ليس بوسعك أن تتخيّل كم استلزم من النحل لملىء هذا المرطبان».

«ميلاد سعيد. سوف أجلب لك الزبدة والأشياء الأخرى».

شربت كأساً أخرى من النبيذ، ركبت في الفولز وتوجهت إلى دكان سمانة صغير. وجدت زبدة غير أن البندورة والخيار كانت ذابلة. دفعت ثمن الزبدة ورحت أجوب مفتشاً عن متجر أكبر عثرت على واحد فابتعت بعض البندورة والخيار وأقفلت عائداً ما أن خطوت في الممرّ الخاص الموصل إلى مسكنها سمعته. كانت قد رفعت مجدداً صوت الستريو حتى ذروته. وفيما سرت مقترباً أكثر فأكثر، بدأت أشعر بالغثيان، انشدّتْ أوتار أعصابي إلى أقصى الحدود، ثم انفلتتْ. دخلت المنزل حاملاً بيدي كيس الزبدة لا

غير، تركت البندورة والخيار في السيّارة. لست أدري ما هي الأسطوانة التي كانت وضعتها، كانت صاخبة إلى درجة أني لم أستطع أن أميّز صوتاً عن الآخر أطلّت سارا من المطبخ وزعقتُ بها «اللعنة عليكِ».

سألتْ سارا «ما الخطب؟».

«لا أستطيع أن أسمع!» صرخت مجيباً

«ماذا؟».

تابعت زاعقاً «أنك ترفعين عالياً صوت ذلك الستريو اللعين! ألا تفهمين؟».

«ماذا؟».

صرخت «أنا مغادر!»

«لا!».

استدرتُ، دفعتُ إلى الخارج بعنف الباب المنخليّ. توجهت إلى الفولزفاكن وأبصرت كيس البندورة والخيار الذي كنت نسيته. تناولته وعدت أدراجي صاعداً الممرّ التقينا

دفعت بالكيس إليها «خذي».

ثم استدرتُ مبتعداً، وزعقت بي «يا إبن العاهرة العفن المعفن!»

قذفتني بالكيس، فأصابني وسط ظهري. استدارتْ وفرّتْ هاربة إلى داخل المنزل. رحت أتأمل حبّات البندورة والخيار المبعثرة على الأرض تحت ضوء القمر. خامرني لوهلة القيام بالتقاطها ثم استدرتُ وغادرت.

* * *

- ٩٣ -

سوف أقوم بإحياء قراءة شعرية في فانكوفر مقابل خمسمائة دولار، إضافة إلى بدل تذكرة الطيران والإقامة. بارت ماكنتوش ضامن الحفل كان قلقاً بشأن مسألة عبور الحدود. توجب أن أطير إلى سياتل، ليقوم بملاقاتي هناك ونعبر من هناك في سيّارته الحدود معاً ثم بعد انتهاء القراءة سأطير من فانكوفر إلى لوس أنجلوس. لم أفقه في الواقع ماهية كل ذلك، غير أني وافقت.

هآنذا إذاً في الفضاء مجدداً، محتسياً كأس فودكا سفن آب مضاعفة، مسافراً بمعيّة التجار ورجال الأعمال. في حقيبتي الصغيرة وضعت قمصاناً إضافية، ملابس داخلية، جوارب، ثلاثة أو أربعة دواوين شعرية، إضافة إلى نسخ مطبوعة لعشر أو اثنتي عشرة قصيدة جديدة. أيضاً فرشاة أسنان ومعجون أسنان. أمر مثير للسخرية أن تكون مسافراً إلى مكان ما لتقبض أجراً مقابل قراءة الشعر كرهت ذلك. وما استطعت البتة أن أتخطى شعوري بمدى عبثية الأمر تعمل مثل بغل حتى الخمسين من العمر في وظائف حقيرة سخيفة، وإذ فجأة تجدك محلقاً فوق البلاد أشبه بنعرة حاملة بيدها كأساً

كان ماكنتوش في الانتظار في سياتل، وركبنا في سيّارته. كانت رحلة لطيفة، إذ أن أياً منا بالكاد تكلّم. كانت رعاية القراءة الشعرية هذه خاصة، ما كنت أفضّله في الواقع على الرعاية الجامعية للقراءات. من ضمن أمور شتى، ما يعتري الجامعيّون من ذعر إذ

أنهم كانوا يخشون شعراء الطبقة الكادحة، بيد في المقابل كان فضولهم الشديد يدفعهم إلى تمرير أحدهم.

طال انتظارنا عند نقطة الحدود، وسط حشد من مئات السيّارات. رجال الجمارك ما كانوا مستعجلين البتة. بين الفينة والأخرى كانوا يخرجون سيّارة عتيقة من الصّف، لكن عموماً كانوا يسألون وحسب سؤالاً أو سؤالين قبل أن يسمحوا للناس بالعبور. لم أستطع أن أفهم ذعر ماكنتوش حيال الإجراء برمته.

«يا رجل» بادر متنهداً «لقد عبرنا».

لم تكن فانكوفر بعيدة. أوقف ماكنتوش السيّارة أمام فندق. بدا من الخارج جيداً ويقع مباشرة بمحاذاة المياه. استلمنا المفتاح وصعدنا كانت غرفة لطيفة وتحوي براداً، وبمبادرة مشكورة لروح ما طيبة كان هناك بيرة في البراد.

بادرتُه بالقول «هاكَ قنينة».

جلس وراح يمص البيرة.

قال «الشاعر كريلي جاء إلى هنا في العام المنصرم».

«أحقاً؟».

«إنه مركز ثقافي أشبه بتعاونية ذات اكتفاء ذاتي. عندهم مداخيل كبيرة من العضوية فيه. يستأجرون صالة والخ. لقد نفدت كل تذاكر عرضك بالكامل. قال سيلفرز أنه لكان كسب الكثير من المال لو أنه رفع أسعار البطاقات».

«من يكون سيلفرز؟».

«مايرون سيلفرز. أنه أحد المدراء».

ها نحن الآن نلج الجزء المضجر من المسألة.

اقترحَ ماكنتوش «أتود القيام بجولة في المدينة».

«لا، شكراً سوف أتمشى في الأرجاء».

«ألا ترغب في تناول العشاء؟ إنه على حسابنا».

«سندويش وحسب، لست فعلياً جائعاً».

خطر لي أني لو خرجت بمعيته، سوف أستطيع أن أفلت منه حين ننتهي من تناول الطعام. ليس الأمر أنه كان شخصاً سيئاً، مجرد المسألة إن معظم الناس، ما كانوا يثيرون اهتمامي.

عثرنا على مطعم على مبعدة ثلاثة أو أربعة مباني. فانكوفر كانت مدينة شديدة النظافة، ولم تكن وجوه قاطنيها قاسية، كتلك التي لساكني العواصم الكبرى. أعجبني المطعم. بيد أني حين تفحصت لائحة الأسعار، لاحظت أنها أعلى بأربعين بالمئة مما هي عليه حيث أسكن في لوس أنجلوس. التهمت سندويشاً من لحم البقر المشوي وقنينة بيرة أخرى.

أمر طيّب أن تكون خارج الولايات المتحدة الأميركية. كان ثمة فرق حقيقي. النساء بدين أجمل والحياة أكثر هدوءاً وأقل زيفاً أجهزت على السندويش ثم عاد بي ماكنتوش في السيّارة إلى الفندق. تركته في السيّارة وركبت المصعد إلى الأعلى. استحممت وبقيت عارياً وقفت إزاء النافذة وحدقت في الأسفل إلى المياه. غداً مساءً يكون قد انتهى كل شيء، ويصبح مالهم في جيبي، وعند الظهيرة سوف أكون مجدداً في الفضاء. بئس الأمر احتسيت ثلاث أو أربع قناني بيرة إضافية وتوجهت بعدها إلى الفراش وغفوت.

اصطحبوني إلى القراءة الشعرية قبل ساعة من الميعاد. كان هناك

شاب فتيّ يغني في الصالة، كانوا يتحدثون أثناء تقديمه وصلته. تعالى رنين القناني والضحكات، حشد سكران حتى الثمالة، جمهور من الصنف الذي أفضلّه. رحنا نحتسي الكحول خلف الستارة أنا وماكنتوش وسيلفرز إضافة إلى إثنين آخرين.

بادرني سيلفرز قائلاً: «أنت أول شاعر ذكر نستقبله منذ زمن طويل»

«ماذا تعني بهذا؟».

«أعني، سبق واستقبلنا سلسلة طويلة من اللوطيين لا بأس ببعض التغيير».

«أشكرك»

قدّمتُ لهم قراءة ممتازة. عند الختام كنت أمسيت ثملاً والجمهور كذلك. تشاجرنا وتبادلنا الصياح مزمجرين بعض الشيء، لكن بشكل عام كان المحصّلة جيدة. كانوا قد أعطوني الشيك قبل بدء القراءة، وقد ساعد هذا في تحسين إلقائي بعض الشيء.

أقيمَ بعد القراءة حفلٌ في منزل كبير بعد ساعة أو اثنتين ألفيتني محشوراً بين حسناوين. إحداهما كانت شقراء وبدت وكأنها منحوتة من العاج بعينين ساحرتين وجسد رائع. كانت بصحبة حبيبها

«يا شيناسكي» بادرتني بعد وقت وجيز، «سوف أذهب برفقتك».

«مهلك» أجبتها «إنكِ برفقة حبيبك».

«آه اللعنة» ردت «إنه نكرة! أنا ذاهبة بمعيّتك!»

التفتُ إلى ناحية الفتى. كانت الدموع تطفر من عينيه. ألفيته يرتعش. كان مغرماً التعس.

الفتاة الجالسة إلى جنبي الآخر كان لها شعر داكن. كان جسدها كمثل الأخرى رائعاً غير أن قسماتها لم تضاهها فتنة.

قالت «تعالَ معي»

«ماذا؟»

«قلتُ خذني معكَ».

«لحظة، تمهلي».

استدرت مجدداً نحو الشقراء. «إسمعي أنت فاتنة لكنني لا أستطيع الخروج معك. لا أريد أن أسبّب الأذيّة لرفيقك»

«اللعنة على إبن العاهرة هذا إنه قذارة»

شدتني الحسناء ذات الشعر الداكن من ذراعي «خذني معك حالاً وإلا سأغادرْ»

«حسناً أجبتها هيا بنا»

عثرت على ماكنتوش. بدا ضجراً أعتقد أنه ما كان يهوى الحفلات.

«تعال يا ماك، عدْ بنا إلى الفندق»

احتسيت المزيد من الجعة ـ الحسناء السمراء أخبرتني أن اسمها كان أيريس دوراتي، وأنها كانت نصف هندية كانت مارست مهنة رقص البطن(*) وقفتْ وجعلتْ تهز بطنها، لا بأس بها على الإطلاق.

(*) رقص البطن: الرقص العربي (المترجم).

«يتوجب ارتداء بذلة مناسبة من أجل إدراك التأثير الكامل».

«لا، لستِ بحاجة لذلك».

«أقصد أني أنا بحاجة لواحدة، من أجل أن تبدو الرقصة مثيرة. هذا ضروري».

بدت ملامحها هندية. أنفها هندي وكذلك ثغرها. بدت في الثالثة والعشرين من العمر تقريباً وكانت عيناها بلون بني داكن. تتحدث بهدوء وتمتلك ذلك الجسد البديع. كانت قرأت ثلاثة أو أربع كتب من مؤلفاتي. منتهى العظمة.

تابعنا احتساء الكحول طوال ساعة أخرى وتوجهنا إلى الفراش. طفقت ألتهم عشّها، لكن حين نكحتها ألفيتني أطرق وأخرق بلا طائل خسارة.

عند الصباح. نظفت أسناني بالفرشاة، غسلت وجهي بمياه باردة وعدت أدراجي إلى الفراش. جعلت أداعب فَرْجها، أضحى رطباً وانتصب عضوي أنا بدوري. ركبتها وزلقته فيها، مفكراً في كل ذلك الجسد، روعة ذلك الجسد الفتيّ البديع. تلقّت كل ما توجب عليّ أن أهبها كانت مضاجعة بديعة. كانت مضاجعة خارقة. بعد ذلك توجهت أيريس إلى الحمّام.

تمددت فوق الفراش مفكراً في كم أنها كانت المضاجعة بديعة. أطلّت أيريس من جديد وولجت مجدداً في الفراش. لم ننبس بحرف. مضت ساعة من الوقت. بعد ذلك قمنا بمعاودة الكرّة.

اغتسلنا وارتدينا ملابسنا، أعطتني عنوانها ورقم هاتفها وبادلتها بالمثل. بدت فعلياً مولعة بي، طرق ماكنتوش الباب بعد ربع ساعة

تقريباً أوصلنا أيريس بالسيّارة إلى تقاطع على مقربة من مكان عملها اتضح أنها تعمل في الواقع نادلة، وأن رقص البطن كان مجرد طموح. قبّلتُها مودعاً خرجتْ من السيّارة، استدارتْ، لوّحتْ بيدها ثم سارت مبتعدة. قبعت أرنو ذلك الجسد وهو يبتعد.

«هوذا انتصار جديد في سجل شيناسكي الحافل».

«لا تبالغ، ليس الأمر بذي أهمية».

«لقد حالفني بعض الحظ أنا كذلك» أردف قائلاً

«أهذا صحيح؟».

«أجل لقد حصلت على شقرائِكَ».

«ماذا؟».

«نعم» قال ضاحكاً «لقد فعلتها»

«أوصلني إلى المطار يا إبن الزنى!»

كنت قد عدت إلى لوس أنجلوس قبل ثلاثة أيام. وعلى موعد مع ديبرا ذلك المساء حين رنّ جرس الهاتف.

«يا هانك، أنا أيريس!»

«أوه، أيريس يا لها من مفاجأة! كيف الحال؟».

«هانك، أنا مسافرة إلى لوس أنجلوس أنا قادمة لرؤيتك!»

«رائع، متى؟».

«سوف أحطّ نهار الأربعاء قبل عيد الشكر».

«أتقولين عيد الشكر؟».

«وبوسعي المكوث حتى نهار الإثنين التالي!».

«ممتاز».

«هل لديكَ قلم؟ سوف أعطيك رَقم رحلتي».

تلك العشية تناولنا ديبرا وأنا طعام العشاء في مطعم فاخر عند شاطىء البحر لم تكن الطاولات متلاصقة وكان اختصاصهم الأطعمة البحرية. طلبنا قنينة نبيذ أبيض في انتظار الطعام. بدت ديبرا في حالة أفضل مما كنت عهدتها مذ بعض الوقت، بيد أنها قالت لي أن عملها غدا فوق طاقة احتمالها كان يتوجب عليها أن توظّف فتاة أخرى. وإنه من الصعب أن تعثر على واحدة كفوءة. بات الناس عموماً حمقى.

«بلى» وافقتها بالقول.

«هل لديكَ أية أخبار عن سارا؟».

«لقد قمت بالإتصال بها تشاجرنا قليلاً عملت بشكل ما على ترقيع الأمور».

«أوهل قابلتها مذ عودتك من كندا؟».

«كلا»

«لقد أوصيت على ديك رومي بزنة ٢٥ رطلاً من أجل عيد الشكر هل تتقن تقطيعه إلى شرائح؟»

«بالتأكيد».

«لا تشرب كثيراً هذه الليلة. أنت تعرف ماذا يحصل حين تسرف في السكر، تصبح كالمعكرونة المائعة»

«كما تشائين».

مدت ديبرا يدها ولمستْ يدي. «أنتَ معكرونتي الحبيبة اللطيفة المائعة».

أحضرتُ وحسب قنينة واحدة من النبيذ لاحتسائها ما بعد العشاء عببناها بتؤدة جالسين على سريرها نشاهد تلفازها العملاق. كان البرنامج الأول رديئاً الثاني كان أفضل منه. يروي قصة منحرف جنسي ومزارع شاب متخلف عقلياً يقوم عالم مجنون بازدراع رأس المنحرف في جسد المزارع الشاب، ويفر هذا الجسد مع رأسيه عبر الأرياف مرتكباً كل أنواع الفظاعات. وألفيتني في مزاج طيّب.

إثر قنينة النبيذ والفتى ذي الرأسين ضاجعت ديبرا، ولمرّة ابتسم لي الحظ على سبيل التغيير أنعمتُ عليها بنكاح سريع مسعور فاخر بتنويعات غير متوقعة، وابتكار قبل أن أقذف أخيراً داخل فَرْجها

عند الصباح طلبت مني ديبرا أن أمكث وأنتظرها حتى ترجع من عملها إلى المنزل. ووعدتْ بأن تعد لي عشاءً شهياً أجبتها «موافق»

حاولت أن أنام بعد مغادرتها غير أني أخفقت. كنت منشغل البال بخصوص عيد الشكر كيف لي أن أعلن لها أني لن أستطيع أن أكون معها نهضت ورحت أذرعت البيت جيئة وذهاباً تحمّمت. لم ينفع أي شيء. قد تبدّل أيريس رأيها، ربما ستتحطم طائرتها، وفي صبيحة يوم الشكر سأستطيع أن أتصل بديبرا لأعلن لها في نهاية الأمر أني سأكون معها

رحت أجوب أرجاء المنزل واضطرابي من سيء إلى أسوأ لربما كان السبب بقائي هنا، عوض ذهابي إلى مسكني. كان الأمر أشبه بإطالة للمعاناة. أي صنف من القذارة أنا؟ في مقدوري بلا أدنى

ريب القيام بألاعيب دنيئة غير معقولة. ماذا كان هدفي؟ أوهل أسعى إلى إلى الانتقام من شيء ما؟ أوهل سأستطيع أن أردد لنفسي باستمرار ذريعة أني أقوم وحسب بإجراء بحث، مجرد دراسة بسيطة للجنس الأنثوي؟ كنت بكل بساطة أتركها الأمور تجري من دون أن أقدّر عواقبها ما كنت أقيم أي اعتبار لأي شيء باستثناء أنانيتي ومتعتي الذاتية الرخيصة. كنت أشبه بفتى ثانوية مدلّل. كنت أسوأ من أي عاهرة، العاهرة تأخذ مالك ولا شيء أكثر إني أعبث بحيوات وأرواح كما لو أنها كانت ألعابي. كيف لي أن أعتبر نفسي رجلاً؟ بأي حق أكتب القصائد؟ بأي معدن سُبكت؟ أنا مركيز دو ساد من الدرجة الثالثة وأفتقد ذكاءه، مطلق مجرم كان أكثر استقامةً وصدقاً مما أنا عليه، أو مغتصب نساء. ما كنت لأرضى بأن يتلاعبوا بروحي، أن يهزأوا بها، يبولوا عليها هذا ما كنت متأكداً منه على أية حال. كنت بحق عديم الفائدة، كان بوسعي الشعور بذلك فيما أروح وأجيء فوق السجّادة، مجرد بضاعة فاسدة. أسوأ ما في الأمر أني كنت أسوِّق نفسي تماماً نقيض ما أنا عليه. رجل صالح. استطعت أن أدخل حياة الناس نتيجة ثقتهم بي. كنت أقوم بأعمالي القذرة من دون أي جهد. كنت أكتب «قصة حب الضبع».

تسمّرتُ في وسط الحجرة مشدوهاً بأفكاري. ألفيتني قاعداً فوق حافة السرير، وكنت غارقاً في البكاء. لمستُ دموعي بأصابعي. كانت دوّامة تعصف بدماغي بيد أني أحسستني سليم العقل. ما استطعت أن أفقه ماذا كان يصيبني.

رفعت سمّاعة الهاتف، وأدرت قرصه متصلاً بسارا في متجر المأكولات الصحيّة خاصتها

سألتها «هل أنت مشغولة؟».

«لا أبداً، لقد فتحت المتجر للتوّ. هل أنت بخير؟ ثمة غرابة في صوتك».

«أنا في الحضيض»

«ما الخطب؟».

«في الواقع وعدت ديبرا بأني سوف أقضي عيد الشكر بمعيّتها أنها تعتمد عليّ. غير أن أمراً ما قد طرأ».

«ماذا؟».

«في الحقيقة لم أخبركَ من قبل. أنت وأنا لم نمارس الجنس بعد، كما تعرفين. الجنس يجعل المسائل مختلفة»

«ما الذي جرى؟».

«التقيت راقصة بطن في كندا».

«فعلاً؟ وأنت واقع في غرامها؟».

«لا، لست مغرماً».

«إنتظر، هوذا زبون يدخل. هل يمكن أن تنتظر؟».

«حسناً

قبعت هناك ملصقاً السمّاعة بأذني. كنت ما زلت عارياً حدّقت نزولاً بعضوي «يا ابن العاهرة القذر!» أوهل تدرك وجع القلب الذي تسبّبه بجوعك الأحمق؟

بقيت قاعداً هناك طوال خمس دقائق ملصقاً السمّاعة بأذني. كانت مخابرة بعيدة باهظة. ستكون الفاتورة على الأقل على نفقة ديبرا.

«ها قد عدتُ» انبرت سارا قائلة «تابع».

«حسناً، كنت دعوت راقصة البطن حين كنت في فانكوفر للقدوم إلى لوس انجلوس يوماً ما لرؤيتي».

«إذاً ما المشكلة؟».

«حسناً، لقد أخبرتك بأني كنت وعدت ديبرا بقضاء يوم عيد الشكر بمعيتها

«لقد وعدتني أنا أيضاً» ردت سارا

«ماذا؟!».

«في الواقع كنتَ سكران. قلتَ ذلك مثل أي أميركي عادي، لم ترغب في قضاء الأعياد وحيداً قبّلتني وسألتني أن نمضي عيد الشكر معاً»

«آسف. لا أذكر

«لا بأس، لحظة.   هوذا زبون آخذ.

وضعت سمّاعة الهاتف وخرجت من الغرفة لأصبّ لي كأساً

فيما دخلت عائداً إلى حجرة النوم أبصرت كرشي المتدلي في المرآة. كان قبيحاً، داعراً أتساءل لأي سبب تتحملني النساء.

رفعت السمّاعة إلى أذني بإحدى يديّ وشربت النبيذ بالأخرى. عادت سارا إلى السمع

«هيّا، تابع».

«حسناً المسألة كما يلي. اتصلت بي راقصة البطن مساء أمس، غير إنها ليست فعلياً راقصة، إنها نادلة في مطعم. قالت لي أنها

ستطير قادمة إلى لوس انجلوس لتقضي ليلة عيد الشكر برفقتي. وبدت سعيدة للغاية».

«كان ينبغي أن تخبرها أن لديك ارتباطاً»

«لم أفعل.

«لم تجروء على القيام بذلك»

«تمتلك أيريس جسداً خلّاباً

«ثمة أمور أخرى في الحياة إلى جانب الأجسام الخلّابة»

«بأية حال، يتوجب عليّ الآن أن أخبر ديبرا أني لن أستطيع قضاء ليلة عيد الشكر برفقتها ولست أدري كيف أفعل ذلك».

«أين أنت الآن؟».

«أنا في سرير ديبرا»

«وأين هي ديبرا؟»

«إنها في عملها»، لم أستطع أن أكبح تنهدة.

«لست سوى ولد بدين بكّاء»

«أعرف. لكن ينبغي أن أخبرها هذا الأمر يثير جنوني»

«لقد أوقعت نفسك في هذه الورطة بنفسك. وسوف يتوجب عليك أن تخرج منها بنفسك»

«خلت أنك سوف تساعديني، ظننت أنك ستنصحيني بماذا ينبغي أن أفعل»

«هل تريدني أن أغيّر لك حفّاضاتك؟ أتريدني أن أتصل بها عوضاً عنك؟».

«لا، لا بأس. أنا رجل سوف أتصل بها بنفسي. سوف أتصل بها على الفور. سوف أقول لها الحقيقة. سأضع حداً لهذه القصّة اللعينة!».

«ممتاز. أطلعني بعدها على التفاصيل».

«في الواقع هذا سببه طفولتي. ما عرفت إطلاقاً ماهية الحب.

«إتصل بي لاحقاً».

أقفلتْ سارا الخط.

صببت لي كأساً أخرى من النبيذ. لم أستطع أن أفقه ما الذي أصاب حياتي. لقد فقدت حنكتي. فقدت صلتي بهذا العالم، لقد فقدت قوقعتي الصلبة الحامية. فقدت حسّ السخرية في مواجهة مشاكل الناس الآخرين. أردتُ استعادتها كلها رغبت في أن تسير أموري بيسر بيد أني أدري بطريقة ما أنها لن تعود، ليس على الفور على الأقل. كان مقدّراً لي أن أتابع غارقاً في إحساسي بالذنب وبدون حماية.

حاولت إقناع نفسي بأن الشعور بالذنب كان مجرد مرض من نوع ما وأنهم الرجال المعدمو الإحساس بالذنب هم من أحدثوا التقدم في الحياة. الرجال الذين كانوا قادرين على الكذب، على الخداع، رجال عرفوا كل القادوميات. كورتيز(*) لم يقم بأية حماقات، ومثله فينس لومباردي(**)، لكن رغم إمعاني في التفكير في الأمر لم

(*) كورتيز هرناندو (١٤٥٨ ـ ١٥٤٧) مستكشف إسباني غزا المكسيك عام ١٥١٩ (المترجم)

(**) فينس لومباردي (١٩١٣ ١٩٧٠) لاعب ومدرّب ركبي أميركي شهير (المترجم)

أستطع أن أفلت من إحساسي بالضيق. قررت أن أتجاوزه، كنت مستعداً كرسيّ الاعتراف، سأصبح كاثوليكياً من جديد. تدخل، تثرثر تخرج ثم تنتظر المغفرة، أنهيت كأس النبيذ واتصلت هاتفياً بمكتب ديبرا

أجابت تيسي «سلام يا حبيبتي! هذا أنا هانك! كيف الأحوال؟».

«كل شيء على ما يرام يا هانك. كيف أحوالك؟».

«بأحسن حال، إسمعي، ما عدتِ غاضبةً مني؟ صح؟»

«لا يا هانك. كان ما حدث بذيئاً بعض الشيء، ها ها ها، لكن مسلياً بأية حال أنه سرّنا الصغير».

«شكراً لك. أتعلمين، أنا لست فعلياً

«أعرف».

«حسناً، إسمعي. أردت أن أتحدث إلى ديبرا هل هي هنا؟».

«لا إنها في المحكمة تدوّن».

«متى سترجع؟»

«إنها تعود عادةً إلى المكتب بعد توجهها إلى المحكمة، في حال فعلت، هل توّد تركَ أي رسالة؟».

«كلا يا تيسي. شكراً لك»

هكذا انتهى الاتصال. عجزت حتى عن تصليح أخطائي. إمساكٌ عن الاعتراف. عجزٌ عن التواصل. كان لدي أعداء نافذون.

احتسيت كأساً أخرى من النبيذ. كنت جاهزاً للاعتراف وكشف كل شيء. وهآنذا عند نقطة الصفر من جديد. تدهورت حالي إلى

الأسوأ الاكتئاب والانتحار غالباً ما يكونا نتيجة حميّة غذائية غير مناسبة. غير أني كنت أتغذى جيداً تذكرت الأيام الخوالي، آن كان قوتي طوال النهار إصبع شوكولاتة يتيم، مرسلاً قصصاً مطبوعة يدوياً إلى مجلتي «أتلانتيك مونثلي» و«هاربرز» كان هاجسي الوحيد هو الطعام. إنْ الجسد لم يقتت، فالعقل أيضاً يموت جوعاً بيد أني الآن على سبيل التغيير آكل كالغول وأشرب النبيذ الفاخر وهذا معناه إن ما كان يراودني من أفكار كان لربما هو الحقيقة بعينها الجميع يخال نفسه مميّزاً، إستثنائياً معفى من الواجبات. حتى الحيزبون التي تقوم بريّ زهرة الجيرانيوم أمام شرفة منزلها الأمامية. خلت نفسي مميّزاً لكوني خرجت من المصانع في سن الخمسين وأصبحت شاعراً خراء طازج. لذا رحت أبول على الجميع، تماماً مثلما بال رؤساء العمّال والمدراء عليّ، حين كنت بائساً كان الأمر سيّان. لم أكن سوى حثالة سكّير مفسود عَفِن صاحب شهرة ثانوية، ضئيلة جداً

تحليلي لم يشفني من غضبي.

رن الهاتف. كانت سارا

«قلت أنك ستتصل بي، ماذا حدث؟»

«لم تكن في المتجر»

«لم تكن هناك!»

«إنها في المحكمة».

«ما الذي تنوي القيام به؟»

«سوف أنتظر. وأخبرها كل شيء».

«عظيم».

«ما كان يجدر أن أورّطك بهذه المسألة».

«لا بأس»

«أرغب في رؤيتكِ مجدداً».

«متى؟ بعد راقصة البطن».

«في الواقع، أجل».

«ألف شكر ولكن لا».

«سأتصل بكِ.

«حسناً، سوف أغسل وأكوي حفّاضاتك. وأجهّزها لك لحين حضورك»

رحت أرشف النبيذ وأنتظر حلّت الساعة الثالثة، الرابعة، الخامسة. أخيراً تذكرت أن أرتدي ملابسي. كنت جالساً ممتشقاً كأسي حين ركنتْ سيّارة ديبرا أمام المنزل. انتظرت. فتحتْ الباب، كانت تحمل كيس بقالة وبدت فاتنة.

«سلام!» بادرتني «كيف حال معكرونتي المائعة؟».

سرت نحوها وضممتها بذراعيّ ورحت أبكي مرتعشاً

«هانك، ما الخطب؟».

أسقطتْ ديبرا كيس البقالة على الأرضية. عشاؤنا أمسكتُ بها وشددتها إليّ كنت أجهش بالبكاء. تدفقت دموعي كالنبيذ. ما استطعت التوقف. كان العظيم الأعظم مني صادقاً، أما الجزء الآخر فقد كان يلوذ فراراً

«هانك. ما الأمر؟».

«لا أستطيع أن أقضي معك ليلة عيد الشكر».

«لماذا؟ لماذا؟ ما المشكلة؟».

«المشكلة هي أني كتلة خراء عملاقة!».

كان إحساسي بالذنب ينخرني من الداخل وأصابني انقباض. وقد ألمني بشكل فظيع.

«ثمة راقصة بطن قادمة في الطائرة من كندا لقضاء ليلة عيد الشكر برفقتي».

«أتقولُ راقصةَ بطن؟»

«أجل»

«هل هي جميلة؟»

«نعم إنها جميلة. أنا آسف، أنا آسف.

دفعتني ديبرا بعيداً عنها

«دعني أرفع البقالة من هنا»

حملت الكيس وتوجهت إلى داخل المطبخ. سمعت باب البراد يفتح وينغلق.

«يا ديبرا» هتفتُ «أنا مغادر».

لم يصدر أي صوت من المطبخ فتحتُ البوابة الأمامية وخرجتُ. دارت الفولزفاكن. أشعلتُ الراديو والمصابيح وقدت عائداً، إلى لوس أنجلوس.

* * *

- ٩٤ -

مساء يوم الأربعاء وجدتني في المطار منتظراً وصول أيريس. جلست هناك محدقاً في النساء. لا واحدة منهن باستثناء واحدة أو اثنتين ضاهت أيريس جمالاً ثمة علّة بي، أني أفكر بالجنس من دون توقف. كل امرأة أراها أتخيلني في السرير أطارحها الغرام. إنه أسلوب ممتع لقضاء وقت الانتظار في المطار. النساء: أحب ألوان ثيابهن، طريقة مشيتهن، القسوة في وجوه بعضهن، وبين الحين والحين الجمال شبه الكامل لوجه آخر كامل الأنثوية وساحر أنهن متفوقات علينا، يخطّطن أفضل بكثير، وهن أكثر تنظيماً وبينما يشاهد الرجال مباريات كرة القدم أو يحتسون الجعة أو يلعبون البولنغ، كانت النسوة في المقابل يفكّرن فينا، مركزات، يدرسن ويقرّرن، إما قبولنا أو نبذنا، أو استبدالنا، قتلنا أو بكل بساطة هجرنا في النهاية بالكاد كان لكل هذا أدنى أهمية، إذ مهما فعلن، ينتهي بنا الأمر وحيدين مجانين.

كنت جلبت لأيريس ولي ديكاً رومياً بزنة ثمانية عشر رطلاً، وكان يذوب الآن فوق المجلى. عيد الشكر يثبت أنك بقيت على قيد الحياة سنة أخرى، مع حروبها والتضخم المالي والبطالة ودخانها الملوّث ورؤسائها كان مناسبة لتجمّع عصابي ضخم للعشائر سكارى صاخبون، جدّات، شقيقات، خالات، أولاد زاعقون، ومشاريع انتحارات. ولا ننسى حالات عسر الهضم. ما كنت

بالاستثناء، كان ثمة ديك رومي بزنة ثمانية عشر رطلاً فوق مجلاي. ديك ميت منتوف، ومنزوع الأحشاء كلياً سوف تقوم أيريس بشيّه لي.

كنت تلقيت رسالة في بريدي خلل ما بعد الظهيرة تلك. أخرجتها من جيبي وعاودت قراءتها كانت قد أرسلت من منطقة بيركلي.

عزيزي السيد شيناسكي

أنت لا تعرفني لكن أنا عاهرة كتكوتة. كنت أخرج مع بحّارة وسائق شاحنة غير أنهم ما منحوني الاكتفاء. أعني إننا نمارس الجنس وبعدئذٍ لا شيء آخر. ثمة لا ماهية لأولاد العواهر هؤلاء. أنا في الثانية والعشرين من العمر ولدي إبنة في الخامسة تدعى آستر. أعيش مع شخص لكن ليس هناك علاقة جنسية بيننا. نعيش معاً وحسب. إنه يدعى ريكس. أرغب في زيارتك. في وسع أمي أن تهتم بآستر. إبعثْ لي رسالة إن كنت ترغبُ بذلك. لقد قرأتُ بعض كتبكَ. من الصعب إيجادها في المكتبات. ما يعجبني في كتاباتك هو أنه من السهل جداً فهمها. وأنك أيضاً طريف.

مع مودتي

تانيا

بعدئذٍ حطّت طائرة أيريس. وقفت قبالة فتحة مزججة ورأيتها تعبر العبّارة. لم تزل فاتنة. لقد عبرت كل هذه المسافة من كندا من أجل أن تراني. كانت تحمل حقيبة سفر يتيمة. لوّحتُ لها بيدي فيما اصطفّت مع الآخرين أمام المدخل كان عليها أن تمر بالجمارك، وبعدها عانقتني تبادلنا القبل ووجدتني مع نصف انتصاب. كانت ترتدي فستاناً، فستاناً أزرق بسيطاً ملتصقاً بجسمها؛ وكعبين عاليين، واعتمرت قبعة صغيرة مردودة إلى أعلى رأسها. كان من النادر أن

ترى امرأة مرتدية فستاناً كل نساء لوس أنجلوس كن يرتدين بناطيل طوال الوقت.

بما أنه لم يكن علينا أن ننتظر حقائبها، توجهنا في السيّارة على الفور إلى منزلي. ركنتها أمام المدخل وعبرنا الفناء سوّية. جلستْ على الأريكة فيما سكبت لها كأساً نظرت أيريس إلى خزانة الكتب التي صنعتها بنفسي.

«هل كتبت كل هذه الكتب؟».

«أجل».

«ما كنت أعرف أنك كتبت هذا العدد الكبير».

«أجل، لقد فعلت»

«كم عددها؟»

«لا أدري، عشرون، خمسة وعشرون.

قبّلتها فيما لففتُ ذراعي حول خصرها وجذبتُها نحوي. يدي الأخرى وضعتها على ركبتها

رنّ الهاتف. نهضتُ وأجبت. «هانك؟» كانت ڤاليري.

«نعم».

«من تكون تلك؟».

«من تكون من؟»

«تلك الفتاة.

«أوه، إنها صديقة من كندا»

«هانك. أنت ونسوتك اللعينات»

«أجل»

«بوبي يود أن يعرف إن كنت و.

«أيريس».

«يريد أن يعرف إن كنت وأيريس ترغبان في القدوم إلى هنا واحتساء كأس معنا».

«ليس الليلة. سأؤجّل الدعوة».

«إنها تمتلك جسداً خارقاً!».

«أعرف».

«حسناً، ربما في الغد».

«ربما

أقفلت السمّاعة وراودني أنها ڤاليري تهوى لربما النسوة أيضاً بأية حال، إنها حرّة.

صببت كأسين أخريين.

سألتني أيريس «كم من النساء لاقيت في المطارات؟».

«ليس بالعدد الذي تتصورينه»

«هل أغفلتَ العدّ؟ مثلما مع كتبكَ؟».

«علم الرياضيات هو أحد نقاط ضعفي»

«هل تحب ملاقاة النساء إلى المطارات؟»

«أجل» لا أذكر أن أيريس كانت ثرثارة إلى هذا الحد.

ضحكت قائلة «يا لك من خنزير!»

«هذه باكورة شجاراتنا هل كانت رحلتك ممتعة؟».

«قعدت إلى جانب مضجر ارتكبت غلطة أني قبلت أن يقدم لي كأساً من الشراب، فصمَّ أذنيّ بالثرثرة طوال الرحلة».

«كان وحسب مهيجاً أنتِ امرأة مثيرة».

«هل هذا كل ما تراه فيّ؟».

«أرى فيك الكثير منها قد أرى أشياء أخرى فيما بعد».

«لماذا ترغب الكثير من النساء؟»

«السبب كان طفولتي، أتفهمين. لا حب، لا عطف، وفي عشرينياتي وثلاثينياتي ما حظيت كذلك بالكثير أحاول أن أعوّض ما فاتني.

«هل ستدري متى تكون استطعت تعويض التأخير؟».

«حسب تقديري، سوف أحتاج بأقل تقدير إلى حياة إضافية».

«يا لك من منافق كبير!».

ضحكتُ «هذا ما يجعلني أكتب».

«سأستحم وأبدل ملابسي».

«كما تشائين».

توجهتُ إلى المطبخ وقلّبتُ الديك الروميّ. فكشف لي عن ساقيه وشعر عانته، وثقبه وفخذيه. كان ممدداً هناك فوق المجلى. لحسن حظّي لم يكن له عينان. حسناً، سوف نحضّر وجبة ما بهذا الشيء. هذه كانت الخطوة التالية. سمعت صوت تدفق مياه المرحاض. إن لم ترغب أيريس شيّه، فسوف أقوم أنا بذلك.

حين كنت فتياً كنت مكتئباً طوال الوقت. غير أن الانتحار لم يعد احتمالاً في حياتي الآن. لم يعد في عمري ما يستأهل القتل. ممتع أن تكون عجوزاً مهما قيل ويقال. أراه منطقياً أنه يتوجب أن يكون الرجل أقلّه في الخمسين من عمره، قبل أن يكون قادراً على الكتابة بأدنى قدر من الوضوح. إن أنت عبرت المزيد والمزيد من الأنهر فسوف تعرف أكثر عن الأنهر، هذا إن استطعت النفاذ من المياه الهائجة والصخور الكامنة. وقد تكون التخوم وعرة أحياناً

خرجت أيريس من الحمّام. ارتدت فستاناً بلون أزرق ليليّ، بدا كأنه من الحرير وكان ضيقاً يبرز ملامح جسمها لم تمتلك البتة مواصفات الفتاة الأميركية العادية، ممّا وهبها جانباً غامضاً في شخصيتها كانت امرأة بكل معنى الكلمة من دون أن تسعى إلى إظهار ذلك بشكل فاضح. النساء الأميركيات قاسيات متطرفات، وغالباً ما ينتهي بهن الأمر بأن يصبحن بمنتهى القباحة نتيجة ذلك. النسوة الأميركيات الأصيلات النادرات المتبقيات تجدهن على الأغلب في تكساس ولويزيانا

ابتسمت لي أيريس. كان تحمل شيئاً ما في كلٍ من يديها رفعت يديها الإثنتين فوق رأسها وبدأت تصدر طقطقات. ثم راحت ترقص أو على الأصح تهتز، بدا وكأن تياراً كهربائياً صعقها وأن مركز روحها كان بطنها كان ذلك رائعاً ونقياً، مطعّماً بالكاد بمقدار ضئيل من الفكاهة. الرقصة برمتها، إذ لم ترفع أنظارها عني البتة، كان لها معناها الخاص، وبعثت حساً لطيفاً حليماً بروعتها

أنهت أيريس وصلتها وصفّقتُ لها، ثم صببت لها كأساً

«لم أعطِ الرقصة حقّها» قالت «أنا بحاجة لزيّ الرقص والموسيقى».

«لقد أعجبتني جداً».

«كنت سأجلب معي شريطاً مسجَّلاً للموسيقى، غير أني فطنت أني لن أجد لديك آلة تسجيل».

«بالضبط. كنت رائعة بأية حال»

وهبتُ أيريس قبلة لطيفة.

سألتها «لِمَ لا تأتين وتسكنين في لوس أنجلوس؟».

«كل جذوري هناك في الشمال الغربي. أحب تلك البلاد. أهلي. أصدقائي، كل عالمي هناك، أتفهمني؟».

«أجل».

«لماذا لا تنتقل أنت إلى فانكوفر، في مقدورك أن تكتب في فانكوفر».

«أحسب أني أستطيع. في مقدوري أن أكتب فوق قمة جبل جليدي».

«في وسعك أن تجرِّب».

«ماذا؟».

«فانكوفر».

«ماذا سيكون رأي والدك؟»

«بشأن ماذا؟»

«نحن».

* * *

- ٩٥ -

يوم عيد الشكر حضّرتْ أيريس الديك الرومي ووضعته في الفرن. مرَّ بنا بوبي وڤاليري لاحتساء بعض الكؤوس، غير أنهما لم يمكثا كان ذلك منعشاً كانت أيريس ارتدتْ فستاناً آخر، مثيراً تماماً كالآخر

«أتعرف» قالت: «لم أحضر معي ما يكفي من الملابس. غداً سنذهب أنا وڤاليري للتسوّق في متجر فريدركس. سوف أجلب حذاء مومس حقيقياً، سوف يعجبك كثيراً».

«بالتأكيد يا أيريس».

توجهتُ إلى الحمّام. كنت أخبأتُ الصورة الفوتوغرافية التي كانت تانيا قد أرسلتها لي في خزينة الأدوية. في الصورة كانت رافعة فستانها إلى الأعلى ولم تكن مرتدية سروالاً تحتياً في وسعي رؤية فَرجِها إنها عاهرة ظريفة. لا شك بذلك.

حين خرجتُ كانت أيريس تقوم بغسل شيء ما في المجلى. أمسكت بها من الخلف، أدرتها نحوي وقبّلتها

قالت لي: «يا لك من كلب هرم مهتاج!».

«سأجعلك هذه الليلة تتألمين يا عزيزتي!»

«أرجوك إفعل!»

شربنا طوال بعد الظهيرة برّمتها، ثم هجمنا على الديك الرومي حوالي الخامسة أو السادسة مساءً. تناولُ الطعام صحّانا من السكر وبعد ساعة من ذلك شرعنا نشرب من جديد. توجهنا إلى السرير في وقت مبكر، حوالي الساعة العاشرة ليلاً كنت بأحسن حال، كنت صاحياً ما يكفي لإنجاز مضاجعة مديدة وفاخرة. في اللحظة التي شرعت فيها بالولوج أدركت أني سأفلح. لم أسعَ بشكل خاص إلى إمتاع أيريس. تابعت وحسب واهباً إياها مضاجعة كلاسيكية من الطراز القديم. كان السرير يصرّ وانقبضت قسماتها، ثم أطلقتْ تنهدات خفيضة. أبطأت إيقاعي قليلاً، ثم استعدت السرعة القصوى وبلغت الذروة. بدا أنها بلغت الذروة معي في الآن نفسه. وبالطبع يستحيل على الرجل أن يعرف يقيناً انقلبت عنها، لطالما اشتهيت اللحم الكندي المجفّف.

في اليوم التالي مرت بنا ڤاليري، وغادرتا معاً هي وأيريس قاصدتين متجر فريدركس. وصل البريد بعيد ساعة تقريباً كان يتضمن رسالة أخرى من تانيا

هنري، عزيزي.

تمشيت في الشارع اليوم، وراح أولئك الشبّان يصفرون لي، عبرتهم من غير أن أنبس بحرف. من لا أطيقهم فعلياً هم عمّال مغسل السيّارات. يتشدّقون بألفاظ ويمدّون ألسنتهم كما لو أنهم يجيدون فعلياً استخدام ألسنتهم. غير أني واثقة من أن لا أَحد منهم يستطيع ذلك. في الوسع أن تحزر ذلك، أنت أدرى.

البارحة ذهبت إلى متجر للملابس لأشتري بنطالاً لريكس. أعطاني ريكس النقود لأفعل ذلك. إنه يعجز عن ابتياع ملابسه الخاصة. أنه يكره وحسب القيام بذلك. وهكذا دخلت متجراً لبيع

الملابس الرجّالية وانتقيت بنطالاً كان هناك موظفان في المتجر، رجلان كهلان كان أحدهما متهكماً فظيعاً. بينما كنت أقوم باختيار البنطال اقترب منّي، أمسك بيدي ووضعها على عضوه الذكري. بادرته بالقول «أهذا كل ما لديك أيها البائس!». قهقه معقباً بنكتة موفقة. عثرت لريكس على بنطال رائع، أخضر مخطط بخيوط رفيعة بيض. يحب ريكس اللون الأخضر. باختصار يبادرني هذا الرجل بالقول «تعالي معي إلى الخلف إلى إحدى حجيرات القياس». أعترف بأنني لطالما افتتنت بالرجال المتهكمين. وهكذا ولجت بمعيته الحجيرة. رآنا الرجل الآخر داخلين. بدأنا العناق وفتح سحابة بنطاله. انتصب عضوه ووضع يدي عليه. تابعنا تبادل القبلات، ورفع ثوبي وحدّق في سروالي التحتي في المرآة. راح يداعب مؤخرتي. غير أن عضوه ما تصلّب البتة، بالكاد قسا، وظل كذلك نصف منتصب. قلت له أنه فاشل. خرج من الحجيرة مدلياً عضوه وأغلق السحابة أمام الرجل الآخر. انفجرا بالضحك. خرجت ودفعت ثمن البنطال. وضعه في كيس. وبادرني ضاحكاً «أخبري زوجك بأنك أخذت بنطاله إلى حجيرة القياس». أجبته «لست سوى لوطيّ حقير». وأردفت «وزميلك ليس سوى لوطيّ حقير أيضاً!» ولقد كانا كذلك فعلياً أصبح معظم الرجال في أيامنا هذه لوطيين، أمسى الأمر فعلياً صعباً على المرأة. كان لي صديقة تزوجت من أحد الرجال، لتفاجأ به يوماً لدى عودتها إلى المنزل في السرير مع رجل آخر. لا عجب أن النسوة مضطرات إلى شراء دلّاكات إهتزازية هذه الأيام. حسناً، أكتب لي.

مع مودتي

تانيا

عزيزتي تانيا

وصلتني رسالتيك وصورتك. هآنذا في منزلي وحيداً في اليوم التالي لعيد الشكر. أعاني من الخُمار، أعجبتني صورتك. هل لديك المزيد؟

«هل قرأتِ سيلين؟ أقصد روايته «رحلة إلى نهاية الليل». بعد هذا الكتاب فقد مهارته وأمسى نزقاً رديء الطباع، وراح ينفث فجوره على ناشريه وقرائه على حد سواء. يا لها من خسارة فادحة. فَقدَ عقله كلياً. أعتقد أنه كان بالتأكيد طبيباً ممتازاً. أو ربما لم يكن. لربما لم يكن مبالياً بذلك. لربما كان يقتل مرضاه. بأية، كان يمكن أن أن يشكّل ذلك موضوعاً جيداً لرواية. العديد من الأطباء يفعلون هذا. يعطونك حبة دواء ويعيدونك مجدداً إلى الشارع. بحاجة إلى المال لتعويض ما كانت كلّفتهم دراستهم. لذا يروحون يكوّمون المرضى في غرف انتظار عياداتهم، ويورّدونهم بلمحة بصر. يزنونك، وضغط دمك، يعطونك حبة دواء ويرمونك في الشارع بحالة أسوأ قد يسلبك طبيب الأسنان مدخرات حياتك، لكنه يفعل عموماً شيئاً ما لأسنانك.

بأية حال ما زلت أكتب، ويبدو أنه سيكون بمقدوري دفع بدل الإيجار. إحدى رسالتيك مثيرة للاهتمام. من هو الذي ألتقط لك صورتك في السروال التحتي؟ صديق حميم بلا ريب. أهو ريكس؟ أترين، هآنذا بدأت أغار! إنها علامة جيدة أليس كذلك؟ لنقل أنه اهتمام، أو انجذاب.

سوف أخفر علبة بريدي. أهناك المزيد من الصور؟

المخلص، أجل، أجل

هنري

انفتح الباب وأطلّت أيريس. نزعتُ الصفحة من الآلة الكاتبة ووضعتها مقلوبة.

«آه، هانك! لقد حظيت بحذاء المومس!».

«عظيم! ممتاز!».

«سوف أنتعله من أجلك. أنا متأكدة من أنك ستعشقه!».

«هيّا بكِ يا حبيبتي!».

توجهتْ أيريس إلى غرفة النوم. تناولتُ رسالتي إلى تانيا وأقحمتها تحت كومة من الأوراق.

خرجت أيريس، كان حذاؤها أحمر قانياً بكعبين عاليين فاسقين. بدت كأنها إحدى أعظم عاهرات التاريخ. ما كان للحذاء عقب، وبانت قدماها من خلال القماش الشفّاف. راحت أيريس تتغندر أمامي. كانت أساساً تملك جسداً ومؤخرة بمنتهى الإثارة، وفي تبخترها بذينك الكعبين العاليين ضاعفت إثارتها عشرة أضعاف. كانت تخلب الألباب. توقفت أيريس ورمقتني بنظرة من فوق كتفها وابتسمت. يا لروعة هذه الأنثى! ما أبصرت البتة بروعة خصرها ومؤخرتها والساقين. نهضت معجلاً وسكبت كأسين. جلست أيريس وشبكت ساقيها عالياً اقتعدت كنبة إلى الجانب الآخر من الغرفة قبالتي. يتوالى حدوثها المعجزات في حياتي. ما كنت أفقه ماهية ذلك.

انتصب قضيبي خافقاً دافعاً بنطالي.

قلت متوجهاً لأيريس «بارعة أنت في إرضاء الرجل»

أنهينا كأسينا، أمسكت يدها واصطحبتها إلى حجرة النوم. رميتها

على الفراش ورفعت ثوبها إلى الأعلى وهجمت على سروالها الداخلي. عَلِقَ سروالها بأحد فردتي الحذاء، علقَ بالكعب العالي. غير أني نجحت في نهاية الأمر بانتزاعه. كان ثوب أيريس ما يزال يغطي وركيها رفعت لها إستها ودفعت ثوبها إلى الأعلى خلفها كانت قد غدت رطبة. أحسست بذلك على أصابعي. كانت أيريس على وجه العموم دوماً رطبة، وتقريباً دائماً جاهزة. لقد كانت بهجة خالصة. كانت ترتدي جوارب طويلة من النايلون برباطين أزرقين ومزينة بورود حمر زلقته في الرطوبة. كانت ساقاها مرفوعتين عالياً جداً، وفيما داعبتها كنت أرى حذاء المومس في قدميها، بكعبيه العاليين الناتئين كخنجرين. كانت أيريس جاهزة لمطيّة أُخرى كلاسيكية على الطراز القديم. ليس الحب إلا لعازفي الغيتار والكاثوليكيين وهواة الشطرنج هذه العاهرة بحذائها الأحمر وجواربها الطويلة تستأهل كلياً العذاب الذي سأكبدها إياه. حاولت أن أشقها، أن أفلعها، نظرتُ إلى ذلك الوجه الغريب الخلاسي، نصف الهندي تحت نور الشمس الخفيف، الذي رشح واهناً خلل ستارة النافذة. كان ذلك أشبه بجريمة قتل. كنت أمتلكها ليس ثمة مفر طفقت أشقّ وأزأر، مكيلاً لها الصفعات وكدت أفلعها إلى قسمين.

فوجئت حينما رأيت أنها استطاعت النهوض مبتسمة والتوجه إلى الحمّام. بدت إلى حد ما سعيدة. كان حذاؤها وقد أفلت من قدميها ممدّداً إلى جانب السرير كان قضيبي لا يزال قاسياً التقّطت إحدى فردتي الحذاء ورحت أفرك بها قضيبي. وهبني ذلك شعوراً بديعاً أعدت بعدها الحذاء إلى مكانه. حين أطلّت أيريس من الحمّام وما تزال مبتسمة فقدت انتصابي.

* * *

- ٩٦ -

ما حدثت أمور مهمة خلال ما تبقى من إقامتها احتسينا الشراب، أكلنا، ومارسنا الجنس. ما جرت بيننا أية شجارات. قمنا بنزهات طويلة في السيّارة على طول الشاطىء، وتناولنا الطعام في مطاعم الأكل البحري. لم أكترث للكتابة. ثمة أوقات من المفضّل خلالها الابتعاد عن الآلة الكاتبة. الكاتب الجيّد يدرك متى يجدر أن لا يكتب. أيّ كان يستطيع الطرق على الآلة الكاتبة. ليس الأمر أني بارع في الكتابة على الآلة الكاتبة، حتى إني كنت ضعيفاً بالتهجية، وما أجدت قواعد اللغة. غير أني أعرف حين لم يكن من المناسب أن أكتب. مثل المضاجعة تماماً عليك أن تريح ربّك بين الحين والآخر. كان لدي صديق يرسل إليّ من وقت لآخر رسائل ويدعى جيمي شانون. كان يبيض ست روايات بالسنة، تحكي كلّها عن سفاح القربى، لا عجب أنه كان يتضوّر جوعاً مشكلتي أنا شخصياً هي أنه ما كان بمستطاعي كبح جماح قضيبي المبجّل، كما الحال بالنسبة إلى قدس كتابتي. كان ذلك يعود إلى أن النسوة يأتين فقط أسراباً، لذا يتوجب أن تلتقط منهن أكثر المستطاع قبل وصول ربّ أحد آخر أحسب أن واقع اعتزالي الكتابة طوال عشرة أعوام، كان أحد أفضل الأمور التي حدثت لي في حياتي (أعتقد أن بعض النقّاد قد يرون أن ذلك كان من أفضل ما حصل للقارىء أيضاً). عشر سنوات من الراحة للطرفين، ماذا يا ترىٰ يمكن أن يحصل أن توقفت عن الشراب لمدة عشر سنوات؟

آن أوان إعادة أيريس دوارتي إلى الطائرة. كانت رحلة صباحية، ما صعّب عليّ المهمة. كنت معتاداً على النهوض من النوم ظهراً، وقد كان ذلك علاجاً ممتازاً لخُماراتي الصباحية، ويتيح لي عيش خمس سنوات إضافية. لم أشعر بأي حزن فيما أوصلتها بسيّارتي إلى مطار لوس أنجلوس الدولي. كان الجنس موفقاً، وضحكنا جيداً أجد من الصعوبة تذكّر أني عرفت في حياتي حقبة أكثر رقيّاً، ما كان أي منّا متطلباً، بيد أن ذلك لا يعني أنه لم تكن هناك مشاعر لحم ميت يضاجع لحماً ميتاً كنت أكره ذلك النوع المنحل، ذلك النوع من الجنس الممارس في لوس أنجلوس وهوليوود وبيلير، وشاطىء لاغونا يتلاقون غرباء، ويفترقون غرباء. جيمنازيوم من الأجساد يستمني أحدها الآخر مجهولة بلا أسماء. غالباً ما يعتبر أولئك المعدمو الأخلاق أنفسهم أكثر حرّية من غيرهم، بيد أنهم يفتقدون عموماً المشاعر أو القدرة على الحب. لذا يصبحون منحلّين. الموتى يضاجعون الموتى. لم يكن هناك أي مجازفة أو فكاهة في لعبتهم. كان مجرد جثة تضاجع جثة، الأخلاقيات مقيّدة، غير أنها متجذرة فعلياً في التجربة الإنسانية منذ قرون عديدة. بعض الأخلاقيات كان غرضها إبقاء الناس عبيداً داخل المصانع، وفي الكنائس ودفعهم إلى إطاعة الدولة. بعض المبادىء الأخلاقية الأخرى كانت ببساطة منطقية. الأمر أشبه بحديقة مليئة بالفاكهة السامة والفاكهة المأكولة، يتوجب أن تعرف إياها تقطف وتأكل، وإياها لا تقرب.

تجربتي مع أيريس كانت مبهجة، ومبعث اكتفاء. إلا أني لم أكن مغرماً بها، ولا هي مغرمة بي. من السهل أن تكون حنوناً، ومن الصعب أن لا تكون. كنت عاطفياً قعدنا داخل الفولزفاكن فوق

منعطف مرآب المطار الأعلى. كان لا يزال لدينا متسع من الوقت. أدرت الراديو. موسيقى براهمز.

سألتها «أو هل سأراك مرة أخرى؟».

«لا أعتقد».

«هل تودين احتساء كأس في البار؟»

«لقد جعلتني مدمنة كحول يا هانك. أشعر بوهن شديد، بالكاد أستطيع المشي».

«هل السبب الكحول وحسب؟».

«كلا»

«إذاً هيا بنا نشرب كأساً».

«الشرب، الشرب، الشرب أهذا كل في استطاعتك أن تفكر فيه؟».

«كلا، غير أنه وسيلة ناجعة للانخراط في الأمكنة، مثل هذا المكان على سبيل المثال».

«هل أنت عاجز عن مواجهة الأمور مباشرة؟».

«أستطيع ذلك غير أني أفضّل أن لا أفعل».

«هذه تهرّبية».

«أوليس كل ما هنالك كذلك، لعب الغولف، النوم، الأكل، المشي، النقاش، الهرولة، التنفس، المضاجعة.

«المضاجعة؟».

«إسمعي، إننا نحكي مثل تلامذة الثانوية. تعالي نوصلك إلى الطائرة».

ساءت الأمور. وددت تقبيلها، بيد أني استشعرت تحفّظها ثمة جدار. أظن أن أيريس كانت مستاءة، وكنت أنا كذلك مستاءً.

«حسناً» بادرتني أخيراً «سوف أبتاع تذكرة الرحلة، وبعدها أحتسي كأساً من الشراب، ثم أرحل للأبد، بمنتهى الهدوء، بلا دموع ولا ألم».

أجبتها «كما تشائين!».

«وهكذا جرى تماماً الأمر».

طريق العودة: بولفار سانشوري باتجاه الشرق، نزولاً نحو شارع كرانشو، ثم طلوعاً إلى الجادة الثامنة وبعدها شارع أرلنغتون وصولاً إلى ويلتون. قررت أن أمرّ وأجلب ملابسي من المصبغة، فانعطفت يميناً عند بولفار بيغرلي، ودخلت الموقف خلف مصبغة سيلفيريت وركنت الڤولزڤاكن. لحظة فعلت ذلك بالذات مرت من أمامي فتاة سوداء في ثوب أحمر تأرجح مؤخرتها كان بمنتهى الروعة، حركة غاية في الروعة. ثم حجبت عني عمارة مرآها كانت مشيتها مذهلة، يبدو وكأنها الحياة تهب بعض النساء فتنة ورشاقة، وتحرم المتبقيات. كانت تملك تلك الفتنة العصيّة عن الوصف.

مشيت فوق الرصيف ورحت أحملق فيها من الخلف. رأيتها تستدير وبدورها تنظر إليّ. ثم توقفتْ وحدّقت فيّ، ناظرة إليّ من فوق كتفها. دخلتُ إلى المصبغة. حين خرجت مع أغراضي ألفيتها منتصبة قرب سيّارتي الڤولز فتحت باب الركّاب ووضعت ملابسي داخل السيّارة. ثم درتُ حول السيّارة متوجهاً إلى باب السائق. انتصبتْ أمامي قاطعة عليّ طريقي. كان عمرها قرابة السابعة والعشرين، ووجهها مستديراً تماماً وفاقد التعبير كنا نقف شبه متلاصقين.

«رأيتك تنظر إليّ. لماذا كنت تنظر إليك؟».

«أعتذر. ما قصدت أي سوء».

«أريد أن أعرف لماذا كنت تنظر كنت في الواقع تحدّق فيّ».

«إسمعي، أنتِ امرأة جميلة. تملكين جسداً رائعاً، رأيتك تعبرين فنظرت، كان ذلك أقوى مني؟»

«هل ترغب في موعد لهذا المساء؟».

«للحقيقة، سيكون هذا بديعاً لكني مرتبط بموعد. إني وسط علاقة»

درتُ من حولها وأدركتُ باب السائق. فتحته ودخلتُ في السيّارة. سارت مبتعدة، وفيما فعلت سمعتها تهمس مرددة «يا لك من حقير أبله».

فتحتُ علبة البريد. لا شيء. كنت بحاجة إلى إعادة تنظيم. كان ينقصني شيء ما أساسي. فتحت البرّاد، لا شيء. خرجت، ركبت في الڤولزڤاكن وقدت متوجهاً إلى متجر «الفيل الأزرق» لبيع الكحول. ابتعت زجاجة سميرنوف وبعض قناني السڤن آب. وفيما قدت عائداً نحو منزلي، أدركت في مكان ما وسط الطريق، أني نسيت ابتياع السجائر

نزلت جنوباً عبر جادة وسترن أڤينيو، انعطفت يساراً عند بولفار هوليوود، ثم يميناً إلى شارع سيرانو كنت أحاول الوصول إلى درغستور «ساف ـ أون» لابتياع سجائر عند تقاطع شارعي سيرانو وسانسيت بالتمام، وقفت حسناء سوداء أخرى، خلاسية تنتعل حذاء بكعب أسود عالٍ، ومرتدية تنورة ميني جوب. وفيما انتصبت هناك

في تلك التنورة القصيرة، كان بمقدوري رؤية أسفل سروالها التحتي الأزرق. بدأتْ تسير فلحقتها بسيّارتي متقدماً بموازاتها تظاهرتْ أنها لم تلحظني.

«هاي، حبيبتي!»

توقفتْ. وجّهتُ السيّارة إلى حافة الرصيف وأوقفتها أقبلتْ نحو السيّارة.

«كيف حالكِ؟» سألتها

«لا بأس».

«هل أنتِ طُعْم؟» سألتها

«ماذا تقصد؟»

«أعني» سألتها «كيف لي أن أعرف إن كنت شرطية أم لا؟».

«كيف لي أن أعرف أنك لست أنتَ شرطياً؟»

«أنظري إلى وجهي. هل أبدو لك شرطياً؟».

«حسناً» أجابت «قدّ السيّارة إلى الزاوية هناك واركنها سوف ألاقيكَ إلى هناك»

انعطفتُ بالسيّارة إلى ركن الشارع أمام مطعم سندويشات «مستر فايموس» فتحتْ باب السيّارة ودخلتْ.

«ما طلبكَ؟» سألتني. كانت في منتصف ثلاثينياتها، وبرزت في وسط ابتسامتها سن كبيرة لمّاعة من الذهب الخالص. لن تصبحَ أبداً مفلسة.

«مصّ قضيبي» أجبتها

«عشرون دولاراً».

«موافق. هيّا بنا».

«إصعدْ بنا غرباً إلى شارع فرانكلين، ثم انعطفْ إلى اليسار، توجه بعدها إلى شارع هارفرد، ثم انعطف يميناً».

حين وصلنا إلى شارع هارفرد لم أجد مكاناً لركن سيّارتي. في نهاية الأمر ركنتها حيث يُمنع الوقوف، وخرجنا من السيّارة.

قالت لي «إتبعني».

كانت بناية شاهقة خَرِبَة. تماماً قبل وصولنا إلى بهوها انعطفتْ يميناً ولحقتُ بها صاعداً دَرجاً إسمنتياً محملقاً في مؤخرتها كان ذلك غريباً، غير أن الجميع يملكون مؤخرات. وقد كان ذلك باعثاً للحزن إلى حد ما بيد أني ما كنت أتوق إلى مؤخرتها تبعتها عبر رواق لنصعد بعدها المزيد من الدرجات الإسمنتية. كنا نسلك ما يشبه سلّم الحريق، عوض استخدام المصعد. ما عرفت إطلاقاً ماذا كان يدفعها إلى القيام بذلك. غير أني كنت بحاجة إلى بعض التمرين، إن كنت أنوي في شيخوختي كتابة روايات ضخمة مثل كنوت هانسون.

وصلنا أخيراً إلى شقتها وأخرجتْ مفتاحَها قبضتُ على يدها

بادرتها «انتظري لحظة»

«ما الخطب؟».

«يرابط لديكِ في الداخل أزعران أسودان ضخمان سوف يشبعاني ضرباً ويسلباني مالي، أليس كذلك؟»

«لا، ليس هناك أحداً في الداخل أتشاطرُ السكن مع صديقة وهي ليست الآن في الشقة. إنها تعمل في سوبرماركت برودواي».

«أعطني المفتاح».

فتحتُ الباب على مهل وركلته مشرّعاً إياه بقدمي. أجلت النظر في الأرجاء. أغلقتْ هي الباب خلفنا

«تعال إلى غرفة النوم» قالت.

«مهلكِ دقيقة.

اقتحمت باب خزانة وأقحمت يدي داخلها متحسساً وراء الملابس. لا شيء.

«ماذا يدور بخلدكَ يا رجل؟».

«لا أريد أية متاعب، أتفهمين!»

«يا إلهي»

هرولتُ والجأ الحمّام وأزحت ستارة الدش، دخلت المطبخ وفتحت الستارة البلاستيكية تحت المجلى، لا شيء هناك سوى سلّة مهملات بلاستيكية قذرة طافحة بالقاذورات. تفحّصتُ حجرة النوم الأخرى والخزانة التي في داخلها فتشتُ تحت السرير المزدوج، مجرد قنينة «ريبل» فارغة. خرجتُ من هناك.

صاحت بي «تعال إلى هنا».

كانت حجرة صغيرة جداً، وعلى الأصح فجوة في الجدار. سرير نقّال مغطى بشراشف متسخة. كانت البطانية مرميّة على الأرضية. حللت سحاب بنطالي وأخرجت عتادي.

بادرتني «عشرون دولاراً».

«هيّا الصقي شفتيك بابن العاهرة هذا! وامتصيه حتى الجفاف!».

«عشرون دولار».

«أعرف السعر. إسحتقيها أفرغي خصيتيّ».

«عشرون دولاراً أولاً

«حقاً؟ إن أعطيتك العشرين دولاراً، ما الذي يضمن لي أنك لن تشرعي بالصراخ مستنجدة بالشرطة؟ كيف لي أن أضمن أن صديقك لاعب كرة السلّة صاحب المترين وعشر سنتمرات، لن يصل مصوباً نحوي مديته الزنبركية؟».

«عشرون دولاراً أولاً ولا تقلق سوف أمصّه. سأمصّه حتى العظم».

«لا أثق بك أيتها العاهرة».

رفعتُ سحّابَ بنطالي وخرجتُ معجلاً نزلتُ هابطاً كل الدرجات الإسمنتية. وصلت إلى الأسفل وقفزت إلى داخل الفولزفاكن وقدتُ عائداً أدراجي إلى منزلي.

شرعت أحتسي الشراب. ببساطة لم يكن يوم سعدي.

رن جرس الهاتف. كان بوبي على الخط. «هل أوصلت أيريس إلى الطائرة؟».

«أجل يا بوبي، وأريد أن أشكرك لأنك أعفيتني من غلاظتك لمرّة على سبيل التغيير».

«إسمع يا هانك، هذا ليس وارداً إلا في رأسك. أنت كهل وتجذب كل هذه الحسناوات الفتيات إليك، لذا تغتاظ حين يحضر شاب فتيّ. تتشنج أعصابك».

«أرتياب.. عدم ثقة بالنفس، صح؟».

«في الواقع.

«عظيم يا بوبي»

«بأية حال، تتساءل ڤاليري ما إن كنت ترغب في القدوم واحتساء كأس؟».

«لِمَ لا».

كان لدى بوبي نوعية رديئة، نوعية بمنتهى الرداءة. رحنا ندخنها ونمررها بيننا لدى بوبي أيضاً العديد من كاسيتات الستريو الجديدة. بما في ذلك شريط مسجل للمغني المفضل لديّ راندي نيومان. شغّلَ كاسيت راندي إنما بصوت معتدل الارتفاع، حسب طلبي.

هكذا رحنا نستمع إلى راندي وندخن، ثم بدأت ڤاليري تؤدي لنا عرضاً للأزياء، كانت تملك دزينة من الأثواب المثيرة كانت ابتاعتها من متجر «فردريكس» إضافة إلى ثلاثين زوجاً من الأحذية معلقة وراء باب الحمّام.

أقبلتْ ڤاليري متبخترة فوق كعبين عاليين بارتفاع خمسة عشر سنتمتراً بالكاد استطاعت المشي. جالت متطاوسة في الغرفة، مترنحة فوق طوّالتيها طفرت مؤخرتها بارزة، وبدت حلمتاها الصغيرتان قاسيتين ونتأتا من تحت بلوزتها الشفافة. لفّ كاحلها خلخال ذهبي رفيع. دوّمتْ ملتفة وواجهتنا، مؤدية بعض الحركات الجنسية الخفيفة.

«يا يسوع» صاح بوبي «آه. يا يسوع!».

أردفت أنا «يا يسوع المسيح، يا أم الله!».

بينما عبرت ڤاليري أمامي مددت ذراعي وأمسكت بمؤخرتها. كنت حيّاً أحسستني بأحسن حال. دخلت ڤاليري الحمّام لتبدّل ثوبها

كل مرة خرجت إلينا ڤاليري مجدداً كانت تبدو أجمل، أكثر جنوناً، أشد جموحاً وإثارة. كان عموم السياق يتقدم باتجاه ذروة ما

شربنا ودخّنا وتابعت ڤاليري استعراض المزيد والمزيد من الأثواب المثيرة. كان عرضاً خارقاً

قعدتْ في حضني والتقطَ لنا بوبي بعض الصور.

تقدّم الليل، فجأة جلتُ النظر في الأرجاء، لم أجد لا ڤاليري ولا بوبي دخلت إلى حجرة النوم فألفيت ڤاليري ممددة على السرير، عارية من كل ملابسها باستثناء كعبيها العاليين المروّسين. كان جسدها صلباً ولدناً

كان بوبي لا يزال مرتدياً ملابسه وكان يمصّ ثديي ڤاليري، متنقلاً من واحد إلى آخر بدت حلمتاها منتصبتين.

رفع بوبي أنظاره باتجاهي، «هاي، أيها العجوز. سمعتك تتبجج ببراعتك في مصّ الفروج. أنظر هنا».

أحنى بوبي رأسه سريعاً وفرّج ساقيّ ڤاليري. شعر عانتها كان طويلاً مجدولاً ومتشابكاً كان بوبي بارعاً إنما افتقد الإلهام.

إنتظر لحظة يا بوبي، أنت تقوم بذلك بشكل خاطىء. دعني أريك»

إنكببت على الفور. بدأت بعيداً من الأسفل ثم صعوداً باتجاهه. بعدئذٍ أدركت المكان المنشود. استجابت ڤاليري، إستجابة بالغة.

لفّت ساقيها حول رأسي وكدت أختنق. تفلطحت أذناي. سحبت رأسي من هناك.

«حسناً ي بوبي، هل استوعبت؟».

لم يردّ بوبي عليّ. استدار وتوجه إلى الحمّام. خلعت حذائي وبنطالي. أهوى التباهي بساقيّ حين أشرب. رفعتْ ڤاليري ذراعيها وجذبتني إلى الفراش. ثم انحنت فوق قضيبي وأدخلته في فمها لم تكن بارعة مقارنة بمعظمهن. وراحت تنفخ على الطريقة التقليدية، ولم تعرف أي شيء سوى ذلك. ظلت تمص لوقت طويل، وشعرت أني لن أدرك الذروة. أزحتُ رأسَها، وضعته على الوسادة وقبّلتها، ثم ولجتها كنت بالكاد خرطّها ثمانية أو عشرة مرات حين سمعت بوبي من خلفي.

«أريدك أن تغادر يا رجل».

«بوبي، ماذا هنالك بربكَ؟».

«أريدك أن تعود إلى بيتكَ».

انسحبت، نهضت، توجهت إلى الغرفة الأمامية وارتديت بنطالي وحذائي.

«هاي، أعصابك يا صغيري». بادرته «ما الخطب؟»

«أريدكَ فقط أن تخرجَ من هنا».

«حسناً، حسناً . ».

سرت عائداً إلى منزلي. بدا وكأن وقتاً مديداً قد مرّ مذ أوصلت أيريس دوارتي إلى طائرتها لا بدّ أنها وصلت إلى فانكوفر الآن. اللعنة. عمتِ مساءً يا أيريس دوارتي.

- ٩٧ -

وصلتني رسالة بالبريد. كانت مرسلة من هوليوود.

عزيزي شيناسكي.

لقد قرأتُ كل كتبك. اني أعمل طابعة على الآلة الكاتبة في مكتب في جادة شيروكي. لقد ألصقت صورتك على جدار المكتب حيث أعمل. إنه ملصق إحدى قراءاتك الشعرية. يسألني الناس «من يكون هذا؟» فأجيبهم «هذا خليلي»، فيردّون «يا إلهي!».

أعرتُ رَبّ عملي مجموعتك القصصية «الوحش ذو القوائم الثلاث»، وقال لي أنها لم تعجبه. قال أنك لا تجيد الكتابة. إعتبر إن كتابتك قذرة رخيصة. كان غاضباً بحق.

بأية حال، تعجبني كتاباتك، وأحب أن ألتقيك. يقولون أني جميلة القوام. أيهّمكَ إلقاءَ نظرة؟

مع الحب

ڤالنسيا.

سجلتْ لي رقمّي هاتف. واحدٌ في عملها واحد في بيتها كانت الساعة حوالي الثانية والنصف بعد الظهر. أدرت قرص الهاتف وطلبت رقم العمل. «نعم» ردّ صوتٌ نسويّ.

«هل ڤالنسيا موجودة؟»

«أنا فالنسيا بالذات».

«معك شيناسكي، وصلتني رسالتك».

«كنت متأكدة من أنك ستتصل».

«صوتك مثير» قلتُ لها

أجابت «أنت كذلك».

سألتها «متى أستطيع أن أراكِ».

«في الواقع أنا حرّة هذه الليلة»

«ممتاز. هل يناسبكِ هذا المساء؟

«موافقة» أجابت «سوف ألقاك بعد انتهاء العمل. نستطيع أن تلتقي في تلك الحانة في جادة كاهوينغا، حانة «فوكسهول» هل تعرف أين تقع؟».

«أجل».

«سوف ألقاكَ قرابة الساعة السادسة إذاً

توجَهتُ في السيّارة وركنتها خارج حانة فوكسهول. أشعلت سيجارة ومكثت في السيّارة بعض الوقت. ترجلتُ بعدئذٍ ودخلتُ الحانة. أيهنّ ڤالنسيا؟ بقيت هناك واقفاً وسط المكان ولم يكلمني أحد. توجهتُ إلى البار وطلبت كأساً مزدوجة من الفودكا مع السڤن آب، عندها سمعت إسمي «هنري»

استدرت متطلعاً فأبصرت شقراء جالسة وحيدة داخل مقصورة. حملت كأسي وجلست معها كانت في الثامنة والثلاثين من العمر تقريباً، ولم تكن جميلة القوام. في خريف عمرها وسمينة إلى حد ما. كان ثدياها هائلين، لكنهما تدلّيا ضجرين، كسا رأسها شعر

أشقر قصير مقصوص. وضعتْ الكثير من التبرّج وبدتْ رغم ذلك متعبة. ارتدت بنطالاً وبلوزة وانتعلت حذاء عالي الساق. عيناها زرقاوان شاحبتان، ويلف ذراعيها العديد من الأساور. وما أوحى وجهها بأدنى شيء، رغم أنها كانت يوماً جميلة.

«لقد كان يومي فعلياً تعيساً» بدأتْ وأردفتْ «لم أتوقف عن الطرق على الآلة اللعينة طوال الوقت».

أجبتها «دعينا نلتقي في يوم آخر، آن تصبحين في وضع أفضل».

«أوه! اللعنة، لا تلقِ بالاً كأس أخرى وسوف أستعيد حيويتي من جديد».

أشارت ڤالنسيا إلى النادلة «كأس نبيذ أخرى».

كانت تشرب نبيذاً أبيض.

«كيف حال الكتابة؟» سألتني، «هل أصدرت كتباً جديدة؟»

«لا، لكني بصدد إنجاز رواية».

«ما عنوانها؟»

«لا عنوان بعد».

«هل ستكون رواية جيدة؟».

«لا أدري».

لم ينبس أي منّا بحرف لبرهة من الوقت. أنهيت كأسي الفودكا وطلبت كأساً أخرى. لم تكن ڤالنسيا من الطراز الذي يعجبني من النساء بكل ما لهذه الكلمة من معاني. ما أحببتها هناك أناس هكذا، تكرههم لحظة تلتقيهم.

«ثمة فتاة يابانية هناك حيث أعمل. تقوم كل ما بوسعها بهدف طردي من العمل. علاقتي طيّبة مع رب العمل. غير أن هذه العاهرة تقضّ عليّ مضجعي طوال النهار، في يوم من الأيام سوف أركل مؤخرتها».

«من أين أنتِ؟».

«شيكاغو».

أجبت «ما أحببتُ شيكاغو»

«أنا أحب شيكاغو».

أنهيت شرابي، أنهت هي كأسها دفعتْ ڤالنسيا فاتورتها باتجاهي، «إدفعها من فضلك، لقد أكلت سلطة القريدس أيضاً».

أخرجتُ مفتاحي لأفتح الباب.

«أهذه سيّارتكَ؟».

«أجل».

«أتتوقع مني أن أركب كركوبة مثل هذه؟».

«إسمعي. إن كنت لا ترغبين في ركوبها، لا تركبيها»

صعدت ڤالنسيا انتشلتْ مرآة التبرج وراحت تجمّل وجهها فيما كنت أسوق. لم يكن المكان بعيداً عن منزلي. ركنتُ السيّارة.

في الداخل هتفت قائلة «هذا المكان قذر. يتوجب أن تأتي بأحد ما ليقوم بترتيبه»

أخرجتُ الفودكا وزجاجة السڤن آب وسكبتُ كأسين. خلعتْ ڤالنسيا حذاءها العالي.

«أين آلتك الكاتبة؟».

«على طاولة المطبخ»

«ألا تملك مكتباً؟ حسبتُ أن الكتّاب يملكون طاولات كتابة».

«بعضهم لا يملكُ حتى طاولة مطبخ».

سألتني بعدها ڤالنسيا «هل تزوجتَ يوماً؟»

«مرّة واحدة».

«ماذا جرى؟».

«بدأ كل منا يكره الآخر».

«أنا تزوجت أربع مرات. ما زلت ألتقي أزواجي السابقين. إننا أصدقاء».

«إشربي»

«تبدو متوتراً» بادرتني ڤالنسيا

«أنا بأحسن حال»

أنهت ڤالنسيا كأسها، ثم تمددتْ على الأريكة. وضعتْ رأسها في حضني، ورحتُ أداعب شعرَها صببتُ لها كأساً أخرى وعاودتُ مداعبة شعرها كان بوسعي رؤية ثدييها من خلال فتحة بلوزتها انحنيت فوقها ووهبتها قبلة طويلة. كان لسانها يندفع سريعاً من وإلى فمها أكره هذه المرأة. شرع قضيبي بالانتصاب. تبادلنا القبلات مجدداً وحشرتُ يدي داخل بلوزتها

قالت: «كنت واثقة من أني سوف ألتقيك يوماً»

قبّلتها مجدداً، هذه المرّة ببعض الوحشية. أحسّتْ بانتصابي دافعاً رأسها.

هتفتْ «هاي!».

أجبتُ «لا تقلقي».

«يا لكَ من كاذب» ردت «ماذا تنوي أن تفعل؟».

«لا أعرف.

«أنا أعرف.

نهضت ڤالنسيا وتوجهت إلى الحمّام. حين خرجتْ ألفيتها عارية. إندستْ تحت ملاءة السرير. احتسيتُ كأساً أخرى. ثم خلعتُ ملابسي ودخلت الفراش. رفعتُ الملاءة. يا لهذين الثديين الهائلين. كانا يحتلّان فعلياً نصف جسمها بالكامل. ثبتُّ أحد الثديين بكامل يدي قدر المستطاع، وطفقت أمصّ الحلمة. لم تقسُ. انتقلت إلى الثدي الآخر ورحت أمصّ حلمته. لا استجابة. رحت أخضّ ثدييها في الاتجاهات. حشرت قضيبي بينهما ظلت الحلمتان رخوتين. رفعت قضيبي باتجاه فمها فأدارت رأسها بعيداً خطر لي أن أحرق مؤخرتها بسيجارة. يا لها من كتلة لحم هائلة. مومسُ شارع بالية منتهية الصلاحية. العاهرات يهيجنني عموماً كان قضيبي قاسياً غير أني منقبض النفس.

سألتها «هل أنت يهودية؟».

«كلّا».

«تبدين يهودية».

«لست كذلك»

«إنك تقطنين في منطقة فيرفاكس، أليس كذلك؟».

«بلى».

«هل أهلك يهود؟»

«إسمع، ما كل هذه الأسئلة الهراء حول اليهود؟».

«إطمئنّي، إن بعض أفضل أصدقائي يهود».

رحت أخضّ لها ثدييها من جديد.

«إنك تبدو خائفاً» وأردفتْ «تبدو متشنجاً».

لوّحتُ قضيبي في وجهها

«هل يبدو لك هذا مذعوراً؟».

«يبدو شنيعاً ما كل هذه العروق الغليظة؟».

«إنها تعجبني».

أمسكتها بشعرها وحشرتُ رأسها بالحائط، وامتصصتُ شفتيها محدقاً في عينيها ثم بدأت أداعب فَرجَها كانت بطيئة الاشتعال كالديزل. ثم انفتحَ قليلاً فأقحمت إصبعي فيه. أدركتُ بظرها وبدأت أداعبه. ثم ولجتها كان قضيبي في جوفها كنا فعلياً نتضاجع. لم أكن أرغب البتة في إمتاعها كان فَرجُ ڤالنسيا ضيقاً إلى حد ما كنت مستمتعاً غير أنها لم تظهر أي إنفعال. لم أكترث. كنت أضخ وأضخ طالعاً نازلاً بحث آخر في علم النكاح. ما تضمّن ذلك أي حسّ بالاغتصاب. الفقر والجهل يستولدان حقيقتهما الخاصة. كانت ملكي. كنا حيوانين في غابة وكنت أقتلها بدأتْ تندمج. قبّلتها وانفرجت شفتاها أخيراً ولجتها عميقاً كانت الحيطان الزرق تراقبنا أصدرت ڤالنسيا تأوهات ضئيلة، وألفيتني مستثاراً

حين خرجتْ من الحمّام كنت قد ارتديت ملابسي. كان هناك كأسا شراب على الطاولة. رحنا نرشفهما

سألتها «لماذا تقطنين منطقة فيرفاكس؟».

«تعجبني هذه المنطقة».

«هل تودين أن أوصلك إلى المنزل؟»

«إن كان ثمة لا إزعاج».

كانت تسكن بعد عمارتين شرقي فيرفاكس. «هوذا منزلي هناك» قالت: «هناك حيث الباب المنخليّ».

«يبدو لي بيتاً جميلاً»

«إنه كذلك. هل تود الدخول قليلاً؟».

«هل لديك أي شراب؟».

«أتشرب نبيذ الشّري؟»

«بالتأكيد.

دخلنا كان هناك مناشف مرميّة على الأرضية، ركلَتْها بقدَمِها إلى تحت الأريكة وهي تمر عادت حاملة زجاجة الشّري. كانت من الصنف الرخيص جداً «ودّع أهلك».

سألتها «أين حمّامكِ؟»

دفقتُ مياه المرحاض لأحجب الصوتَ، ثم أفرغتُ كأس الشّري في البالوعة. دفقتُ الماء مجدداً وخرجت.

سألتني «أتود كأساً أخرى؟»

«بالتأكيد»

«لقد زارني الأولاد» قالت «لذا تجد المنزل على هذه الحال من الفوضى».

«هل لديك أولاد؟».

«أجل، لكن سام هو من يهتم بهم».

أنهيت كأسي. «حسناً، إسمعي. شكراً على الشراب، يجدر أن أغادر».

«جيد. لديكَ رقم تلفوني».

«بالضبط»

رافقتني ڤالنسيا حتى باب المدخل المنخليّ. تعانقنا هناك، ثم خرجت متوجهاً إلى الڤولزڤاكن. ركبتُ فيها وانطلقت. انعطفت عند الزاوية، ركنتُ السيّارة بالعرض، فتحتُ الباب وتقيأت كأس الشّري الثانية.

* * *

- ٩٨ -

كنت ألتقي سارا كل ثلاثة أو أربعة أيام في منزلها أو منزلي أنا كنا ننام معاً ولكن من دون جنس. كنّا على شفير أن نفعل في مراتٍ، غير أننا لم نفلح فعلياً في القيام بذلك. ظلت وصايا درايو بابا الأخلاقية صامدة.

قررنا أن نقضي الأعياد معاً في منزلي. الميلاد ورأس السنة.

وصلت سارا قرابة الظهر يوم الرابع والعشرين من ديسمبر في شاحنتها الڤولزڤاكن. رأيتها تركن الشاحنة ثم خرجتُ لاستقبالها كان هناك ألواح خشبية مربوطة فوق سقف شاحنتها الصغيرة. كانت تلك هي كما يبدو هدّيتي لعيد الميلاد. سوف تصنع لي سريراً كان سريري مسخرة. مجرد صندوق بسيط يحمل فراشاً منبثق الأحشاء والزنبركات. جلبت سارا أيضاً ديكاً رومياً عضوياً وأيضاً زينته. توجب عليّ أن أدفع ثمن هذا بالإضافة إلى النبيذ الأبيض. كان هناك أيضاً هدايا صغيرة لكل منّا

حملتُ إلى الداخل الألواح الخشبية والديك الرومي والعدّة وأجزاء السرير وضعتُ صندوق سريري العتيق، وفراشه ولوح مقدَّمه الخشبي خارجاً، ورفعتُ فوقها لافتة صغيرة خططتُ عليها «مجّاناً». لوح المقدَّم الخشبي ولّى أولاً، تبعه صندوق السرير وأخيراً أخذ أحدهم الفراش. كان حيّاً فقيراً.

كنت رأيتُ سرير سارا في منزلها، ونمت عليه وأحببته. لطالما كرهت الفرش العاديّة، على الأقل تلك التي كنت قادراً على شرائها نمت طوال نصف حياتي على فرشٍ كانت لتناسب تماماً أحد له شكل دودة الأرض.

كانت سارا قد صنعت سريرها بنفسها، وسوف تصنع لي واحداً مثله. مصطبة خشبية متينة تدعمها سبع قوائم بقطر أربعة سنتمترات، (السابعة مثبتة تماماً في الوسط) تكسوها طبقة من المطاط الإسفنجي المتين بسماكة عشرة سنتمترات. كان لدى سارا بعض الأفكار الجيّدة. قمت بتثبيت أطراف الألواح، فيما راحت سارا تغرز المسامير كانت بارعة في استعمال المطرقة. كان وزنها فقط اثنين وخمسين كلغ، لكنها كانت قادرة على غرز المسامير بكل براعة. ستصنع لي سريراً رائعاً

لم يستغرق ذلك سارا الكثير من الوقت.

بعد ذلك قمنا باختباره «أفلاطونياً» فيما راقبنا درايز بابا من فوق مبتسماً

رحنا نجوب الأرجاء في السيّارة مفتشين عن شجرة لعيد الميلاد. في الواقع لم أكن شخصياً شديد التوق لإحضار واحدة (لطالما كان زمن عيد الميلاد تعيساً خلل طفولتي) وعندما وجدنا كل بُوَر بيع شجر الميلاد فارغة، ما اكترثتُ البتة. جلستْ سارا حزينة في طريق العودة. لكن بعدما عدنا إلى المنزل واحتسينا بعض كؤوس النبيذ الأبيض، استعادتْ حيوتها مجدداً وراحت تعلّقُ الزينة والأضواء والأشرطة المبهرجة في كل مكان، حتى على شَعْري.

كنت قرأت أن عدد الأشخاص الذين ينتحرون ليلة عيد الميلاد

ويوم عيد الميلاد، يفوق أي وقت آخر، يبدو أن هذا العيد لم يكن له أي علاقة بمولد المسيح.

كل موسيقى الراديو كانت مثيرة للغثيان، وبرامج التلفزيون أسوأ منها لذا أطفأناهما واتصلتْ سارا بعدها بوالدتها في ولاية ماين. تحدثتُ أنا أيضاً مع أمّها، وبدا لي أنه لا بأس أبداً بالماما

«في البداية» قالت سارا «خطر لي أن أدبّرك لأمي، لكنها أكبر سنّاً منك»

«إنسي الأمر».

«لها ساقان خارقتان».

«إنسي الأمر».

«هل لديك موقف ضد الكبار بالسن؟»

«أجل ضد كل من هو كبير السن باستثنائي»

«تتصرف وكأنك نجم سينمائي».

«هل كل النسوة اللواتي عاشرتهن كنَّ أصغر منكَ بعشرين أو ثلاثين سنة؟».

«ليس حين كنت في عشرينياتي»

«حسن إذاً، هل عرفتَ يوماً ما امرأة أكبر منك سناً أقصد هل عشت معها؟»

«بلى. حين كنت في الخامسة والعشرين، تشاطرت العيش مع امرأة في الخامسة والثلاثين».

«وكيف سارت الأمور؟».

«كان الأمر فظيعاً وقعتُ في غرامها».

«ما الفظيع في الأمر؟».

«أجبرتني على الذهاب إلى الجامعة».

«وهل هذا أمر فظيع؟».

«ما كانت الجامعة التي تحسبين. لقد كانت هي الكلّية وكنت أنا الجسمَ الطلابي».

«ماذا حدث لها؟»

«لقد دفنتها».

«مع مراسم كاملة؟ أوهل قتلتَها؟».

«قَتَلَتْها الكحول»

«ميلاد سعيد».

«بالتأكيد. أخبريني أنت عن غرامياتك».

«أعفني».

«أكانوا كثيرين؟».

«كثر إنما أقل من قليل».

بعد مضي ثلاثين أو أربعين دقيقة سمعنا طرقاً على الباب. نهضت سارا وفتحته. وإذ بقنبلة جنسية تدخل عشية عيد الميلاد. لم أكن أعرفها كانت ترتدي ثوباً أسود ضيقاً وبدا ثدياها الضخمان وكأنهما سيطفحان في أي لحظة من أعلى فستانها مشهد بديع. ما رأيت البتة في حياتي صدراً كصدرها، معروضاً بهذه الطريقة بالذات، ما عدا في الأفلام السينمائية.

«مرحباً هانك!».

كانت تعرفني.

«أنا إيدي. لقد التقيتني في منزل بوبي ذات ليلة».

«أوه؟».

«هل كنتَ شديدَ الثمالة ولا تتذكرني؟».

«مرحباً يا إيدي. أقدّم لكِ سارا».

«كنت أفتش عن بوبي. خطر لي أنه قد يكون هنا».

«إجلسي واحتسي معنا كأساً»

جلست إيدي على كرسيّ إلى يميني، قريباً جداً مني، كانت في حوالي الخامسة والعشرين من عمرها أشعلتْ سيجارة وراحت ترشف من كأسها كلّما انحنت إلى الأمام فوق المنضدة الخفيضة، كنت أتوقع حدوث الأمر كنت متأكداً من أن ذينك الثديين سيطفحان وخشيت من ردة فعلي في حال حدوث ذلك. لم أكن فعلياً أعرف ما ينتظرني. ما كنت طرّاً عاشق صدور. لطالما كنت عاشق سيقان. غير أن إيدي ماهرة في الإغواء. ألفيتني مذعوراً ورحت أختلس جانبياً النظر إلى ثدييها غير عارف ما إن كنت أرغب في أن يطفحا، أو أن يمكثا في الداخل.

«لقد التقيت ماني أليس كذلك؟» سألتني «هناك عند بوبي».

«بلى»

«اضطررت إلى طرده خارجاً كان غيوراً إلى حد لا يطاق لقد وكلَّ تحرياً خاصاً لملاحقتي أتتخيّل هذا! كيس القذارة هذا الوضيع»

«بلى»

«أكره الرجال الشحاذين! أكره الغلمان الحمقى!»

«أضحى في أيامنا هذه من الصعب العثور على رجل صالح» قلتُ، «هذه كلمات أغنية من الحرب العالمية الثانية. كان لديهم أيضاً أغنية تقول «لا تقعدي تحت شجرة التفاح مع أحد سواي»

صاحت بي سارا «أنت تخرَف يا هانك.

«إحتسي كأساً أخرى يا إيدي» قلتُ وصببت لها واحدة.

«ياه كم الرجال حمقى!» تابعت تقول «دخلت إلى إحدى الحانات منذ أيام. كنت برفقة أربعة شبان، أصدقاء حميمين. قعدنا إلى طاولة ورحنا نكرع أكواباً من البيرة. كنا غارقين بالضحك، نمضي وقتاً طيباً، ولم نكن نزعج أحداً إطلاقاً ثم انتابتني رغبة أن ألعب البليارد. أهوى لعبة البليارد. أعتقد أنه حين تلعب سيّدة البليارد، فإن ذلك يستعرض كل رقيّها

«أنا لا أجيدُ لعب البليارد» قاطعتها بالقول «دوماً أمزق كسوة الطاولة الخضراء، ولستُ كذلك سيدة راقية».

«بأية حال، توجهت إلى الطاولة وكان هناك أحد الشبّان يلعب البليارد بمفرده، اقتربت منه وقلت له «إسمع، إنك تلعب منذ وقت طويل. نرغب أنا وأصدقائي اللعب لبعض الوقت. أيزعجك الاستغناء عن الطاولة لبعض الوقت؟ استدار وتطلّع إليّ. ظل صامتاً لوهلة، ثم نخر وصاح قائلاً «لا بأس».

أضحتْ إيدي مفعمة حماسة، وكانت تثب وهي تتحدث فيما تلصصت أنا على بضاعتها

«عدتُ وأخبرت رفاقي «لقد حصلنا على الطاولة» ختاماً، كان ذلك الشاب يصوّب كرته الأخيرة، حين دنا منه صديق له وبادره قائلاً: «هاي يا أيرني سمعت أنك ستسلِّم طاولة البليارد». إحزر

ماذا كان جوابه لذلك الشاب، قال «أجل، سوف أسلّمها لتلك العاهرة!» سمعتُ ذلك والتهبتُ غضباً! كان هذا الشاب منحنياً فوق الطاولة ليصوّب بعصا البليارد كرته الأخيرة. انتزعتُ عصا بليارد، وفيما هو منحن فوق الطاولة ضربته على رأسه بأقصى ما أوتيت من قوة. سقط الشاب على الطاولة بالضربة القاضية. كان من روّاد الحانة المألوفين، لذا هجم زمرة من أصدقائه لنجدته، وفي الحين نفسه هجم رفاقي الأربعة أيضاً آه يا رجل، يا لها من مشاجرة! زجاجات تتحطم، مرايا تتكسّر لست أدري كيف خرجنا من هناك، لكننا فعلنا هل لديك بعض الحشيشة؟»

«أجل لكني لا أتقن اللّف جيداً»

«لا تقلق سأهتمُ بذلك».

لفّتْ إيدي صاروخاً رفيعاً مشدوداً، تماماً كالمحترفين. تنشّقتْ مجة منه هاسّة، ثم مررّته إليّ.

«رجعت إلى الحانة في الليلة التالية بمفردي. المالك وهو أيضاً الساقي خلف البار تذكّرني. كان يدعى كلود. «يا كلود» بادرته قائلة «أنا آسفة بشأن البارحة لكن ذلك الشاب عند طاولة البليارد كان فعلياً إبن شرموطة. لقد نعتني بالعاهرة»

صببتُ المزيد من الشراب للجميع. دقيقة واحدة فقط وسيطفح ثدياها مندلقين.

«قال مالك الحانة، «لا بأس، أنسي الأمر» بدا لي شخصاً مهذباً ثم سألني «ماذا تشربين؟» مكثت في الحانة واحتسيت مجاناً كأسين أو ثلاث، ثم بادرني قائلاً «أتعلمين، أنا بحاجة إلى نادلة أخرى».

مجّتْ إيدي نفساً آخر من الصاروخ وتابعت، «أخبرَني عن النادلة الأخرى. كانت تجذب الرجال إلى هنا، غير أنها سبّبت الكثير من المشاكل. كانت عابثة تحرّض الرجال الواحد ضد الآخر، ممثلة من الطراز الأول. اكتشفت بعدئذٍ أنها كانت تخدعني كانت تستخدم حانتي أنا لاصطياد زبائن لفَرْجِها».

سألتْ سارا «حقاً؟».

«هذا ما قاله. بأي حال، عرض عليّ العمل عنده كنادلة، وأضاف «إيّاك والاحتيال على الوظيفة»، أجبتُه «أوقف التلفظ بحماقات، لست من هذا الصنف». قلت في نفسي، لعلّي سأستطيع الآن ادخار بعض المال، فألتحق بجامعة لوس أنجلوس كي أتخصّص بالصيدلة، وأتعلّم الفرنسية، لقد كان ذلك حلمي من وقت طويل. ثم قال لي «تعالي معي إلى الخلف. أريد أن أريك أين نخزّن فائض البضاعة، ولدي أيضاً زيّ لوظيفتك أريدك أن تقيسيه. لم يرتده أحد من قبل، وأظن أنه يناسب مقاسك. «وهكذا دخلت وإياه إلى تلك الغرفة الصغيرة المظلمة حيث حاول أن يغتصبني. دفعته بعيداً عني. ثم قال لي: «أعطني فقط قبلة صغيرة» فأجبته «إبعد عني أيّها اللّعين» كان أصلع وبديناً وبالغ القصر ويضع طقم أسنان، إضافة إلى امتلاكه ثؤلولات سود مشعرة فوق خدّيه. اندفع إليّ بسرعة وأمسك بمؤخرتي وباليد الأخرى بثديي وحاول أن يقبّلني، دفعته عنه بعيداً مجدداً «أنا متزوج» قال لي «وأحب زوجتي، لا تقلقي!» انقضّ عليّ مجدداً فكلت له ضربة بركبتي أنتَ تعرف أين. أخشى أنه لم يملك شيئاً بين ساقيه إذ أنه حتى لم يجفل. «سأعطيكِ مالاً» قال «سأكون لطيفاً معك!» قلت له «كُلْ خراءً وأذهب إلى الجحيم. وهكذا فقدتُ وظيفة أخرى»

قلت: «إنها فعلياً قصة محزنة».

«إسمعْ» انبرت إيدي «يتوجب أن أرحل. ميلاد سعيد. شكراً على الشراب».

نهضتْ. ورافقتها إلى الباب وفتحته لها غادرتْ عبر الفناء الأمامي عدتُ إلى الداخل وجلست.

بادرتني سارا: «يا إبن العاهرة».

«ما الأمر؟».

«لو لم أكن هنا لكنت ضاجعتها».

«إني بالكاد أعرف هذه السيدة».

«ذلك الصدر العارم! لقد كنت مذعوراً! كنت تخشى حتى النظر إليها!».

«ماذا تفعل جائبة بهذا الشكل ليلة عيد الميلاد؟».

«لِمَ لمْ تسأليها؟».

«قالت إنها كانت تبحث عن بوبي».

«لو لم أكن هنا لكنتَ ضاجعتَها»

«لا أعرف، كيف لي أن أعرف.

نهضتْ سارا بعدئذٍ وصرختْ بأعلى صوتها انفجرتْ بالبكاء ثم ركضتْ بعدها إلى داخل الغرفة الأخرى. ملأتُ كأسي مجدداً كانت أضواء الزينة الملّونة على جدران الغرفة تومض وتخبو بلا انقطاع.

* * *

- ٩٩ -

كانت سارا تقوم بتحضير حشوة الديك الرومي، فيما جلستُ أنا في المطبخ محدّثاً إياها كان كلانا يرشف النبيذ الأبيض.

رن جرس الهاتف. ذهبتُ إليه وأجبت. كانت ديبرا «وددت وحسب أن أتمنى لك عيد ميلاد سعيد أيها المعكرونة المائعة».

«شكراً يا ديبرا وأتمنى لك عيد سانتا كلوز سعيداً أيضاً»

تحدثنا قليلاً ثم عدتُ إلى المطبخ وجلستْ.

«من كان هذا؟».

«ديبرا»

«كيف حالها؟».

«أعتقدُ أنها بخير»

«ماذا أرادت؟».

«تمنت لي عيداً سعيداً»

«سوف تحب هذا الديك العضوي، والحشوة شهيّة أيضاً إن الناس يأكلون سمّاً، سمّاً خالصاً أميركا هي واحدة من الدول النادرة التي يتفشى فيها سرطان القولون».

«بلى. مؤخرتي تحكّني بلا انقطاع، لكني أظن أنها وحسب بواسيري. كنتُ استأصلتها مرّة. قبل إجراء العملية الجراحية

يقومون بإيلاج ما يشبه الأفعى في إمعائكِ، وثمة في رأسها ضوء ضئيل، يختلسون فيه النظر للتأكد من عدم إصابتك بالسرطان. تلك الأفعى بالغة الطول، ويولجونها في أحشائكِ بكل فظاظة!».

رن الهاتف مجدداً. توجهتُ وأجبتُ. كانت كاسي، «كيفَ أحوالكَ؟».

«إننا نقوم أنا وسارا بتحضير الديك الرومي».

«أنا مشتاقة إليكَ».

«أتمنى لك ميلاداً سعيداً أنت كذلك. كيف الحال في العمل؟».

«جيد. أنا في عطلة حتى الثاني من يناير».

«أتمنى لك سنة جديدة مباركة يا كاسي!».

«ماذا يصيبكَ؟».

«أنا ثمل بعض الشيء، لست معتاداً على شرب النبيذ الأبيض باكراً في الصباح».

«إتصلْ بي لاحقاً»

«بالتأكيد».

عدت إلى المطبخ. «كانت هذه كاسي». الناس يتصلون في الميلاد. قد يتصل لربما دراير بابا».

«لن يفعلْ»

«لماذا؟»

«إنه لا يتكلّم البتة بصوت مرتفع. في الواقع إنه لا يتكلّم البتة، وما طلب أبداً المال».

«إنه شخصٌ نبيل، دعيني أتذوق القليل من الحشوة النيئة».

«تفضّل».

«ياه. إنها شهيّة!».

ثم رن الهاتف مجدداً كان الأمر غالباً على هذه الشاكلة. حين تبدأ الاتصالات، لا مجال أن تتوقف. دخلتُ حجرة النوم وأجبت.

«مرحباً» قلت «من هنالك؟».

«يا إبن العاهرة، ألم تعرفني؟».

«كلا، ليس تماماً». كان صوت امرأة سكرانة.

«إحزرْ».

«تمهلي، عرفت! أنت أيريس!»

«أجل أنا أيريس، وأنا حبلى».

«هل تعرفين من يكون الأب؟»

«ما الفرق؟».

«صحيح، أنت محقة. كيف الأحوال في فانكوفر؟».

«بخير وداعاً»

«وداعاً».

عدتُ إلى المطبخ مجدداً

قلت لسارا «لقد كانت راقصة البطن الكندية».

«كيف أحوالُها؟»

«إنها مفعمةٌ ببهجة عيد الميلاد»

وضعت سارا الديك الرومي داخل الفرن، وتوجهنا إلى الغرفة الأمامية. ثرثرنا لبعض الوقت. ثم رن الهاتف من جديد أجبت «مرحباً»

«هل أنت هنري شيناسكي» كان صوت شاب فتيّ.

«أجل».

«هل أنت بالذات هنري شيناسكي الكاتب؟».

«بلى».

«فعلياً؟».

«نعم».

«حسناً إسمعني، نحن زمرة من الشبّان من منطقة بيلير، إننا نعشق كتابتك يا رجل! نعشقها إلى درجة أننا سوف نكافئك يا رجل!».

«حقاً؟»

«أجل. نحن قادمون إليك مع نصف دزينة من قناني البيرة».

«أقحِمهما في مؤخرتك»

«ماذا؟».

«قلتُ أقحمهما في مؤخرتكَ!».

أقفلتُ الخط.

سألتني سارا «من كان هذا؟».

«لقد خسرت للتو ثلاثة أو أربعة قرّاء من بيلير. لكن الأمر كان يستحق العناء».

كان الديك الرومي قد أصبح جاهزاً، فأخرجتُه من الفرن. وضعتُه

على طبق كبير، رفعتُ الآلة الكاتبة وكل أوراقي عن طاولة المطبخ، ووضعتُ الديك الرومي فوقها بدأت أقطّعه إلى شرائح وأحضرتْ سارا الخضار. جلسنا إلى الطاولة. ملأتُ صحني. ملأتْ سارا صحنَها بدا الطعام شهياً

قالت سارا: «آمل أن لا تعود مجدداً صاحبة الثديين».

بدتْ مستاءة جداً جرّاء هذا الخاطر.

«إن أتت سوف أطعُمها شريحة».

«ماذا تقول؟»

أشرت بإصبعي إلى الديك الرومي «أقصد سوف أطعمها شريحة من اللحم، بإمكانكِ المشاهدة».

صرختْ سارا وقفتْ. كانت ترتجفْ. ثم ركضتْ إلى داخل غرفة النوم. حدّقتُ في ديكي الرومي. يستحيلُ أن آكل. مرة جديدة ضغطتُ على الزر الخطأ توجهتُ إلى الغرفة الأمامية مصطحباً كأسي وقعدت. انتظرتُ ربع ساعة ثم وضعتُ بعدها الديك الرومي والخضار في البرّاد.

عادت سارا إلى منزلها في اليوم التالي وأكلتُ أنا سندويشاً بارداً من لحم الديك الرومي. كان ذلك حوالي الساعة الثالثة ما بعد الظهر قرابة الساعة الخامسة سمعت طرقاً مخيفاً على الباب، فتحته فوجدت تامي وآرلين. كانتا منتشيتين بالأمفيتامين، دخلتا وراحتا تتنقلان من غير هدى في أرجاء المنزل، فيما هما تتكلمان في الآن نفسه.

«ألديكَ أي شراب؟».

«اللعنة يا هانك، أليس لديك أية كحول؟»

«كيف كانت سهرتك الميلادية المشؤومة؟».

«أجل، كيف قضيتَ ميلادك اللعين يا رجل؟».

«هناك بعض زجاجات البيرة والنبيذ في الثلاجة» (هكذا تعرف المحنّك، فهو يسمّي البراد ثلاجة).

توجهتا إلى المطبخ متراقصتين وفتحتا «الثلاجة».

«هاي، ثمة ديك روميّ هنا!».

«إننا جائعتان يا هانك، هل نستطيع أن نأكل شيئاً من الديك؟».

«بالتأكيد»

خرجت تامي حاملة فخذاً وراحت تقضمه. «ياه، هذا الديك الرومي كريه الطعم! يحتاج إلى توابل!».

خرجت آرلين بدورها حاملة قطعاً من اللحم ملء يديها «أجل هذا بحاجة إلى توابل إنه عديم الطعم! هل لديك أية توابل؟».

أجبتها «في خزانة المطبخ».

اندفعتا عائدتين إلى المطبخ وطفقتا ترشّان التوابل.

«انتهينا هكذا أفضل!».

«أجل، لقد أصبح له بعض الطعم الآن!».

«ديك رومي عضوي كريه!»

«أجل، إنه مقيت!».

«أريد المزيد».

«أنا أيضاً لكنه بحاجة إلى التوابل».

عادت تامي وجلستْ. كانتْ على وشك الإجهاز على الفخذ. بعدئذٍ انقضّتْ على عظمة الفخذ، عَضّتها بأسنانها وقطعتها نصفين، وشرعتْ تلوك العظمة. أذهلني المشهد. كانت تأكل عظمة الفخذ باصقة الكسرات على السجّادة.

«هاي، أنت تأكلين العظمة؟».

«طبعاً، إنها شهيّة جداً!».

هرولتْ تامي عائدة إلى المطبخ لالتهام المزيد من الطعام.

سرعان ما خرجتا تحمل كل منهما زجاجة بيرة.

«شكراً لك يا هانك».

«طبعاً، شكراً يا رجل».

جلستا تمصّان بيرتيهما

«حسناً» انبرت تامي بعدئذٍ «يتوجب أن نغادر».

«هيّا، سنخرج لاغتصاب بعض تلامذة الثانويات!»

«هيّا بنا!».

هبّتا واقفتين واندفعتا خارجاً عبر الباب. توجهت إلى المطبخ وفتحت البرّاد. بدا ذلك الديك الرومي كأنما مزّقه نمر. كان هيكله العظمي بكل بساطة مهشماً كان المشهد فاحشاً

زارتني سارا إبّان العشيّة التالية.

سألتني «كيف حال الديك الرومي؟».

«بأحسن حال».

دخلت وفتحت باب البرّاد. صرختْ وعادت راكضة.

«يا إلهي، ماذا حدث بربّك؟».

«زارتاني تامي وآرلين. أعتقد أنهما لم تذقا طعاماً منذ أسبوع».

«أوه. هذا مثير للغثيان. لقد انفطر قلبي!».

«أنا آسف. كان ينبغي أن أمنعهما كانتا منتشيتين».

«حسناً ثمة أمر وحيد في مستطاعي أن أفعله»

«ما هو؟».

«بوسعي أن أحضّر لك حساء ديك روميّ شهيّ. سأخرج وأحضر بعض الخضار».

«ممتاز»، أعطيتها عشرين دولاراً

«طبخت سارا تلك الليلة الحساء. كان شهياً قبل مغادرتها عند الصباح، أعطتني تعليمات عن طريقة تسخينه.

طرقت تامي الباب قرابة الرابعة بعد الظهر أدخلتُها، وتوجهتْ مباشرة إلى المطبخ. وانفتح باب البرّاد.

«واو، أهذا حساء؟»

«أجل».

«هل هو شهيّ؟».

«أجل».

«هل يمكن أن أتذوقه؟».

«طبعاً».

سمعتها تضعُ الحساءَ على جهاز الطبخ، ثم سمعتها وهي تغمس الملعقة فيه.

«يا ربّي. هذا الحساء عديم الطعم، يحتاج إلى توابل!».

سمعتها تغرف بالملعقة التوابل وتضعها في الحساء، ثم ذاقته.

«هكذا أفضل! لكن ينبغي إضافة المزيد! أنا إيطالية كما تعلم. سأضيف. ملعقة أخرى. هكذا أفضل. الآن سوف أقوم بتسخينها هل يمكنني احتساء زجاجة بيرة؟».

«لا بأس».

عادت حاملة زجاجة البيرة وجلست.

سألتني «هل اشتقت إليّ؟».

«فوق التصوّر».

«أعتقد إني سأستعيد وظيفتي في ملهى «بلاي بن» الليلي.

«ممتاز»

«في الوسع أن تكسب بقشيشاً وافراً هناك. ثمة زبون هناك ينقدني خمسة دولارات كل ليلة. كان مغرماً بي. إلا أنه لم يسألني البتة الخروج معه. يرمقني بنظرات غرامية لا أكثر. كان غريب الأطوار. إنه طبيب متخصص بجراحة المِعَى، أحيانا كان يقوم بالاستمناء هو يراقبني وأنا أجوب المكان. كنت أشمّ رائحة منيّه حينما أدنو منه».

«يبدو في الواقع أنك تروقين له.

«أظن أن الحساء قد أصبح جاهزاً هل ترغب قليلاً منه؟».

«لا شكراً».

توجهت تامي إلى المطبخ وسمعتها تسكب الحساء من الطنجرة. مكثتْ هناك وقتاً طويلاً، ثم خرجتْ.

«هل بإمكانك إقراضي خمسة دولارات إلى يوم الجمعة؟».

«كلا».

«إقرضني إذاً دولارين».

«لا».

«أعطني إذاً دولاراً واحد».

ناولت تامي ملء جيبي من الفكّة. بلغت دولاراً وسبعة وثلاثين سنتاً

قالت: «شكراً لك».

«لا داعي».

خرجتْ بعدئذٍ مغادرة.

أتت سارا عشية اليوم التالي. نادراً ما كانت تزورني مراراً على هذه الوتيرة. لعلّ هذا مردّه على نحو ما إلى موسم الأعياد. كان الجميع تائهاً، نصف مختل، مرعوباً فتحت زجاجة نبيذ أبيض «طازجة» وصببت لنا كأسين.

سألتها «كيف الحال في مطعمك؟»

«الأعمال رديئة بالكاد تغطّي المصاريف».

«ماذا حل بزبائنك؟».

«لقد غادروا جميعهم المدينة. يقضون العطلة في مكان ما»

«مشاريعنا دوماً فاشلة».

«ليس جميعها هناك أناس يفلحون، ويفلحون طوال الوقت في كسب المال».

«صحيح».

«ماذا عن الحساء؟».

«يلفظ أنفاسه الأخيرة».

«هل كان شهياً؟».

«لم أتناول منه الكثير»

دخلت سارا إلى المطبخ وفتحت البرّاد.

«ما الذي حلّ بالحساء؟ يبدو عجيب الشكل؟».

سمعتها تذوقُه، ثم ركضت إلى المجلى وبصقته.

«يا يسوع، لقد وضعوا فيه سُماً! ماذا جرى؟ هل عادت تامي وآرلين وإلتهمتا الحساء كذلك؟»

«تامي لوحدها».

لم تصرخ سارا قامتْ وحسب بصبّ ما تبقى من الحساء في البالوعة، وشغلّت جهاز إتلاف النفايات. تناهى إليّ صوت بكائها محاولة كتم ذلك. لقد حلّ عيد الميلاد على هذا الديك الرومي التعس قاسياً جداً

* * *

ـ ١٠٠ ـ

كانت سهرة رأس السنة ليلة مقيتة أخرى توجب أن أمخر عبابها. أذكر أن أهلي كانوا دوماً يبتهجون عشية رأس السنة، يتابعون عبر الراديو اقترابها من مدينة إلى مدينة، حتى وصولها إلى لوس أنجلوس، فكانت تندلع المفرقعات النارية، وتنطلق الصفّارات والأبواق، والسكارى الهواة يتقيأون، والأزواج يعبثون مع زوجات رجال آخرين، والزوجات يغازلن من استطاعت أيديهن. الجميع يتعانق ويتلامس في الحمّامات والخزانات وأحياناً علنياً، لا سيما عند منتصف الليل، والمشادات العائلية الفظيعة في اليوم التالي، هذا ما عدا «استعراض مواكب الزهور» ومباراة ملعب «روز بول» في استاد باسادينيا

وصلت سارا باكراً عشية ليلة رأس السنة. كانت تثير حماستها أشياء مثل منتزه «ماجيك ماونتن» وأفلام الفضاء الخارجي مثل «ستارتراك»، وبعض فرق موسيقى الروك، والسبانخ بالكريما، والأطعمة الصحيّة، غير أنها كانت تملك حسّ بداهة جوهرياً يفوق معظم النسوة اللواتي التقيتهن في حياتي. باستثناء لربما واحدة أخرى هي جوانا دوفر، إذ كانت مثلها سليمة الفطرة ولطيفة الروح. سارا كانت أجمل منها وأكثر وفاءً من أي من خليلاتي الحاليات. لذا يبدو أن هذه السنة الجديدة لن تكون سيئة في نهاية الأمر.

لقد تلقيت للتو تمنيات بسنة جديدة سعيدة من قبل مذيع أخبار

محلّي أبله على شاشة التلفزيون. أكره حين يتمنى لي شخص غريب سنة سعيدة. كيف له أن يعرف من أكون؟ قد أكون رجلاً خنق لتوّه طفلة في الخامسة من عمرها، وعلّقها بالسقف من كواحلها، فيما أقوم بتقطيعها شُرحاً على مهل.

بدأنا أنا سارا الاحتفال والشرب، غير أنه كان من الصعب أن تثملَ فيما نصف البشرية يسعى جاهداً ليثملَ معك.

«في الواقع» بادرتُ سارا قائلاً «في النهاية لم تكن سنة سيئة. على الأقل لم يقتلني أحد».

«وما زلتَ تستطيع أن تشرب كل ليلة والنهوض ظهراً كل يوم».

«ليت أستطيع أن أصمدَ وحسب سنة أخرى»

«يا لك من ثور كحولي عجوز».

طرقَ أحدهم الباب. لم أصدّق عينيّ. كان دينكي سامرز. مغني موسيقى «الفولك روك» مع صديقته جانيس.

صرختُ «دينكي»، «هاي، اللعنة يا رجل، ماذا يحصل؟».

«لست أدري يا هانك. خطر لي ببساطة أن نزورك»

«جانيس هذه سارا   سارا.   جانيس».

توجهت سارا إلى المطبخ وأحضرت كأسين أخريين، فملأتهما حلّ صمت لبرهة.

«لقد كتبت حوالي عشر أغاني جديدة. أظن أني أتحسّن».

«أنا أعتقد ذلك أيضاً أردفت جانيس «فعلياً».

«هاي، إسمع يا رجل. تلك الليلة حين افتتحتُ حفلكَ قل لي صراحة يا هانك، هل كنت سيئاً إلى ذلك الحد؟».

«إسمع يا دينكي، لا أود أن أجرح شعورك، غير أني كنت أشرب أكثر ممّا كنت في الواقع أستمع. كنت أفكر في أنه سيتوجب عليّ الخروج ومواجهة الجمهور، وكنت أقوم بالاستعداد للقيام بذلك. أن ذلك يصيبني بالغثيان»

«إني أعشق كلياً الظهور أمام الجمهور، وحين أؤثر فيهم وتعجبهم أغنياتي، أحسّني في الجنّة».

«الكتابةُ أمر مختلف. تفعلُ ذلك وحيداً لا علاقة لها البتة بالجمهور الحيّ».

«لعلّكَ على حق».

«لقد كنتُ حاضرة» قالت سارا «توجب أن يقوم شخصان بمساعدة هانك لاعتلاء خشبة المسرح. كان ثملاً وكان مريضاً».

«صارحيني يا سارا» بادرها دينكي «هل كان عرضي فعلياً في غاية السوء؟»

«لا، إطلاقاً كل ما في الأمر أنهم كانوا متلهفين لسماع شيناسكي، كل ما عدا ذلك كان يثير سخطهم».

«أشكرك يا سارا».

قلتُ: «أنا شخصياً لست من هواة موسيقى الفولك روك».

«من يعجبك؟».

«معظم المؤلفين الموسيقيين الألمان إضافة إلى بعض الروس».

«لقد كتبت حوالي عشر أغنيات جديدة».

سألتْ سارا «نستطيع ربما أن نستمع إلى بعضها، ما رأيكَ؟».

أردفت سائلاً إيّاه «لكن غيتارك ليس بحوزتك، أليس كذلك؟».

«آه، لا إنه بحوزته» انبرت جانيس «إنهما لا ينفصلان أبداً!»

نهض دينكي، خرج وجلب آلته الموسيقية من السيّارة. تربّع على السجّادة وراح يدوزن أوتار ذلك الشيء. سوف نستمتع بحفل موسيقي حيّ. سرعان ما بدأ بالغناء. كان يملك صوتاً قوياً جهورياً كان يرتدّ من الجدار. كانت الأغنية تحكي عن امرأة، عن حسرة حب ما بين دينكي وامرأة ما لم تكن حقيقة أغنية سيئة. قد تكون مقبولة ربما فوق خشبة المسرح بحضور جمهور دفع للحضور. بيد أنه كان من الصعب أن تحكم حين يجلس فوق السجّادة مباشرة أمامك. يصبح الأمر شخصانياً إلى حد بعيد ومحرجاً في النهاية قررت أنه لم يكن في الواقع سيئاً غير أنه كان في ورطة. كان بدأ يتقدم في السنّ. لم تعد خصلات شعره الذهبية ذهبية تماماً، وبراءة عينيه الكبيرتين اكتأبت بعض الشيء. سرعان ما سيواجه متاعب.

صفّقنا له.

قلت: «هذا رائع يا رجل».

«هل أعجبتكَ فعلياً يا هانك؟»ـ.

رحت ألّوح بيدي عالياً

قال لي: «أتعرف، لطالما كنت معجباً بكتاباتك».

«شكراً يا رجل».

انتقل سريعاً إلى الأغنية التالية. كانت تحكي كذلك عن امرأة. امرأته، خليلته السابقة، كانت أمضت الليل بأكمله خارج المنزل. لم تخل الأغنية من الطرافة، غير أني لست على يقين ما إن كان ذلك متعمداً بأية حال أنهى دينكي الأغنية وصفقنا له. فانتقل إلى التالية.

تفتّحتْ قريحة دينكي. كان صوته جهورياً تلوّت قدماه وانفتلتا

داخل حذائه الرياضيّ، وراح يغني بمدى صوته. في الحقيقة كان ذلك يشبهه تماماً ما كان شكله يساعده وما أسعفه صوته، بيد أن المنتج بمجمله كان أفضل بكثير ممّا كنا نسمعه عادة. أزعجني أني ما استطعت إطراءه من دون تحفظ. لكن في الحقيقة إن كذبت على شخص بشأن موهبته لمجرد أنه يجلس قبالتك، تكون ارتكبت أسوأ الأكاذيب المميتة، لأن ذلك كان معناه إنك تشجعه على المضي قدماً، على الاستمرار، وهذه أسوأ سبيل لرجل لا يملك موهبة حقيقية ليضيّع حياته في نهاية الأمر. لكن العديد كانوا يفعلون ذلك، وعموماً الأصدقاء والأهل

استطرد دينكي إلى الأغنية التالية. سوف لن يعفنا من أي من أغانيه العشر رحنا نستمع ونصفّق، لكن كان تصفيقي على الأقل مكبوحاً إلى حد بعيد.

قلت له «تلك الجملة الثالثة يا دينكي لم تعجبني».

«لكنها ضرورية في الواقع، لأنه.

«فهمت».

تابع دينكي الغناء. غنّى كل أغانيه. وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً كان يهبنا استراحات ما بينها حين حلّت أخيراً السنة الجديدة كان دينكي وجانيس وسارا وهانك ما زالا معاً ولكن ولله الحمد كانت علبة الغيتار مقفلة وشنقوا هيئة المحكّمين.

غادر دينكي وجانيس قرابة الساعة الواحدة، وذهبنا أنا وسارا إلى النوم. بدأنا نتعانق ونتبادل القبلات. إني كما سبق وفسّرت، هاوي تقبيل، كان ذلك أقوى منّي. براعة التقبيل كانت عموماً أمراً نادراً في الأفلام السينمائية وعلى شاشة التلفزيون كانوا يفعلون ذلك دوماً بطريقة سيئة. كنا سارا وأنا في السرير، ملتحمين نتبادل قبلات رائعة

من العيار الثقيل. لقد أفلتتْ فعلياً لنفسها العنان، كان السيناريو يتكرر طبق الأصل كل مرّة في السابق. كان بابا درايز يراقبنا من فوق. تقبض على قضيبي وأداعب أنا فَرْجها، ثم ينتهي بها الأمر فاركة قضيبي على فَرْجِها، وفي الصباح التالي أجدها جلدة قضيبي محمّرة ملتهبة بفعل الاحتكاك.

كنا أدركنا مرحلة الفرك. وفجأة على نحو مباغت قبضتْ على قضيبي وزلقته داخل فَرْجِها

أُصبتُ بالذهول. ما عرفتُ كيف أتصرّف.

أيناسب طلوعاً نزولاً؟ أو من الأفضل دخولاً وخروجاً الأمر مماثل لركوب الدرّاجة الهوائية، لا يمكن أن تنسى. كانت فعلياً امرأة فاتنة الجمال. ما استطعت أن أكبح نفسي. قبضتُ على شعرها الأحمر اللّماع وجذبتُ ثغرها لشفتّي وبلغت النشوة.

نهضتْ من الفراش وتوجهتْ إلى الحمّام فيما رحتُ أتأمل في الأعلى سقف غرفة النوم الأزرق متمتماً «يا درايز بابا، سامحني».

لكن بما أنه ما كان البتة يتكلّم أو يلمس المال، ما كان بالوسع أن أتوقع جواباً منه، ولا أن أدفع له.

خرجت سارا من الحمّام. كان جسمها ممشوقاً نحيلاً ومسمّراً، ساحراً إلى أقصى الحدود. اندستْ في الفراش وتعانقنا وكانت قبلة عشق نهمة.

«سنة سعيدة» تمتمت لي.

وغفونا متعانقين.

* * *

- ١٠١ -

لم أتوقف عن مراسلة تانيا، في عشية الخامس من يناير اتصلت بي هاتفياً كان تملك صوتاً مثيراً عالي النبرة مفعماً حماسة، شبيهاً بالصوت الذي كان للشخصية الكرتونية بيتي بوب.

«سوف أصل غداً مساءً. هل يمكنك أن تقلّني من المطار؟».

«كيف سأتعرف إليكِ؟»

«سوف أضع وردة بيضاء».

«ممتاز».

«إسمع. هل ترغب فعلياً في المجيء؟».

«أجل».

«عظيم. سأكون في الانتظار».

وضعتُ سمّاعة الهاتف. فكرّت في سارا لكننا أنا وسارا لم نكن متزوجين. للرجل بعض الحقوق. كنت كاتباً كنت عجوزاً حقيراً ثم إنها العلاقات الإنسانية مخيّبة بكل الأحوال. كان ثمة البهجة في الأسبوعين الأولين، ثم يفقد الطرفان الاهتمام. تسقط الأقنعة، وينكشف الأشخاص على حقيقتهم: مهووسون، أغبياء، مخبولون، حاقدون، ساديّون، مجرمون، المجتمع المعاصر استولد كائناته الخاصة، كائنات يلتهم أحدها الآخر كان صراعاً حتى الموت.. داخل بالوعة. أطول ما يمكن أن يأمل الواحد في

استمرار علاقة بين شخصين كان مدة سنتين ونصف السنة، هذا كان أمراً محسوماً عندي. ملك مملكة سيام امتلك تسع آلاف زوجة وخليلة، والملك سليمان من العهد القديم امتلك سبعمائة زوجة، أغسطس القويّ أمير مقاطعة ساكسونيا أمتلك **٣٦٥** زوجة، واحدة لكل يوم من أيام السنة. الطمأنينة نتاج الكمّ.

طلبت رقم سارا أجابت.

بدأتُ «مرحباً».

«أغبطني اتصالك» قالت «كنتَ خطرتَ في بالي للتو».

«كيف حال الأعمال في مطعم المأكولات الصحيّة العتيد؟».

«لم يكن يوماً سيئاً».

«يتوجب أن ترفعي أسعارك. إنها زهيدة جداً».

«إن تساوت أسعار وجباتي مع تكاليفها أعفى من الضرائب»

«إسمعي، لقد تلقيت اتصالاً هذه الليلة».

«ممّن؟».

«تانيا».

«تانيا؟»

«أجل كنا نتبادل الرسائل. إنها معجبة بقصائدي»

«لقد رأيت الرسالة. تلك التي بعثْتَها لكَ. كنت قد تركتها في مكان ما أهي تلك الفتاة التي أرسلت لك صورتها كاشفة فَرْجَها؟».

«أجل».

«وهي قادمة الآن لرؤيتك؟».

«أجل».

«هانك، إني أشعر بالغثيان. بما هو أسوأ من الغثيان. لست أدري كيف يجب أن أتصرف».

«إنها قادمة. قلت لها إني سأستقبلها في المطار».

«ما الذي تسعى إليه؟ ماذا يعني ما تقوله؟».

«ربما لست رجلاً صالحاً هناك كل أنواع المستويات كما تعرفين»

«هذا ليس جواباً شافعاً ماذا بشأنك أنتَ؟ ماذا عني؟ ماذا بشأننا؟ أكره أن أبدو ميلودرامية، غير أني تورطتُ عاطفياً

«إنها قادمة. هل يكون هذا نهاية ما بيننا إذا؟».

«هانك، لست أدري. أعتقد ذلك، لا أستطيع تحمّل هذا».

«لقد كنت طيبة جداً معي. لست واثقاً من أني أفقه دوماً ماذا أفعل»

«كم من الوقت ستمكث هنا؟».

«يومان أو ثلاثة أيام حسبما أعتقد».

«ألستَ تعرف ما الذي سوف ينتابني حيال هذا؟»

«أعتقد أني أعرف.

«حسناً اتصل بي حين تغادر. سنرى عندئذٍ»

دخلتُ إلى الحمّام وحدّقتُ في وجهي. بدا مروّعاً، قمت بقصّ

بعض الشعيرات البيض من لحيتي، وبعض الشعيرات من حول أذنيّ. سلام أيها الموت. غير أني عشت تقريباً ستة عقود. لقد أتحتُ لك العديدَ من الفرص السهلة للنيل مني، لذا كان يفترض أن تصطادني منذ وقت طويل. أرغب في أن أدفن قرب مضمار سباق الخيل حيث في الوسع أن أسمع نهاية السباق.

عشية اليوم التالي كنت في المطار منتظراً وصلتُ مبكراً لذا توجهتُ إلى البار. طلبتُ كأسي وسمعت بعدها نشيجاً نظرت في الأرجاء. إلى طاولة في الخلف جلست امرأة باكية. كانت فتاة سوداء شابة ذات بشرة فاتحة جداً ارتدت فستاناً أزرق ضيقاً وبدا أنها سكرانة. كانت رافعة قدميها عالياً فوق كرسي، فتراجع فستانها ليكشف عن ساقين طويلتين ممشوقتين مثيرتين. بلا ريب هيّجت كل الرجال الموجودين. ما استطعت التوقف عن النظر إليها كانت ملتهبة. تخيّلتها ممددة فوق أريكتي كاشفة ساقيها ابتعت كأساً أخرى واقتربتُ منها وقفتُ هناك محاولاً إخفاء انتصاب قضيبي.

«هل أنتِ بخير؟» سألتها «هل بوسعي أن أساعدكِ؟».

«بلى. ابتع لي كأساً من شراب ستنغر».

عدت وقد جلبتُ لها كأس الستنغر وجلستُ. كانت قد أنزلت قدميها من على الكرسي. جلست إلى جانبها في المقصورة. أشعلتْ سيجارة ولصقتْ فخذها بفخذي. أشعلتُ سيجارتي «إني أدعى هانك». قلت لها «أنا آلسي» ردّت. ضغطت ساقي إلى فخذها محركاً إياها طلوعاً نزولاً قلت لها «إني أعمل في مجال التجهيزات السمكرية». لم تجبني

«لقد هجرني إبن العاهرة» قالت أخيراً «إني أكرهه. يا إلهي. لا يمكنك أن تتصوّر مدى كراهيتي له!»

«هذا يحدث للجميع تقريباً، بين ست أو سبع مرات في الحياة»

«محتمل لكن هذه الحقيقة لا تعينني البتة. أريد ببساطة أن أقتله»

«هوّني عليك الآن»

مددت يدي وشددت على ركبتها اشتد انتصابي إلى درجة أنه آلمني. كنت على وشك أن أقذف.

«خمسون دولاراً» بادرت آلسي.

«لأفعل ماذا؟».

«مطلق ما تشاء».

«هل تعملين داخل المطار؟».

«أجل، أبيعَ كعك فتيات الكشافة».

«أنا آسف. اعتقدت أنك في ورطة ما وينبغي أن ألتقي أميّ بعد خمس دقائق».

نهضتُ وابتعدت. مومس! حين التفتْ متطلعاً إلى الخلف، وجدت أن آلسي كانت رفعت قدميها مجدداً فوق الكرسي، كاشفة العظيم الأعظم من ساقيها كدت أن أرجع إلى عندها، واللعنة على تانيا

اقتربتْ طائرة تانيا، حطّت من دون أن تتحطم. وقفت وانتظرت على مقربة وراء زحام المستقبلين. كيف يمكن أن يكون شكلها؟ أفضّل أن لا أفكر بهيئتي أنا بالذات. خرجت طليعة المسافرين وانتظرت.

آه، أنظروا إلى هذه الآية! فقط لو تكون هي تانيا!

أو هذه، يا إلهي! يا لهذين الفخذين، في الفستان الأصفر، وهي باشّة.

أو تلك. في مطبخي تغسل الصحون.

أو تلك. صارخة بي وأحد ثدييها متفلتاً خارج الصدّارة.

كان هناك نسوة خارقات في هذه الطائرة.

شعرت بأحد ما ينقرني على ظهري. استدرت وإذ بي أرى خلفي هذه الفتاة الصغيرة. بدت في حوالي الثامنة عشر من العمر، عنق نحيف طويل، كتفان مكوّرتان قليلاً، أنف طويل، لكنها امتلكت ثديين خارقين، نعم، وساقين ممشوقتين، نعم ومؤخرة فاخرة، نعم.

بادرتني بالقول «هذا أنا»

قبّلتها على خدّها «هل لديك حقائب؟».

«أجل»

«تعالي نتوجه إلى المشربْ. أبغضُ انتظار الحقائب»

«لا مانع».

«أنتِ ضعيفة للغاية.

«خمسة وأربعون كلغ»

«يا لليسوع..» سوف أفلعها سيكون الأمر كاغتصاب طفلة.

ذهبنا إلى المشرب وجلسنا في مقصورة. طلبت النادلة بطاقة هوية تانيا كانت قد انتشلتها متوقعة ذلك.

«إنك تبدين في الثامنة عشر من العمر» قالت لها النادلة.

«أعرف» ردت تانيا بصوتها العالي الشبيه بصوت بيتي بوب. «أود كأس ويسكي»

قلت بدوري للنادلة «أعطني كأس كونياك».

على مبعدة مقصورتين كانت الخلاسية لا تزال جالسة بفستانها المنشدّ عالياً حول مؤخرتها كان سروالها التحتي ورديّ اللون. كانت تحدّق فيّ من دون توقف. وصلت النادلة مع الكأسين. رحنا نرشفهما شاهدتُ الخلاسية تنهض من مكانها أقبلت متهادية نحو مقصورتنا بسطتْ كفيها فوق طاولتنا وانحنت إلى الأمام. انبعثت رائحة أنفاسها الكريهة الكحولية، حدّقت فيّ.

«هذه هي إذا أمّك يا إبن العاهرة!».

«لم تستطع أميّ الحضور»

نظرتْ تانيا إلى آلسي وبادرتها «كم تسعيرتكِ يا حبّي؟».

«أغربي إلى الجحيم» ردّت آلسي

«هل أنتِ بارعة بالمصّ على الأقل؟»

«تابعي وسأجعل اصفرارك أسود مزرقاً من شدة الضرب؟».

«كيف ستفعلين ذلك؟ بكيس فاصولياء؟»

ابتعدت بعدها آلسي مؤرجحة لنا نكاية بنا مؤخرتها قبالتنا، بالكاد استطاعت الوصول إلى مقصورتها، لتبسط مجدداً بعدئذٍ ساقيها المجيدتين. ماذا يمنع أن أحصل على كلتيهما؟ الملك منغوط امتلك تسع آلاف زوجة. فكروا في الأمر ٣٦٥ يوماً في السنة مقسومة على تسعة آلاف. لا مشادات. لا حيض شهرياً. لا إعياء نفسياً لا شيء سوى الاستمتاع والاستمتاع ودوماً الاستمتاع. لا بدّ أنه كان من الصعب جداً على الملك منغوط أن يموت، أو على العكس من السهل جداً يستحيل أن يكون هناك حل وسطي.

«من تكون هذه؟» سألتني تانيا

«إنها آلسي».

«هل تعرفها؟».

«لقد حاولت اصطيادي. تريد خمسين دولاراً لمصّ قضيبي».

«إنها تثير حفيظتي. لقد عرفت الكثير من الزنج لكن..».

«ما هم الزنج؟».

«الزنج هم السود»

«أوه».

«ألم تسمع ذلك من قبل؟»

«أبداً».

«حسناً».

«إلا أنها تملك ساقين أخاذتين أليس كذلك؟ كادت تهيّجني».

«يا تانيا الساقان ليستا الجزء الأهم لديها».

«أي جزء تقصد؟».

«الأضخم».

«هيّا تعالَ نجلب الحقائب.

فيما كنا نغادر هتفت آلسي «وداعاً ماما!».

لم أعرف ما إن كانت تتوجه بذلك لي أو لتانيا

بعد أن وصلنا إلى منزلي جلسنا على الأريكة نحتسي الشراب

سألتني تانيا «هل أنت مستاء من قدومي؟»

«لست في الواقع مستاءً منك.

«كان لديك خليلة. لقد كتبت لي عنها هل ما زلتما معاً؟».

«لست أدري».

«هل تريدني أن أرحل؟».

«لا أعتقد هذا».

«إسمعني. أعتقد أنك كاتب رائع. إنك أحد الكتّاب القلائل الذين في مستطاعي قراءتهم».

«حقاً؟ ومن هم الأوغاد الآخرون؟»

«أعجز عن تذكر أسمائهم الآن».

انحنيت نحوها وقبّلتها كان ثغرها فاغراً ورطباً استسلمتْ بسهولة. كانت فتاة ضئيلة. خمسة وأربعون كلغ. كنّا أشبه بفيل وفأرة.

نهضت تانيا حاملة كأسها، رفعت تنورتها وفرشخت جالسة في حضني مواجهة لي. لم تكن مرتدية سروالاً تحتياً شرعت تفرك فَرْجها بقضيبي المنتصب. تعانقنا وتبادلنا القبلات وما برحت تفرك. كان ذلك عظيم الفعالية. هيّا تلوّي أيتها الأفعى الصغيرة!

بعد ذلك، فتحت تانيا سحّاب بنطالي، استلَّت قضيبي ودفعته إلى داخل فَرْجها بدأت تمتطيني وكانت حقاً بارعة رغم كليوغراماتها الخمسة والأربعين! ما توقعت هذا البتة. قمت بحركات فاترة لمماشاة إيقاعها بين الحين والحين. كنا أحياناً نتبادل القبل. إنها فضيحة، كانت فتاة صغيرة تغتصبني. ثم شرعتْ بالدوران. لقد حشرتني في الزاوية، أوقعتني في الفخ. كانت مضاجعة جنونية. لحم خالص من دون ذرة حب. أشبعنا الهواء بنتانة رائحة الجنس

الصرف. يا طفلتي، يا طفلتي كيف بمستطاع جسدك الضئيل إنجاز كل هذه المآثر؟ من ذا الذي اخترع النساء؟ لأي هدف جوهري؟ هذه القصبة على سبيل المثال! يفترض أننا غريبان بكل ما للكلمة من معنى! أحسستني أضاجع حقارتي أنا بالذات.

كانت تمارس الجنس مثل قرد فوق سلك ساخن. تانيا كانت قارئة وفيّة لكل أعمالي. لقد بذلت قصارى جهدها كانت تعرف جيداً ماذا تفعل. كان باستطاعتها استشعار ضيقي النفسي. واصلت الامتطاء بقوة، فيما داعبت بظرها بإصبع واحدة وقد ألقت رأسها إلى الخلف. كنا نشارك معاً في أقدم وأكثر الألعاب إثارة على الإطلاق. ادركنا النشوة معاً وطال ذلك مديداً حتى خالجني أن قلبي سيتوقف. ارتمت عليّ نحيلة وهشّة. لمستُ شعرها كانت تتصبب عرقاً ثم انقلبتْ عنّي وتوجهتْ إلى الحمّام.

لقد أنجزتْ الفتاة هذه اغتصاباً كاملاً إنهم يلقنون الأولاد تعليماً جيداً في هذه الأيام. المغتصِبُ مغتَصباً منتهى العدالة. أوهل كانت إمرأة متحرّرة؟ كلا كانت بكل بساطة مهتاجة.

خرجت تانيا من الحمّام. احتسينا كأساً أخرى. اللعنة، راحت تضحك وتثرثر وكأنما ما حصل أي شيء. أجل، كان هذا كل ما في الأمر كنت ببساطة بمثابة تمرين ما لها، مثل الهرولة أو السباحة.

قالت تانيا «أعتقد أني سأضطر إلى الانتقال من حيث أقطن حالياً أن ريكس يقضّ لي مضجعي».

«أوه».

«أعني، أننا لا نمارس الجنس، لم نفعل ذلك أبداً، ورغم ذلك أصبح غيوراً بشكل لا يطاق. أتذكر تلك الليلة حين اتصلت بي؟»

«لا».

«بأية حال، بعدما أقفلت الخط قام باقتلاع الهاتف من الحائط».

«قد يكون مغرماً بك. يستحسن أن تكوني لطيفة معه».

«هل أنت لطيف مع الناس الذين يحبونك؟».

«لا، لست كذلك؟».

«لماذا؟».

«إني صبياني السلوك، وهذا أقوى مني».

بقينا نشرب طوال الليل ثم توجهنا إلى السرير قبيل طلوع الفجر

ما استطعت أن أفلع تلك الكيلوغرامات الخمسة والأربعين كان بمقدورها حملي، وأثقل من ذلك الكثير الكثير.

* * *

ـ ١٠٢ ـ

حين استفقتُ بعد بضع ساعات، لم أجد تانيا في الفراش. كانت الساعة لم تتجاوز التاسعة صباحاً وجدتها جالسة على الأريكة تشربُ الويسكي مباشرة من القنينة.

«يا لليسوع. تبدأين باكراً».

«دوماً أستيقظ في السادسة صباحاً وأنهض من السرير».

«أنا أستفيق عند الظهر سوف يتسبّب لنا هذا بمشكلة».

شربت تانيا جرعة من قنينة الويسكي وعدتُ أنا إلى الفراش. الاستيقاظ في السادسة صباحاً محض جنون. لا بدّ أن أعصابها تالفة. لا عجب في أنها لا تزن شيئاً

دخلتُ الغرفة وقالت لي «سوف أخرج للتنزه».

«حسناً».

عدتُ وغفوتُ من جديد.

حين استفقت مجدداً ألفيتها تانيا تعتليني. كان قضيبي منتصباً والجاً داخل فرجها كانت تمتطيني مجدداً ألقت رأسها إلى الخلف وقوّست ظهرها إلى الوراء. كانت تقوم بكل الشغل. ندت عنها تنهدات ابتهاج خفيضة، تنهدات راحت تتقارب أكثر فأكثر. بدأت أنا أيضاً أدمدم، ثم أضحت أعلى. أحسستني أوشك. ها قد

وصلت. ثم حصلتْ. وكانت نشوة رائعة مديدة. ثم ترجلتْ ثانيا من فوقي. كنت لم أفقد بعد انتصابي. انحنت ثانيا وألصقت فمها بقضيبي، وفيما حدّقتْ في عيني راحت تلحس المنيّ عن شفرته. لعقته حتى آخر قطرة.

نهضت وتوجهتْ إلى الحمّام. استطعتُ سماع اندياح المياه. كانت الساعة لم تزل العاشرة والربع صباحاً عدت إلى النوم.

* * *

- ١٠٣ -

اصطحبت تانيا إلى سانتا آنيتا كان نجم الساعة «جوكيّ» في السادسة عشر في العمر لا يزال يسابق مع أفضليّة أقل خمسة أرطال من وزنه عن سواه. كان من شرقي الولايات المتحدة، ويسابق في سانتا آنيتا للمرّة الأولى. كان منظمو السباق قدّموا جائزة قدرها عشرة آلاف دولار، للشخص الذي ينجح في اختيار الفائز في السباق الرئيسي. بشرط أن تكون بطاقته أو بطاقتها طي لائحة خاصة لا علاقة لها ببطاقات السباق المعهودة. كان على كل شخص أن يختار حصاناً واحداً فقط. رقم واحد لكل حصان وهكذا دواليك.

وصلنا إلى الميدان مع حلول السباق الرابع وكان الحمقى يملأون كل سعة المكان. كانت كل الأمكنة مشغولة، لا مقعد لتجلس ولا فسحة لركن السيّارة. وجَّهنَا موظفو الميدان نحو مركز تسوّق قريب، حيث كان لديهم هناك باصات لنقلنا فيها كان يتوجب علينا أن نعود إلى المكان سيراً على الأقدام بعد انتهاء السباق الأخير

قلت لتانيا: «هذا جنون. يخطر لي أن أعود أعقابي».

جرعتْ تانيا من قنينتها، «اللعنة، إنس الأمر» قالت «هاقد وصلنا».

وصلنا بعدها إلى الداخل. كنت أعرف ركناً مميّزاً للجلوس، ركناً مريحاً ومعزولاً، فاصطحبتها إلى هناك. المشكلة الوحيدة كانت أن

الأولاد كانوا أيضاً قد اكتشفوه. كانوا يعدون في كل الاتجاهات زاعقين مثيرين بأقدامهم غيوماً من الغبار، غير أنه كان أفضل من الوقوف.

«سوف نغادر بعد انتهاء السباق الثامن» قلت لتانيا «معظم هؤلاء الناس لا يتزحزحون من هنا قبل منتصف الليل».

«أعتقد أن ميدان السباق هو أفضل مكان لاصطياد الرجال».

«إن مقر المومسات الأساسي هو نادي الميدان».

«هل سبق واصطادتك إحداهن هناك؟».

«أجل مرة واحدة، لكنها غير محسوبة».

«لماذا؟».

«كنت أعرفها من قبل».

«ألا تخشى التقاط عدوى مرض ما؟».

«بالتأكيد. لماذا برأيك لا يختار الرجال سوى المصّ؟».

«هل تحب أن يُمصَّ قضيبك؟».

«بالتأكيد، يا له من سؤال»

«متى سنراهن؟».

«الآن في الحال»

تبعتني تانيا إلى شبابيك المراهنات، توجهتُ إلى شباك تذاكر الخمسة دولارات. وقفتْ بجانبي.

«كيف تعرف أي حصان تختار؟».

«لا أحد يعرف. إنه نظام في غاية البساطة أساساً».

«فسّر لي».

«حسناً عموماً يعطي الحصان الأقوى أقل العوائد، وكلما ازداد سوء الحصان ترتفع عوائد المراهنة أكثر فأكثر. غير أن الحصان «الأفضل» المزعوم لا يربح سوى مرة من ثلاث في الاحتمالات، وعوائده عموماً أقل من ثلاثة أضعاف الرهان».

«هل يحق لك أن تراهن على كل أحصنة السباق؟».

«بلى. إن كنت تودين أن تصبحي سريعاً معدمة».

«هل يربح أناس كثيرون؟»

«أحسب أن هناك إحتمالاً أن يربح واحد من أصل عشرين أو خمسة وعشرين شخصاً»

«لماذا إذاً يأتون إلى هنا».

«لست طبيباً نفسانياً لكني أنا أيضاً موجود هنا، وأعتقد أنه يوجد أيضاً بعض الأطباء النفسانيين»

راهنت على حصان حظ فوزه ٥ من ٦ وخرجت لمشاهدة السباق. لطالما فضلّتُ الأحصنة التي تنطلق بأقصى سرعتها، خاصة إن كان قد تخلّى وأخفق في سباقه الأخير. المراهنون يسمّونها «المتخاذلة»، غير أن رهاناتها تحصّل دوماً مكاسب تفوق ما تحصّله الأحصنة البارعة في إنهاء السباق، وتملك المقدرة نفسها كسب لي حصاني «المتخاذل» أربعة أضعاف الرهان، ربحَ السباق بطولين ونصف الطول، ودفع عشرة دولارات وعشرين سنتاً للدولارين. في المحصلة كسبت خمسة وعشرين دولاراً ونصف.

«هيا بنا نحتسي كأساً» قلت لتانيا «الساقي هنا يعدّ أفضل شراب كوكتيل «بلودي ميري» في جنوبي كاليفورنيا».

توجهنا إلى البار. طلبوا بطاقة هوية تانيا وحصلنا على شرابنا

سألتني تانيا «أي حصان ستختار في السباق التالي؟»

«زاغ - زيغ».

«هل تظن أنه سيربح؟».

«أوهل لديك ثديان؟».

«هل لاحظتَ ذلك؟»

«أجلْ»

«أين حمّامات النساء؟»

«خذي يمينك مرتين».

ما أن غادرتْ تانيا طلبتُ كأس بلودي ميري أخرى. أقبل باتجاهي رجل أسود. كان في حوالي الخمسين من العمر «هانك يا رجل، كيف الحال؟»

«ما زلتُ على قيد الحياة».

«يا رجل إننا فعلياً نفتقدك في مركز البريد. كنت من أظرف الموظفين الذين عملوا عندنا أجل إننا نفتقدك كثيراً»

«شكراً أنقل تحيتي للفتيان هناك».

«ماذا تفعل حالياً يا هانك؟»

«أوه. أدقّ على آلة كاتبة؟».

«ماذا تقصد؟».

«أدقُّ على آلة كاتبة..

رفعت يدي عالياً ورحت أدق على آلة طباعة لامرئية.

«أتقصد أنك تعمل طابعاً على الآلة الكاتبة؟».

«لا أكتب».

«تكتب ماذا؟».

«قصائد، قصص قصيرة، روايات. إنهم يدفعون لي مقابل هذا».

رمقني ثم استدار وابتعد.

عادت تانيا «لقد حاول أحد الزعران خطفي!».

«أوه؟ آسف. كان يجب أن أرافقك».

«لقد كان بمنتهى الوقاحة! أكره فعلاً هذا النوع من الأشخاص! أنهم حثالة!».

«لو فقط يملكون حداً أدنى من الإبداع، غير أنهم معدمو المخيلة، ربما لهذا السبب يبقون وحيدين».

«سوف أراهن على «زاغ زيغ»»

«سوف أبتاع لكِ بطاقة..».

أخفق زاغ زيغ. كان وصل إلى بويب الانطلاقة واهناً راح الجوكي يضربه بالسوط مستحثاً إياه متفادياً الهزيمة النكراء. كانت انطلاقة زاغ زيغ سيئة ثم قفز منطلقاً وصل في المركز ما قبل الأخير. عدنا إلى البار. كان سباقاً بائساً بالنسبة إلى حصان كان ترجيحه للفوز ٦ على ٥.

احتسينا كأسي بلودي ميري.

«هل تحب المصّ؟» سألتني تانيا

«أحياناً بعضهن بارعات، لكنهم عموماً هاويات».

«هل تلتقي أياً من أصدقائك هنا؟».

«لقد فعلت ذلك للتو، في السباق السابق».

«إمرأة؟».

«لا كان رجلاً موظف بريد. ليس لدي فعلياً أي أصدقاء».

«لديكَ إياي».

«خمسة وأربعون كلغ من الجنس الجامح».

«هل هذا كل ما تراه فيّ؟».

«بالتأكيد لا إن لديك عينين كبيرتين، كبيرتين جداً».

«هذا غير لطيف».

«هيا نلحق بالسباق التالي».

أدركنا السباق التالي. راهنتْ على حصانِها راهنتُ على حصاني خسرنا كلانا

«دعينا نخرج من هنا».

«حسناً» ردت تانيا.

عدنا إلى منزلي، جلسنا على الأريكة نحتسي الشراب. في الواقع لم تكن سيئة. كان ثمة حزن عميق في نظراتها كانت ترتدي فساتين وأحذية بكعاب عالية، وتملك ركبتين جميلتين. ما عرفت بالتحديد ماذا كانت تتوقع مني. لم تخالجني أي رغبة في إذيتها قبّلتُها كان

لسانها رهيفاً طويلاً وراحت تدفعه دخولاً وخروجاً في فمي. ذكّرني بعثّة الورق. ثمة حزن بالغ في كل شيء، حتى حينما تسير الأمور بأحسن حال.

بعدئذٍ فتحت تانيا سحاب بنطالي وتناولت بفمها قضيبي. ثم أخرجته ونظرتْ إليّ. كانت راكعة على ركبتيها أمامي. حدّقتْ في عينيّ وراحتْ تمرر لسانها حول رأس قضيبي. خلفها كان رمق الشمس البرتقالية الأخير يتسرّب عبر الستائر المضلّعة المتسخة. ثم بدأتْ العمل الجديّ. لم تكن لديها البتة أي تقنية. ما كانت تفقه أبداً كيف ينبغي القيام بذلك. راحت تمصّه طلوعاً ونزولاً مثل مبتدئة. كان مشهداً مضحكاً بالتأكيد. جيّد، بيد إنه غير ممكن إدراك انتصاب من خلال مشهد مضحك. كنت قد شربت، ولم أرغبْ في جرح شعورها لذا أطلقت العنان لمخيّلتي. كنّا معاً عند الشاطىء، وكنا محاطين بخمسة وأربعين أو خمسين شخصاً بين نساء ورجال، معظمهم ارتدى زي السباحة. كانوا متحلقين حولنا في دائرة صغيرة. كانت الشمس تشعّ فوقنا، وأمواج البحر تتدفق وفي الوسع سماعها وبين الحين والحين تدوّم على مقربة فوق رؤوسنا بعض النوارس.

طفقت تانيا تمصّ وتلعق بلا كلل، فيما كانوا يشاهدون وسمعتُ تعليقاتهم

«يا إلهي. أنظر كيف تطبقُ عليه بنهم!».

«يا لها من عاهرة رخيصة مخبولة!».

«تمصّ عضو رجل يكبرها بأربعين سنة!».

«أفصلوها عنه! إنها مجنونة!».

«لا انتظروا لقد بدأت تتهيّج!».

«وانظروا هذا الشيء!»

«مخيف».

«هاي! سوف أخرقها من مؤخرتها فيما تقوم بذلك!»

«إنها مجنونة! تمصّ هذا العجوز العفن!!».

«تعالوا نحرق ظهرها بعيدان الثقاب!».

«أنظروا كم هي مأخوذة!».

«إنها مجنونة بحق!».

أمسكتُ رأس تانيا بيديّ الاثنتين وغرزت قضيبي في قعر جمجمتها

حين عادت من الحمّام كنت قد أعددت لنا كأسين من الشراب، ارتشفت تانيا جرعة ونظرت إليّ قائلة: «لقد أحببت ذلك، أليس كذلك؟ هذا جليّ على سيمائك»

«أنت محقّة» أجبت «هل تهوين الموسيقى الكلاسيكية؟».

«أحب موسيقى الفولك روك».

توجهت إلى الراديو وضعته عند الموجة ١٦٠ وشغّلته. كنا بأحسن حال.

* * *

- ١٠٤ -

اصطحبت تانيا إلى المطار ما بعد ظهيرة اليوم التالي. شربنا كأساً في المشرب نفسه. لم تكن الخلاسية في الأنحاء. لا بدّ أن ثمة من يهتم بساقيها

«سوف أبعث لك رسالة» قالت لي تانيا

«جيّد».

«هل تجدني فتاة سهلة المنال؟».

«لا إنك تحبين الجنس. ولا ضير في ذلك».

«وأنت كذلك غير مقصّر أبداً في هذا».

«ثمة الكثير من التطهريّة لديّ. البيوريتانيون يستمتعون لربما بالجنس أكثر من أي كان».

«تبدو أكثر براءة من مطلق من التقيت من الرجال».

«بمعنى ما لطالما كنت بتولا .».

«أتمنى لو أنه يسعني قول هذا».

«أتودّين كأساً أخرى؟».

«بالتأكيد».

رحنا نحتسي كأسينا بصمت. ثم حان وقت أن تستقّل الطائرة.

قبّلتها مودعاً إياها خارج مركز الجمارك، ثم نزلتُ بعدها مستقلًا المصعد. رحلة عودتي في السيّارة مضت بلا أحداث. قلت في نفسي، هآنذا لوحدي مجدداً يتوجب أن أنجز بعض الكتابات اللعينة، أو العودة إلى العمل كبوّاب. ينبغي أن يكدّ الرجل في مهنته، كما يقول المثل.

وصلت إلى فناء منزلي. كانت علبة بريدي فارغة. جلست واتصلت بسارا كانت في مطعمها

سألتها «كيف حالك؟».

«هل رحلتْ هذه العاهرة؟»

«لقد رحلت».

«منذ متى؟».

«لقد وضعتها للتو في الطائرة».

«هل أعجبتكَ؟».

«إن لديها بعض المزايا الحسنة».

«هل أنت مغرم بها؟».

«كلا إسمعي. أرغب في رؤيتك».

«لست أدري. لقد تعذبت كثيراً كيف لي أن أتأكد من أنك لن تعاود القيام بهذا؟».

«يستحيل أن يكون أحد واثقاً مما قد يفعله في المستقبل. لا يمكن أن نحزر ماذا يمكن أن نفعل».

«إني أعرف ما يخالجني الآن بمطلق الأحوال».

«إسمعي. أنا ما سألتك يوماً ماذا كنت تفعلين يا سارا؟».

«أشكركَ. أنت بغاية اللطف».

«أودُ رؤيتكِ. هذه الليلة. تعالِ إلى منزلي».

«هانك. فعلياً، لست أدري.

«تعالي في الوسع أن نثرثر ولا شيء أكثر».

«إني مضطربة للغاية. لقد كان الأمر جحيماً بالنسبة لي».

«إسمعي. دعيني أوضح لك المسألة، أنت بالنسبة لي الرقم واحد، وليس حتى هناك من رقم اثنين».

«حسناً سوف أمرّ بك حوالي السابعة. إسمع، هناك زبونان ينتظران».

«ممتاز. أراك عند السابعة».

وضعتُ سمّاعة الهاتف. كانت سارا فعلياً إمرأة رائعة. من الغباء خسارتها من أجل واحدة مثل تانيا بيد أنه ينبغي الاعتراف بأن تانيا وهبتني شيئاً من السعادة. إن سارا تستحق بلا ريب معاملة أفضل من تلك التي كانت تلقاها مني. يدين الشخصان لبعضهما بنوع ما من الإخلاص، حتى ولو كانا غير متزوجين. بتفسير ما، يتوجب أن تكون الثقة أعمق بينهما لكونها غير مكرّسة بالقانون.

في الواقع. كنا بحاجة إلى نبيذ. نبيذ أبيض ممتاز.

خرجتُ من المنزل. ركبت في الفولز وتوجهت بها إلى متجر الكحول قرب السوبرماركت. أهوى تكراراً تبديل محلات بيع الكحول، إذ أن الموظفين هناك يألفون عاداتك، إن قصدت المتجر

نفسه في الليل وفي النهار وابتعت كميّات ضخمة. كنت أحدس أنهم يتساءلون في قرارة أنفسهم كيف إني لم ألقَ حتفي بعد، وكان هذا يضايقني. ربما ما كان ذلك يخطر في بالهم البتة، غير أن المرء يصاب بلا ريب بالبارانويا إن كان يصحو مع خِمار ثلاثمائة يوم في السنة الواحدة.

عثرت على أربع قنانٍ من النبيذ الأبيض الممتاز في متجر جديد، وخرجت مصطحباً إياها. كان ثمة أربعة فتيان مكسيكيين في انتظاري في الخارج.

«أنت هناك يا سيّد! أعطنا بعض المال! هاي، يا رجل أعطنا بعض المال!».

«لأي غرض؟».

«إننا نحتاجه يا رجل، بحاجة إليه. ألا ترى؟».

«أتريدون شراء زجاجة كولا؟».

«بيبسي كولا يا رجل!».

أعطيتهم خمسين سنتاً

كاتب خالد

يوزع المال

على صبية الشارع

ركضوا مبتعدين. فتحت باب الفولزفاكن ووضعت النبيذ في داخلها ما أن فعلت ذلك انبثقت فجأة شاحنة ڤان صغيرة مسرعة بطيش وانفتحتْ بوّابتها بعنف. قُذِفتْ إمرأة من داخلها بخشونة. كانت شابة مكسيكية في الثانية والعشرين من العمر تقريباً، حلساء

الصدر مرتدية بنطالاً فضفاضاً رمادياً كان شعرها الأسود متسخاً وشعثاً صرخ فيها الرجل الذي في الڤان «أيتها العاهرة اللعينة! أيتها العاهرة المجنونة! سوف أركل مؤخرتك الحمقاء!». زعقت مجيبة إياه «أيها الوغد الأحمق. أيها المنتن بالقذارة».

ترجل من الڤان وركض باتجاهها فرّتْ راكضة باتجاه متجر الكحول. حين أبصرني، تخلى عن مطاردتها وعاد إلى شاحنته، ليندفع بها صاخباً عبر موقف السيّارات، وينعطف مسرعاً عبر جادة هوليوود بولڤار.

سرت متوجهاً نحوها

«هل أنتِ بخير؟».

«أجل».

«هل بمقدوري أن أساعدكِ بأي شيء؟».

«أجل. أوصلني إلى ڤان نيس إلى تقاطع شارعي ڤان نيس وفرانكلين».

«موافق».

ركبت في الڤولز وتوجهنا نحو هوليوود. انعطفتُ يساراً ثم إلى اليمين فوصلنا إلى شارع فرانكلين.

سألتني «لديك الكثير من النبيذ هنا، أليس كذلك؟».

«أجل».

«أعتقد أني بحاجة إلى احتساء كأس».

«الجميع تقريباً بحاجة إلى ذلك، بيد أنهم لا يدركون».

«أنا أعرف».

«نستطيع أن نتوجه إلى منزلي».

«كما تشاء».

انعطفت بالڤولز نصف دورة نحو الاتجاه المعاكس. وانطلقت عائداً»

قلت لها «لدي بعض المال».

ردّت «عشرون دولاراً».

«هل تمصيّن؟».

«أنا ملكة المصّ»

حين وصلنا إلى المنزل صببت لها كأساً من النبيذ. لم يكن النبيذ بارداً، غير أنها لم تأبه. شربت أنا كذلك من النبيذ إيّاه. خلعتُ بعدها بنطالي وتمددتُ على الفراش. لحقتْ بي إلى حجرة النوم. أخرجتُ عضوي الرخو من سروالي التحتاني فانقضّتْ عليه على الفور. كانت فظيعة. معدمة المخيْلة كلّياً

هذا مقزز، قلت لنفسي.

رفعت رأسي من على الوسادة وبادرتها بالقول «هيّا يا حبّي، عجلّي! ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟»

وجدتُ صعوبة في الانتصاب. كانت تمصّه وهي محدّقة في عينيّ. كانت أسوأ مصّة حظيت بها في حياتي. تابعتْ حوالي دقيقيتين ثم نهضتْ مبتعدة. انتشلتْ منديلها من حقيبتها وبصقت فيه كما لو كانت تبصق مَنياً

«هاي أنتِ» صرخت بها «ماذا تقولين أيتها الكاذبة؟ أنا لم أبلغ النشوة».

«بلى فعلتْ، فعلتْ!».

«حقاً، ألا يجدر أن أكون أول من يعرف!».

«لقد قذفتَ داخل فمي».

«أوقفي هذا الهراء. وعودي فوراً إليه!».

بدأتْ مجدداً وتابعتْ خرقاء كما في المرة الأولى. تركتها تتابع متوقعاً معجزة ما يا لها من مومس فاشلة. راحت تمصّ طالعة نازلة. بدا لي كأنها كانت وحسب تتظاهر بالقيام بذلك، كما لو أننا كنا كلانا نتظاهر بذلك لا غير أمسى قضيبي طرياً وتابعت هي بلا كلل.

«حسناً، حسناً» قلت لها «توقفي. أنسي الأمر»

دخلتُ بنطالي من جديد وأخرجتُ محفظة نقودي.

«هاكِ دولاراتك العشرون. ويمكنك الانصراف الآن»

«هل يمكن أن تقلّني؟».

«إلى أين؟».

«أريد الذهاب إلى تقاطع فرانكلين وڤان نيس».

«لا مانع».

توجهنا إلى السيّارة وأوصلتها إلى ڤان نيس. فيما انطلقتُ مغادراً رأيتها ترفع إبهامها كانت تستوقف السيّارات للنقل مجانياً

آن رجعت إلى المنزل، اتصلتُ بسارا من جديد.

سألتها «كيف الوضع في المطعم؟».

«الحركة بطيئة اليوم».

«سوف تأتين هذا المساء، أليس كذلك؟».

«سبق وقلت لك إني قادمة».

«لقد ابتعتُ بعض النبيذ الممتاز سنستعيد تماماً سهراتنا الجميلة القديمة»

«هل تنوي رؤية تانيا من جديد؟»

«كلا»

«لا تشرب شيئاً قبل قدومي».

«موافق».

«يتوجب عليّ الذهاب. لقد دخل للتو زبون»

«ممتاز. إلى اللقاء في المساء».

كانت سارا إمرأة طيبة. يجدر بي أن أستقيم. حينما يشعر الرجل أنه بحاجة إلى الكثير من النساء، يكون معنى ذلك أن معظمهن غير صالحات. ثمة احتمال في أن يفقد الرجل توازنه إن انغمس في مضاجعة الكثيرات يميناً ويساراً كانت سارا تستحق فعلياً أكثر بكثير مما كنت أعطيها الأمر يعود إليّ الآن، تمددت على الفراش وسرعان ما غفوت.

أيقظني رنين الهاتف. «نعم» أجبت.

«هل أنت هنري شيناسكي؟».

«أجل»

«إني أعشق كتاباتك. لا أظن أن أحداً يكتب أفضل منك!».

كان صوتها فتياً ومثيراً

«لقد كتبتُ بعض الأعمال الجيدة».

«أعرف. أعرف. هل فعلاً عشتَ كل تلك المغامرات مع النساء؟».

«أجل»

«إسمع. أنا أيضاً أكتب. إني أسكن في لوس أنجلوس، وأتوق إلى زيارتك، أود أن أريكَ بعض قصائدي».

«لست ناشراً».

«أعرف هذا إسمع أنا في التاسعة عشر من العمر. كل ما أوده هو القدوم وزيارتك».

«أنا مرتبط هذه الليلة».

«أوه، لا بأس، يمكن أن أزورك في مطلق ليلة تشاء».

«لا هذا غير وارد إطلاقاً».

«هل أنت فعلياً هنري شيناسكي، الكاتب؟».

«بدون أدنى ريب».

«أنا فرفورة جميلة».

«لا شكّ لدي».

«إسمي روشيل».

«وداعاً يا روشيل».

أقفلتُ الخط. ها قد أفلحتُ لمرّة.

دخلت إلى المطبخ. فتحت قارورة فيتامين (E) الحبّة من عيار أربعمائة، وابتلعت عدة حبّات مع نصف كوب من مياه «بيرييه». سوف يمضي شيناسكي ليلة لطيفة. كانت الشمس تنحدر من خلال الستائر الفينيسية راسمة أشكالاً مألوفة فوق السّجادة، وكان النبيذ الأبيض يبرد في البرّاد.

فتحتُ باب المدخل وخرجتُ إلى الشرفة الأمامية. ثمة هرّ غريب ربض هناك، كان مخلوقاً ضخماً، ذكراً كانت فروته سوداء لماعة، وعيناه صفراوان مضيئتان. لم يخفْ منيّ. أقبل نحوي مخرخراً وراح يحك بدنه بإحدى قدميّ. لقد كنت شخصاً طيّباً وكان يعرف ذلك. الحيوانات تستشعر أموراً من هذا القبيل. تدرك بحدسها سرتُ عائداً إلى الداخل ولحق بي.

فتحت له علبة من التونا البيضاء الفاخرة من ماركة «ستار كيست». كانت محفوظة في مياه النبع. وزنها الصافي ٢٥٠ غراماً

* * *

هذا الكتاب

لست أذكر بالتحديد متى رأيت ليديا فانس للمرّة الأولى، كان ذلك مذ ما يقارب ستة أعوام، وكنت تركت للتو وظيفة مارستها إثنتي عشرة سنة كساعٍ للبريد، وأحاول أن أصبح كاتباً، كنت مذعوراً واحتسيت الكحول أكثر من أي وقت مضى، كنت أحاول كتابة روايتي الأولى. فيما أكتب كل ليلة، كنت أعبُّ نصفيّة ويسكي وصندوقي بيرة سعة ست قنانٍ، كنت أدخّن السيجار الرخيص وأطبع على الآلة الكاتبة، وأشرب مستمعاً إلى الموسيقى الكلاسيكية عبر الراديو حتى بزوغ الفجر.

رسمة الغلاف: شارل شهوان



